

CERTIFICATE

Certified that Mr. YUSEF AWWAD SALIM AL-GAMMA Z

has carried out research on the topic

النسب البلاغية في فن الفيل والوصل في سورة البقرة

under my supervision and that his work is original and distinct and his dissertation is worthy of presentation to the university of Sindh for award of the degree of Ph.d. in Arabic.

Supervisor

سید علی قادری

Professor Dr. Madad Ali Gadri
Director, Institute of languages
& Dean, Faculty of Arts,
University of Sindh Jamshoro.
University of Sindh
Jamshoro.

LIBRARY
Institute of Sindology
University of Sindh Jamshoro



جمهورية باكستان الإسلامية
جامعة السند - جامشورو
كلية الآداب
قسم اللغة العربية



P. 622

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

النكات البلاغية في فن الفصل والوصل

في سورة البقرة

اعداد

يوسف عواد سالم القماز

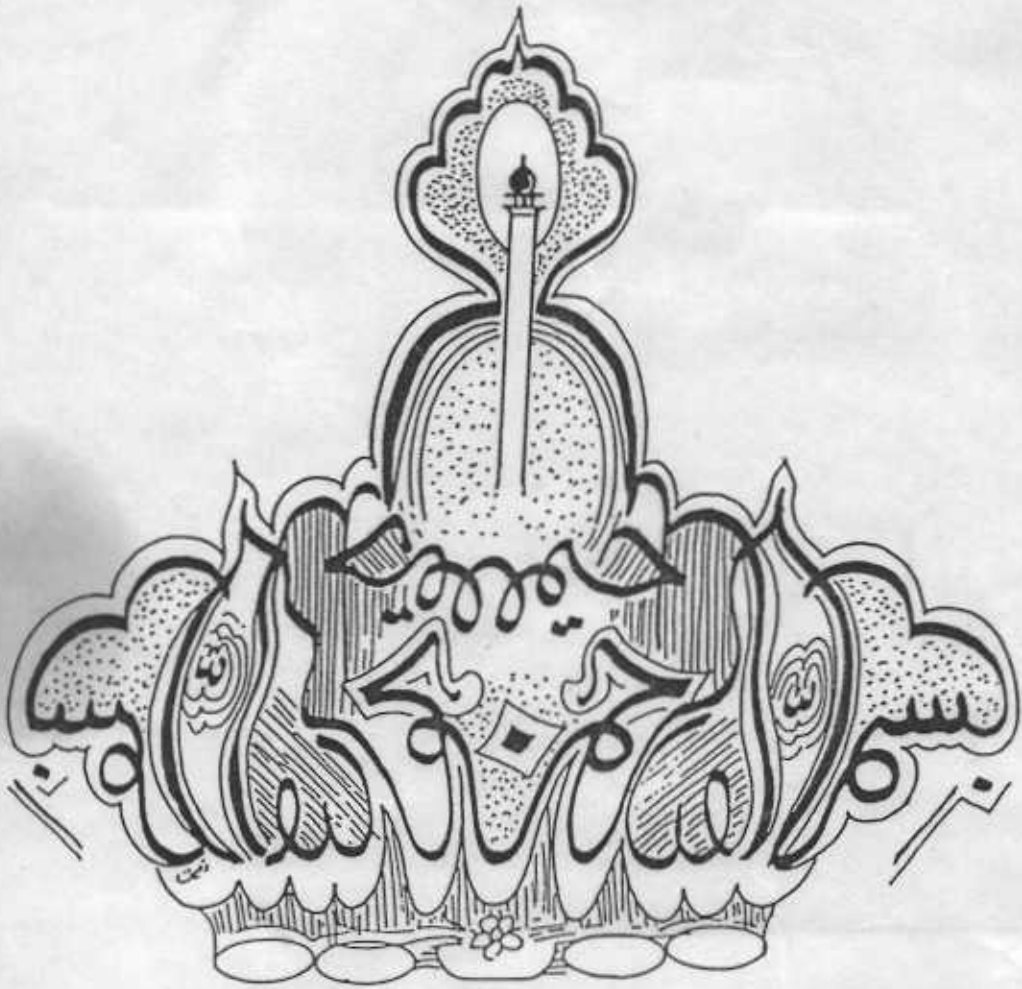
LIBRARY,
Institute of Sindology
University of Sindh Jamshoro

اشراف

الاستاذ الدكتور مدد علي القادري

عميد كلية الآداب و مدير مجمع اللغات





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جمهورية باكستان الإسلامية
جامعة السند - جامشورو
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

النكات البلاغية في فن لفصل والوصل

في سورة البقرة

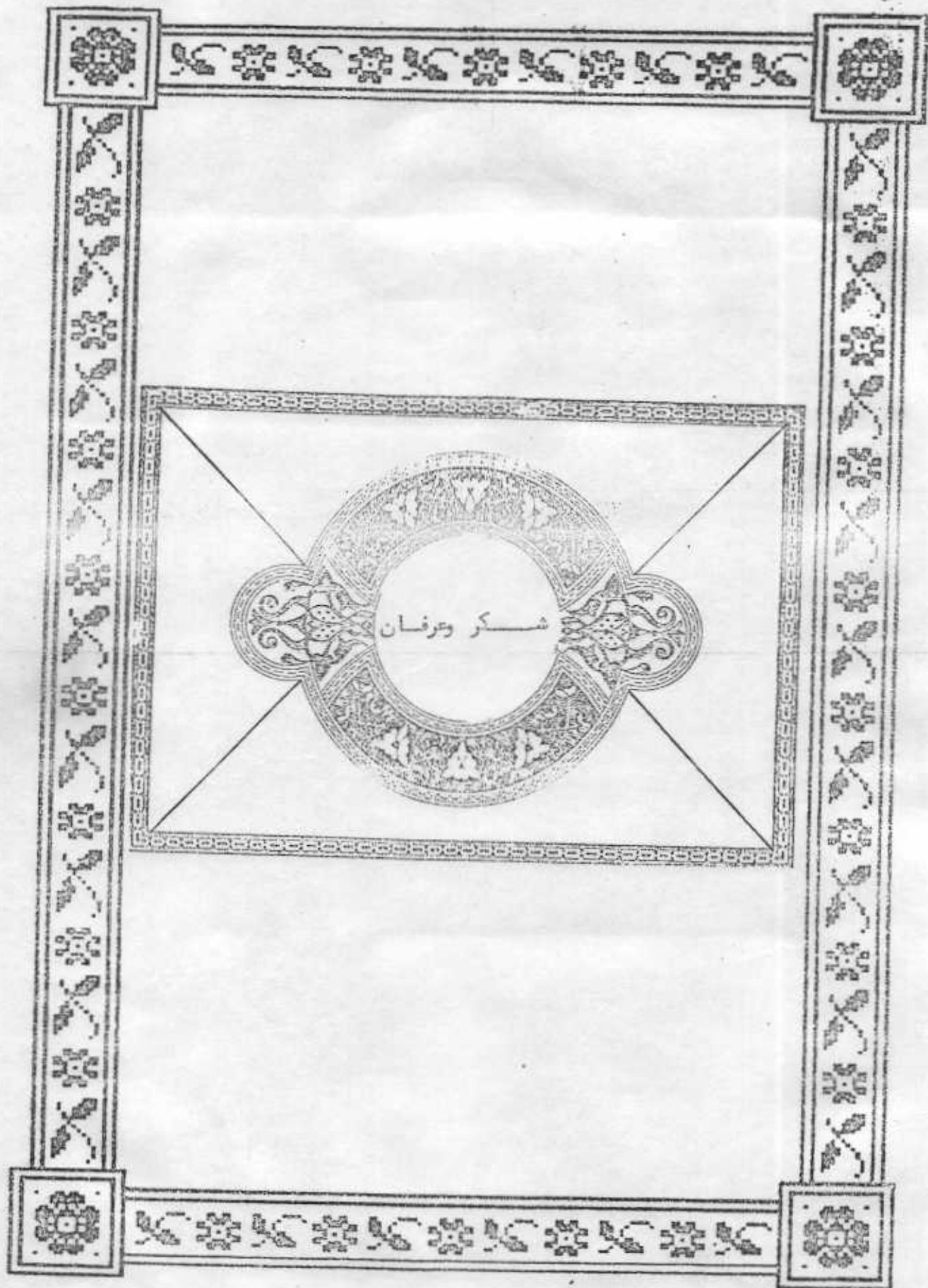
اعداد

يوسف عواد سالم القماز

اشراف

الأستاذ الدكتور محمد علي القادري

عميد كلية الآداب ومدير مجمع اللغات



شکر و عرفان

شكرو عرفان

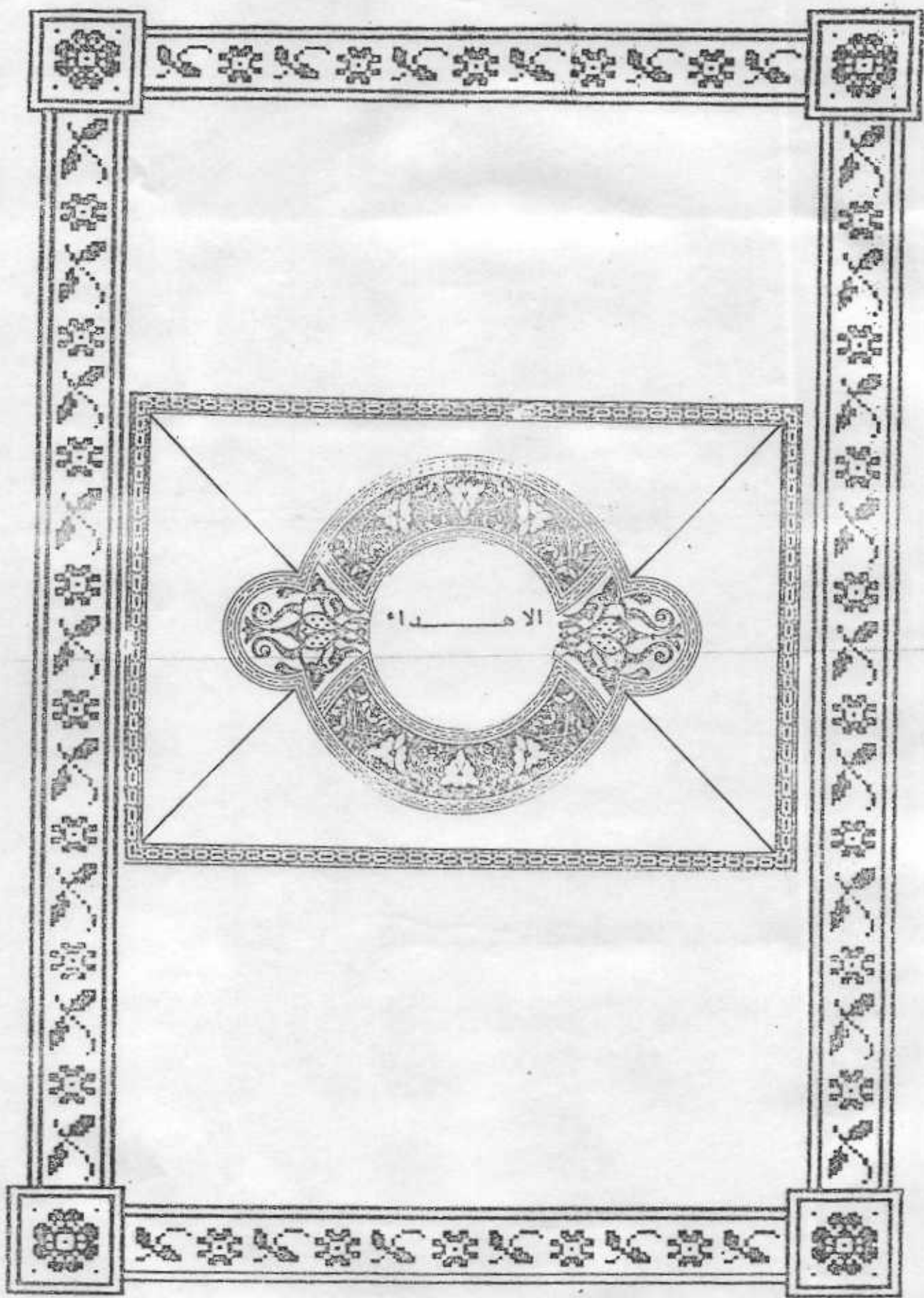
لم تكن الكتابة فسي هذا البحث لتأخذ طريقها الى
 حيز الوجود الا بفضل الله عزوجل ، ثم نفر من العلماء وأهل
 الرأي السديد ، وأخص بالذكر شرف المشرف

الاستاذ الدكتور

(سيد علي قادري)

وما أشرف باهداء هذا العمل

لشخصه الكريم آتلا القبول .



الامم ل

الأهليلج

لم تنزل العبارات الطيبة المباركة والكلمات المعبرة تنزلق

من لسانك يا أمي الحبيبة مشجعة أياي للسير في هذا الطريق

والاستمرار في هذا الدرب الشاق حتى فتح الله علي أيما فتوح

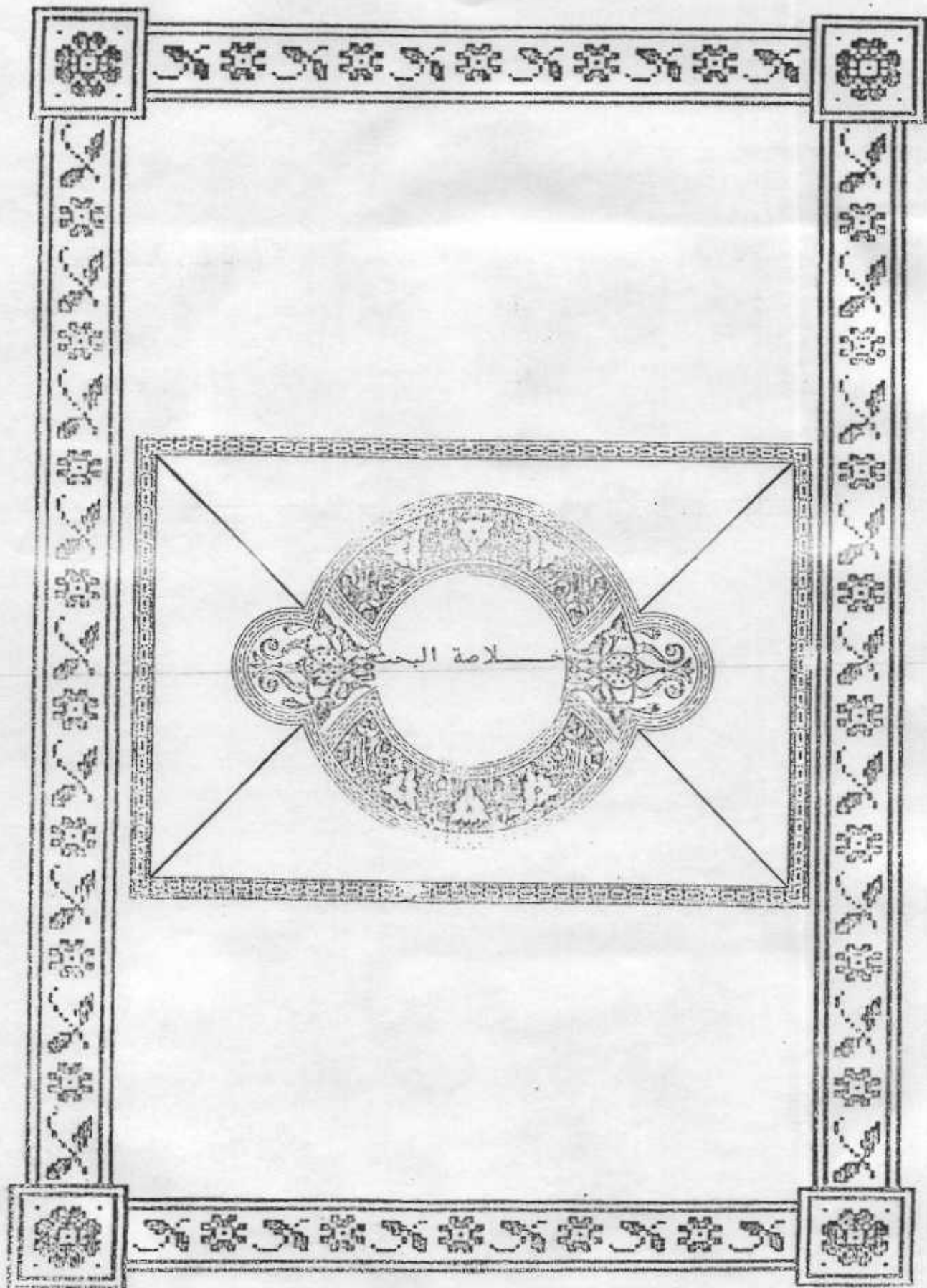
فخرج هذا البحث أيما اخراج .

فاليك والى كل من ساهم في هذا العمل الطيب

أقدم هذا الأهداء وأخص بالذكر زوجتي العزيزة التي لم تترك

وسعنا في المساعدة في إيجاد الوقت المناسب والجهد

المبادىء لانجاز هذا الصرح العلي المبارك ان شاء الله .



لاحة البحار

خلاصة البحث

من خلال السطور القادمة سوف أحاول أن أجلي فكرة واضحة مركزة تتم وتظهر الجهود المبذولة في هذه الأطروحة في صورة مختصرة غير مخلة ولا معلقة والمندرجة تحت هذا الاسم (النكات البلاغية في فن الفصل والوصل في سورة البقرة) وقد بدأت الخط بمقدمة بينت فيها أهمية الموضوع وسبب الاختيار، ثم عرجت بتمهيد وضحت من خلاله المصطلح الذي تركز عليه دائرة البحث (مادة فصل ووصل من خلال اللغة والاصطلاح .

أما الباب الاول : فقد اشتمل على عدة فصول يدور محورها حول ابراز فكرة الفصل والوصل تاريخيا ابتداءً من الحقبة الزمنية المسماة بالجاهلية ومرورا بصدر الاسلام والعصر الاموي ثم ختاماً بالعصر العباسي الثاني .

أما الباب الثاني : من هذه الأطروحة فقد خصصته للحديث عن هذا الفن وتواجده من خلال أقوال العلماء والنقاد واشتمل على ثلاثة فصول : في الفصل الاول خصصته للحديث عن هذا الفن عند النحاة ، وقد اخذت منهم امام النحاة سييويه مثلاً المدرسة البصرية ، والغراء مثلاً للمدرسة الكوفية ، والمبرد مثلاً للمدرسة البغدادية .

أما الفصل الثاني من هذا الباب : فقد خصته للحديث عن هذا الفن عند التقاد وقد أخذت منهم مجموعة من سبعة وهم : الجاحظ، وابن قتيبة ، وابن طباطبا ، وقدامة بن جعفر .

أما الفصل الثالث : فقد كان الحديث فيه يدور عن هذا الفن عند علماء البلاغة وذكرت منهم أبا عبيدة في مجاز القرآن ، وأبا هلال العسكري في كتابه الصناعتين ، والامام عبد القاهر الجرجاني في كتابه أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، وأبرزت تطبيقات هذا الفن عند الامام جار الله الزمخشري من خلال تفسيره المعروف بالكشاف ثم تطرقت للتطبيقات عند الامام الفخر الرازي من خلال تفسيره الكبير المسمى بنهاية الايجاز ودراية الاعجاز ، ثم الامام الشهير بالسكاكي في الجزء الأخير من كتابه مفتاح العلوم وأنهيت الحديث في هذا المجال بالكلام عن كل من ابن الأثير في المثل السائر ، ثم الخطيب القزويني في كتابه شرح الايضاح .

أما الباب الثالث : فقد اشتمل أيضا على ثلاثة فصول تحدثت من خلال الفصل الاول : عن الفصل والوصل في المفردات وفي الفصل الثاني : عن تواجد الفصل والوصل في الجمل التي لها محل من الاعراب ثم في الفصل الثالث : عن الجمل التي لها حكم اعرابي وتبيين الامثلة التطبيقية التي هي بعض أسوار هذا

الفن الواردة في سورة البقرة .

أما الباب الرابع : فقد خصصت الحديث من خلاله لظهار الجانب
النظري مع تطبيقات جزئية على الفصل والوصل في الجمل التي لا محل لها من الاعراب
مبتدأ الحديث في الفصل الاول : من هذا الباب عن مواطن الفصل الذي اشتمل
في جزئياته على كل من كمال الانقطاع بلا ايهام خلاف المقصود والسرف في هذا النوع
من الجمل والعلاقات .

ثم كمال الاتصال وأنواعه من تأكيد وبدل بأنواعه المختلفة من بدل البعض
وبدل الاشتغال وبدل الغلط ، وبدل الكل .

ثم عطف البيان والفرق بينه وبين البدل ، ثم تحدثت عن شبه كمال
الاتصال (الاستئناف) وأقسامه المختلفة وصوره التي يأتي عليها .

أما الفصل الثاني من هذا الباب : فقد اشتمل على مواطن الوصل حيث
بينت فيه كيف تتصل الجملة بأختها من خلال حرف أو بدون حرف وقد اشتمل
على دفع ايهام خلاف المقصود والتوسط بين الكمالين ثم الحديث
عن عطف القصة ومضمونها ثم عن محسنات الوصل بين الجمل وأنهيت الحديث في هذا
الفصل عن الجملة الحالية التي تتصل حيناً بحرف الواو وحيناً آخر بدونه ، وبينت
ورودها في سورة البقرة بأقسامها المختلفة .

أما الفصل الثالث : من هذا الباب فقد خصصته للحديث عن الجامع وأنواعه

: العقلي ، والوهمي ، والخيالي ، وبينت أثر الخيالي في الوصل بين الجمل .

أما الباب الخامس : فقد اشتمل على فصلين طويلين خصصت الأول منهما

لبيان تطبيقات واسعة ، وشاملة ، لما ورد من فنون الفصل والوصل ، مبينا الاسرار

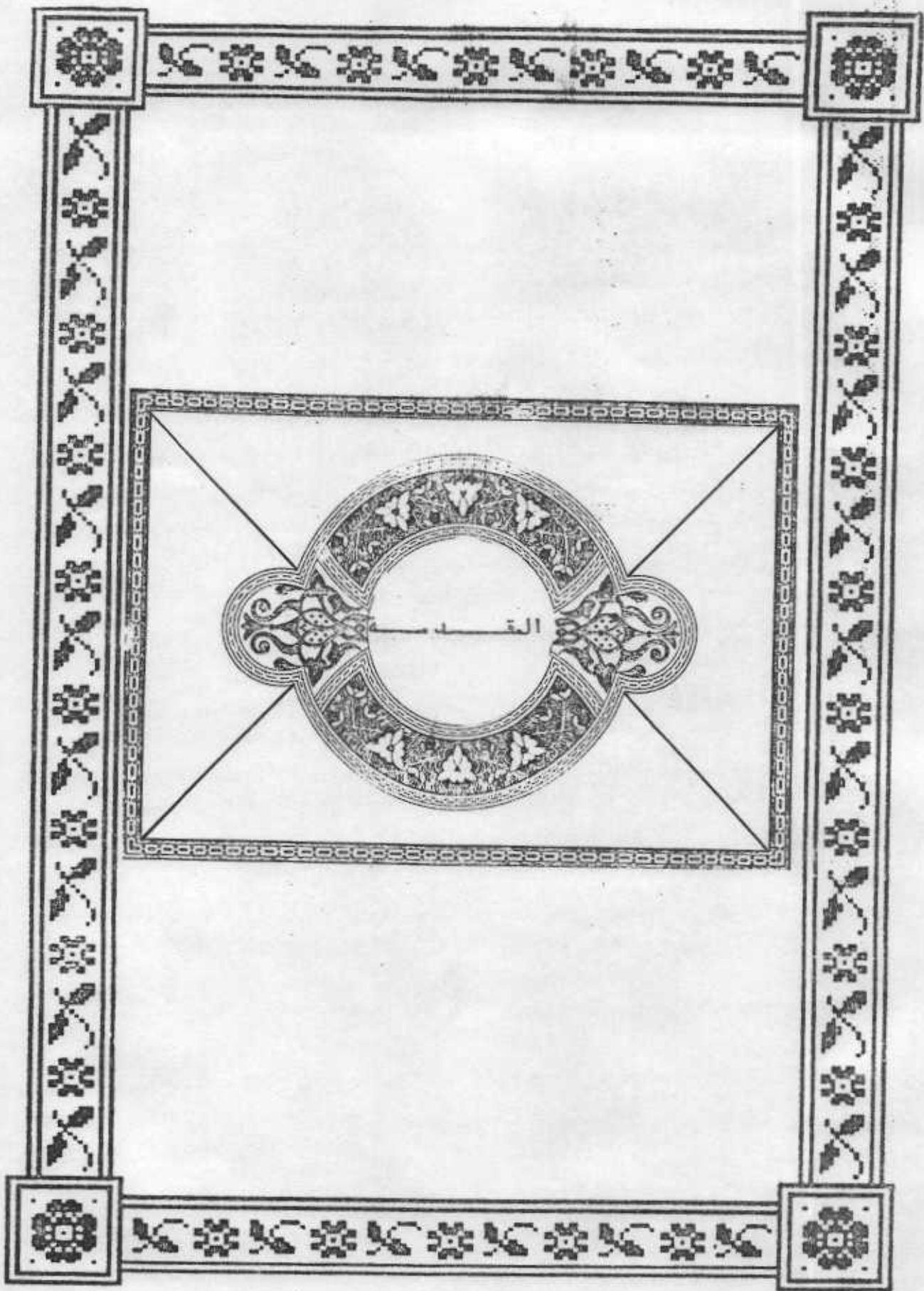
والنكات البلاغية في ذلك ، وذلك من خلال سورة البقرة حتى نهاية الجزء الأول منها .

أما الفصل الثاني : من هذا الباب فقد خصصته للحديث عن مسألة التناسبات

بين الآيات ونظام ربط معاني هذه السورة بعضها ببعض من أول السورة الى نهايتها .

ثم خاتمة البحث : وقد أدرجت فيها أهم نتائج هذا البحث .

هذا وبالله التوفيق ،،،



المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين محمد
ابن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن وآله إلى يوم الدين ، الحمد لله الذي أسال
القلم وعلم الانسان ما لم يعلم ، جاعل النور والهدى في اتباع ما نزل في القرآن
العظيم ، الذي جلى أسراره وبين أحواله المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، اللهم
لا سهل الا ما جعلته سهلا وأنت تجعل الحزن اذا شئت سهلا اللهم علما ما
ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما من لدنك يا كريم .

أما بعد :

فلم تكن الكتابة والبحث في هذا الموضوع الشائق الشائك (النكات البلاغية
في فن الفصل والوصل في سورة البقرة) وليدة برهة زمنية طاهرة خطرت فسارت السى
حيز الوجود والتنفيذ أو مجرد التقاط العنوان من بين الموضوعات البلاغية دون تأن
أوروبية فالشروع في التأليف بقدر ما هي رحلة بحث امتدت معاناتها عدة سنين
حتى تبلورت كبناء علمي شامخ وعدة أشهر حتى تمخضت ونضجت لتكون هيكلًا فنيًا
صحيحًا وخطة محكمة للشروع في هذا الموضوع الذي من أجله لم آل جهدا في

البحث والتقيب والنظر في بطن الكتب وأمها العربية وتقليب مصادرها ومراجعتها الحديثة منها والقديمة ، بل واستفسار أهل العلم والرأى في هذا المجال الرحب الواسع .

وما من شك أن دواعي الربط بين أجزاء الكلم لتكوين سياقات ونصوص نشرة أو شعرية جميلة صحيحة أمر ليس بالسهل الممكن على ذوى النهى وأرباب العقول والذوق الفني فضلا عن يسير في هذا الدرب والسلم الشائك ، فالتأليف وإنتاج النصوص العالية في مضمونها ومفرداتها المطابقة في مدلولاتها لمقتضيات الاحوال لا يتأتى الحال فيه الا لمن جهد فقويت همته وتعمق فبعد نظره وقرأ فزادت حصيلته وتذوقه وتمعن في الاساليب البلاغية العالية فاحتذى بها وقاس على منوالها . ولما كان التأليف والانتاج الفني في مجال الكتابة والقول بمعناه البسيط عبارة عن مجموعات من الجمل والمفردات المتناسقة الموحدة الى معان يقصدها المؤلف فان معرفة أسرارها وسير أغوارها الفنية لمعرفة متى تتعاقب تلك الجمل ومتى تنفصل ، وعلى أى معنى ترتبط باستخدام رابط مساعد ، أو بتركه فن عظيم من الفنون هو ما يطلق عليه في المصطلح البلاغي (الفصل والوصل) ، الذى يشمل في طياته أيضا تعانق المفردات وتجانسها أو تنافرها ، وانفصالها عن بعض أيضا . ومن خلال اطلاعتي الخاصة وسؤال أهل الفضل والعلم في هذا المجال

الحيوى لم أشر على من أحيا هذا الفن (الفصل والوصل) كجزئية مستقلة من نظرية النظم والمعنى التي جلت صورتها وأماط اللثام عنها شيخ البلاغيين الامام عبدالقاهر الجرجاني .

فأحببت أن أجد طريقا واسعا من خلال البحث في أبعادها وزواياها التاريخية عبر الزمن ومن خلال تأصيل اشاراتها واماراتها التي انطلقت من أفواه العلماء والدارسين عبر الحقبة الزمنية المتمثلة في العصر الجاهلي وما بعده من العصور الى نهاية العصر العباسي ، وكذلك حاولت أن أثبت لهذه الجزئية وجودا مستقلا من خلال التعميق والتعمق في التطبيقات ، وزيادة الأمثلة الفنية المطروحة حولها ، ولستتباط تلك الامثلة من خلال النصوص البلاغية العالية (وأقصد بذلك التنزيل المنزه عن كل عيب) القرآن الكريم ، فجعلت لذلك (سورة البقرة) التي تعد أطول سورة في القرآن الكريم بالاضافة الى اشتغالها على موضوعات شتى محورا لهذه الدراسة التطبيقية حتى يتبين لنا بعضا من أسرار النظم من خلال هذه الجزئية البلاغية (الفصل والوصل) فكان اختيار هذا الموضوع تحت عنوان :

(النكات البلاغية في فن الفصل والوصل في سورة البقرة)

ومن خلال الحق أن نقول أن أهمية هذه الدراسة تكمن في أن مثل هذا

الموضوع يحتاج الى دقة متناهية في التعامل مع النص القرآني .

من خلال هذه الواجهة البلاغية التي ان أتقنها باحث أتقن من خلالها فنونا أخرى بلاغية ، وقد يما قيل : البلاغة معرفة الفصل والوصل .

وتكمن أهمية الموضوع أيضا في أن الباحثين فيما يشابهه يعدون قلة وندرة فقلما وجد من تعرض لمثل هذا الفن في مجاله التطبيقي الواسع من المحدثين ولعل السببي يعود الى كون العمل بمثل هذه المواضيع البلاغية يتطلب من الدارسين لها اطلاعات واسعة ، ومعرفة شبه تامة في مسائل النحو العربي وقواعده .

وتزداد الحاجة الى التطبيق من خلال هذا الفن عندما ترى الدراسات القديمة النظرية وتأثيرها غير المجتمع فجمعها على صعيد واحد واجراء تطبيقات موسعة عليها في بحث واحد يجعل الامر أسهل في التناول والاطلاع.

أما عن أهمية تطبيق مفردات هذا الفن على سورة البقرة دون غيرها من السور فينبغ ذلك من جهة كون سورة البقرة أطول سورة في القرآن الكريم فمن خلالها تستطيع الحصول على موضوعات طويلة صالحة للتطبيق وسورة البقرة كذلك تشتمل على موضوعات شتى متعددة تشتمل على موضوعات في العقيدة ، والفقه ، والدعوة ، والتشريع والسيرة ، والجهاد ، والمعاملات ، وقواعد الاجتماع ، والحرب والسلام ، والتجارة . . . الخ

والجمع بين مثل هذه الموضوعات ووصلها ببعضها يتطلب رفعة بلاغية عالية

معجزة لا تجدها الا في مثل كتاب الله عز وجل .

والسور القرآنية الأخرى تشتمل على مثل هذه الموضوعات إلا أنها في سورة

البقرة أكثر وجوداً بهذا الاسم وهذا الكم من خلال سورة واحدة لا أكثر .

ولا شك أن اختلاف الموضوعات النازلة في السورة يعني في مفهومه اختلاف

الأساليب ، وبالتالي التطبيق على هذه السورة معناه التطبيق على سائر كتاب الله

- عز وجل - ناهيك عما ورد في فضائل هذه السورة من الأحاديث المستفيضة

المبينة لفضل هذه السورة العظيم . فالتطبيق من خلالها رفع لشأنها ، وإبراز لجانب

بلاغي فيها .

وفوق ذلك كله يمكن القول أن أهمية هذا الموضوع تنبثق من كونه خدمة

لكتاب الله - عز وجل - وبيان لوجهة جزئية من وجوه إعجازه التي لا تحصى وأظهار

لبعض أسرار انطوى عليها هذا الكتاب العظيم .

وختلاصة الأهمية تكمن في أنني أرجو أن يكون هذا البناء العلمي لبنة جديدة

وأضافة مفيدة لموجودات المكتبة العربية الإسلامية ، وخدمة للغة الإسلام والمسلمين

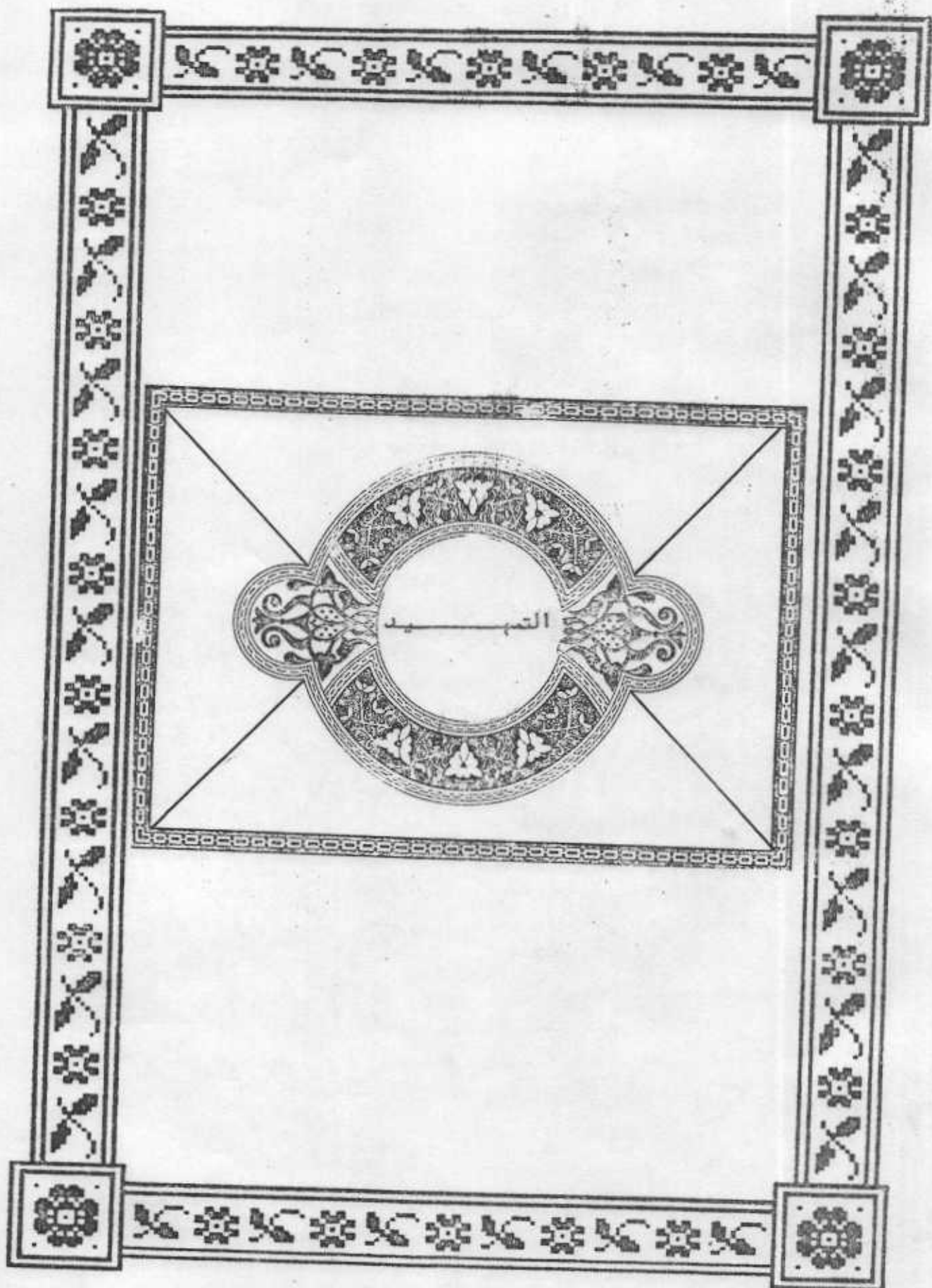
لغة القرآن الكريم .

وتسهيلاً للاستفادة من مضامين هذا الأيجاز فقد ارتأيت أن يكون هيكله

التنظيمي مقسماً على خمسة أبواب وتمهيد ، ثم خاتمة شاملة على أهم النتائج

بالإضافة إلى خلاصة مركزة للموضوع . وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه

أنيب .



مادة فصل

إذا نظرنا في معاجم اللغة العربية بحثا عن مادة (فصل) ومعانيها

نجد أنها ذات معان مختلفة ، فمن هذه المعاني :

الفصل : بون ما بين الشيئين . والحاجز بين الشيئين ، وعليه قوله

عليه الصلاة والسلام : (من أنفق نفقة فاصلة فله من الأجر كذا) .

فتفسيره في الحديث - أي الفاصلة - أنها التي فصلت بين إيمانه وكفره وعليه

قوله تعالى : (هذا يوم الفصل) أي : هذا يوم يفصل فيه بين المحسن والمسيء

ويجازى كل بعمله وما يتفضل به الله على عبده المسلم ، ويوم الفصل يوم القيامة .

وفي حديث وفد عبد القيس : (تأمرنا بأمر فصل ، أي : لا رجعة فيه ولا مرد

له وفي صفة كلام سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فصل لا نزر ولا هدر

أي : بين ظاهر يفصل بين الحق والباطل .

والفصل من الجسد موضع المفصل وبين كل فصلين وصل ، وأنشدوا :

أوصلا وفصلا وتجميعا ومفترقا فتقا ورتقا وتأليفا الانسنان

والفصل : القطع تقول فصلت الشيء * فانفصل أي : قطعت فانقطع .

والفصول : بمعنى النفاذ والخروج يقال : فصل فلان من عندي فصولا اذا

خرج وفصل مني اليه كتاب اذا نفذ ، وعليه قوله تعالى : (ولما فصلت العير قال
أبوهم) أى خرجت .

ويقال : فصلت الوشاح اذا كان نظمه مفصلا كأن يجعل بين كل لوه لوهتين

مرجانة أو شذرة أو جوهرة تفصل بين اثنتين من لون واحد .

والمفصل : مفرق ما بين الجبل والسهل .

والفصل : القضا* بين الحق والباطل .

والفصل : بمعنى القطام ، تقول فصلت المرأة ولدها وفسلته أى فطمته ،

والفصل (مصدر الفعل الواقع بمعنى المتعدى أما اللازم فصدره

الفصول) (١)

والتفصيل بمعنى التبيين ومنه قوله تعالى : (آيات مفصلات . . أى : بين

آيتين سهلة والمعنى الثاني مبينات) (٢) .

ومن المعاني الاصلاحية للفصل : -

١- ابن منظور ، لسان العرب ، (مادة الفصل) ، وانظر أيضا الزمخشري ، أساس
البلاغة : ٤٧٤ .

٢- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، تهذيب اللغة : ١٢ / ١٩٢-١٩٣ .
وانظر تفسير ابن عباس : ٢ / ٥٣ ، وانظر الجوهري ، الصحاح : ٥ / ١٧٩ .

الفصل في النحو : ضمير يفصل بين المبتدأ والخبر عند البصريين وهو

بمنزلة العمام عند الكوفيين أو الدعامة عند بعضهم .

قال تعالى : (ان كان هذا هو الحق من عندك) (١) . فقوله (هو)

..... فصل ونصب (الحق) لأنه خبر كان ودخل الضمير للفصل .

ومثله : (أولئك هم المفلحون) (٢) .

وسبب التسمية يرجع الى فائدة وهي الاعلام من أول الأمر بأن ما بعده خبر

لا تابع ولهذا سمي فصلا لأنه فصل بين الخبر والتابع (٣) .

والفاصلة وهي أواخر الآيات في كتاب الله بمنزلة قوافي الشعر وجمعها

فواصل (٤) .

الفصل في العروض : كل عروض بين على ما لا يكون في الحشو اما صحة

واما اعلا كمنفاطة في الطويل وأصلها مفاعيل (٥) .

91622
15-12-94

١- سورة الانفال ، الآية : ٣٢ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٥ .

٣- الازهرى ، تهذيب اللغة : ١٢ / ١٩٢ . انظر ابن هشام ، المغني : ٥٤٩ .

٤- محمد الحسناوى ، الفاصلة في القرآن : ١٩ ، وما بعدهما .

٥- راجع الفصل والوصل عند سيبويه : من هذا البحث .

والفاصلة في العروض : وهي اجتماع حروف متحركة رابعها ساكن مثل : فعلمن

وتسمى الفاصلة الصغرى ، والكبرى : اجتماع أربعة حروف متحركة خامسها ساكن (١) .

الفاصلة : علامة من علامات الترقيم تكتب على شكل واو صغيرة مقلوبة يتجه ذيلها

نحو الجهة اليمنى وهي صالحة للفصل بين أجزاء الجملة (٢) .

الفاصلة في علامات الترقيم ، علامة للوقف الذي يكون بسكون المتكلم ، أو

القارىء سكونا قليلا جدا يحسن معه التنفس وتسمى بـ (الشولة) (٣) .

والفصل : أيضا ، بمعنى قوله : عطف الجمل والمفردات على بعض وهذا

المعنى ورد كما بينا عن سيبويه (٤) .

وورد أيضا عن الفراء عند حديثه عن قوله : (هزوا قال أعوذ بالله) قال

وهذا في القرآن كثير بغير الفاء ، وذلك لانه جواب يستغنى أوله عن آخره بالوقفة

عليه فيقال ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال كذا وكذا فكان حسب السكون

يجوز به طرح الفاء وأنت تراه في رؤوس الآيات لأنها فصول حسنا من ذلك :

(قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) (٥) .

١- محمد الحسناوى ، الفاصلة في القرآن : ١٩ وما بعدها .

٢- علي بن هادي القاموس الجديد للطلاب : ٢٥١ .

٣- محمد الحسناوى ، الفاصلة في القرآن : ١٣ .

٤- سيبويه الفصل والوصل من هذا البحث .

٥- الذاريات ، الآية : ٣١-٣٢ .

والفأ جسنة مثل قوله تعالى : (فقال الملاذ الذين كفروا) (١) . ولو

كان على كلمة واحدة لم تسقط العرب منه الفأ ، من ذلك (قمت فعلت ولا قلت قال

حتى يقولوا قلت فقال وقمت فقام لانها نسق وليست باستفهام يوقف عليه .

ألا ترى أنه قال : (فرعون لمن حوله ألا تسمعون . قال ربكم ورب آبائكم

الاولين) (٢) . فيما لأحصيه ، ومثله من غير الفصل كثير في كتاب الله بالواو وبغير

الواو ، فأما الذي بالواو : فقوله : (قل أو نبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا

عند ربهم (٣) . ثم قال بعد ذلك الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين

والمستغفرين بالاسحار) (٤) . وقال في موضع آخر : (التائبون العابدون الحامدون)

(٥) وقال في غير هذا : (ان الذين فتوا المؤمنين والمؤمنات) (٦) . ثم

قال في الآية بعدها (ان الذين آمنوا) ولم يقل (وان) فاعرف بما جرى تفسير ما

بقي فانه لا يأتي الا على الذي أنبأتك به من الفصول أو الكلام المكتفي يأتي له جواب)

(٧) .

١- سورة هود ، الآية : ٢٧ .

٢- سورة الشعراء الآية : ٢٦ .

٣- انظر الفراء ، معاني القرآن : ٤٤/١ ، الزركشي ، البرهان : ٥٤/١ ، السيوطي
الاتقان : ٩٧/٢ .

٤- سورة آل عمران ، الآية : ١٧ .

٥- سورة التوبة ، الآية : ١١٢ .

٦- سورة البروج ، الآية : ١٠ .

٧- الفراء ، معاني القرآن : ٤٤/١ .

من هذا الفصل نستطيع أن نستدل على ما يلي :

ان الفصل بين الآيات قد نص عليه الفراء* والذي هو بمعنى قول العطف حيث قال : (وهذا في القرآن كثير بغير الفاء* وذكر الفصل هذا عند حديثه عما يسمى بشبه كمال الاتصال وغالبا) ما يقع في رؤوس الآيات التي تعتبر منفصلة عما قبلها لسبب أو لاخر حيث قال : (وأنت تراه* أى الفصل* في رؤوس الآيات لا نهـا فصول حسنا . وفصل على الوصول أيضا : بقوله : والفاء حسنة في مثل (فقال الملأ الذين كفروا) وهذه الآية علاقتها مع ما قبلها العطف فهي خبر بعد خبر والآية التي قبلها : (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه اني لكم نذير مبين أن لا تعبدوا الا الله اني أخاف عليكم عذاب يوم الهم . فقال الملأ الذين كفروا) (١) .

قال صاحب البرهان : (وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي باين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عنها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها أسجاظ) (٢) .

واضح من الكلام أنه يتحدث عن الفاصلة في القرآن ودلالة الكلام تشمل أيضا الحديث عن الفصل الذي هو ترك العطف ان وقوع الفصل في رؤوس الآيات كثير

١- سورة هود ، الآية : ١١٠ .

٢- الزركشي ، البرهان : ٥٤/١ ، وانظر السيوطي ، الاتقان : ٩٧/٢ .

لسبب أو لا خر على أن الفاصلة تطلق أيضا على الكلمة آخر الجملة وليست فقط كلمة آخر الآية التي هي بمثابة القافية في الشعر .

قال الداني في تعريف الفواصل :

(كلمة آخر الجملة وآخر الجملة تشمل فيما اذا كانت الجملة نهايتها رأس

آية أو غير رأس آية) .

قال أبو عمرو الداني (!) أما الفاصلة فهي الكلام المنفصل ما بعده ، والكلام

المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس آية ، وكذلك الفواصل يكن رؤس آى وغيرها .

وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع

الضربين ولأجل كون معنى الفاصلة هذا ذكر سيبويه في تمثيل القوافي . . . يوم يأت

و (ما كنا نبغ) وهي غير رأس آيتين باجماع مع (اذا يسر) وهو رأس آية باتفاق (٢)

واضح من كلام أبي عمرو أنه يتحدث عن الفصل الذي هو ترك العطف ،

وكذلك الحال في كلام سيبويه كما بيناه ، ولأجل كون أبي عمرو يقصد الفصل وليس

الفاصلة الاصطلاحية رد عليه الجعبرى (٣) بقوله (وهو خلاف (أى التعريف) -

المصطلح ولا دليل له في تمثيل سيبويه بـ (يوم يأت) و (كنا نبغ) وليس رأس بها لأن

١- أبو عمرو : هو الامام عثمان بن سعيد أبو عمرو الداني أحد أئمة القرآن الكريم ورواته

صاحب كتاب التيسير في مذاهب القراء السبع ، والمقنع في الرسم ، والاكتفاء فسي

الوقف والابتداء . وغيرها من الكتب المتعلقة بالقرآن والقراءات توفي سنة ٤٤٤ هـ .

انظر : انبؤ الرواة : ٣٤١/٢ .

٢- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٥٤/١ . وانظر السيوطي الاتقان : ٦٩/٢-٦٧ .

٣- الجعبرى : هو ابراهيم بن عمر بن ابراهيم الجعبرى الملقب ببرهان الدين صاحب

شرح الشاطبية المسمى بكنز المعاني ، وعقود الجمان ، وروضة الطرائف في رسم الصحاح

وغیرها توفي سنة ٧٣٢ هـ ، الدرر الكائنة : ٥/١ ، وانظر البرهان : ٥٤/١ .

مراده الفواصل اللغوية لا الصناعية والفواصل اللغوية هنا هي نفسها ترك العطف

• (١)

والفصل في لسان البيان : عبارة عن ترك الواو العاطفة بين الجملتين وربما أطلق الفصل على الواو بين الجملتين والامر في ذلك قريب بعد الوقوف على حقيقة المعاني ، ولكن ما قلناه أصدق في اللقب من جهة أن الجملة الثانية منفصلة عما قبلها فلا تحتاج الى الوصل هو الاولى فلأجل هذا كان ما ورد من غير واو بين الجملتين أحق بلقب الفصل .

١- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٥٤/١ . وانظر السيوطي ، الاتقان :

الوصل

وهو عكس الفصل ، وصلت الشي * وصلا ، ووصيلة ووصل السيه وصولا أى : بلغ

ووصل : اتصل ، وفي التنزيل : (ولقد وصلنا لهم القول) أى : وصلنا ذكر الانبياء

وأقاصيص من معنى بعضها ببعض لهلهم يعتبرون .

الوصل : ضد الهجر ، والوصل : خلاف الفصل . والوصل : وصل الثوب

والخف .

والوصيلة : التي كانت في الجاهلية هي الشاة ، تلد سبعة أبطن عناقين

عناقين ، وان ولدت جديا وعنقا ، قالوا : وصلت أخاها .

الوصيلة : العمارة والوصيلة : الارض الواسعة ، سميت بذلك لاتصالها .

الواصلة : التي تصل الشعر ، ففي الحديث : (لعن الله الواصلة

والمستوصلة) والواصلة التي تصل الشعر ، والمستوصلة : التي تفعل بها ذلك

والتوصل : ضد التصارم ، واتصل الشي * بالشي * : لم ينقطع المواصلة في الصوم .

الموصل : ما يوصل من الحبل (١) .

وصل : يوصل الشي * بالشي * ضمه به . أنهاه اليه وأبلغه اياه .. (٢) .

١- الجوهري ، الصحاح : ١٨٤٣/٥ ، وانظر علي بن هادي ، القاموس الجديد

للطلاب : ١٢٢٩ .

٢- ابن منظور ، لسان العرب : مادة وصل .

المواصلة في الصلاة : قال الشافعي هي مواضع ، ومنها : أن يقول الامام :

ولا الضالين ، فيقول من خلفه : آمين معا أي : يقولها بعد أن يسكن الامام ،

ومنها : أن يصل القراءة بالتكبير ، ومنها : السلام عليكم ورحمة الله فيصلها

بالتسليم الثانية ، الاولى فرض والثانية سنة فلا يجمع بينهما .

حرف الوصل : هو الذي بعد الروى وهو على ضربين : أحدهما : ما كان

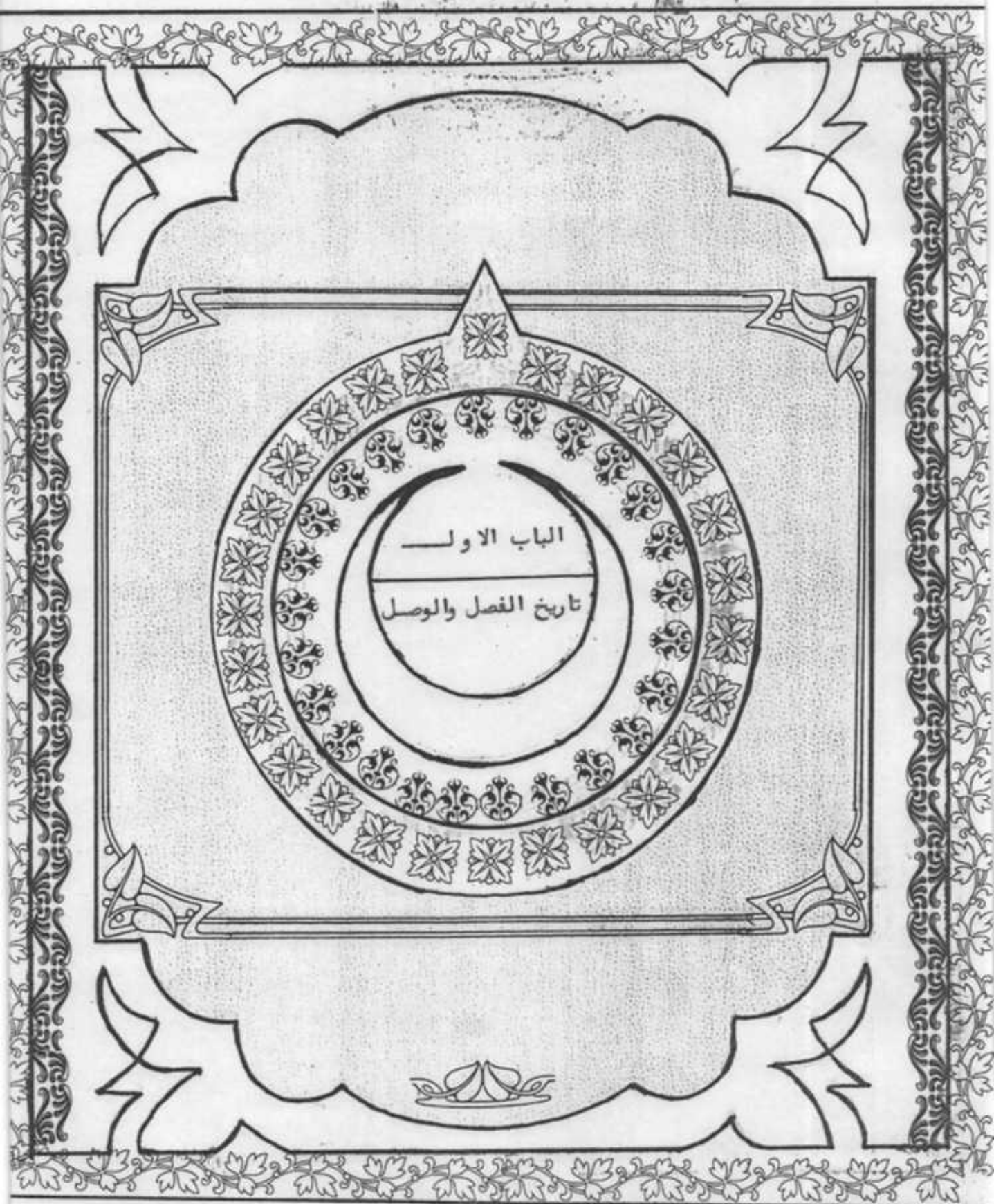
بعده خروج مثل عفت الديار محلها فقامها .

والثاني : أن لا يكون بعده خروج كقولك :

ألا طال هذا الليل ، وأزو صاحبه

وأرقني أن لا حليل الأعبه

والوصل : عطف بعض الجمل على بعض والمفردات كذلك .



الباب الاول

تاريخ الفصل والوصل

الباب الأول

(تاريخ الفصل والوصل)

الفصل الأول: في العصر الجاهلي .

الفصل الثاني: في عصر صدر الإسلام والعصر الأموي .

الفصل الثالث: في العصر العباسي .

الفصل الأول

في العصر الجاهلي



الفصل الأول

في العصر الجاهلي

ان الناظر الى الامة العربية في جاهليتها ليجد أنها أمة لا حظ لها من فنون الحضارة ، ومقوماتها المادية ، سوى لسان ذلق ، وبيان مبهر يتفاضلون به فيما بينهم ، فصاحب البيان والذي أوتي حظا من البلاغة ، القادر على أن يأتي بالشعر الجميل ، والنثر الفني والخطب الجزلة ، المتناسقة في معانيها وأفكارها هو المقدم على غيره عندهم ، بل انهم لم يعترفوا بالقيادة لرئيس القبيلة الا اذا كانت الخطابة والقدرة على الاقتناع ، وقول النثر الجيد احدى صفاته وركائزه ، فلا يتصور عندهم أن يكون شيخ القبيلة رجلا عيبا .

وقد اهتمت القبائل العربية بمن عندها من الشعراء والخطباء اهتماما بالغا اذ الشاعر هو اللسان المعبر عن أمجاد القبيلة المدافع عن أحسابها وأنسابها والمتصدى لمن يهجوها، ويذمها بأقوى عبارة ، وأوسع هجاء ، ومن دلائل اهتمامهم أنهم اذا رأوا يفاة في شخص وقابلية لقول الشعر أقاموا الاحتفالات والمهرجانات احتفاء بالشاعر الجديد .

وتبارت العرب بصنعتها الكلامية حتى أنهم يجتمعون في أسواق خاصة

في كل عام وكل يدلي بدلوه ، وكان كبار الشعراء تضرِب لهم قباب للحكم بين الناس ،
 من ذلك النابغة الذبياني ، حين كانت تنصب له قبة حمراء وسط السوق ، ولما جاء
 الاسلام كان القرآن المعجزة التي تحدى الله بها العرب الذين لا يتقنون الا صنعة
 الكلام والقدرة على الاتيان بالا حاديث البليغة المستفيضة فكانت المعجزة النبوية ،
 الكبرى من جنس صنعتهم ، كلام بليغ ، أسلوب شيق ، حسن أداء ، وتصوير .

فوقفوا أمامه مبهورين عاجزين يستمعون بحسنه ، دون أن يضعوا أيديهم
 على مكان الحسن ، يصفوه بأن له حلاوة ، وأن عليه طلاوة وأنه لشر أعلاه ، مفدق
 أسفله وأنه يعملوا ولا يعلى عليه ، دون تحليل لهذا الوصف .

وهناك مقولات متناثرة حول القرآن ، ونقدات شعرية طفيفة لطيفة لا تتعدى
 المسائل الذوقية ، وأقوال في كيفية الكلام الجيد ، نجدها عند بعضهم من الشذرات
 ومن هذه الاقوال المتفرقة نشأت البلاغة فيما بعد ، وتعددت المسارب والطرق في
 البحث عن الحسن والجمال وقيمه ، ومدركاته ، ومنابعه ، وأسباب تأثيره لبيان اعجاز
 هذا القرآن الكريم .

ومن بين هذه البحوث البلاغية بحث الفصل والوصل ، الذي شجع القرآن

على دراسته وفتح الدراسة فيه .

لقد وصل هذا الفن الى مرحلة ليست بالقليلة على يد كبار العلماء أمثال :

عبد القاهر الجرجاني ومن بعده .

ولكن من أين بدأ ؟ وكيف تكون ؟ هذا ما نريد بيانه في هذه الصفحات

- ان شاء الله تعالى - .

فنقول انه لا بد لكل بحث علمي قبل أن يصل درجة الكمال والنضوج ، أن

يمر بمراحل متعددة على فترات مختلفة ، فالعلوم والفنون نوع البناء يبني ثان على

أول وثالث على ثان ، حتى يكتمل ، وقلبا ما يبدأ بملاحظات طفيفة ، تتجمع شيئا

فشيئا حتى تصبح بناء متكامل عبر عقول الازكيا وقلوب المفكرين .

وإذا حاولنا تتبع هذا الاسلوب الفني من فنون البلاغة - الفصل والوصل

نجده نشأ من ملاحظات بسيطة ونتمت جمعت من هنا وهناك عبر العصور الاسلامية .

حتى يسر الله لهذا الفن من الميلاد والوقوف على قدميه على يد شيخ

البلاغة عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله تعالى - فأخرجه بعد أن كان مجبولا في

النفوس الى فن علمي واقعي له أبعاده وأركانه .

ومن أوائل ما وصلنا من الملاحظات في هذا الشأن ما ذكره (أبو هلال

العسكري) في كتابه الصناعتين عن (أكتم بن صيفي) (١) . ٠٠٠ . أحد ملوك

١- أكتم بن صيفي : أحد حكام العرب ، وهو أكتم بن صيفي بن رباح بن الحارث بن

مخلس بن معاوية بن شريف بن مرمة بن أسيد بن عمرو بن تميم التميمي ، وكان

سمع بمبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) فأراد أن يقصد اليه فنعه قومه ثم انتدب

له رجلين من قومه فأتيا النبي (صلى الله عليه وسلم) فعادا بما أتج صدر أكتم بن

صيفي ، فقرب له بعير فركب متوجها الى الرسول (صلى الله عليه وسلم) - فمات في

الطريق فيقال فيه نزلت هذه الآية : (ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله

ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله) . الجاحظ ، البيان والتبيين : ٣ / ٢٥٥ نقل

عن الاصابة : ٤٨٢ .

الجاهلية حيث كان اذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتابه : (افصلوا بين كل معنى

وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعبء ببعض (١) .

ومقوله اخرى تعود أيضا الى العصر الجاهلي ، ما جاء عن الحارث بن أبي

شحر الفساني (٢) حيث يقول لكتابه (المرقش) : (اذا نزع بك الكلام الى

الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه فافصل بينه وبين تبعه من الالفاظ فانك ان مذقت

الفاظك بغير ما يحسن أن يحذف نفرت القلوب عن وعيها وملته الاسماع واستثقلت

الرواة (٣) .

فهذه المقالة على بساطتها ، تعطينا ضوءا نستكشف من خلاله مدى اهتمام

العرب بنشرهم وكلامهم ، وتبين أنهم كانوا يضعون الناصح لصناعة الكلام الجيد

حتى يكون موصولا ، ومتى يكون مفصلا ، فالمعاني المتتابعة الآخذة بأغناق بعضها

ببعضها ، وفي حالة الابتداء بمعنى جديد لا بد من الفصل والاستئناف ، والا كان

صعبا على الناس أن يتناقلوه ، وعلى الرواة أن يحفظوه ، لأنه عندئذ يكون كلاما

مختلا في الترتيب والصناعة ، فلا بد من تتبع مواطن الفصل ومواطن الوصل في الكلام .

وهذه أول اشارة علمية عن موضوع الفصل والوصل استفاد منها العلماء فيما

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٤٩٩ .

٢- الحارث بن أبي شحر الفساني : من أمراء غسان في أطراف الشام كانت اقامته
بغوطة دمشق وأدرك الاسلام فأرسل اليه النبي (صلى الله عليه وسلم) - كتابها
مع شجاع بن وهب ، ومات في عام الفتح (فتح مكة) ، الزركلي ، الاطلام : ٢ /

٣- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٤٩٩ .

بعد ، وان كانت هناك اشارات سابقة فمن الصعوبة بمكان معرفة البداية الحقيقية لهذا الفن فهي ضاربة في جذور الزمن من ناحية ، ومركوزة في أذواق الناس وطباعهم من ناحية أخرى .

ولم تقف هذه المقولات الجاهلية عند مبدئها النظري بل تعدت ذلك

الى التطبيق العملي على النصوص الجاهلية في أقوالهم ، وخطبهم .

نسوق من ذلك مثالا لاكتفينا به من صيفي حيث يقول :

(..... والدنيا دول فما كان لك أذاك على ضعفك ، وما كان عليك لم

تدفعه بقوتك ، والحسد ليس له دوا* ، والشماتة تعقب ومن ير يوما يربسه ، قبل

الرما* تملأ* الكائن ، الندامة مع السفاهة ، دعامة العقل الحلم ، خير الامور مغبة

الصبر ، بقا* المودة عدل التعاهد ، من يزر غبا يزد حبا ، من التواني والعجز

نتجت الهلكة ، كل شي* ضراوة فضر لسانك بالخير (١) .

تقول الدنيا دول جملة تحتاج الى تفسير وايضاح فوصلت بما بعد هذا ،

فما كان لك أذاك وهذا كلام معجون بعضه ببعض ، أما قوله : قبل الرما* تملأ*

الكائن ، الندامة مع السفاهة . فالكلام ليس معجونا بعضه ببعض ، فلا بد من الفصل

اذا ، لأن المعنى منقوض تام في كلتي الجملتين ، وكذلك الجمل التالية : دعامة

١- أحمد زكي صفوت ، جمهرة رسائل العرب في عصر العربية الزاهر : ٢٥/١ .

العقل الحلم ، خير الامور مغبة الصبر ، بقا المودة عدل التعاهد
 كلها تنقضي معانيها بانقضاء الجملة فكان الفصل بين هذه المعاني في الكلام .
 ومن أمثلة ذلك كتاب التحالف بين عبد المطلب بن هاشم وبين خزاعة قال :
 (باسمك اللهم هذا ما تحالف عليه المطلب بن هاشم ورجال عمر بن ربيعة من
 خزاعة قال : تحالفوا على التناصر والمواساة ، ما بل بحر صوفة حلقا جامعا غير مفرق ،
 الاشياخ على الاشياخ ، والا صاغر على الا صاغر ، والشاهد على الغائب وتعاهدوا
 وتعاقدوا أوكد وأوثق عقد لا ينقض ، ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير وحن بغلاة
 بعير ، وما أقام الا خشبان ، واعتربمكة انسان ، حلف أهد لطول أمد ، يزيد ، طلوع
 الشمس شدا ، وظلام الليل مدا ، وأن عبد المطلب وولده ومن معهم ورجال خزاعة
 متكافون ، متظاهرون ، متعاونون فعلى عبد المطلب النصر لهم بمن تابعه على
 على كل طالب وعلى خزاعة النصر لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب
 في شرق أو غرب ، أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى بالله
 جميلا .

فالناظر في هذا العقد يجده على كثرة جملة قسمين :

الاول منها : وصف لهذا التحالف ومدى شدته ومن يندرج تحته ، فالكلام

فيه معجون بعضه على بعض .

والشق الثاني : بيان التكافؤ بين عبد المطلب ومن معه ، ورجال خزاعة

والنصرة ، وهذا كلام أيضا معجون وموصول بعضه ببعض ، فعند الانتهاء من الحديث عن العقد ، بقوله : وظلام الليل مدا ، بدأ الحديث عن التكافؤ والتناصر بين القبيلتين وختمه بقوله ، وكفى بالله جميلا . وعند النظر في الجمل الداخلية لهذا النص نجد ها موافقة تماما لقواعد الفصل والوصل .

فمثلا : قوله : الاشياخ على الاشياخ ، والا صاغر على الا صاغر ، والشاهد على الغائب . كل هذه الجمل بيان لهذا الحلف . بقوله : تحالفوا على التناصر والمواساة حلفا جامعا ، غير مفرق لذلك فصل بين الجملتين بين قوله : الاشياخ على الاشياخ ، وقوله : حلفا جامعا غير مفرق .

أما النصوص الشعرية فان الناظر الى تقسيم القصيدة الجاهلية من ذكر الديار والاطلال ووصفها ثم الناقة ووصفها ثم الرحلة ووصفها ، ثم ذكر المدوح . والغرض يتبين أن هناك نوعا من التسيق والترتيب ، بين المعاني ، فلا وصف الديار يندرج مع المدوح مثلا ، ولا وصف الناقة يعجن مع ذكر الاطلال وهكذا وهذا يعطينا معنى من معاني الفصل والوصل في الموضوعات في العصر الجاهلي ، ونمثل بقصيدة جاهلية للشاعر طرفة بن العبد :

لخولة أطلال بهرقة شهمد	ظللت بها أبكي وأبكي الى الغد
وقوفا بها صحبي علي مطيهم	يقولون لا تهلك أسي وتجلد

واني لا مضي الهم عند احتضاره
 بعوجاً مرقال تروح وتغتدى
 ولست بحلال التلاع مخافة
 ولكن متى يسرقد القوم أرفد
 فمالي أراني وابن عمي مالكا
 متى أمن منه ينأ عني ويعد
 ستبدي لك الايام ما كت جاهلا
 وبأتيك بالاخبار من لم تزود . . .

• (١) •••

فن البيت الاول حتى البيت الحادي عشر ، نجد ، يصف الديار ، ومن فيها
 وأحوالها ، وأوصافها ، ثم يتحول في البيت الحادي عشر حتى الرابع وأربعين ،
 لوصف الناقة ، والرحلة ، والطريق .

فالوصف الاول للمكان ، والثاني للالة والسبب الذي يوصل اليه ولغيره ،
 ثم يعرج على مدح نفسه في أبيات من أربع وأربعين الى الثامن والستين ، وبعد ذلك
 يتبين الموضوع الذي أراد ، وهو الخصام بينه وبين ابن عمه مالك ، ويستفيض في ذلك
 حتى يختم القصيدة ببيت هو حكمة :

ستبدي لك الايام ما كت جاهلا

وبأتيك بالاخبار من لم تزود

١- الانباري ، شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ١٣٥ - ٢٣١ .

الفصل الثاني

في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي



الفصل الثاني

في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي

أخذت الملاحظات تنمو وتكثر في الصدر الاول للاسلام ، فالقرآن الكريم بين الايدي في منهجه الرياني المحكم من بلاغة ، وحسن تقسيم وتخيير وسبك ، والرسول (صلى الله عليه وسلم) بين ظهرا نبي الصحابة (رضوان الله عليهم) ، ونبدأ بقوله (صلى الله عليه وسلم) : (لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا ما شاء الله ثم ما شاء فلان) (١) .

لنرى بعض الاثر الدال على نحو هذا الفن من هذا الحديث يتضح لنا أن استعمال حروف النسق ، وكيفيات الوصل في الكلام على معاني الحروف ، لا بد أن تتم على مقتضى ما يتطلب المعنى الذي يحدده المقام ، فاستعمال حرف الواو مكان (ثم) يودي الى تغير في المعنى ، ولا يصل بنا الى المراد على الوجه الاكمل ، فالرسول (صلى الله عليه وسلم) يرفض أن تكون مشيئة الله عزوجل ندا لمشية خلقه مشتركة معها تماما بحرف يقيد هذا المعنى ، وهو الواو الذي يفيد مطلق الاشتراك في الحكم ، وفي ذلك ما فيه من عدم التأدب مع الله (سبحانه وتعالى)

١- الحديث : عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : رواه أبو داود بأسناد صحيح . النووي ، رياض الصالحين : ٦٦٠ رقم الباب : (٣٢١) .

وشتان بين الله عزوجل - ومخلوقاته ، اذا لا بد أن نفرق بين مشيئة الله ، ومشيئة خلقه ، ولا بد من أن نجعل فرقا في نوع من الوصل فنأتي بما يحقق لنا الفرض ، كما ذكر النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو حرف العطف (ثم) الذي يفيد الترتيب مع التراخي في الرتبة في هذا الموطن ، عندئذ يعتدل الكلام ويوافق مقتضى الحال .
والوصل على معاني حروف العطف أحد الموضوعات التي ناقشها فن الوصل والفصل وفي حديث آخر نجد (صلى الله عليه وسلم) يذم أحد الخطباء لعدم استعماله الكلام على وجهه الصحيح حسب ما يقتضيه المقام ، فقد ورد :

(أن رجلا خطب عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (بس الخطيب أنت ، قل : ومن يعصي الله ورسوله . . (١) .

ان الجمع بين الله ورسوله بضمير التثنية ، فيه من التأدب مع الله (سبحانه وتعالى) فلا بد حتى يكون الكلام سديدا - من اعادة الاسم بلفظه الصريح اجلا لا واكبارا وتعظيما له سبحانه وتعالى - وهذا لا يتأتى الا بالعطف بأحد حروف النسق ، لذلك كان قول النبي (صلى الله عليه وسلم) للخطيب (ومن يعصي الله ورسوله بالعطف بالواو .

١- شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦٠/٦ ، باب صلاة الجمعة وخطبتها .

وهذا يبين أهمية حروف النسق في وصل الكلام مع بعضها البعض .

وقال القاضي وجماعة من العلماء : انما أنكر عليه لتشريكه في الضمير

المقتضي للتسوية ، وأمره بالعطف تعظيما لله تعالى بتقديم اسمه . . . (١) .

فاهتماه (صلى الله عليه وسلم) بمقاطع الكلام ، وفصله ووصله بين ظاهر

من خلال أحاديثه التعليمية للناس ، كيف يصلون أو يفصلون .

وينقل لنا معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهما) قولا : (. . . فأنسي

شهدت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أملى على علي (رضي الله عنه) كتابا

وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصروم صريمته) . . . (٢) .

وهذه الاحاديث السابقة ، أحاديث تعليمية ، تعلم الناس كيفية الفصل

والوصل في الكلام .

ومن قول معاوية ، يتبين لنا أيضا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان

يراعي في خطبه وأحاديثه المستفيضة الفصل والوصل ، وهذا مشهور في كلامه

كله (صلى الله عليه وسلم) واليك بعض الامثلة التطبيقية من أحاديثه ، ويانه الناصح

الذي يزخر بهذا الفن ، والتميز بكمال الدقة ، ومن ذلك ما رواه أبو هريرة (رضي

الله عنه) قال : (قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : أد الامانة لمن ائتمنك ولا

١- شرح النووي على صحيح مسلم : ١٦٠/٦ باب صلاة الجمعة وخطبتها .

٢- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٤٩٨ .

ولا تخن من خانك (.....) (١) .

وملاحظ من خلال الحديث أن جملة النهي ، اتصلت بجملة الامر على مقتضى قواعد الوصل من اتفاقها انشاءً ، ووجود الجهة الجامعة ، باتحاد المسند اليه فيهما وهو ضمير المخاطب ، والتلازم بين المسندين ، اذ امانة ، وعدم الخيانة ، وشبه التضاد بين المكملين ، من ائتمنك ومن خانك ، لأن من ائتمن الناس ففقد قاسمهم على صنعتة .

كل ذلك حيث لا اشكال في الوصل ولا لبس في المعنى (.....) (٢) .

ومثال آخر نسوقه اليك من أحاديثه (صلى الله عليه وسلم) ، عن أبي أيوب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان ، فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) (.....) (٣) .

وملاحظ أن الجملة الاولى قانون عام يحرم الهجران والقطيعة بين المؤمن والمؤمن ، بدأ بنفي الحل لاثبات الحرمة ولما كان الهجر فوق ثلاث

-
- ١- عبد الرحمن الوبيدي ، تيسير الوصول : ٢١/١ .
 - ٢- عزالدين السيد ، الاحاديث النبوية من الوجهة البلاغية : ٢٢٢ .
 - ٣- عبد الرحمن بن الربيع الزبيدي ، تيسير الوصول : ٣٤/٣ .

المدلول ، لا تدرج أفرادها جميعا تحت هذا الحكم ، جاءت الجملة الثانية كالبدل من الاولى وافية بايضاح المراد من الهجر ، دالة على اشتراك الهاجر والمهجور في الحرمة .

أما الجملة الثالثة ، فقد نزلت منزلة حال منسية أو مجهولة ، هي الاولى بالنظر عند التعقل وكأنه قيل فيعرض هذا ناسين أفضلية البادىء منها بالسلام ، لذلك ارتبطت الجملة الاخيرة بالواو توثيقا للصلة بينهما وبين عاملها وصاحبها ، هذه الجملة مقررة في المعنى لحكم سابق ، بأن مفهومها لازم الوقف على الحكم ، فطرة أو تلقيا ، فوجوده يؤكد وجود سببه وملزومه ، لأن استيقان عدم الحل ، يتأكد ببده الاخ أخاه بالسلام (١) .

ومن الملاحظات الطيبة ما أبداه الصديق (رضي الله عنه) من أنه قال لرجل : (اتسيع هذا الثوب ؟ قال لا عافاك الله . فقال أبو بكر : لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل : لا وعافاك الله (٢) .

فأبو بكر (رضي الله عنه) بحسه المرهف ، وذوقه الشديد ، أدرك أن هذا الكلام من الرجل يوهم عكس المقصود ، ان يدخل النفي على الدعاء بالعافية له فيقلبه

١- انظر عز الدين السيد ، البلاغة النبوية من الوجهة البلاغية : ٢٣ .

٢- الجاحظ ، البيان والتبيين : ١ / ٢٦١ وانظر ابن النحاس القطع والانتاف : ٩٣ .

الى الدعاة عليه ، لذلك أمره بالفصل بين لا الجوابية ، والجملة الدعائية ، بحرف
الواو .

وقد سعي هذا اللون فيما بعد في باب الفصل والوصل بكامل الانقطاع
مع الابهام خلاف المقصود .

وسا يبرهن على حس الصحابة المرهف ، وذوقهم الحساس ، وسواد رآكهم
أيضا ، ما ورد من نزول القرآن موافقا لما جرى على لسان عمر بن الخطاب (رضي الله
عنه) فقد ذكروا أنه لما نزل قوله تعالى : (ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين)
..... (١) . فما وصل الى قوله تعالى : (ثم أنشأناه خلقا آخر) قال عمر (رضي
الله عنه) : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : هو
كما قال (.....) (٢) .

وقد رويت هذه الحادثة عن عبدالله بن أبي السرح : أنه كان يكتب لرسول
الله (صلى الله عليه وسلم) : فنطق لذلك بذلك قبل املائه ، فقال له رسول الله
(صلى الله عليه وسلم) : (أكتب هكذا نزلت) (٣) .

١- سورة المؤمن ، الآية : ١١-١٤ .

٢- نظام الدين الحسن النيسابوري ، غرائب القرآن ورضايب الفرقان : ٩/١٨ .

٣- نفس المصدر السابق : ٩/١٨ .

وجاء في معترك الاقران للسيوطي قال : (أخرج ابن أبي حاتم من طريق الشعبي عن زيد بن ثابت قال : أملى علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه الآية (ولقد خلقنا الانسان) الى قوله : (خلقا آخر) قال معاذ بن جبل : فتبارك الله أحسن الخالقين ، فضحك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال له معاذ ما ضحكت يا رسول الله ؟ قال بها ختمت . . . (١) .

والذي نريده نحن من ذكر هذه الحادثة ، أن حسن التقسيم القرآني ، ووضوح آياته المحكمات في سياقها المتين المتناسب ، جعل رجالا مثل الصحابة أمثال ابن الخطاب ، وابن أبي السرح ، ومعاذ ، يدركون في حسهم المرهف نهاية الآية وذيلها المناسب لما قبله من التقسيم الكلامي .

وهذه كملاحظات ، اعتمد عليها فيما بعد لمعرفة التناسب بين أجزاء الآيات وفواصلها ليشمل التناسب بين الصور والآيات بعضها ببعض وهو ما يعرف بمسألة التناسب والجامع قضية أساسية في الفصل والوصل .

والمقولة السابقة رويت لأكثر من صحابي ، ان دلت على شيء فانما تدل على وجود التناسب بين أجزاء الآيات والآيات بشكل واضح ، بحيث يدرك من قبل أصحاب

(١- السيوطي ، معترك الاقران في اعجاز القرآن : ٤٠/١ .

الذوق المرفه ، كما أنه أدل على ذوق الصحابة (رضوان الله عليهم) وتكافؤ
أحاسيسهم وأن واقهم في معرفة التناسب .

وروى عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنهم كانوا يعلمون ما ينبغي أن يوقف
عنده ، كما يتعلمون القرآن (.

وروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قوله تعالى : (ولولا فضل الله
عليكم ورحمته لا تبعثم الشيطان) (١) . قال فانقطع الكلام . . (٢) .

فالوقف عند انتهاك كل معنى نوع من الفصل لا يتقن الا بلذوق شديد
ومعرفة منتهى المعاني ، ومتى يبدأ معنى جديد ، وهذا يسمى بالاستئناف في
عرف اللغة .

ويتعدى حسن التناسب الى الاعراب في البداية ، فقد حكى أن أعرابيا
سمع قارئاً يقرأ : (فان زلتم من بعد ما جائتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم)
ولم يكن يقرأ القرآن فقال : ان هذا ليس بكلام الله لأن الحكيم لا يذكر الغفران
عند الزلل لأنه اغراء عليه (٣) .

وذيل الآية كما جاء في المصحف الكريم (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) . . (٤) .
والجملة التي بها تختتم كل آية خاصة من الآيات الطوال ، لا بد أن يكون لها نوع

١- سورة النساء ، الآية : ٨٣ - ٢- الزركشي ، البرهان : ١ / ٣٤٢ .

٣- السيوطي ، معترك الاقران في اعجاز القرآن : ١ / ٤٠ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٢٠٩ .

من الارتباط بما قبلها من الجمل ولا بد أن يكون هناك جامع ما أو مناسبة تسوغ ذلك .

من هنا يدخل علم المناسبة في الوصل والفصل ، بالإضافة الى كون الآيات ومعانيها تستتبط بدقة النظر وشدة التأمل والملاحظات ، وكذلك الفصل والوصل في القرآن يقوم على ذلك من حسن التأمل والاستتباط .

ومدار ملاحظة الاعرابي تقوم على عدم مناسبة ختم الآية لما قبلها .
فالتحذير من الزلل لا تناسبه الرحمة ، بل تناسبه العزة والحكمة والقدرة ، ان ذكر الزلل مع الرحمة مدعاة للتفادي في الخطأ واغراء عليه ..

وذكر العزة والقدرة ، مدعاة للترك ، وعدم التفادي . وهذا التناسب بين معنى الآية وذيلها في القرآن ، لا يقتصر على سورة دون أخرى ، وادراكه واستتباطه يحتاج الى دقة نظر وحس مرهف ، وطول تأمل .

ومعرفة المناسبة بين السورة والسورة من جهة ، والآية والآية ، والجملية وأختها في النص القرآني ، له أبعاد علمية المهمة التي من خلالها نطلع على مدى جودة الاسلوب ، ومقاصد القائل ، ودرجة الحديث من العلو والسو والرفعة .
فالكلام المرتبط الاجزاء غير الكلام المفكك الذي هو أشبه بالهذيان في بعض الاحيان .
وتختلف درجة المناسبة بين العبارات والجمل حسب صوغ الكلام ومدى

اتصاله بعضه ببعض .

وكون المناسبة قوية مقنعة واقعة في مكانها أدل على ارتباط الكلام ولصوقه

وتما سكه .

ولما كانت المناسبة على درجة كبيرة من الاتصال والاقناع والاستدعاء لها

من جانب النمر كان الكلام في الرتبة العليا والذروة القصوى .

العصر الاموي

وتستمر الملاحظات حول الفصل والوصل في العصر الاموي وتتزايد وتمو
 أكثر منها في الوقت السابق خاصة وأن الحياة العربية أصبح فيها نوع من الاختلاف
 فقد استوطن الناس الكوفة ، والبصرة ، فتطورت المدينة ، وتعددت الفتوحات ،
 وظهرت الفرق الاسلامية المختلفة من معتزلة ، وجهمية ، وخوارج وشيعة ، والزيهريين
 والامويين ، وكان هناك المرجئة ، والجبرية ، والقدرية ، وغيرهم .

وكان التناحر بين هذه الفرق شديدا ، كل منها يريد أن يثبت حجته ، وأن
 مذهبه هو الاصح . ، بأقوى دليل وأيسر سبيل ، والرد على الخصوم ، وقرع الحججة
 بالحجة ، وذلك يقتضي وجود متكلمين وخطباء* ، وكتاب يحسنون الكلام بأسلوب
 تفهمه الخاصة ، وتقنع به العامة ، سواء كان ذلك بالخطب أو بالحجج الكلامية
 أو بالشعر فكان ذلك مدعاة لتعلم أصول المناظرات ، والخطب ، ومتى يحسن الحديث
 ومتى يستجاد ، وصفات الكلام الجيد ، والأخذ به ومتى يكون الكلام رديفا للابتعاد
 عنه ، فظهرت المقولات النقدية المختلفة ، تبين أساليب التعبير الجيد ، ومن بينها
 الفصل والوصل في الكلام ومن ذلك ما قاله معاوية بن أبي سفيان : (يا أشدق : قم

عند قروم العرب وحجاجها وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال ، فاني
شهدت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ألقى على علي بن أبي طالب (رضي الله
عنه) كتابا يتفقد الكلام كتفقد المصروم صريمته (١) .

وهذا الحسن البصرى يستفيد من قول النبي (صلى الله عليه وسلم) فسي
الحديث السابق . . . (٢) . حيث يقول لرجل من بني مجاشع ، وقد جاءهم الحسن
في دم فقال الرجل : قد تركت ذلك لله ولوجوهكم ، فقال الحسن : لا تقل هكذا
بل قل : لله ثم لوجوهكم ، وآجرك الله .

وقد ذكر صاحب دالات التراكيب (محمد أبو موسى) : أن الحسن بن علي
بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وفي كتاب البيان والتبيين ، أنه الحسن البصرى .
هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فانه يستدل بهذه الحادثة على تجاوز
العطف فكرة التشريك في الحكم بعد تفريع الكلمات من مضمونها فيقول : وهكذا
يتجاوز العطف فكرة التشريك في الحكم الى تفرع الكلمات من مضموناتها ، وفيوضاتها
على غيرها ، وقد تنبه الى ذلك الحسن بن علي (رضي الله عنهما) فقد جاء الى
بني مجاشع في دم كان فيهم فخطب ، فأجابه رجل منهم فقال : قد تركت ذلك لله
ولوجوهكم ، فقال الحسن : لا تقل هكذا . بل قل لله ثم لوجوهكم وآجرك الله .

فأرشده الى كلمة (ثم) الموضحة بالتباعد بين الطرفين ، وذلك ليظهر

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٤٩٨ .

٢- انظر البحث () المقصود حديث النبي (قل ماشاء الله ثم شاء فلان) .

لفظ الجلالة في وجدان المسلمين بنأى عن أن يذكر في قرنه جلال أهل محبة الله
ورسوله والمؤمنين ، وتظل درجة القرى هذه وقفا على رسوله (١) .

ونحن نقول : انه لا تفرغ للكلمات من مضموناتها - كما يرى الشيخ (أبو
موسى) ، ان أنه اذا فرغت الكلمات من مضمونها تصبح قوالب جوفاء لا معنى لها
فقضية الشكل والمضمون التي أخذت حيزا كبيرا من الادب العربي القديم والحديث .
تبين أن لا جدوى من القول بالفروقات بين المضمين والقوالب ، فالكلام
يتألف منهما معا ولا يسمى كلاما الا بهما معا ، ولا فصل ولا تفرغ لاحدهما عن
الأخر فكلمة (ثم) بمعناها ومضمونها ومدلولها الشكلي تدل في أصل الوضع على
الترتيب والتراخي . فأين التفرغ من المضمين ؟

وقال يزيد بن معاوية - يحذر الكتاب من خلط الكلام بعضه ببعض - : اياكم

أت تجعلوا الفصل وصلا فانه أشد عيبا من اللحن (٢) .

فالتحذير منصب على عدم دمج الكلام ، لئلا يورث ذلك الى فساد ، وعدم

معرفة مراديه ومعانيه .

فلا بد من توخي مواطن الفصل والوصل حتى يخرج الكلام بليغا مفهوما

المعنى ناضجا يستهوى العقول وتلذ به الاسماع .

وكان صالح بن عبد الرحمن التميمي كاتب الحجاج بن يوسف ، يقول : ما

١- محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب : ٢٩٤ .

٢- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٥٥٠ .

استوتفت (ان) الا وقع الفصل .

وكان يفصل بين الآيات كلها وبين تبيعتها من الكتاب كيف وقعت . (١) .
فهذه الملاحظة تمثل في حد ذاتها قاعدة في الاستئناف الذي هو جزء
من موضوع الفصل والوصل ، فالجملة المبدوءة (بان) هي جملة منفصلة عما
قبلها ، سواء كانت جوابا عن سؤال مقدر كما هو في الاستئناف البياني أم كانت
منقطعة عما قبلها ، حيث لا مناسبة بين الجملة الاولى والثانية على الاطلاق ، ولا
ارتباط بينها وبين ما قبلها .

وقد سمي عند البلاغيين هذا النوع بكامل الانقطاع . وعلى كلا الأمرين
فالفصل حاصل واقع .

ومن الامثلة على هذا القول :

قوله تعالى : (قل سأتلوا عليكم منه ذكرا انا مكا له في الارض) . . . (٢) .
وقوله تعالى : (فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون) . . (٣) .
وقوله تعالى : (فلا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا) (٤) .
وقولهم (ما استوتفت ان الا وقع الفصل) ليس على اطلاقها فرما تستأنف

(ان) وتكون مسبوقه بحرف نسق الواو أو الفاء ، ومثاله :

-
- ١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٥٥٠ . ٣- سورة يس الآية : ٧٦ .
٢- سورة الكهف ، الآية : ٨٤ . ٤- سورة يونس ، الآية : ٦٥ .

- قوله تعالى : (ان الابرار لفي نعم وان الفجار لفي جحيم) . . . (١) .
- وقوله تعالى : (وانه لفي زبر الالبيين) (٢) .
- وقوله تعالى : (وان له عندنا لزلقى وحسن مآب) (٣) .
- وهناك جمل كثيرة أيضا مصدرية (بان) الا أنها مستأنفة بحرف استئناف ،
- كقوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) (٤) .

على أن هذه الآية تحتل أن تكون الواو فيها للعطف مع كون الجملتين مختلفتين خبرا
وانشاءً على مذهب سيبويه (٥) .

كما تقع (ان) في صدر بعض الجمل الحالية ، وهذا ينافي الاستئناف

كقولك : لقيتك وأنت راكب) .

وقوله تعالى : (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام)

(٦) .

وقوله تعالى : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين

لكارهون) (٧) .

-
- ١- سورة الانطار ، الآية : ١٣ ، ١٤ .
 - ٢- سورة الشورى ، الآية : ١٤٨ .
 - ٣- سورة الشعراء ، الآية : ١٩٦ .
 - ٤- سورة الانعام ، الآية : ١٢١ .
 - ٥- عبد الخالق عظيمية ، دراسات في أسلوب القرآن الكريم : ٣ / ٥٢٨ .
 - ٦- سورة الفرقان ، الآية : ٢٠ .
 - ٧- سورة الانفال ، الآية : ٥٥ .

وكان أيضا عبد الحميد الكاتب اذا استخبر الرجل في كتابه فكتب (خبرك
 حالك سلامتكم . . .) فصل بين هذه الحروف ويقول : قد استكمل كل حرف منها
 آله ، ووقع الفصل عليه (١) .

وبعني عبد الحميد الكاتب هنا (بالحرف) أى الجملة التامة المعنى غير
 المحتاجة الى غيرها بدليل السياق ، فقوله : (خبرك حالك . . . الخ) ما هي الا
 جمل على تقدير محذوف فكأنه قال : (ما خبرك ، ما حالك ، كيف سلامتكم) وفي
 الوصل والفصل تفصل الجملة التامة المعنى عما قبلها وبعدها ان لم يكن هناك نوع
 من الجامع أو المناسبة ، وتصبح كل جملة مستقلة استقلالاً تاماً وهذا ما عبر عنه عبد
 الحميد بقوله : قد استكمل كل حرف منها آله ووقع الفصل عليه .

وقال الاحنف بن قيس : ما رأيت رجلاً تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام
 وأعطى حق المقام ، وغاص في استخراج المعنى ، بألف مخرج حتى يقف عند
 المقطع وقوفا يحول بينه وبين تبعته من الالفاظ (٢) .

فالوقوف التام : هو الذى يستدعيه ما بعده من الجمل والتراكيب ، وهذا
 معنى قول الاحنف : وقوفا يحول بينه وبين تبعته من الالفاظ (فالوقوف هنا هو

١- أبو هلال العسكري : الصناعتين : ٥٠٦ - ٥٢٠ .
 ٢- نفس المصدر السابق : ٤٩٧ والحديث يدور عن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) .

الفصل ان لا تداخل بين التراكيب والجمل .

فالصل حائل بين الجملة الموقوف عليها وبين ما يتبعها من الجمل والالفاظ

وهذا ما يمكن أن يسمى بكامل الانقطاع ، كما جاء في اصطلاح الفصل والوصل عند

المتأخرين .

وهناك اشارات أيضا كثيرة تدل على اهتمام القدماء في هذا العصر بما يسمى

بالتناسب سواء كان ذلك بين الجمل أو المفردات ، ففي كتاب الموشح ذكر : (اجتمع

نصيب والكمين ويقال ذ والرمة فاستشهد النصيب الكمين من شعره فأشده الكمين :

هل أنت عن طلب الا يقاع متقلب أم كيف يحسن من ذى الشيبة للعب

حتى بلغ الى قوله :

أم هل ظعائن بالعليا نافعة وان تكامل فيها الانس والشنب

فعقد نصيب بيده واحدة فقال الكمين : ما هذا ؟ قال : أحصي خطأك ،

تباعدت في قولك (الانس والشنب) ألا قلت : كما قال ذ والرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب . . . (١) .

فمدار الملاحظة الصادرة من نصيب عن اقتران الالفاظ بعضها الى بعض

وعدم وجود تناسب بينها أو جامع يجمعها ، فالانس غير الشنب ، وهما بعيدان كل

البعد عن بعضهما البعض ، في المعنى ، أما اللثام ففيها نوع من الاقتصران
 والتناسب مما يصحح السياق مع شنب الانياب في بيت ذى الرمة ، وهذا من التناسب
 المفهم نوعا من التعانق والتكامل والتعاوض والاقتران بين المفردات الذي درج فيما
 بعد تحت (علم البديع باسم مراعاة النضير) ويعلق شوقي ضيف على قصة الكميته
 بقوله : (وواضح أن نصيبا يطلب الى الكميته أن يقرن كلماته الى لفقها ويصلها
 بمشاكلاتها . وهي ما تسمى عند البلاغيين فيما بعد باسم مراعاة النضير . . . (١) .
 ورواية أخرى عن المبرد تؤيد ما ذهب اليه وهي (قال المبرد : وحدثت أن

الكميته ابن يزيد أنشد نصيبا فاستمع له فكان فيما أنشده :

وقد رأينا بها هورا منعمة بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فتسبب نصيب خنصره فقال له الكميته : ما تصنع ؟ فقال أحصي خطأك تباعدت

في قولك تكامل فيها الدل والشنب ، هلا قلت كما قال ذى الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس وفي اللثام وفي أنيابها شنب

قال أبو العباس : والذي طابه نصيب في قوله : (تكامل فيها الدل والشنب .

قبيح جدا وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها .

وأول ما يحتاج اليه القول أن ينظم على نسق وأن يوضع على رسم المشاكلة (

• (٢)

١- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ : ١٨٠ .

٢- المبرد ، الكامل في اللغة والادب : ١ / ٢٣٥ .

وهذه الروايات المختلفة تؤكد لنا أنها جميعاً هدفها واحد هو تأكيد

أهمية التأسب واتباع النضير للنضير .

وكان العرب قديماً يعيرون الكلام إذا لم يكن على نسق معين وبينه وبين

تبعه صلات قوية ومشاكلات ، وكان ذلك مدار اهتمام الرواة والشعراء (قال أبو نؤفل

بن سالم لرؤية بن العجاج (١) . يا أبا الحجاج : من إذا شئت قال :

وكيف ذاك ؟ قال : رأيت عقبة بن ربيعة ينشد رجلاً أعجبني قال : انه يقول ، لو كان

لقوله قران . وقال الشاعر :

مهاذبة مناجية قران مهاذبة كأنهم الاسود . . (٢) .

فالذي طابه (رؤية) من شعرا بنسه أنه لا تناسب بين أبياته ، ولا ترابط .

وعبارة شوقي ضيف يقول : (يريد أن أبياته تتوالى متباعدة كأنما لا يضمها سياق . .

. . . (٣) .

ونلمح أيضاً اهتمامهم بالوحدة ، وأن يكون البيت شديد الصلة بما يليه ،

حتى سوا هذه الصلة بالاخوة والعمومة .

قال المبرد : (وخبرت أن عمر بن لجأ قال لابن عم له : أنا أشعر منك .

١- الجاحظ، البيان والتبيين : ١/٦٦-٦٨ .

٢- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٨ .

٣- المبرد ، الكامل في اللغة والأدب : ١/٣٣٥-٣٣٦ .

قال له : وكيف ؟ قال : لأنني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه (١) .
وحادثة أخرى وقعت ، لهذا الشاعر مع جرير (فقد سمع جرير عمرا ينشد في
أرجوزة له يصف ابله :

قد وردت قبل اني ضحائها وتغرس الحيات في خرشائها
جرّ العجوز التي من رداؤها

فتعرض له يقول : كان أولى بك أن تقول : (جرّ العروس) لا جرّ العجوز
التي تتساقط خورا وضعفا فاستشاط غضبا فهجاه عمر (٢) .

ويعلق شوقي ضيف على هذا ويقول : (ومدار ملاحظة جرير على انتخاب

الكلمة الملائمة للسياق) (٣) .

ولم يقف بهم الحال على ملاحظة التناسب بين الاشعار ، بل ورد ما يثبت

ملاحظته في القرآن الكريم ، فقد حكى الاصمعي قال : (كنت أقرأ : (والسارق

والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم) (٤) .

وبجانبى أعرابي ، فقال : كلام من هذا ؟ فقلت كلام الله . قال : أعد

فأعدت فقال : ليس هذا كلام الله فانتبهت فقرأت (والله عزيز حكيم) فقال أصبت هذا

كلام الله . فقلت : أقرأ القرآن ؟ قال : لا . فقلت : من أين علمت ؟ فقال : يا هذا

١- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٨ .
٢- روية بن العجاج ، راجز أموى مات سنة ٨٤٥ هـ .
٣- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٦ .
٤- سورة المائدة ، الآية : ٤١ .

(عز فحكم ، فقطع ، ولو ففر فرحم لما قطع) (١) .

من خلال هذه الملاحظات يتضح لنا أن الذوق المرهف والحس الأدبي

لا يزال يسيطر على كثير من الأقوال والآراء .

ومن خلال هذه المقولات يتضح أن هناك تطور من عصر إلى عصر وزيادة عطاء

في هذه المادة ، أدت فيما بعد إلى وضع قواعد شافية كافية محررة في هذا الفن .

الفصل الثالث

في عصر العباسي



الفصل الثالث

في العصر العباسي

إذا انتقلنا للحديث عن الفصل والوصل في العصر العباسي ، نجد أن اتساعا كبيرا قد حدث في الملاحظات والاشارات الدالة على هذا الفن لأسباب ترجع الى تطور العقلية العربية ، وكثرة التأليف في الفنون المختلفة . وساعد على ذلك أيضا اختلاط العرب بغيرهم من أصحاب الحضارات الاخرى واتساع نطاق الترجمة عن اللغات اليونانية والفارسية ، والهندية ، وكثرة العلماء العاملين في الفنون المختلفة ، حتى أن هذا العصر ، ليعد ويعتبر عصر الازدهار الحضاري في الفنون والعلوم ، وقد نضج فن الفصل والوصل في هذه المرحلة التاريخية الهامة .

وليس أدل على اتساع نطاق الملاحظات والاقوال الخاصة في هذا الفن من كثرة ورودها في الكتب والتأليف ، وكثرة ورودها على ألسنة أصحاب الخطابة والكتاب والعلماء والخلفاء .

فمن ذلك مثلا ، ما ورد عن أبي العباس السفاح . قال أبو العباس السفاح لكاتبه : (قف عند مقاطع الكلام . وحدوده ، واياك أن تخلط المرعى بالهمل ومن حلية البلاغة : المعرفة بمواضيع الفصل والوصل) (١) .

والخطيب الفصيح البليغ عندهم ، من استطاع الوقوف عند مقاطع الكلام
وأظهار الفصل والوصل من خلال الحديث والخطب .

جاء في الصناعتين أن أبا جعفر النصور أقام صالحا خطيبا بحضرة شبيب
فقال يا أمير المؤمنين : ما رأيت كاليوم أبين بيانا ، ولا أربط جنانا ولا أفصح لسانا
ولا أبل ريقا

الا أن الجواد عسير لم يرض وأيم الله : أن لو عرف في خطبته مقاطع
الكلام ، لمكان أفصح من نطق بلحان (١) .

وسأل المأمون : من أبلغ الناس؟ فقال : فان البلاغة اذا
اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصل والوصل ، كانت كلالتي* بلا نظام . . . (٢) .

وقال أيضا المأمون : ما أتفحص من رجل شيئا كتفحصي عن الفصل والوصل
في كتابه ، والتخلص من المحلول الى المعقود فان لكل شي* جمالا ، وحلية
الكتاب وجماله ، ايقاع الفصل موقعه ، وشحن الفكرة ، واجالته في لطف التخلص
من المعقود الى المحلول (٣) .

وذكر أيضا : أنه كان يفصل عنده ، حتى كيف وقعت ، وأمر كتابه بذلك .
وكان يأمر كتابه بالفصل بين ، بل ، بلى ، وليس .

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٤٩٩ .

٢- نفس المصدر السابق : ٤٩٧ .

٣- نفس المصدر السابق : ٤٩٩ .

ولا شك أن الاختلاف في مسألة (حتى) في النحو يجعلنا نقيد هذا الكلام في حالة كون (حتى) حرفا ، تبتدأ الجملة بعده ، أى تستأنف .
ومن الامثلة التي تبين استخدام (حتى) كحرف ابتداء* ما ذكره النحاة من قول جرير :

فما زالت القتلى تمج دماها
بدجلة حتى ما* دجلة أشكل

فكلمة (حتى) في بيت جرير جعلت في البيت نوطا من الانفصال بين شطريه . ولو فرضنا عدم وجودها لكان من باب كمال الاتصال .
أما ذكره (حتى) فقد جعل الكلام من الاستئناف المفيد معنى التوكيد فكان الجملة خبر عند خبر ، فالجملة بعد (حتى) ، استأنفت للمبالغة فيما أصاب النهر من دما* القتلى .

ومن الامثلة كذلك ، قول امرئ القيس :

سريت بهم حتى تكل مطيهم
وحتى الجياد ما يقدن بأرسان (١) .

وربما كان لمقالة المأمون السابقة (الفصل عند حتى) سبب وجيه ، وهو

أن المأمون كان له اتصال شديد بالفراء* ، وقد وكل اليه المأمون تعليم ابنه (٢) .

١- ابن هشام ، مغني اللبيب : ١/١٣٦ . وما بعدها .

٢- الفراء* ، معاني القرآن : ١/١٠ .

والكوفيين ينكرون العطف بـ (حتى) البتة ، ويحملون نحو (جا* القوم حتى أبوك) و (رأيتهم حتى أباك) و (مررت بهم حتى أبيك) يحملون الامر في ذلك على أن (حتى) فيه ابتدائية ، وأن ما بعدها على اضرار عامل . . (١) .
 فرما اتخذ المأمون المذهب الكوفي طريقا له في النحو ، فكانت مقالته السابقة دليلا على ذلك .

أما فصله عند (بل) فهذه الاداة تأتي بمعنى الاضراب ، وهو اما للابطال

نحو (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون) . . . (٢) .

ونحو : (أم يقولون به جنة بل جا* هم بالحق . . . (٣) .

أو للانتقال من غرض الى غرض آخر ، ومثاله قوله تعالى : (قد أفلح من

تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل توثرن الحياة الدنيا . . . (٤) .

ونحو قوله تعالى : (ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ، بسـ

قلوبهم في غمرة . . . (٥) .

وهي في ذلك كله حرف ابتداء* ، لا عاطف على الصحيح . . . (٦) .

١- ابن هشام ، مغني اللبيب : ١ / ١٣٧ .

٢- سورة الانبياء* ، الآية : ٢٦ .

٣- سورة المؤمنون ، الآية : ٧٠ .

٤- سورة الاعلى ، الآية : ١٤-١٦ .

٥- سورة المؤمنون ، الآية : ٦٢-٦٣ .

٦- ابن هشام ، مغني اللبيب :

فإذا كانت (بل) في هذه الجمل والآيات ابتدائية ، فلا غرو ، أن يكون

ما بعدها ، مفصلاً عما قبلها ، فكلمة (بل) - مثلاً - في قوله (بل عباد مكرمون)

تعيين الفصل بين الجملة الأولى ، (اتخذ الرحمن ولداً) والثانية يشبه كمال

الاتصال ، لكون الجملة الثانية ناتجة عن سؤال مقدر ، وكأن سائلاً يسأل : هل

للرحمن ولداً ؟ فتقول : (سبحانه ، بل عباد مكرمون) .

و (بل) أيضاً من الحروف التي يبتدأ بها فتقول : (ما مررت برجل صالح

بل صالح) و (مررت برجل صالح . بل صالح . كما قال سيبويه (١) .

فالجملة التي لـ (بلى) ، فان ما بعدها من الجمل تقع ابتدائية منفصلة عما

قبلها . ومن ذلك قوله تعالى : (ألم يأتيكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير . . . (٢) .

فالجملة التي بعد (بلى) ، وقعت توكيداً للجملة التي قبلها ، ألم يأتيكم

نذير . وفصلت عنها لكامل اتصالها .

والفصل عند (بلى) يأتي من وجوه ، حيث أن (بلى) في ذاتها تنفس

غناء تاماً عن جملة تامة ، ولما كانت الجملة السابقة عليها ، انشائية المعنى واللفظ

وكلمة (بل) مغنية على جملة خبرية ، كان الفصل لكامل الانقطاع .

١- سيبويه ، الكتاب : ١ / ١١٩ .

٢- سورة الملك ، الآية : ٨-٩ .

والحال يختلف بين (بلى) وما بعدها تماما ، فالصل بينها وبين تاليها من الجمل بسبب كمال الاتصال ، فجملة (بلى) معناها في الآية جاءنا نذير ، والجملة التي بعدها ، (وقد جاءنا نذير) اذا فالجملتان بمعنى واحد ، والثانية ، مؤكدة للاولى توكيدا لفظيا .

ومن الملاحظات المتعلقة بالفصل والوصل ، ما أهداه (شبيب بن شيبه) حين قال : (الناس موكلون بتعظيم جودة الابداء* ، وأنا موكل بتعظيم جودة المقطع ومدح صاحبه وخير الكلام ما وقف عند مقاطعه ، وبين موقع فصوله . . (١) .

قال الحسن بن سهل لكاتبه الحراني : (٢) (ما منزلة الكاتب بقوله وفعله ؟ قال : أن يكون مطبوعا محتسكا بالتجربة مع براعة اللفظ وحسن التسيق وتأليف الاوصال لمشاكله الاستعارة ، وشرح المعنى حتى تنصب صورها لمقاطع الكلام ومعرفه الفصل والوصل ، فاذا كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد والقول اذا استكمل آله ، واستتم معناه فالفصل عنده (٣) .

١- الجاحظ ، البيان والتبيين : ١١٢/١ . وانظر : أبو هلال العسكري في الصناعتين : ٥٠٢ .

* شبيب بن شبة . الاخبارى الاديب الشاعر صاحب خالد بن صفوان ولهما اخبارا ومواقف مشهورة عند الخلفاء والامراء مات شبيب بعد المائتين . انظر معجم الادباء : ٢٦٨/١١ : لياقوت الحموى .

٢- الحسن بن سهل هو الحسن بن سهل بن عبدالله السرخس أبو محمد وزير المأمون العباسي وأحد كبار القادة والولاة في عصره اشتهر بالذكاء المفرط والادب والفصاحة وحسن التوقيعات والكرم وهو والد بوران زوجها المأمون توفي في سرخس من بلاد خراسان (٢٠٧ هـ) . انظر الزركلي ، الاعلام : ج ٢ .

٣- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٤٩٩-٥٠٠ .

ولعل المقصود بقولة الحسن : معرفة الفقرات بدايتها وانتهائها ، هذا
فهم من القولة بالاضافة الى معرفة الفصل والوصل ، حيث نص على ذلك صراحة .
ولعل المتأخرين أخذوا هذه العبارة ، وطوروها بمفهومها الاصطلاحي
المتعارف عليه بينهم .

وذكر صاحب الصناعتين : أن (جبل بن زيد) كان يفصل بين
القات كلها (١) .

ولم يبين المقصود بهذا الفصل سوى أنه ذكر ، أن بعض الكتاب أحب ذلك
ومعظم كرهه .

ويختلف معنى الفاء في الكلام ، فمنها الداخلة في جواب الشرط ، ومنها
الفصيحة ، ومنها ما تأتي للاستئناف ، وهنا يكون فصلا .

وتأتي للعطف ، وعند ما يكون الوصل . ولا ندري سبب الفصل عند كل
القات ، فربما يكون المقصود الفصل الترقيمي في الكتابة والوقف في الكلام ، وهذا ما
أشار اليه محمد أبو موسى حيث قال تعليقا على أقوال منها قول جبل بن زهير :
(الفصل كما أفهم من هذا الكلام ، في هذا الكلام ، في الكتابة ترقيم ، وفي الكلام
وقف ، وهو في كل تجديد تام العبارة ، وهذا قريب من الفصل في معناه العليسي
المحدد في البلاغة ولكنه ليس هو (٢) .

- ١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٥٠٠-٥٠٢ .
 - ٢- محمد حسين أبو موسى ، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ١٣٣ .
- * جبل بن زيد : هو كاتب عمارة بن حمزة وكان مترجما من معد ودي البلغاء والبرط
وعامة هذا هو عمارة بن حمزة كاتب أبي جعفر المنصور ومولاه ، انظر ابن النديم ،
الفهرست : ١٧٠ .

ويقول (بزر جمهر) : اذا مدحت رجلا ، وهجوت آخر ، فاجعل بين
القولين فصلا ، حتى تعرف المدح من الهجا* كما تفعل في كتبك اذا استأنفت القول
وأكملت ما سلف من اللفظ (١) .

وواضح من هذه المقولة أن الغرض من الكلام هو الفصل بين الجمل لبيان
اختلاف معنيين ، وغرضين ، كالمدح والذم ، لشخصين ، قياسا على الفصل في
الكلام ، اذا لم يكن بينه رابط .

وعبر عنه هنا ، بالاستئناف ، الذي به تتحدد استقلالية العبارة وتامها
وكسب هـ هذا اشارات تدخل في الوصل والفصل ، استفاد منها العلماء عند
التعميد لهذا الفن .

ومن الملاحظات أيضا ، التي تتعلق بمسألة التناسب بين الكلام ، والتي
كانت على أيدي رجالات هذا العصر ، ما أورده الجاحظ في كتابه ، حيث أنشد
لخلف الأحمر قوله :

ومعز قريش القوم أولاد علة يكذ لسان الناطق المتعفـظ . . . (٢) .

وأنشد قول أبي البيداء* الرياحي (٣) .

وشعر كعب الكبش فرق بينه لسان دعي في القريض د خيـل . . . (٤) .

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٤٩٩-٥٠٠ .

٢- الجاحظ ، البيان والتبيين : ٦٦/١ ، وانظر ابن رشيق في العمدة : ١٢٢/١ .

٣- أبو البيداء* الرياحي زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة واسمه أسعد بن عصمة أعرابي
نزل البصرة .

فكما أن أولاد العلات لا تتناسب بينهم ، لا اختلاف أمهاتهم ، وبالتالي

طبائعتهم ، وعدم الانسجام التام بالشكل والهيئة بينهم ، فكذلك القريض والشعر

فمنه الشعر غير المتلائم ، والذي لا انسجام بين ألفاظه ، يكاد الحفظه ، ويتعجبهم

في حفظه ، لعدم تلاؤمه وتناسبه .

وقد شبهوا هذا النوع من الشعر أيضا ببعر الكباش بجامع التفرق والاختلاف

فبعر الكباش كناية عن التفرق وعدم التلاؤم كما قالت ابنة الحطيئة لا بيها عندما نزل

على بني (كليب بن يربوع) تركت الثروة والعدد ، ونزلت في بني كليب بعير الكباش

تقصد بذلك أنهم مفككون متفرقون ، ومعنى (بعير الكباش) أى : المتفرقون . . . (١) .

ويعلق الجاحظ على هذين البيتين فيقول : (إذا كان الشعر مستكرها ،

وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعضها ، كان بينها من التنافر ما بين

أولاد العلات ، وإذا كانت الكلمة ليس موقعها الى جنب اختها مرضيا موافقا ، كان

على اللسان عند الانشاء لذلك الشعر مؤونة . . . (٢) .

فالشعر الذي لا تجانس بين ألفاظه ، ركيك الصناعة ضعيفها تمجه الا سماع

فضلا عن مؤونة حفظه .

أما الشعر المتناسب في اللفظ والمعنى فيقول عنه الجاحظ :

١- المبرد ، الكامل : ٢٣٥/١ . وما بعده ها .

٢- الجاحظ ، البيان والتبيين : ٦٦/١ . وما بعدها .

(وأجود الشعر ما رأيت متلاحم الاجزاء* ، سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد
أفرغ فراغا واحدا ، وسبك سبكا واحدا ، فهو يجري على اللسان كما يجري على
الدهان (١) .

ويستطرد الجاحظ في ذكر معاكس هذا الشعر ، وضده ، وذلك من خلال
تفسيره للمقولة السابقة . (بعر الكبش) فيقول : (وأما قوله كبعر الكبش ، فأنما
ذهب الى أن بعرا الكبش يقع متفرقا ، غير موءتلف ، ولا متجاور ، وكذلك حروف الكلام
أو اجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة ملسا ولينة المعاطف سهلة ، وتراها مختلفة
متباينة ومتنافرة مستكرهة تشق على اللسان وتكده ، والاخرى تراها سهلة لينة وورحبة
مواتية سلسة النظام ، وخفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى
كأن الكلمة بأسرها حرف واحد (٢) .

فالتناسب من القضايا التي أهتم بها العصر العباسي ، ومقولة الجاحظ
السابقة ، توضح ذلك وتبين أن فكرة التناسب ، وتلاحم الابيات ، بل تناسب اجزاء
البيت الواحد في القصيدة الواحدة ، كانت قيد اهتمام الاوائل من النقاد والشعراء
ووصلوا الى فكرة التناسب بين حروف الكلمة الواحدة ، الذي عبر عنه
البلاغيين بفصاحة الكلمة ، حيث اشترطوا في فصاحة الكلمة أن تكون خالية من تناثر

١- الجاحظ ، البيان والتبيين : ٦٦/١ ، وما بعدها .

٢- نفس المصدر السابق : ٦٦/١ ، وما بعدها .

الحروف مع عدم الكراهية في السمع ، بالإضافة الى عدم تنافر الكلمات (١) .

إذا : موضوع التناسب أحد الموضوعات التي استتارت هم النقاد سابقا ،

وهي جزء ذو أهمية بالغة في فن الفصل والوصل .

وقد اهتم شعراء هذا العصر بمسألة التناسب بين الابيات ، وكانوا يتوخون

الدقة في ذلك ومثالا على ما قلناه ننقل أبياتا للشاعر أبي حية النمرى أحد شعراء

هذا العصر حيث يقول : (٢) .

رمتي وستر الله بيني وبينها عشية أرام الكاس رميم

رميم التي قالت لجارات بيتها ضنت لكم ألا يزال بهيم

ألا رب يوم لورمتي رमितها ولكن عهدى بالنضال قديم . . . (٣) .

فعند تحليل هذه الابيات نجد صداقية التلاحم ، والترابط ، والتناسب

بينهما ، فالبيت الثاني تعريف ووصف لسمى البيت الاول ، الذي يتحدث عن فتاة

الشاعر المسماة (برميم) والتي رمت الشاعر في سويداء قلبه ، أيام ولي عهد الشباب ،

حيث جعل هذا الشاعر الاسلام سترا بينه وبين المعاصي ، وكان سائلا يسأل من

رميم هذه التي تحدث عنها الشاعر ، فيكون الجواب في البيت الثاني (رميم التي

١- الخطيب القزويني في الايضاح : ١/٤٠٣ .

٢- أبو حية النمرى : هو الهيثم بن ربيع بن زرارة من بني نعيم بن عامر أبو حية شاعر

مجيد فصيح راجز من أهل البصرة من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية مات

آخر خلافة المنصور سنة ١٥٨ هـ . انظر : الزركلي ، الاعلام : ١١٤/٩ .

٣- الجاحظ ، البيان والتبيين : ١/٦٨ .

قالت ويفصل البيت الثالث نهاية القضية التي أشيرت في البيتين السابقين ، وهي قضية محاولة ايقاع بالشاعر على كبر السن في شرك الحب . فهل نجحت هذه الفتاة ؟ سؤال يطرح نفسه مستقى من البيت الثاني (ضمنت لكم ألا يزال يهيم) فيأتي الجواب : (لقد طال العهد ، ومضى عصر الشباب وولى ، فلم يعد القلب يحتمل مثل هذه المسائل ، وعهد العهد بالنضال (ولكن عهدي بالنضال قديم) فالشيب يطارد ، والا سلام ستر ، ونقاب .

وملاحظ أن هذه الابيات في ترتيبها تمثل شبه كمال اتصال ، والتحليلات السابقة التي ذكرناها من خلال هذا الفصل والذي قبله هي خلاصة ما استطعنا أن نربط به موضوع الفصل والوصل في الكلام ، على أننا لا نشك أن هناك نوط من التعسف في الاحكام ، مع لى لا عطف بعض النصوص لبيان ما ذهبنا اليه من الغرض المطلوب ، والنصوص السابقة تحتمل ما ذهبنا اليه وتحتمل أشياء أخرى ، كالترقيم والوقف ، وتنظيم الفقرات ، وبيان ابتداء المعاني . وانتهاء ، وهذا على أية حال يدخل - ولو من بعيد في قضيتنا ، الصل والوصل ، ويندرج تحت المفهوم العام له .

وكما ذكرنا سابقا : أن اهتمام العلماء والمؤلفين بالعلوم المختلفة ، خاصة علم البلاغة ، جعلهم يتناولون قضية الفصل والوصل من خلال كتبهم على درجات

متفاوتة من مكثر ومن مقل ، كل حسب اجتهاده .

والاشارات في كتبهم تحتاج الى تحليل ، واستنباط وبيان ، وهذا ما

سنقوم به - ان شاء الله تعالى - تحت عنوان مصطلح الفصل والوصل عند العلماء .

الباب الثاني

مصطلح الفصل والوصل

عند العلماء

الباب الثاني

(مصطلح الفصل والوصل عند العلماء)

الفصل الاول : الفصل والوصل عند النحاة .

الفصل الثاني : الفصل والوصل عند النقاد .

الفصل الثالث : الفصل والوصل عند البلاغيين .

الفصل الاول

الفصل والوصل عند النحاة



الفصل الاول

مصطلح الفصل والوصل عند النحاة

(١ - سيويه ٢ - المبرد ٣ - الفراء)

مصطلح الفصل والوصل عند العلماء :

في هذا الفصل سنتتبع الاشارات الواردة في فن الفصل والوصل من خلال كتب العلماء ومؤلفاتهم ابتداءً من العصر العباسي ، اذ في ثنايا هذه الكتب نرى هذا الفن ، وترعرع حتى وصل اليه من الكمال والتمام .

ومن يديه آيات فن من الفنون ، عند ارادة استكمال نشأته ، واستخراج اشاراته من بظون الكتب والتاريخ ، لا بد من اعتماد الترتيب الزمني للمؤلفات ، حتى يتبين المبدع من المتبع والسابق من اللاحق ، وحتى يكتمل البناء في نهايته .

ولا شك أن العلماء يختلفون في تقديم الآراء والاشارات ، فمن أكثر ومن

مقل ، ومن لا يوجد له أي شيء سوى أنه صدى لغيره .

كما أن جوانب التركيز تختلف عندهم ، فعلماء النحو يركزون على القضايا

النحوية ، وأهل البلاغة على القضايا البلاغية ، وأهل اللغة على اللغويات ، والتفسير

على ما هم متخصصون فيه ، إلا أننا لا نعدم وجود اشارات بلاغية حثلا - في كتب النحو ، و اشارات نحوية في كتب البلاغة ، أو التفسير ، وهكذا ، خاصة عند العلماء المتقدمين ، فصفة الشمول تغلب على مؤلفاتهم .

فلا عجب اذا أن نأخذ اشارات بلاغية من ضمن مباحث علماء النحو ، ومن مباحث في التفسير ، وغيرها من المباحث .

وانا علمنا أن الصلات شديدة ، ووثيقة بين علوم العربية أيضا ، أدركنا تداخل الموضوعات ، واختلاطها في الكتب القديمة .

فمن المباحث المشتركة المتداولة حثلا عطف الجمل ، والمفردات والاستئناف والجمل الحالية ، والبدل ، والقطع ، والمناسبة والتناسب الى غير ذلك فنجد مثل هذه الموضوعات تناولتها كتب البلاغة والنحو واللغة والتفسير .

الفضل والوصل عند سيبويه

وأول ما نبدأ به من هذه المؤلفات كتاب (الكتاب لسيبويه) فهو من أوائل

المؤلفات التي وصلت اليها في علوم النحو والصرف والبلاغة .

وعلى الرغم من أن كتاب سيبويه يعتبر كتابا نحويا صرفيا على الاغلب ، إلا

أننا نجد فسي شايها اشارات ، وقضايا تتعلق بمبحث علم البلاغة وفن علم البيان ،

ومع عدم الحصر نجد التشبيه واعجاز الاستعارة .

ومن علم المعاني نجد التقديم والتأخير ، والحذف ، والقصر ، والخبر ،

والانشاء ، والاستفهام ، والفصل والوصل .

وفي فن الفصل والوصل ، وجدناه يتحدث عن مدلول ما سمي بكمال الاتصال

وعطف الخبر على الانشاء والعكس .

وتحدث عن حروف العطف ، والجملة الحالية ، وشبه كمال الاتصال أو ما

يسمى بالاستئناف ، فقد ذكر ما يفيد ذلك من خلال حديثه عن بدل المعرفة من

النكرة . يقول : (أما بدل المعرفة من النكرة فقولك : (مررت برجل عبد الله) كأنه

قيل له بمن مررت ؟ أو ظن أن يقال له ذاك فأبدل مكانه ما هو أعرف منه .

ومثله قوله عز وجل ذكره : (وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله . . .

• (١) •••

وان شئت قلت : مررت برجل عبد الله ، كأنه قيل لك : من هو ؟ أو ظننت ذلك

ومن البدل أيضا : أن تبدل عدة مفردات من اسم جينس جمعي ليس له مفرد كأن

تقول : مررت بقوم عبد الله وزيد وخالد ، والرفع جيد .

وقال الشاعر وهو من بعض الهذليين وهو مالك بن خويلد الخناعي :

يا مَيَّ ان تفقدى توما ولدتهم أو تخلصيهم . فان الدهر خلاص

عمرو وعهد مناف والذي عهدت ببطن عرعر آبي الضيم عباس

والرفع جائز قوي ، لانه لم ينقص معنى ، كما ذلك في النكرة . وأما الذي يجي *

مبتدأ فقول الشاعر وهو مهلهل :

ولقد خبطن بيوت يشكر خبطة أخواننا وهم بنو الاعمام

كأنه حين قال : خبطن بيوت يشكر قيل له : وما هم ؟ فقال : أخواننا

وهم بنو الاعمام .

وقد يكون مررت بعبد الله أخوك . كأنه قيل : من هو ؟ أو من عبد الله ؟

فقال : أخوك .

وقال الفرزدق :

ورثت أبي أخلاقه عامل القرى وعبط المهارى كومها وشبوها

كأنه قيل له : أى المهارى ؟ فقال : كومها وشبوها .

وتقول (مررت برجل الاسد شدة) كأنك قلت مررت برجل كامل ، لأنك أردت

أن ترفع شأنه .

وان شئت استأنفت ، كأنه قيل له : ما هو (١) .

من خلال الامثلة السابقة يتبين لنا ما يلي : نص صراحة على شبه كمال

١- سيبويه ، الكتاب : ١٤/٢-١٧ .
* وقد ذكر بعض هذه الامثلة الاستاذ عبدالقادر حسين في كتابه أثر النحاة

في البحث البلاغي : ٩٦ .

الاتصال ، لوقوع الجملة جوابا على سؤال مقدر وان شئت استأنفت ، كأنه قيل له :
ما هو ؟ .

ان الروايات السابقة ، سواء كان الاسم المهذول مرفوعا أو منصوبا ، فلا استئناف
واقع على الحالتين والا هم من ذلك أن الاستئناف هنا وقع في الجمل .

وفي باب (ما لا يعمل في المعروف الا مضرا) يتحدث أيضا عن الاستئناف
يقول : (وأما قولهم : نعم الرجل عبدالله ، فهو بمنزلة ذهب أخوه عبدالله (عمل
نعم) في الرجل ولم يعمل في عبدالله . واذنا قال : عبدالله نعم الرجل (فهو
بمنزلة : عبدالله ذهب أخوه كأنه قال نعم الرجل :) فقيل له من هو فقال عبدالله ،
واذا قال عبدالله ، فقيل له ما شأنه ؟ فقال : نعم الرجل . . . (١) .

من هذا البيان يظهر لنا : أن سيبويه بين ، أنه اذا عطلت نعم في الرجل
فانها لا تعمل في عبدالله ، وان العامل في عبدالله محذوف مضر - فجمله نعم
الرجل ، مفصولة عن (عبدالله) ليس انفصالا تاما ، بل هناك علاقة رابطة في كون
السند اليه في الجملتين واحد .

وبين سيبويه هذا النوع من الفصل بقوله : ولكنه منفصل منه

كانفصال الاخ منه اذا قلت عبدالله ذهب أخوة .

ويقول فهذا تقدير وليس معنى (١) .

وفي الاستئناف البياني ، تنفصل الجملة الثانية على الاولى مع وجود علاقة

بين الجملتين ، كعلاقة السؤال بالجواب ، وهذا ما يريد سيويه في هذا المثال

وقد نص أيضا على تقدير السؤال الناتج عن الجملة الاولى بقوله : (ما

شأنه ؟ وقوله : (من هو) وهذا ما سمي أخيرا بشبه كمال الاتصال .

وينطبق على شبه كمال الاتصال قوله أيضا باب (هذا باب يحذف منه الفعل

لكثرت في كلامهم ، حتى صار بمنزلة المثل حيث نجد أمثلة تطابق ما يسمى بشبه

كمال الاتصال حيث يقول : (وقد يجوز أن نقول : ألا رجل بالفتح ، أما زيد وأما

عمرو ، كأنه قيل له من هذا المتمني فقال : زيد أو عمرو .

ومثل قول الشاعر :

لبيك يزيد ضارع لخصومة ومختبظ ما يطيح الطوانح (٢) .

وقراءة بعضهم :

(وكذ لك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاءهم (٣) . رفع

الشركاء على مثل ما رفع عليه ضارع (٤) . وهذا مرتبط بقوله تعالى : (يسبح

له ما في السموات) حيث حذف صدر جملة الاستئناف (من يسبح) ؟ يسبح رجال .

- | | |
|-------------------------------|---------------------------------------|
| ١- سيويه ، الكتاب : ١٨٨/٢ | ٢- البهت في كتاب للحارث بن نهيك . وفي |
| ٣- سورة الانعام الآية : ١٣٧ . | الحاشية لنهشل بن حرى نقلا عن الخزانة |
| ٤- سيويه ، الكتاب : ٢٨٨/١ | ١٥٢/١ |

وسبق سيويه في مسألة شبه كمال الاتصال واضح في هذه المسائل .

ومن أهم القضايا التي أثارها سيويه ، والتي لها ارتباط وثيق بفن الفصل والوصل قضية عطف الانشاء على الخبر ، فالذي يبدو أنه أجاز ذلك ، وقد ذكر أمثلة كثيرة في الكتاب توضح هذه النقطة ، ففي باب : (هذا باب ما ينصب فيه الاسم لأنه لا سبيل له أن يكون صفة) يقول :

(واعلم أنه لا يجوز (من عبدالله ؟ وهذا زيد الرجلين الصالحين رفعت

أو نصبت لأنك لا تثني الا على من أثبتته وعلمته ، ولا يجوز أن تخلط من تعلم ومن لا

تعلم فتجعلهما بمنزلة واحدة ، وانما الصفة علم فيمن قد علمته (١) .

فقوله (لا يجوز) منصب على تثنية الصفة اذا كان الموصوفان أحدهما معروفا

والآخر غير معروف ، لا على الجملة الخبرية (هذا زيد) معطوفة على الانشائية (من

عبد الله) وهذا دليل اجازته لعطف الخبر على الانشاء .

ونقل ابن هشام عن أبي خيان : أن سيويه أجاز (جاني زيد ومن عمرو . . .

. (٢) .

وورد مثل هذا أيضا عند الصعدي حيث يقول : (وانما اختلفت الجملتان

في ذلك يكون الفصل بلاغة لا نحو لما ذكره سيويه من جواز عطف الجملتين

١- سيويه ، الكتاب : ٢ / ٦٠ .

٢- المغني : ٢ / ٥٣٥ - ٥٣٦ .

بالاستفهام والخبر مثل : (هذا زيد ومن عمرو ؟ (١) . ومن الشواهد الشعرية التي ذكرها سيويه والتي نستنبط من خلالها جواز عطف الانشاء على الخبر قول القائل :

وقائله خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خلوكما هيا (٢) .

والشاهد : في هذا البيت (أنه رفع خولان . وتقدير الكلام هذه خولان

فانكح فتاتهم وقد ذكر سيويه السبب الذي من أجله لم يجز أن يكون قوله (فانكح

فتاتهم) في موضع خبر خولان (٣) .

والسبب كما جاء في الكتاب : أن المبتدأ (هذه خولان) لا يتضمن معنى

الشرط كما في قولهم (الذي يأتيني فله درهم) قال سيويه : (ألا ترى أنك لو قلت :

الذي يأتيني فله درهم كان حسنا . ولو قلت : (زيد فله درهم لم يجز)

وانما جاز ذلك لان قوله : الذي يأتيني فله درهم في معنى الجزاء فدخلت الفاء في

خبره كما تدخل في خبر الجزاء (٤) .

-
- ١- عبد المتعال الصعيدي ، شرح الايضاح : ٩٢/٢ - ٩٥ .
 - ٢- سيويه ، الكتاب : ١٣٩/١ - ١٤٣ . وانظر : السيرافي ، في شرح أبيات سيويه : ٤١٣/١ . والمغني : ٥٣٥/٢ .
 - ٣- السيرافي ، شرح أبيات سيويه : ٤١٣/١ .
 - ٤- سيويه ، الكتاب : ١٣١/١ - ١٤٠ .

وقال أيضا : (وقد يحسن ويستقيم أن تقول : (اعبد الله فاضربه) اذا
كان مبهضا على مبتدأ مظهرا أو مضمرا فاما في المضمرة فقولك : (هذا زيد فاضربه ..
..... (١)) .

والفا* لا تزداد على نذهب سيبويه (٢) . فالخلاصة في هذا ، أن
جملة (فانكح فئاتهم) وهي انشائية اللفظ والمعنى معطوفة على جملة (هذه خولان)
الخبرية اللفظ والمعنى . والامثلة الاخرى تؤكد جواز عطف الانشاء* على الخبر ضد
سيبويه .

ومن الامثلة القرانية التي ذكرها سيبويه :

قوله تعالى : (السارق والسارقة فاقطعوا ايديهما) والتقدير عنده (فيما
فرض الله عليكم السارق والسارقة أو السارق والسارقة فيما فرض الله عليكم (٣) .
ومن الشواهد الشعرية أيضا قول امرئ القيس :

وان شفا* عبرة معرافة وهل عند رسم دارس من معول (٤) .

واستدل بهذا البيت على جواز عطف الانشاء* على الخبر ، أبو حيان ، ورده

ابن هشام في المغني بقوله : (ورد فهل) فيه مثلها في قوله تعالى : (فهل

يهلك الا القوم الظالمون) (٥) ، (٦) .

-
- ١- سيبويه ، الكتاب : ١/١٣١-١٤٠ . ٤- السيرافي ، شرح أبيات سيبويه :
٢- ابن هشام المغني : ١/١٢٩ . ٤٤٩/١ وانظر سيبويه ، الكتاب :
٣- سورة المائدة ، الآية : ٣٨ . ١٤٢/٢ وانظر ابن هشام ، المغني :
٥- سورة الاحقاف ، الآية : ٣٥ . ٣٣٥-٣٣٦/١
٦- ابن هشام ، المغني : ٢/٥٣٦ .

وكون (هل) نافية يعني أن الجملة انشائية في اللفظ خبرية في المعنى

فتكون من باب عطف الانشائي لفظا فقط على الخبر لفظا ومعنى .

وقد أورد صاحب كتاب (أثر النحاة في البحث البلاغي) في معرض حديثه

عن قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق) . . . (١) .

أن أبا حيان نقل عن سيبويه بأن الواو للعطف حيث قال الكاتب : (. . .) ولكن

أبا حيان ينقل عن سيبويه جواز عطف الجملتين المختلفتين بالا استفهام والخبر مثل :

(هذا زيد ومن عمرو ؟) وقد تكلموا على ذلك في قوله تعالى : (ولا تأكلوا مما لم

يذكر اسم الله عليه وأنه لفسق) وحاصله : أن أهل هذا الفن متفقون على منعه ،

وظاهر كلام النحاة جوازه وقد ساورني الشك في أول الامر على اعتبار أن الواو

في قوله تعالى : (وأنه لفسق) ربما تكون للحال وليست للعطف فكشفت عن الآية في

كل ما وقع تحت يدي من كتب التفسير الرئيسية ، ففتشت في تفسير الطبري ، والكشاف

والقرطبي ، والبيضاوي ، فما وجدت أحدا قد عرض لهذه (الواو) في كونها للعطف

أو للحال ، ولذلك اكتفيت بما نقله أبو حيان عن سيبويه بأن الواو للعطف (٢) .

على أنني بحثت أولا في كتاب سيبويه ، فلم أعثر لهذه الآية على طريق

فهي لم تذكر في الكتاب مطلقا .

١- سورة الانعام ، الآية : ١٢١ .

٢- عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٩٧-٩٨ .

وثانيا في تفسير هذه الآية عند أبي حيان ، فلم أجد عن الواو شيئا ، ولم يذكر أن سيبويه قال شيئا حولها وكل ما ذكره قوله (وانه لفسق) هذه الجملة لا موضع لها من الاعراب ، وتضمنت معنى التحليل فكأنه قيل لفسقه (١) .

وقد ذكر الاستاذ عبد الخالق عزيمة : (ان الواو هنا للاستئناف . وانها تحتمل العطف وهو مذ هب سيبويه قال بالنص : (على أنها تحتمل أن تكون الواو للعطف مع اختلاف الجملتين خبرا وانشا* وهو مذ هب سيبويه) (٢) .

ويتحدث سيبويه عما سمي بـ (كمال الانقطاع) من خلال أسئلة يذكرها في ثنايا الكتاب فيقول : (وسألته - يعني الخليل - هل يكون (ان تأتتا تسألنا نعطك) ؟

(..... والسؤال لا يكون الا تيان ، ولكنه يجوز على الغلط والنسيان ثم يتدارك كلامه . ونظير ذلك في الاسماء* (مررت بوجل حمار) (كأنه نسي ثم تدارك كلامه) (٣) .

وواضح من قوله ان جملة (تأتتا) لا علاقة لها بجملة (تسألنا) لان الاتيان

-
- ١- البحر المحيط : ٢١٣/٤ .
 - ٢- عبد الخالق عزيمة ، دراسات في أسلوب القرآن الكريم : ٥٢٨/٣ .
 - ٣- سيبويه ، الكتاب : ٨٧/٣ .

غير السوأل فلا ارتباط بين الجملتين فبينهما كمال (انقطاع) بسبب الغلط . وان كانت الجملة الاولى لها محل من الاعراب فان المسألة لم تأت بها الا للتمثيل .
ويأتي أيضا بأمثلة كثيرة على كمال الانقطاع ، من ذلك قوله : (ائتني آتاك)
فتجزم على ما وصفنا . وان شئت رفعت على أن لا تجعله معلقا بالاول ، ولكنك تهتدثه وتجعل الاول مستغنيا عنه كأنه يقول : ائتني . أنا آتاك . ومثل ذلك قول الشاعر وهو الاخطل (١) :

وقال رائد هم أرسو نزاولها فكل حتف امرى يمضي بمقدار .

فجملة (نزاولها) بالرفع منفصلة عن جملة (أرسو) لكمال الانقطاع بين

الجملتين ، فالاولى انشائية (أرسو) ، والثانية خبرية .

وقد تكلم بعضهم على هذا الشاهد بأن جملة (أرسو) لها محل من

الاعراب .

ومناط الحديث في هذه المسألة عن الجمل التي لا محل لها من الاعراب

ومحلها مقول القول . وردوا بأن المقصود المحكي لا الحكاية (٢) .

١- يقول صاحب الحاشية عبدالسلام : لا يوجد في ديوان الاخطل .

٢- الكلام منقول من التعليقات على كتاب الايضاح للخطيب القزويني : ١٥٠ .

ومن الامثلة أيضا التي ذكرها قول الانصارى . . . (١) .

يا مال والحق عنده فقفا
توتون فيه الوفا معترفا

كانه قال : انكم توتون فيه الوفا معترفا . فرفع (توتون) على الاستئناف .

وقول معروف (٢) .

كونوا كمن وامس اخاه بنفسه
نعيش جميعا او نموت كلانا

قال كانه قال : كونوا هكذا انا نعيش جميعا او نموت كلانا ان كان هذا امرنا .

ومن الامثلة :

قوله : (لا تدن من الاسد يأكلك) . فهو قبيح ان جزمت وليس وجه كلام

الناس ، لأنك لا ترهد أن تجعل تباعده من الاسد سببا لآكله .

فان رفعت ، فالكلام حسن ، كأنك قلت : لا تدن منه فانه يأكلك (٣) .

وكل هذه الجمل بالرفع على تقدير اخبار لمبتدآت محذوفة كما في قوله : (انكم

توتون) و (نحن نزاولها) ، وغيرها .

وانقطاعها عما قبلها ، لأنها خبرية لفظا ، فهي جمل استئنافية خبرية على

تقدير مبتدأ مقطوع عن الجمل الانشائية لفظا ومعنى .

١- الانصارى : هو عمر بن الاطنابة الانصارى كما في الشنفرى ولم أجد له مرجعا آخر .

٢- معروف : هو معروف الديري أنشد الجاحظ له شعرا في الحيوان .

٣- سيبويه ، الكتاب : ٣ / ٥ - ٩ .

ويتحدث عن الجملة التفسيرية ، وعطف البيان - كما سمي مؤخرا - عند

الحديث عن قوله تعالى : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما ، يضاعف له العذاب يوم

القيامة) . . . (١) .

فيقول : (وسألته - يعني الخليل - عن قول الله عزوجل (ومن يفعل) . . .

الآية . . . فقال : هذا كالأول لأن مضاعفته العذاب ، هو لقي الأثام . ومثل

ذلك من الكلام ، ان تأتتا نحسن اليك نعطك ونحملك تفسر الاحسان بشي* هو هو

وتجعل الآخر بدلا منه (٢) .

فقوله : (يضاعف له العذاب) ، تفسير للأثام ، وعطف بيان ، لأن

الأثام ليست شيئا آخر سوى المضاعفة بالعذاب والخلود فيه .

وأتي بأمثلة أخرى منها قوله : (وسأل الخليل عن قوله : ~~.....~~)

متى تأتتا تلمع بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا . . (٣) .

قال : (تلم بدل من الفعل الاول ، ونظيره في الاسماء* (مررت برجل

عبد الله) فأراد أن يفسر الاتيان كما فسر الاول بالأسم الآخر ومثل ذلك أيضا قوله :

وأشد فيها الاصمعي عن أبي عمرو لبعض بني أسد :

أن يهخلوا أو يهجنوا أو يفدروا لا يحفوا . . (٤) .

٢- سيبويه ، الكتاب : ٣ / ٩٧ . ١- سورة الفرقان ، الآية :

٣- ليس لقائله نسبة في الكتاب . والابيات لبعض بني أسد كما في الكتاب .

٤- سيبويه ، الكتاب : ٣ / ٩٧ .

فقلوه (يخذروا) بدل لا يحفلوا (١) .

وتحدث سيبويه عن (مصطلح الغصل والوصل) من خلال الامثلة التي ذكرها

في كتابة عند حديثه عن الفواصل في باب (ما يحذف من أواخر الاسماء في الوقف)

..... (٢) .

فقد عرف الفواصل من خلال الامثلة بقوله (فالفواصل قول الله (عزوجل) :

(والليل اذا يسر)..... (٣)

وقوله : (ذلك ما كنا نبغ) (٤) ، (يوم التتاد) (٥) .

(الكبير المتعال)..... (٦) .

فالفاصلة عنده تقع عند تمام الكلام ، كما هو واضح من التمثيل ، وغالبا ما

يقع تمام الكلام في رؤوس الآي كما في تمثيله و(الليل اذا يسر) .. (يوم التتاد)

(الكبير المتعال) ويقع في غير رؤوس الآي كما في قوله تعالى .. (ذلك ما كنا نبغ) .

١- سيبويه الكتاب : ٣/٩٧ .

٢- نفس المصدر السابق : ٤/١٨٥ .

٣- سورة الفجر ، الآية : ٤ .

٤- سورة الكهف ، الآية : ٦٤ .

٥- سورة غافر ، الآية : ٣٢ .

٦- سورة الرعد ، الآية : ٩ .

وربما يظن ظان (أن سيبويه قصد الى تعريف الفاصلة القرآنية ، التي هي
كما يقول الزركشي (كلمة آخر الآية) . . . (١) . ، والصواب أن ذلك ليس مراده
وينبغي أن يكون مراده الفاصلة القرآنية .

ويقول الجعبري : ومراده - أي سيبويه - الفواصل اللغوية لا الصناعية . . .

• (٢) • • • •

ولعل أبا عمرو الداني خير من يوضح مراد سيبويه بالفواصل ، وذلك من
خلال تعريف أبي عمرو الفاصلة فيقول : (كلمة آخر الجملة) وفرق - كما هو واضح
من خلال كلامه - بين الفواصل وروءوس الآيات قال : أما الفاصلة : فهي الكلام
المنفصل عما بعده .

والكلام المنفصل ، قد يكون رأس آية ، وغير رأس آية . . . وكل رأس آية
فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية .

فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين . ولا جل كون معنى الفاصلة هذا ،
ذكر سيبويه في تمثيل القوافي (يوم يأت) و (كما نبخ) وهما غير رأس آيتين باجماع
صح : اذا يسر ، وهو رأس آية باتفاق . . . (٣) .

فالفاصلة عند سيبويه بمعنى الفاصل تماما (والفضل - وهو ما عناه أهل

-
- ١- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٥٣/١ .
 - ٢- الزركشي ، البرهان : ٥٤/١ ، السيوطي ، الاتقان : ٩٦-٩٧/٢ .
 - ٣- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٥٤/١ .

هذا الفن فيما يعد بالمدلول الاصطلاحي للفصل - وهو أن يكون الكلام منفصلا عما بعده لسبب من الاسباب المعروفة ، اما (لكمال الانقطاع) أو الاتصال أو شبههما .
وكلمة فصل ضد سببويه ، أعم من مدلولها الاصطلاحي عند أهل الفصل والوصل البلاغيين ، حيث يدخل فيه معنى الاستئناف أيضا .

وهذا نستنبطه من تشبيهه بقوله تعالى : (ذلك ما كنا نبغ) فما بعد هذا المقطع من الآية الكريمة ، ينفصل عنها بقاء الاستئناف ، وهو قوله تعالى : (فارتدا على آثارهما قصصا) .

أما الاستشهاد بالآيات الأخر ، وعلاقة كل جملة بما بعدها ، فيصدق تماما على معنى الفصل الاصطلاحي عند تحليلها على ما يقتضيه هذا الفن ، فمثلا قوله تعالى : (والليل اذا يسر) جملة انشائية غير طلبية بمعنى الخبر تنفصل ما بعدها - لهذا السبب - عنها . وهي قوله تعالى : (هل في ذلك قسم لذي حجر . . .) (١) .
لأن الآية الثانية استغماية لفظا ومعنى فالفصل اذا واقع لكامل الانقطاع .
وفي قوله تعالى : (يوم التناد) ينفصل ما يليها من الآية عنها لأنها أى الآية التالية - غطف بيان لها ، فكان الآية الثانية تبين وتفسر طبيعة هذا اليوم ، وتبسط مجمل القول في (يوم التناد) . والآية هي قوله تعالى : (يوم تولون مدبرين) (٢)

١- سورة الفجر ، الآية : ٥ .

٢- سورة ظفر ، الآية : ٣٤ .

وهذا الانفصال في الاصطلاح لكامل الاتصال . وأما في قوله تعالى:

(الكبير المتعال) ، فما بعدها يأتي قوله تعالى : (سوا منكم من أسر القول ومن جهر به ، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله . .) (١) . فسيب الفصل واضح ، وهو كون الثانية جملة معترضة بين قوله تعالى (الكبير المتعال) وقوله : (هو الذي يرهم البرق خوفا وطمعا وينشأ السحاب الثقال) (٢) .

وإذا ثبت هذا القول ، يكون سببوه ، من أوائل من تكلم عن الفصل بمعنى

قريب جدا عن معناه الاصطلاحي عند علماء المعاني .

ويحاول أحد الكتاب المعاصرين ، أن يخصص ما قاله سببويه ، ويقصره على

تعريف الفاصلة القرآنية الاصطلاحية ، وذلك بقوله : (ان سببويه : وهم عند ادراج قوله تعالى : (ذلك ما كنا نبغ) عند التمثيل للفواصل ، وقوله بالنص .

(أما استشهاد سببويه بقوله تعالى : (ذلك ما كنا نبغ) على أنه

الفواصل ، فمشكلة أخرى ، لانه ليس رأس آية بحق ، ولكن شاهد واحد من أربعة

شواهد ، ثلاث فيها رؤوس آي . فهل وهم سببويه ؟ وهذا ليس أول وهم له) (٣) .

١- سورة الرعد ، الآية : ١٠ .

٢- سورة الرعد ، الآية : ١١ .

٣- محمد الحسناوى ، الفاصلة في القرآن الكريم : ٣٦ .

الفصل والوصل عند المبرد .

وإذا نقلنا الحديث للكلام عن المبرد امام أهل بغداد في النحو ، نجد أنه ذكر بعض القضايا التي لها مساس وعلاقة بموضوع الفصل والوصل ، فقد تحدث عما سمي بشبه كمال الاتصال ، وتحدث عن كمال الانقطاع ، وبين عطف البيان في الجمل والمفردات ، وتحدث عن أهمية الواو ، وذكر لذلك أمثلة في ثنايا كتابه المقتضب والكامل .

وسنذكر منها بعض الشيء* . ففي حديثه عما يسمى بشبه كمال الاتصال ، يقول المبرد : (فان قلت هذا درهم ضرب الامير - لم يجز أن يكون نعتا ، لأن الفكرة لا تتمتعن بالمعرفة ، ولكن بين ، كأنك جعلته جوابا لما قلت هذا درهم قيل ما هو ؟ فقلت : الامير على الابتداء* والخبر . . .) (١) .

فقوله (ضرب الامير) عند المبرد ، خبر لمبتدأ محذوف ، والجملة منفصلة عما قبلها ، كأنغصا ل الجواب عن السؤال . وهذا شبه كمال الاتصال عند علماء البلاغة .

ويتحدث أيضا عن ذلك في باب (ما وقع من الافعال للجنس على معناه)

نعم ، بشئ ، يقول في قول القائل : (نعم الرجل زيد) .

وأما قولك : زيد وما أشبهه ، فإن رفعه من ضربين : أحدهما : انك لما

قلت : نعم الرجل فكان معناه محمود في الرجال ، قلت : زيد على التفسير كأن

قيل : من هذا محمود ؟ فقلت : هو زيد (١) .

وينص على كلمة الاستئناف بمثال من القرآن عند قوله تعالى : (لا فارض

ولا بكر ، عوان بين ذلك) . . . (٢) .

قال المبرد (لا فارض ولا بكر هو تمام الكلام فلما استأنف ؟ قال : (عوان

بين ذلك) (٣) .

فتمام الكلام ، الكلام عند قوله (ولا بكر) يتضمن سوآلا هو : اذا لم تكن

فارضا ولا بكرا فماذا تكون ؟ اذن يأتي الجواب (عوان بين ذلك) وهذا هو شبه

كمال الاتصال ، أو كما سماه المبرد الاستئناف .

وتحدث المبريد أيضا عن ذلك من خلال مسألته مع الفيلسوف الكندي أبي

يوسف ، وجواب المبريد عن قوله : (اني أجد في كلام العرب حشوا ، يقولون :

عبدالله قائم ، وان عبدالله قائم . وان عبدالله لقائم ، والمعنى واحد . والمعنى

عند المبريد مختلف ، فيعبدالله قائم ، اخبار عن قيامه ، وان عبدالله قائم ، جواب

عن سوآل سائل ، وان عبدالله لقائم ، جواب عن انكار منكر . . (٤) .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٦٨ .

١- المبريد المقتضب : ١٤٢٩/٢ .

٤- الصعدي ، شرح الايضاح : ١/٤٥٥ .

٣- المبريد ، الكامل : ١/١١٦ .

والشاهد في قوله : (ان عبدالله قائم) جواب عن سؤال سائل) .

فالسؤال سواء كان مقدرا ، أو ظاهرا . والجواب عن ذلك السؤال ، هو مدار الحديث في شبه كمال الاتصال عند علماء المعاني .

ويتحدث عن الجملة التفسيرية ، وهي من مواطن كمال الاتصال ، عند قوله

تعالى : (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) . . . (١) . قال المبرد : قوله (يضاعف

له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) فجزم (يضاعف) لانه بدل من قوله

(يلق أثاما) اذا كان اياه في المعنى . . . (٢) .

ويتحدث عن عطف البيان في المفردات فيقول في معرض حديثه عن النداء

عند قول الشاعر :

اني وأسطار سطرن سطرنا
لقاتل يا نصر نصر نصــــرا

قال : فمن قال : نصرنا نصرا ، فانه جعل المنصوبين تبيانا لضموم وهو

الذي يسميه النحويون عطف البيان وتقديره تقديرا قولك . . . يا رجل زيـدا

أقبل ، جعلت زيـدا بيانا للرجل . . . (٣) .

وعطف البيان في الجمل ، انما هو قياس على وجوده في المفردات .

وفي مثل قولهم : (يا زيد عمرو ويا تميم تميم عدى) يقول : فالاجود في هذا أن

١- سورة الفرقان ، الآية : ٦٩ .

٢- المبرد ، الكامل : ٤/٢ .

٣- المبرد ، المقتضب : ٤/٢٠٩ .

تقول : يا تميم تميم عدى ، فترفع الاول ، لأنه مفرد ، وتنصب الثاني لأنه مضاف .

وان شئت كان بدلا من الاول وان شئت كان عطا عليه عطف بيان (١) .

وتقول : (يا هذان ، زيد وعمرو ، وان شئت قلت زيدا وعمرا ، أما الرفع

بتتوين فعلى البيان على اللفظ ، وأما قولك : زيدا وعمرا ، فعلى عطف البيان على

الموضع (٢) .

وتناول المبرد الحديث عن الجمل التي لها محل من الاعراب ، والتي لا

محل لها من الاعراب .

ونلمح ذلك من خلال حديثه عن قول الشاعر كعب بن جعيل :

أرى الشام تكره ملك العراق وأهل العراق لهم كارهينا

قال المبرد : (ومن قال وأهل العراق لهم كارهينا) فالرفع من وجهين

أحدهما : قطع وابتداء ، ثم عطف جملة على جملة بالواو ، ولم يجعله على (أرى) ولكن

كقولك : (كان زيد منطلقا) وعمرو منطلق الساعة) خبرت بخبر بعد خبر . . (٣) .

فقوله ثم عطف جملة على جملة بالواو ، ففي حالة الرفع يفيد أن العطف

عندئذ واقع بين جملتين لا محل لهما من الاعراب ، أولهما جملة (أرى الشام) والثانية

جملة (أهل العراق) ، فالجملة الاولى ابتدائية لا محل لها من الاعراب ، والثانية

١- المبرد ، المقتضب : ٢٢٧/٤ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢٦٥/٤ .

٣- المبرد ، الكامل : ١٩١/١ - ١٩٢ .

معطوفة على الابتدائية ، فالعطف حينئذ كأنك تخبر خبرا بعد خبر بينهما مناسبة
 ما ، أما قوله (ولم يجمله على أرى) فمفادها أنه في حالة حمل الجملة على (الشام
 نكرة) ، تكون من باب عطف الجمل التي لها محل من الاعراب وهو النصب على
 المفعولية لجملة (أرى) والواو عاطفة وجملة أهل العراق لهم كارهينا (بالنصب
 عندئذ معطوفة على جملة (الشام) والمعطوف على المنصوب منصوب ، والاولى لها
 محل من الاعراب أشركت الثانية فيه .

ولتوفر المناسبة بين الجملتين نعتبرها من باب التشريك بين الجمل ، وهو
 موطن من موطن الوصل بين الجمل ، أي : أن يكون للجملة الاولى حكم اعرابي يراد
 اعطاؤه للجملة الثانية فتعطف عليها بالواو .

كما نراه يتحدث عن العطف بين الجمل في باب (الفعل بعد ان وانقطاع
 الاخر من الاول) قال : (اعلم أنك اذا أردت بالثاني ما أردت بالاول من الاجراء
 على الحرف ، لم يكن الا نسوقا عليه تقول : أريد أن تقوم فتضرب زيدا ، وأريد
 أن تأتيني وتكرمني ، وأريد أن تجلس ثم تتحدث يا فتى) .

ومعنى ذلك : أننا اذا أردنا أن نشرك الجملة الثانية في حكم الجملة الاولى
 عطفا عليها بالواو أو أى حرف نسق ، وان لم نرد ذلك ، وجب ترك العطف .

قال : (فان كان الثاني خارجا عن معنى الاول كان مقطوعا مستأنفا

وذلك قولك (أريد أن تأتيني فتقعد) (وأريد أن تكرم زيدا) فتبينه) فالمعنى

أنه لم يرد الاهانة ، انما أراد الاكرام ، فكأنه في التمثيل : (أريد أن تكرم زيدا)

فاذا أنت تهينه (وأريد أن تأتيني فاذا أنت تقعد عني (١) .

ويتحدث المبرد عما سمي بكامل الانقطاع ، وذلك في معرض حديثه عن

الجملة التي تأتي بعد النكرة أو المعرفة .

ويقصد بذلك جملة الصفة ، وجملة الحال ، وأنه لا بد من رابط ، اما

الضمير ، واما الواو وكلاهما فيقول :

(ومثل هذا من الجمل قولك : مررت برجل أبوه منطلق ولو وضعت في

موضع رجل معرفة لكانت الجملة في موضع حال ، فعلى هذا تجرى الجملة .

واذا كان في الثانية - الجملة الثانية - ما يرجع الى الاول ، جاز الا

تعلق به بحرف العطف ، وان علقته به فجيد ، واذا كان الثاني لا شيء فيه

يرجع الى الاول ، فلا بد من حرف العطف ، وذلك قولك : (مررت برجل زيد خير منه)

(وجاءني عبدالله أبوه يكلمه) (وان شئت قلت : وزيد خير منه وأبوه يكلمه) بالواو

وهي حرف عطف .

فأما اذا قلت : (مررت بزهد عمرو في الدار) فهو محال الا على قطع خبر ،

واستئناف آخر . فان جعلته كلاما واحدا ، قلت : مررت بزهد وعمرو في الدار)

وهذه الواو التي يسميها النحويون واو الابتداء ومعناه (ان) . . . (١) .

والشاهد الذي أريد ، في قوله (مررت بزيد عمرو في الدار) فانه لا صلة بين الجملتين البتة فيبينهما كمال انقطاع ، وهذا ما عبر عنه المبرد بقوله (فهو محال الا على قطع خبر واستئناف آخر فالمبرد وان لم يسم المسألة (كمال انقطاع) ، فانه جاء بما يوافق هذا الاصطلاح في المعنى .

وليس في العبارة الاخيرة ما يوضح أن المبرد يتحدث عن التوسط بيسن الكمالين كما ادعى عبدالقادر حسين حيث يقول معلقا على العبارة بقوله :

(واضح من العبارة الاخيرة من كلام المبرد أنه يتحدث عن كمال الانقطاع

وعن التوسط بين الكمالين) . . . (٢) .

فأنا أوافق في الشق الاول من القول وهو كون المبرد يتحدث عن كمال

الانقطاع من خلال المثال الذي ذكره ، وأخالفه في أن الجملة أيضا (مررت بزيد

وعمر في الدار) توسط بين الكمالين فالمقصود من قول المبرد أن الواو واو الحال

وهي، هي التي سماها المبرد واو الابتداء ، وعبر عن ذلك بقوله : (فان جعلته

كلاما واحدا ، قلت : مررت بزيد وعمر في الدار) ، وهذه الواو التي يسميها النحويون

واو الابتداء ، ومعناها (ان) .

١- المبرد ، المقتضب : ١٢٥/٤ .

٢- عبدالقادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي : ٢٠٤ .

ويتأكد هذا الفهم عندى ، عندما رجعت الى كتاب دراسات في أسلوب
القرآن الكريم حيث ذكر واو الحال تسمى واو الابتداء* ، وتقدر (بان) عند سيبويه
والمبرد .

وفي المعنى يقدرها سيبويه والاقدمون (يانـ) ولا يريدون أنها بمعناها
ان لا يراد الحرف الاسم بل انها وما بعدها قيد للفعل السابق كما أن (ان)
كذلك (١) .

وفي حاشية المقتضب يبين المحقق أن مراد المبرد بالواو واو الحال . .
. . . (٢) .

فأقول بأن الواو للعطف ، وأن المثال من باب التوسط بين الكمالين وهم
لا أساس له من الصحة .

ويذكر المبرد أن الخبر يأتي على صورة الانشاء* حيث يقول : (فأما قولك
غفر الله لزيد ، ورحم الله زيدا) ونحو ذلك فان لفظة لفظ الخبر ومعناه الطلب
وانما كان كذلك ليعلم السامع أنك لا تخبر عن الله عزوجل وانما تسأله . . . (٣) .

١- عبد الخالق عضيمة دراسات في أسلوب القرآن الكريم : ٣/٥٩٣ .

٢- المبرد ، المقتضب : ٤/١٢٥ .

٣- نفس المصدر السابق : ٢/١٣٢ .

ويتحدث عن حرف العطف الواو ، ويتبين من الامثلة انه لمطلق الجمع
 وأنه لا يفيد ترتيباً ولا تعقيباً فيقول : (فاذا قلت : ادخلوا الاول والاخر والصغير
 والكبير فالرفع لأن معناه ادخلوا كلكم . فهذا لا يكون الا مرفوعاً ولا يكون الا
 بالواو ولأن الفاء تجعل شيئاً بعد شيء * ، والواو تتصل على معنى قولك كلكم ، الا
 ترى أنك تقول : مررت بهزيد أخيك وصاحبك (فتدخل الواو على حد قولك (بهزيد
 العاقل الكريم) وكذلك (بهزيد العاقل والكريم) (ولو قلت : العاقل فالكريم أو العاقل
 ثم الكريم لخبرت أنه استوجب شيئاً بعد شيء *) . . . (١)

وللتناسب حظ عند المبرد أيضاً ، وهو من الموضوعات الداخلة في الفصل
 والوصل ، وقد ذكره المبرد في الكامل قال : (وحدت أن الكمية بن زيد ، أنشد
 نصيباً ، فاستمع له ، فكان فيما أنشده :

وقد رأينا بها حورا منعمة بيضا* تكامل فيها الدل والشنب

فتنى نصيب خنصره ، فقال له الكمية : ما عنى ؟ فقال : أحصى خطأك ،

تباعدت في قولك تكامل فيها الدل والشنب ، هلا قلت كما قال ذو الرمة .

لمياء* في شفتيها حوة لعس وفي اللثات وفي أنيابها شنب

. قال أبو العباس : والذي عابه نصيب من قوله تكامل فيها الدل والشنب

قبیح جدا ، وذلك أن الكلام لم يجر على نظم ، ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها
 وأول ما يحتاج إليه القول ، أن ينظم على نسق ، وأن يوضع على رسم المشاكلة . . (١) .
 وواضح أن المبرد يتحدث عن التناسب بين الكلمة وجارتها من جهة المعنى
 فكلمة الدل لا تناسب كلمة الشنب ، فهذه من الدلال ، وتلك من البرودة في الاسنان .
 أما اللثات والانياب ، فالتقارب في المعنى مقبول جدا . بل هو المناسب
 في هذا الموطن .

وقال أيضا : (وخبرت أن عمرا بن لجا قال لابن عم له : أنا أشعر منك
 قال له : وكيف ؟ قال : لأنني أقول البيت وأخاه ، وأنت تقول البيت وابن عمه وأنشد
 لابي عمرو بن بحر (الجاحظ) :

وشعر كعمر الكبش فرق بينه ————— لسان دعي في القريض د خيل . . (٢) .
 وكأن هذا البيت شاهد على أن من الشعر ما يقع مختلفا لا يستجاد ، ومنه
 ما يقع موثقا حسن النظم والمعنى .

ولا شك أن هذه القضية أثارها الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) وهو
 أول من ذكر هذه الأشعار ، وعنه أخذت وعن غيره من الكتاب .

١- المبرد ، الكامل : ١ / ٣٣٥ - ٣٣٧ .

٢- نفس المصدر السابق : ١ / ٣٣٦ .

الفصل والوصل عند الفراء .

ومن علماء نحو البصرة الممثلين بسيبويه ، ننتقل الى علماء نحو الكوفة
 لننظر هل تكلموا من خلال كتبهم عن الفصل والوصل ، وذلك من خلال الكتاب
 المنسوب الى الفراء بعنوان معاني القرآن ، وهو في جملة كتاب يحتوى على آراء
 في التفسير والنحو والبلاغة .

ففي ثنايا الكتاب نجد الفراء قد ذكر ما يفيد شبه كمال الاتصال ، وذلك

عند حديثه على قوله تعالى : (أتخذنا هزوا قال . . .) (١) .

قال الفراء : (وهذا في القرآن الكريم كبير بغير الفاء ، وذلك لأنه جواب

يستغني أوله عن آخره بالوقفه عليه ، فيقال : ماذا قال لك ؟ فيقول القائل : قال :

كذا وكذا . . . فكان حسن السكوت يجوز به طرح الفاء ، وانت تراه في رؤوس الآيات

فصول - حسنا - من ذلك : (قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا) . . . (٢)

ومثل أيضا بقوله تعالى : (قال فرعون لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب

آبائكم الا وليسن) . . . (٣) .

١- سورة البقرة ، الآية : ٦٧ ، الفراء ، معاني القرآن : ٤٤ / ١ .

٢- سورة الذاريات ، الآية : ٣١-٣٢ .

٣- سورة الشعراء ، الآية : ٢٥-٢٦ .

ويذكر أبياتا شعرية أيضا بقوله وأنشدني بعض العرب :

لما رأيت نبطا أنصارا شمعت عن ركبتي الأزار

كنت لها من الانصار جارا (١) .

فكأن سائلا يسأله ما سبب تشميرك عن ركبتيك ؟

وفي تفسير قوله تعالى : (ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب) (٢) .

يشدث الفراء عن شبه كمال الاتصال فيقول : (لما أتوه أخبروه أن قومهم هالكون من

غد في الصبح فقال لهم لوط : الآن الان ، فقالت الملائكة : أليس الصبح بقريب . .

..... (٣) .

فجملة (أليس الصبح بقريب) عند الفراء جواب عن سؤال ناتج من الجملة

الاولى ، وهي (أن موعدهم الصبح) وهذا هو شبه كمال الاتصال عند علماء المعاني

ويحتمل الظرف الان أن يكون معمولا لسؤال مقدر : لم لا ينزل العذاب بهم الان ؟

والفصل عندئذ يكون لشبه كمال الاتصال .

ويمكن تقدير عامل الظرف جملة طلبية ، فيكون الفصل بين الخبر والانشاء

في المعنى ، وهذا من كمال الانقطاع والتقدير افعلوا الان .

١- الفراء ، معاني القرآن : ١ / ٤٣-٤٤ . وانظر: عبد القادر حسين ، أثر النحاة

في البحث البلاغي : ١٤٤ .

٢- سورة هود ، الآية : ٨٨ .

٣- الفراء ، معاني القرآن : ٤ / ٢٤ .

ويتحدث الفراء عن ما سعي بكمال الاتصال ، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى :

(ويزبحون أبناءكم ..) (١) في سورة ابراهيم وقوله تعالى : (يذبحون أبناءكم)

(٢) بدون الواو في سورة البقرة يقول : (فعنى الواو أنهم يمسه العذاب غير

التذبيح ، كأنه قال يعذبونكم بغير الذبح وبالذبح ومعنى طرح الواو كأنه تفسير

لصفات العذاب (٣) .

فجملة (يذبحون أبناءكم) بدون الواو ، جملة تفسيرية ، وعطف بيان لقوله

تعالى : (يسومونكم سوء العذاب) فهي تفسير لهذا العذاب لذلك ترك العطف

بالواو . . . لتتزيل الجملة الثانية من الاولى منزلة عطف البيان ، وهذا ما نص عليه

علماء المعاني فيما بعد واعتبروه سببا من أسباب كمال الاتصال .

ولم يكتب الفراء بهذا المثال فحسب ، بل وضع قاعدة لهذه القضية فيقول

: (واذا كان الخبر من العذاب أو الثواب مجملا في كلمة ، ثم فسرت ، فاجعله بغير

الواو ، واذا كان أوله غير آخره ، فاجعله بالواو .

ويضرب الامثلة على ذلك فيقول : (فمن الجمل : قول الله عزوجل (ومن

يفعل ذلك يلق أثاما) . . . (٤) فالأثام فيه نية العذاب قليلة وكثيرة ، ثم فسره

١- سورة ابراهيم ، الآية : ٦٠

٢- سورة البقرة ، الآية : ٤٩

٣- الفراء ، معاني القرآن : ٦٨/١ - ٦٩

بغير الواو فقال : (يضاعف له العذاب يوم القيامة) ولو كان غير مجمل لم يكن ما
 ليس به القيامة تفسيرا له ألا ترى أنك تقول : (عندي دابتان بغل وبردون) ولا
 يجوز (عندي دابتان وبغل وبردون) وأنت تريد تفسير الدابتين بالغل والبردون
 . (١) (٠٠)

وفي أثناء الكتاب نجد أمثلة كثيرة تدل على ما ذهب إليه الفراء بهذا

الخصوص فمن ذلك :

- قوله في تفسير قوله تعالى : (فلينظر الانسان الى طعامه أنا) . (٢) .
 وأنا قد قرى بها فمن فتح نوى أن يجعل أن في موضع خفض وجعلها تفسيرا للطعام
 وسببه كأنه قال : (فلينظر الانسان الى طعامه ، ومن كسّر نوى الانقطاع (٣) .
 فحركة همزة (ان) تحدد اتصال الكلام أو انفصاله فإذا اعتبرنا أنها
 مفتوحة فالمصدر المؤول منها وما دخلت عليه بيان للطعام وكيفية نشوءه ، وهذا من
 كمال الاتصال (في المفردات وان كسرت همزة (ان) كانت الجملة مستأنفة جديدة
 وهذا من كمال الانقطاع ، لأن الجملة انشاء ، والثانية خبر ، عندئذ .

١- الفراء ، معاني القرآن : ٦٩/٢ ، وانظر: عبدالقادر حسين ، أثر النحاة في
 البحث البلاغي : ١٤٣-١٤٤ . ما ليس به : على معنى اذا كان الاول نفس الثاني
 يكون تفسيرا ، وانما لم يكن هو ، لا يكون تفسيرا له (الباء في به زائدة) أي
 ما ليس هو أي ما ليس عين الاول من ناحية المعنى .

٢- سورة عبس ، الآية : ٢٤ .

٣- الفراء ، معاني القرآن : ٨/١ .

وذكر أيضا قوله تعالى : (ولقد مننا عليك مرة أخرى (١)) .

وقال : (وقد فسر الله هذه المنة الاخرى ان قال : (ان أوحينا الى أمك ما يوحي

أن اقد فيه في التابوت فاقد فيه في اليم) (٢)) .

ولعله يقصد بهذا ما يسمى (العلة بقوله تفسير ما يسمى بشبه كمال الاتصال

فانما انتهت الجملة عند قوله تعالى : (أخرى) ينشأ سؤال تقديره (متى كانت هذه

المررة الاخرى ؟ فيقال (ان أوحينا) والتقدير الاخر هو : أن يكون الكلام متصلا

بعضه ببعض ان العامل في الظرف هو الفعل (مننا) فالكلام على هذا التقدير جملة

واحدة .

ومثله قوله تعالى : (وانما تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين

كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم

النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير) (٣)) .

الجملة (أفأنبئكم) ينشأ عنها سؤال يصفه الطلب وهو (نبأنا) فيكون النار

وعدها ، ، والسؤال الناتج طلبي (نبأنا) والنار جواب لهذا السؤال

فلا انفصال من وجهين اما بطريق الخبر والانشاء واما من باب شبه كمال الاتصال .

١- سورة طه ، الآية : ٣٧ .

٢- الفراء ، معاني القرآن : ١٧٩/٢ .

٣- سورة الحج ، الآية : ٧٢ .

قال الفراء: (وقوله : (النار وعدّها الله) ترفعها لأنها معرفة فسرت الشر وهو نكرة كما تقول (مررت برجلين أبوك وأخوك) ولو نصبتهما بما عاد من ذكرها ونويت بسها الاتصال بما قبلها كان وجها والوجه الرفع) (١)

وذكر أيضا قول الشاعر . . . (٢) . . .

إذا مت كان الناس نصفين شامت وآخر من بالذي كت أفعال

قال الفراء: ابتداء الكلام بعد النصفين ففسره وأراد بعض شامت وبعض

غير شامت . . . (٣) . . . وهذا من شبه كمال الاتصال .

ويتخذت أيضا عما يسمى عند أهل المعاني بكمال الانقطاع فيقول عند تفسيره

قوله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة

والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيت وما ذبح على نصب وأن

تستقسوا بالالزام ذلكم فسق ، اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون

. (٤)

والكلام منقطع عند الفسق و (اليوم) منصوب بيئس لا بالفسق (٥)

١- الفراء ، معاني القرآن : ٢ / ٢٢٠ .

٢- قيس أبي العجبر السلولي من شعراء الدولة الاموية ، الحاشية : ١٩٢ .

٣- الفراء ، معاني القرآن : ١ / ١٩٢-١٩٣ .

٤- سورة المائدة ، الآية : ٣ .

٥- الفراء ، معاني القرآن : ١ / ٤٧١ .

فقول الفراء (الكلام منقطع عند الفسق ، يدل على أن المعنى قد تم وإذا

نظرنا الى ما بعده من الكلام ، نجده منفصلا تمام الانفصال عن سابقة ، فهو من

باب كمال الانقطاع فليس هناك رابط نحوي معين بين جملة (اليوم يئس) وجملة

(ذلكم فسق) وبهذا يكون الفراء قد نص أيضا على وجود معنى (كمال الانقطاعين

الجملة والذي عبر عنه هنا بقوله (والكلام منقطع عند الفسق) ويشير الى ذلك في

مكان آخر عند قوله تعالى (ولا يحزنك قولهم ان العزة لله) . . . (١) .

قال الفراء : (المعنى الاستئناف ولم يقولوا هم ذلك فيكون حكاية) . . (٢) .

ولا شك من أن ما بين الجملتين كمال انقطاع من جوانب عدة ، من جهة الانشأ

والخبر ، فالاولى انشائية ، والثانية خبرية ، ومن جهة الاسناد فالمسند اليه في

الاولى غير المسند اليه في الثانية ، ومن جهة المعنى ان لو قلنا بالوصل بين الجمل

لكان (ان العزة لله) من مقول الكافرين وليس كذلك .

وقد عبر عن كمال الانقطاع هنا بقوله (المعنى الاستئناف) . ويتعرض

الفراء للحديث عن المناسبة أو الجامع بين الجمل فيقول (فاذا رأيت الفعل منصوبا

وبعده فعل قد نسق عليه بواو أو فاء أو ضم ، أو أو ، فان كان يشاكل معنى الفعل

١- سورة يونس، الآية : ٦٥ .

٢- الفراء ، معاني القرآن : ٤٧١/١ .

ان العزة لله : ليست محكية عنهم فكلامهم انقطع عند قوله فلا يحزنك قولهم ،
ويمكن حمل هذا على شبه كمال الاتصال (لم لا يحزنني ؟ كيف لا يحزنني ؟ وتأتي
أن كثيرا في صدر الجملة التعليلية .

الذي قبله نسقته عليه ، وان رأيته غير مشاكل لمعناه استثناءً نفته فرفعت (فمن المنقطع .
 . . . قول الله عزوجل (والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات . .
 . . . (١) . رفعت (ويريد الذين) لأنها لا تشاكل (أن يتوب) ألا ترى أن ضمك
 اياها لا يجوز فاستأنفت أو رددته على قوله (والله يريد . . . (٢) .

تعطينا هذه القضية أنه اذا كان هناك تشابه بين الجملتين كانت الحروف

للعطف وان لم يكن هناك تشابه أو تشاكل كانت الحروف للاستئناف .

ان القاعدة المعتبرة في العطف بين الجمل هي : أن يكون هناك مناسبة

بين المسندين والمسند اليها في كلتي الجملتين ، فان لم يتوفر ذلك وقع الفصل

على أى شكل من أشكاله سواء كان بحرف استئناف ، أو بدونه ، أو نهجت للجملـة

عما يشاكلها ويناسبها في سياق الكلام ونعطفها عليه ، وهذا ما أشار اليه الفراء

في قوله (لانها لا تشاكل) وهي قضية من قضايا الفصل والوصل .

ومن أمثله أيضا قوله تعالى : لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء قال استأنف

(ونقر) ولم يرد ها على (لنبين) .

ويتحدث عن اختلاف الجملتين المتعاطفتين وذلك عند قوله تعالى : (ان

الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله (٣) .

١- سورة النساء ، الآية : ٢٧ .

٢- الفراء ، معاني القرآن : ٦٨/٢ .

٣- سورة الحج ، الآية : ٢٥ .

قال الفراء (رد يفعلون على فعلوا - أى المضارع على الماضي - لأن معناهما كالواحد في (الذى) وغير الذى . . . وردك يفعلون على الماضي فعلوا لانك أردت (ان الذين كفروا يصدون) بكفرهم واد خالك الواو كقوله : (وليبعضوه وليقتروا)
 أضرت فعلا في الواو مع الصد كما أضرت هـ هنا - يعنى في وليبعضوه) . . . (١) .
 من هذه المقالة ، يتبين لنا ، أن الاحسن عند الفراء أن يعطف المضارع على المضارع ، والماضي على الماضي ، والجملة الاسمية على مثلها ، وحتى يكون العطف متجانسا هنا ، قدر الكلام على اضمار فعل كأن يقول : (ان الذين كفروا يخالفون ويصدون (٢)) .

وفي فن الفصل والوصل : الجملتان المتعاطفتان أحسن ما تكون أحوالهما اذا كانتا متفتحتين خبرا وانشا لفظا ومعنى ، بالإضافة الى الاتفاق في الدلالة الزمنية مضارعة كانت ، أو ماضية ، أو استقبالا .

ولا يحسن الخروج عن ذلك الا لعللة أو نكتة ، وبين هذه النكتة الفراء بقوله :
 (وان شئت قلت : الصد منهم كالدائم ، فاختير لهم يفعلون كأنك قلت : ان

الذين كفروا ومن شأنهم الصد (٣) .

١- الفراء ، معاني القرآن : ٢ / ٢٢١ .

٢- نفس المصدر السابق : الحاشية .

٣- نفس المصدر السابق : ٢ / ٢٢٢ .

ومثله : (ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين . . (١) .

وقوله : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم (٢) .

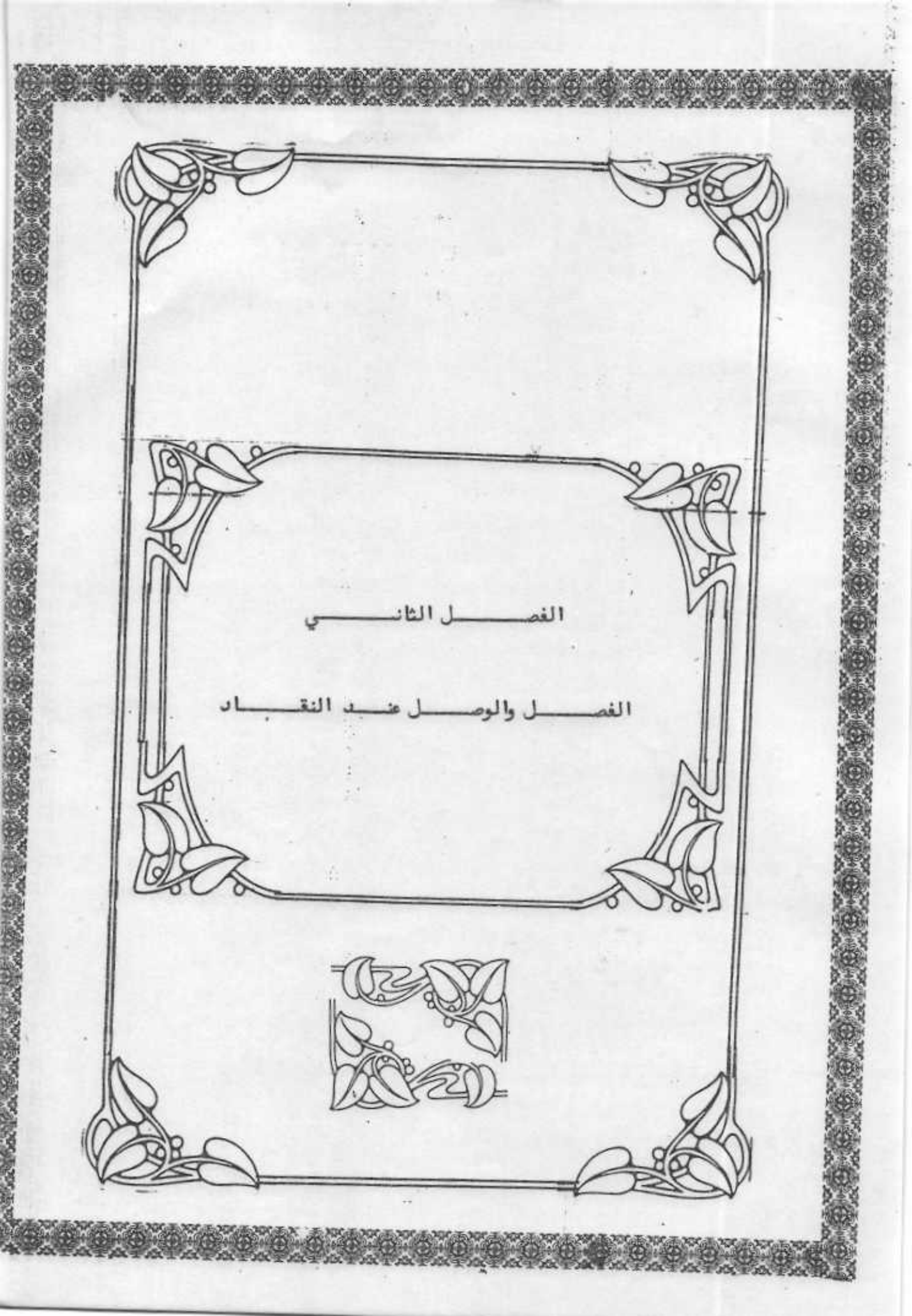
وقوله : (والذين يبغون رسالات الله ويخشونه . . (٣) .

فسر العدول عنه ، هو بيان استمرارية العمل وتصويره كأنه لا يزال يقع حتى هذه اللحظة ، وهذا التعليل أولى عندى من القول السابق المتضمن اضرار فعل ، من أجل المشاركة ، ان لا موجب للتقدير ما دام النص يبرز بأحسن ما يكون دونه (دون التقدير) .

١- سورة آل عمران ، الآية : ٢١ .

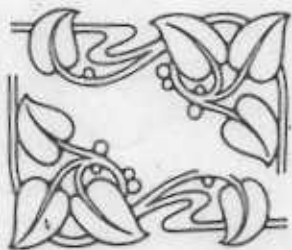
٢- سورة الرعد ، الآية : ٢٨ .

٣- سورة الاحزاب ، الآية : ٣٩ .



الفصل الثاني

الفصل والوصل عند النقاد



الفصل الثاني

مصطلح الفصل والوصل عند النقاد .

(١) الفصل والوصل عند الجاحظ

يعتبر كتاب الجاحظ البيان والتبيين من أوائل المراجع البلاغية الهامة ويشتمل على العديد من المسائل البلاغية الموجودة في تصانيفه ، متفرقة غير مجتمعة ، كما يقول صاحب الصناعتين ، حيث وصف هذا الكتاب بقوله :

(الا أن الابانة - عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة ، مبعثرة فسي تصانيفه ، ومنتشرة في أشائه ، فهي ضالة بين الامثلة لا توجد الا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير . . .) (١) .

وأول حديث عن الفصل والوصل نجده عند الجاحظ يبدأ بتعريفه للبلاغة عند الامم حيث يقول :

(وقيل للفارسي ما البلاغة ؟ قال : معرفة الفصل من الوصل . . .) (٢) .

-
- ١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٥٥ .
 - ٢- الجاحظ ، البيان والتبيين :

(والفارسي كما يقول شوقي ضيف : انما يشير الى معرفة مقاطع الكلام ، وتميز

فقره وعباراته بعضها من بعض بحيث تتضح أماكن الوقوف وأماكن الوصل .

وما زالت فكرته تدور بين أصحاب البلاغة حتى جعلوها فصلا خاصا في علم

المعاني .

وفي الصناعتين ما يدل على أن الكتاب كانوا يعنون بمواضع الفصل وتبينها في

الكتابة منذ صالح بن عبدالرحمن التميمي كاتب الحجاج (٠٠) (١) .

وكان هذا الكاتب يفصل بين الآيات كلها وبين تبيعتها من الكتاب كيف وقعت

وكان يقول : ما استوفى - وان - الا وقع الفصل (٠٠٠) (٢) .

وان كان الجاحظ قد ذكر هذا التعريف للبلاغة ، وأنها الفصل والوصل ، الا

أنه لم يعلق على هذه العبارة على سمو مكانته النقدية ، وقدرته البلاغية ، فكتابه

أول كتاب يعتبر في البلاغة ، ولكن لعل السبب في عدم التفصيل في هذه العبارة

استيفاءه لمدلولها في كتب أخرى له من بين الكتب المفقودة مثل كتاب (نظم القرآن)

الذي ورد ذكره في كتاب (اعجاز القرآن للباقلاني (ص/٨) ، والبلاغة العربية (ص/

٨٧١) ، وأثر القرآن في تطور النقد العربي (ص/٧٧-٨١) (٠٠٠) (٣) .

٢٥١ - شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ٨٦ .

٣ - محمد الحسناوى ، الفاصلة في القرآن : ٣٢ .

وقد اعتبر صاحب كتاب صور من تطور البيان العربي ، الجاحظ ، أول من

تحدث عن الفصل والوصل من بين التأليف العربية وذلك بقوله :

(ونحن اذا بحثنا فيما وصل اليها من التأليف العربي عن أول حديث عن

الفصل والوصل لجهدنا ، ولا نجده فيما وصل اليها من مؤلفات القرن الثاني التي

تعرضت لبعض المباحث البلاغية (كجوار القرآن) لأبي عبيدة ، و (معاني القرآن)

للغراء ، و (تأويل مشكل مشكل القرآن) لابن قتيبة وأول حديث عن الفصل

والوصل نجده عند الجاحظ ان يقول في البيان والتبيين وقيل للفارسي : ما البلاغة ؟

قال : معرفة الفصل من الوصل (.) (١) .

والبحث المستفيض في الكتب المذكورة وغيرها عنده يبين ورود اشارات عن

الفصل والوصل كما في (معاني القرآن) وغيره وقد بينا ذلك في مواظنه ، ولعل

المؤلف يقصد الى أول حديث صريح يذكر فيه الفصل والوصل الاصطلاحي والله

أعلم .

ومن اشارات الفصل والوصل عند الجاحظ تعريف المعتابي للبلاغة قال :

(حدثني صديق لي قال : قلت للمعتابي : ما البلاغة ؟ قال وكل من أفهمك

حاجته من غير اعادة ، ولا حبسه ، ولا استعانة فهو بليغ . . فقلت له : فما

١- كامل الخولي ، صور من تطور البيان العربي : ٤١ .

الاستعانه؟ قال : أما تراه اذا تحدث قال عند مسقاطع الكلام يا هناء ويا هذا
ويا هيه ، فهذا كله وما أشبهه عي وفساد (.) (١) .

ومقاطع الكلام هنا ، يعني فصوله . على أن أهل المعرفة اختلفوا في المقاطع
والمطالع كما يقول ابن رشيقي في العمدة فقال بعضهم : هي الفصول والوصل بعينها
فالمقاطع آخر الفصول ، والمطالع أوائل الوصل ، ويؤكد ذلك بقوله : وهذا
ظاهر من نحوى الكلام ، ويعلق أيضا على ما نقله الجاحظ فيقول : (وهذا القول
من المتأبى يدل على أن المقاطع أو آخر الفصول ، ومثله ما حكاه الجاحظ أيضا عن
المأمون أنه قال لسعيد بن أسلم : والله انك لتصفي لحديثي وتقف عند مقاطع
كلامي) (٢) .

ومن القضايا المتعلقة بهذا ما نقله الجاحظ أيضا قال : (ومر رجل بأبي
بكر (رضي الله عنه) ومعه ثوب فقال : أتبيع الثوب ؟ فقال لا عفاك الله . فقال أبو
بكر (رضي الله عنه) لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل : لا عفاك الله) (٣) .
وهذه القضية هي بعينها ما سمي عند أهل المعاني (الوصل لكمال الانقطاع
مع ايها خلاف المقصود) .

ولا زال هذا المثال يتكرر في كتب البلاغة حتى هذا اليوم . ومن الاشارات

١- الجاحظ ، البيان والتبيين : ١ / ١١٣ .
٢- ابن رشيقي ، العمدة : ١ / ٢١٥-٢١٧ .
٣- الجاحظ ، البيان والتبيين : ١ / ٢٦١ .

أيضا : ما جاء في البيان والتبيين قوله : (وقال رجل من بني مجاشع : جاء الحسن في دم كان فينا فخطب فأجابه رجل فقال : قد تركت ذلك لله ولوجوهكم .

فقال الحسن : لا تغل هكذا بل قل : لله ثم لوجوهكم وآجرك الله . . (١) .

وفي هذه اشارة الى استعمال حروف العطف ، ومعاني هذه الحروف والوصل بين المفردات على أساسها للمعنى المراد .

من هنا يتضح لنا أن أهم ما جاء به الجاحظ بشأن الفصل والوصل يكمن في

ثلاثة نقاط رئيسة أهمها :

مانقله عن الفارسي من تعريف البلاغة ، واعتبار الفصل والوصل حدا لها

للا دلالة على وعورة هذا الفن ، وأن من يحسنه ، كأنما أحسن جميع فنونها ، ثم

ذكره لاحد مواطن الوصل (والوصل لكامل الانقطاع مع ايهاام خلاف المقصود)

والقضية الثالثة : ذكرت للسابقين عليه ، وهي التنبية على استعمال بعض حروف

العطف في بعض المقامات .

والجاحظ لم يكن يعني بوضع ملاحظاته في شكل قوانين محددة بالتعريفات

الدقيقة ، ولكنه صورها في أمثلة متعددة بحيث تمثلها من خلفه تمثلا واضحا (٢) . .

١- الجاحظ ، البيان والتبيين : ١ / ٢٦٨ .

وهو مثل من سبقه في ذلك في ذلك في عدم وضع حدود للاشياء بقدر الاشارة

اليها ، وتدوين صورها .

على أن كتاب الجاحظ وغيره من كتبه كان مصدرا غزيرا استفاد منه من جاء بعده

من كبار الكتاب كصاحب الصناعتين ، وابن قتيبة ، والكامل ، والعمدة ، وعبد القادر

وغيرهم

(٢) الفصل والموصل عند ابن قتيبة .

وعن الفصل والموصل تحدث ابن قتيبة أيضا في كتابه (تأويل مشكل القرآن)
 بإشارات منها القريب والبعيد ، وسأهم في بناء صرح هذا الفن من خلالها ، فقد
 تحدث عما سمي بكامل الانقطاع وذلك عند قوله تعالى : (فلا يحزنك قولهم . انا نعلم
 ما يسرون وما يعلنون (١))

قال : (ولو أن قارئا قرأ (فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون)
 وترك طريق الابتداء * (بانا) وأعمل القول فيها بالنص على مذهب من ينصب (أن)
 بالقول بالقول كما ينصبها بالظن اقلب المعنى عن جهته وازالة عة طريقته وجعل النبي
 (عليه السلام) محزوننا (لقولهم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، وهذا كفر ، ممن
 تعتمد ، وضرب من اللحن لا تجوز الصلاة به ولا يجوز للمؤمن أن يتجاوزوا فيه) (٢)
 ويظهر من هذه المقولة : أن الفصل بين الجمل في بعض الاحيان يصل الى
 درجة من الاهمية يصح معه الاعتقاد أو يفسد .

انظر الى هذه الآية كيف تكون لو قرئت على الوجه الذي نهى عنه ابن قتيبة

١- سورة يس ، الآية : ٧٦ .

٢- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ١٤-١٥ .

فنهى ابن قتيبة عن الوصل هنا ليس اشارة الى وجود الفصل والوصل ، بل اشارة الى
أهمية الفصل والوصل في القرآن الكريم .

ويتحدث أيضا (عما سمي بكامل الانقطاع تحت باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه)
فيقول : (ومنه أن يتصل الكلام بما قبله حتى يكون قول واحد وهو قولان نحو قوله :
(ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون (١) .
وليس هذا من قولها . وانقطع الكلام عند (أذلة) ثم قال الله تعالى : (وكذلك
يفعلون) .

وقوله : (الان حصح الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين . . (٢)
هذا قول المرأة ثم قال يوسف (ذلك ليعلم أنني لم أخنه بالغيب) . . (٣) أى ليعلم
الملك أنني لم أخن العزيز بالغيب .

وقوله : (يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) انقطع الكلام ثم قالت الملائكة (هذا
ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) . . . (٤) .

وقوله حكاية عن ملأ فرعون (يريد أن يخرجكم من أرضكم) هذا قول الملأ ثم

قال فرعون (فإنا تأمرهم) . . . (٥) .

-
- ١- سورة النحل ، الآية : ٣٤ .
 - ٢- سورة يوسف ، الآية : ٥١ .
 - ٣- سورة يوسف ، الآية : ٥١-٥٢ .
 - ٤- سورة يس ، الآية : ٥٢ .
 - ٥- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ٢٩٤ .

فجميع الأمثلة السابقة تبين القطع والفصل بين الآيات ، والسبب واضح هو
 اختلاف المسند اليه في كل الآيات ، ففي سورة النحل الاختلاف بين قول الله سبحانه
 وتعالى ، ثم قول ملكة سبأ ، وفي سورة يس الاختلاف بين قول الموتى بعد القيامة
 وقول الملائكة ، فاختلاف المسند اليه يستوجب الانقطاع ، وان الكلام في الظاهر
 بيد وعليه الاتصال .

وعبر عن ذلك ابن قتيبة بأنه (كأنه قول واحد وهو قولان) فابن قتيبة ، وان
 لم يصرح بعبارة الفصل بلفظها فقد جاء بمعناها ومدلولها الاصطلاحي الذي تعارف
 عليه علماء البلاغة فيما بعد ، وقد يتوهم في بعض الآيات التي وردت فيها الواو والفاء
 أن هذين الحرفين للعطف ، والذي يدقق النظر يدرك أنها للاستئناف .

ويتحدث عما سمي بالتوسط بين الكمالين تحت باب (الحذف والاختصار) فيقول
 (ومن ذلك أن توقع الفعل على شيئين وهو لا حد هما ، وتضمر للأخر فعله كقوله
 سبحانه (يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين) ثم قال :
 (وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عِين) (١) .

والفاكهة واللحم والحور العين لا يطاق بها وانما أراد ويوتون بلحم طير ومثله
 قوله : (فأجمعوا أمركم وشركاكم) (٢) . أي وادعوا شركاءكم .

وأشد الغراء :

١- سورة الواقعة ، الآية : ١٨-٢٢ . ٢- سورة يونس ، الآية : ٧١ .

• علفتها تنها وما بارد
حتى شئت همالة عنها . . . (١)

وقال آخر :

• اذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا . . . (٢)

• والعيون لا تزجج وانما اراد
وزججن الحواجب وكحلن العيونا (٣)

• وواضح أن العطف جار بين جملة فعلها مضر وأن النسابة بين الجمل واضحة
كذلك لا مجال للشك فيها .

ويتحدث عن الصلة بين الجمل والتناسب بينهما من خلال الرد على الطاعنين

والملحدين في كتاب الله (عزوجل) بعد أن يورد شبهاتهم قال : (وقد اعترض

كتاب الله بالطعن ملحدون ولفوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله) (٤)

• ثم قضا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف (٥) .

وقد ذكر من شبهاتهم التي تختص بالنظم والتأنيب بين الآيات قولهم (فأين قوله :

(جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد) من

قوله (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض وأن الله بكل شيء

عليم) (٦) .

١- البيت غير منسوب في أمالي المرتضى واللسان والخزانة .

٢- في الحاشية البيت غير منسوب في أساس البلاغة : ٣٩٤/١ .

٣- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ٢١٤-٢١٥ . في قول (ومن ذلك) أي المحذوف للاختصار .

٤- سورة آل عمران ، الآية : ٧ .

٥- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ٢٢ .

٦- سورة المائدة ، الآية : ٩٧ .

وأين قوله : (ألم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته)

من قوله : (ان في ذلك لايات لكل صبار شكور) . . . (١) .

أوليس هذا ما يستوى فيه الصبار والشكور وغير الصبار والشكور ؟ . . . (٢) .

قال ابن قتبية (وقد ذكرت الحجة عليهم في جميع ما ذكره وغيره مما تركوا ، وهو

يشبه ما نكروا ليكون الكتاب جامعاً للفن الذي قصدت له) (٣) .

ويرد عليهم في سورة المائدة فيقول : (وقولهم أين قوله) جعل الله الكعبة .

وتأويل هذا : أن الجاهلية كانوا يتفادون ويسفكون الدماء بغير حقها ويأخذون

الاموال بغير حلتها ويخيفون السبيل ويطلب الرجل منهم الثأر فيقتل قاتله . . فجعل

الله الكعبة البيت الحرام وما حولها من الحرم والشهر الحرام والهدى والقلائد قواماً

للناس أى أمناً فكان الرجل اذا خاف على نفسه لجأ الى الحرم فأمن . . . واذا دخل

الشهر الحرام . . . انبسطوا في متاجرهم وأمنوا على أموالهم وأنفسهم . . . ولو ترك الناس

على جاهليتهم وتعاورهم في كل موضع وكل شهر لفسدت الارض وفني الناس وتقطعت

السبل وبطلت التجارة ففعل الله ذلك لعلمه بما فيه صلاح شؤونهم وليعلموا أنه كما

علم فيه من الخير لهم أنه يعلم أيضاً ما في السموات وما في الارض من مصالح العباد

١- سورة لقمان ، الآية : ٣١ .

٢- ابن قتبية تأويل مشكل القرآن : ٢٨ .

٣- نفس المصدر السابق : ٣٢ .

ومرافقهم وأنه بكل شيء عليم (١) .

فالمناسبة ارادة الله سبحانه وتعالى - بيان شمول علمه وأنه شامل لما نسي

السموات وما في الارض بشكل عام وهذا من الصميم بعد التخصيص وهو نوع من أنواع

التأكيد ، ويرد على شبهتهم في قوله تعالى (ألم تر أن الغلك تجرى . . (٢) .

فيقول : (ولم يرد الله في هذا الموضع مهنى الصبر والشكر خاصة ، وإنما أراد

أن في ذلك الايات لكل مؤمن .

والصبر والشكر أفضل ما في المؤمن من خلال الخير فذكره الله (عزوجل) في

هذا الموضع بأفضل صفاته ومثله قوله تعالى في قصة سبأ (٣) .

وهكذا نقول ان في ذلك لآية لكل موحد مصل ولكل فاضل تقى وإنما تسريد

المسلمين (. (٤) .

(ان في ذلك لآية لكل صبار شكور) وذكر التناسب هنا من أجل الاستئناف

لأن الجملتين ليستا من الوصل الذي يبحث عن التناسب بينهما بل (التوسط بين

الكمالين) .

فمعرفة الصلة بين الآيات أو بين مقاطع الآية الواحدة ، والعلاقة بين جملتها

وسر ترتيبها وختمها يتوقف أحيانا على معرفة أسباب النزول والمناسبة التي نزلت

فيها كما أن معرفة الصلة بين الآيات وسر وصلها أو فصلها له أهمية في الرد على من

١- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ٧٣- ٧٤ . ٣- سورة سبأ ، الآية : ١٩ .

٢- سورة لقمان ، الآية : ٣١ . ٤- ابن قتيبة ، تأويل مشكل القرآن : ٧٤- ٧٥ .

أن القرآن ضرب من القول المطلق الذي لا رابط بين جملة وآياته ، فالطاعون كثر
لذلك نسبّه ابن قتيبة الى أهمية دراسة العلاقات بين الآيات ، وفي الآية الواحدة .
وهذا التثنية وان لم يكن بصريح العبارة فانه يفهم من الاشارة . وقد أشار ابن

قتيبة أيضا الى ماله علاقة بالفصل والوصل والتناسب في كتابه (الشعر والشعراء*)

حيث قال شعرا بأهمية تناسب الكلام وصلة بعضه ببعض.

وتتبين التكلف في الشعر أيضا (بأن ترى البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضموما

الى غير لفظه ولذلك قال (عمرو بن لجأ) لبعض الشعراء* انا أشعر منك قال : ولم

(١) وقصة عبد الله بن سالم (متأبا الجحاف اذا شئت فقال روية وكيف ذلك ؟

فقال رأيت ابنك عقبه ينشد شعرا له أعجبنى قال روية : نعم ولكن ليس لشعره قران

يريد أنه لا يقارن البيت بشبهه ، وقال أيضا (والمطبوع من الشعراء* : من سمح

بالشعر فتد ر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على

شعره رونق الطبع ووشي (الفريزة) ٠٠٠ (٢) .

١- مرّ ذكر هذه الرواية ضد المبرد في الكامل - انظر (ص /) من هذا البحث.

٢- ابن قتيبة ، الشعر والشعراء* : ٠٩٦ .

(٣) الفصل والوصل عند ابن طباطبا .

ومن المؤلفات التي اهتمت بقضايا البلاغة في القرن الرابع الهجري كتاب
(عيار الشعر لابن طباطبا ، وهو كتاب يبحث في فن الشعر وأدواته ، وما يستحسن
منه وما يستقبح .

ومن خلال حديث الكتاب عن الشعر ، تطرق المؤلف الى ذكر قضايا بلاغية
كالتشبيه وضروبه ، ونلمس أيضا اشارات عن الفصل والوصل ، وترتيب المعاني بقوله :
(. . . .) فان للشعر فصولا كفصول الرسائل ، فيحتاج الشاعر الى أن يصل كلامه
على تصرفه في فنونه ، صلة لطيفة ، فيتخلص من الغزل الى المديح ، ومن المديح
الى الشكوى ، ومن الشكوى الى الاستراحة ، ومن وصف الديار والآثار ، الى وصف
الغيافي والنوق ، ومن وصف الرعود والبروق ، الى وصف الرياض والرواد
تخلص وأحسن حكاية بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله بل يكون متصلا به ومستزجا
معه ، فاذا استقى المعنى وأحاطه بالمراد الذي اليه يسوق القول بأيسر وصف ، وأحق
لفظلم يحتج الى تطويله وتكريره (١) .

وفي معرض الحديث والمفاضلة بين القدامى والمحدثين ، في حسن الفصل
بين معنى وآخر ، والتخلص باللفظ عبارة ، نجد في تضعيف كلامه بذورا تختص
١- ابن طباطبا ، عيار الشعر : ١٢ .

بالفصل والوصل ، فالتخلص من معنى الى آخر معناه الفصل بين معنيين والانتقال من حديث الى آخر .

ويضرب الامثلة على حسن التخلص بقوله : (ومن الابيات التي تخلص بها قائلوها الى المعاني التي ارادها من مديح أو هجاء أو افتخار أو غير ذلك ولطفوا في صلة ما بعدها فصارت غير منقطعة عنها ، ما أبدعه المحدثون من الشعراء دون من تقدمهم ، لأن مذهب الاوائل في ذلك واحد وهو قولهم عند وصف الغياقي وقطعها بسير النوق وحكاية ما عانوا في أسفارهم : انا تجشمتنا ذلك الى فلان يعنون المدوح كقول الاعشى :

الى هودة الوهاب أزجي مطيتي أرجي عطا* صالحا من نوالكما

أويستأنف الكلام بعد انقضاء الكلام التشبيهي ، ووصف القبائل والنوق وغيرها فيقطع عما قبله ، ويبداً بمعنى المديح أو يتوصل الى المديح بعد شكوى الزمان أويستأنف وصف السحاب أو البحر . . . فسلك المحدثون غير هذا السبيل ، ولطفوا القول في معنى التخلص الى المعاني التي ارادها فمن ذلك قول أبي تمام :

يا صاحبي تقصيا نظريكما تريا وجوه الارض كيف تصور

تريا نهارا مشرقا قد شابه زهير الربا فكانما هو مقمر

خلق أطل من الربيع كأنه خلق الامام وهديه المتيسر . . (١) .

من هنا يتبين أن عبارات الكاتب من قول التخلص والقطع والانتقال ، واتصال
 المعنى فيها ، من معاني الفصل والوصل ، وإن كانت تحمل معنى التعميم في حالة
 تطبيقها على الامثلة التي أوردها ، وعلى أية حال ، فهي اشارات من بعيد لمعنى
 الفصل والوصل الاصطلاحي .

وتعرض الكاتب أيضا الى قضية ذات صلة وثيقة بالفصل والوصل ، هي الوحدة
 العضوية للقصيدة الشعرية والتناسب بين معانيها وأبياتها فيقول في أول الكتاب تحت
 عنوان (صناعة الشعر) (فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة ، فحص المعنى الذي يريد
 بناء الشعر عليه في فكرة نثرنا وأعد له ما يلبسه اياه من الالفاظ التي تطابقه والقوافي
 التي توافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه ، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى
 الذي يرويه أثبتته وأعمل فكره في شغل القوافي بما يقتضيه من المعاني على غير تسيق
 للشعر ، وترتيب لغنون القول فيه ، بل يعلق كل بيت يتفق له نظمه على تفاوت ما
 بينه وبين ما قبله ، فإذا كملت له المعاني وكثرت الابيات وفق بينها تكون نظاما
 لها وسلكا جامعا لما تشتت منها ، ثم يتأمل ما قد أداه اليه طبعه ونتيجة فكرته
 يستقصى انتقاده ويرم ما وهى منه ، ويبدل بكل لفظة مستكرهة لفظة سهلة نقية .

وان اتفقت له قافية قد شغلها في معنى من المعاني ، واتفق له معنى آخر
 مضاد للمعنى الاول ، نقلها الى المعنى المختار الذي هو أحسن ، وأبطل ذلك

البيت أو نقض بعضه وطلب لمعناه قافية تشاكله ، ويكون كالنسيج الحاذق الذى يفوت

وشبه بأحسن التفويت ويسديه وينيره ولا يهلهل شيئا منه فيشبهه .

وكالنفاس الرفيق الذى يوضع الاصباغ فى أحسن تقاسيم نقشه ، ويشبع كل

صبغ منها ، حتى يتضاعف حسنه فى العيان .

وكناظم الجواهر الذى يؤلف بين النفيس منها والثمين الرائق ولا يشين

عقوده ، بأن يفاوت بين جواهرها فى نظمها وتسيقها (١) .

(٤) الفصل والوصل عند قدامة بن جعفر.

يعتبر قدامة بن جعفر من أكبر علماء البلاغة في عصره ومن الأئمة في هذا الفن والنقد عبر ذلك يقول الدكتور بدوي طبانه : (وعلماء البلاغة يجعلون قدامة بن جعفر من أئمتهم ومن رواد التأليف البلاغي ، حتى وصفه يحيى بن حمزة العلوي صاحب الطراز بأنه جوّاب البلاغة ونقادها البصير ، والمهيم على معانيها والخبير .
وسلكه البلاغيون مع ابن المعتز وجعلونهما المخترعين الأولين في تدوين البديع ، وفي ذلك يقول ابن أبي الأصبع وهو يشيد بجهده في البديع (جمعت من ذلك خمس متسعين بابا (أصولا وفروعا منها ما ابتكر المخترعان الأولان تدوينه وهما قدامة بن جعفر الكاتب وابن المعتز . وعدتها ثلاثون بابا) . . . (١) .
وبالرغم من هذه الاعتبارات فإننا لا نجد له كلائما في الفصل والوصل إلا إشارات طفيفة جدا تمس الفصل والوصل .
من ذلك حديثه عن الفصل عند منقضى معنى في الشعر حيث يعتبر قدامة بن جعفر ارتباط البيت الثاني بالأول عيبا من العيوب وسماه عين ائتلاف المعنى والوزن أو (البتور) وعرفه بقوله :
- بدوي طبانه ، البيان العربي : ١٤٠ .

(وهو أن يطول المعنى على أن يحتتمل العروض تمامه في بيت واحد فيقطعه

بالقافية ويتمه في البيت الثاني) (١) .

فابن جعفر من النقاد الذين يأخذون بوحدة البيت واستقلالته ، وينصون

على ذلك وهذه النظرة النقدية لا تساير ما نحن عليه اليوم من اعتبار وحدة القصيدة

الموضوعية أو العضوية .

ومن الامثلة التي ذكرها قول عروة بن الورد :

فلو كاليوم كان علي أمرى ومن لك بالتدبر في الامور

فهذا البيت ليس قائما بنفسه في المعنى وتامه في البيت الثاني حيث قال :

اذا تملك عصمة أم وهب على ما كان من حسك الصدور

وقال امرؤ القيس :

أحمد الحارث أعلل ابن عمرو وبعد الخير حجر ذي القباب

أرجي من صروف الدهر لينا ولم تغفل عن الصم الصلاب (٢) .

وفي حديثه عن الالتفات ، نستطيع أن نفهم بعض الاشارات الدالة على ما

عند البلاغيين (بشبه كمال الاتصال) .

قال : (ومن نعوت المعاني ، الالتفات ، وبعض الناس يسميه الاستدراك

وهو أن يكون الشاعر أخذاً في معنى فكأنه يعترضه ، اما شك فيه ، أو ظن بأن راداً

يرد عليه قوله ، أو سائلاً يسأله عن سببه ، فيعود راجعاً على ما قدمه ، فاما أن يوكد

١- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : ٢٢٢ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢٢٢-٢٢٣ .

أو يذكر سببه ، أو يحل الشك فيه) ويضرب لذلك الامثلة بقوله :

مشنوف موضحة عن العظم

وتصد عنك مخيلة الرجل الـ

كلم الاصيل كأرغب الكلم

بحسام سيفك أو لسانك والـ

فكأنه لما بلغ (حسامك) الى (ولسانك) قدر أن معترضا يعترضه فيقول

كيف يكون مجرى السيف واللسان واحدا؟ فقال : (والكلم الاصيل كأشد الجراح ،

وأكثرها اتساعا) (١) .

فشرح قدامة للالتفات لا يبعد عن شبه كمال الاتصال في مصطلح الفصل

والوصل ، هذا ما كان من اشارات في فن الفصل والوصل عند العلماء الذين يغلب

عليهم أنهم نقاد ، وان كان البعض منهم عد من البلاغيين كالجاحظ ، وقدامة بن

جعفر ، وهذا لا يضيرهم أن يبعدوا مع البلاغيين أم مع النقاد فقد كانت كتبهم

حاوية النوعين معا .

١- قدامة بن جعفر ، نقد الشعر : ١٤٧-١٤٨ .

الفصل الثالث

الفصل والوصل عند البلاغيين



الفصل الثالث

مصطلح الفصل والوصل عند البلاغيين

(١) عند أبي عبيدة في كتابه

مجاز القرآن

بالنسبة لكتاب أبي عبيدة (مجاز القرآن) وهو أحد مؤلفات القرن الثاني الهجري ، فإن المتصفح له لا يعثر على اشارات قريبة تدل على وجود مؤشرات يمكن أن تكون أساسا لبنا* فن الفصل والوصل ، وانا بهذا مع الدكتور كامل الخولي حيث يقول في كتابه صور من تطور البيان العربي :

(ونحن اذا بحثنا فيما وصل اليها من التأليف العربي عن أول حديث

عن الفصل والوصل لجهدنا ولا نجد فيهما وصل اليها من مؤلفات القرن الثاني التي

تعرضت لبعض المباحث البلاغية كمجاز القرآن لأبي عبيدة) . . . (١) .

وربما يتبادر الى الذهن لأول وهلة أن كلمة (مجاز) الواردة في العنوان

هي بعينها المدلول الاصطلاحي المتداول الان ، والحقيقة : أن كلمة (مجاز) لم

تكن بعد قد اتخذت المدلول الاصطلاحي المعروف عند البلاغيين وانما هي مرادفة

١- كامل الخولي ، صور من تطور البيان العربي : ٤١ .

لكلمة ، معنى ، أو تفسير عند أبي عبيدة) (١) .

فقوله مثلا : ومجاز هذه الآية : كذا وكذا ، معناه تفسير هذه الآية :

كذا وكذا .

ومن خلال تصفحي لكتاب أبي عبيدة هذا لم أعر على إشارة صريحة تص على أنه قد عهد الفصل والوصل بعد لوله الحالي ، وإن كانت هناك إشارات من بعيد يمكن أن يكون لها الأثر فيما بعد بالفصل والوصل ، كعبارته التي وردت في القطع والاستئناف ، وتفسيره لبعض الآيات بطريقة يفهم فيها نوما ، وجود معنى الفصل والوصل .

والاستاذ كامل الخولي أشار إلى عدم وجود إشارات تدل على الفصل والوصل

في هذا الكتاب .

ومن الإشارات التي وجدها في كتابه ، منعه لعطف الانشاء على الخبر

وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى :

(ولو ترى أن يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا

عذاب الحريق) (٢) .

فيقول : (مجازه مختصر المضمرة فيه وهو يعني : ويقولون ذوقوا عذاب

١- بدوى طبانة ، البيان العربي : ١٧ .

٢- سورة الانفال ، الآية : ٥١ .

الحريق (٠٠٠٠ (١).

فقد قدر وجود الفعل ويقولون ، لثلا يعطف الانشاء في قوله تعالى :

(وذوقوا عذاب الحريق) على الجملة الخبرية السابقة لها ، وهي قوله تعالى :

يضرهون وحوهم وأدبارهم (فهذه الحالة ، وان لم ينص على عدم جواز عطف

الانشاء على الخبر ، الا أن كلامه يفيد ذلك ، ان اختلاف الجملتين في الخبر

والانشاء من مواطن كمال الانقطاع في الفصل والوصل .

ويتحدث أيضا عن خلال كتابه عن ورود الخبر في صورة الانشاء ، ففي تفسير

قوله تعالى : (أليس في جهنم مثوى) ٠٠٠ (٢) . يتبين لنا ورود الخبر في صورة

الانشاء فيقول : (مجازه مجاز الايجاب لأن هذه الالف يكون للاستفهام وللإيجاب

فهي ها هنا للإيجاب) ويستدل على مقولته تلك بما ورد من أبيات شعرية بقوله :

وقال جرير :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح ؟

فهذا لم يشك ولكن أوجب لهم كأنهم كذلك ولولا ذلك ما أثابوه (٠٠٠ (٣) .

ويتحدث عن التوكيد بين الجمل وهو نوع من كمال الاتصال فيقول عند قوله تعالى :

(فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتن تلك عشرة كاملة) ٠٠ (٤) .

١- أبو عبدة ، مجاز القرآن : ٢٤٧/١ .

٢- سورة العنكبوت ، الآية : ١٦٨ .

٣- أبو عبدة ، مجاز القرآن : ١١٨/٢ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ١٩٦ .

يقول : العرب تؤكد الشيء وقد فرغ منه فتعديده بلفظ غيره تفهيمًا

وتوكيدًا **فجملته** (تلك عشرة كاملة) تؤكد لما قبلها وهو من كمال الاتصال .

ويعبر عن كمال الانقطاع بلفظ الابتداء فيقول على قوله تعالى : (قل لا

تقسموا طاعة معروفة) (١) مرفوعتان لأنهما كلامان لم يقع الأمر عليهما فينصبهما

مجازًا لا تقسوا ، أي لا تحلفوا وهو من القسم ثم جاءت طاعة معروفة ابتداءً فرفعتا على

ضمير يرفع به ، أو ابتداءً .

فجملته طاعة معروفة جملة خبرية ، ويفهم من كلامه الفصل بين الجملة الثانية

(طاعة معروفة) وما قبلها ، والجملتان أحدهما خبرية ، والاخرى انشائية على مقتضى

ما سمي بكمال الانقطاع ويعبر عن شبه كمال الاتصال بالتفسير في قوله تعالى : (وما

أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة) (٢)

حيث قال (فسرها فقال (نار الله الموقدة) (في الفصل والوصل) . . (٣)

ويعبر عن شبه كمال الاتصال عند قوله تعالى : (قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار)

. . . . (٤)

١- سورة النور، الآية : ٥٣ .

٢- سورة الهمزة، الآية : ٥٥ .

٣- أبو عبيدة ، مجاز القرآن : ٣ / ٣٣١ .

٤- سورة الحج ، الآية : ٧٢ .

يقول مرفوعة على القطع من شركة الباء* ولكنه مستأنف خبر عنه ، ولم تعمل الباء فيه) .
 فالخبر المستأنف هنا جواب عن سؤال تحماه الجملة الاستفهامية الاولى
 فبينهما شبه كمال اتصال .

وبذكر الاستئناف أيضا عند قوله تعالى : (قد كان لكم آية في فئتين التقتا
 فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة) (١) .

قال أبو عبيدة : (فئة تقاتل) ان شئت عطفتها على (في) فجررتها وان
 شئت قطعتها فاستأنفت) (٢)

وهنا الاستئناف لتضمن الجملة الاولى سؤالا جوابه في الجملة الثانية في
 حالة الرفع .

ويعبر عن التوسط بين الكمالين عند قوله تعالى : (كما بدأكم تعودون فريقا
 هدى وفريقا حق عليهم الضلالة) . . . (٣) .

قال تصبها جميعا على اعمال الفعل فيهما ، أى هدى فريقا ثم أشرك
 الآخر في نصب الاول . . . فقولهم (أشرك الآخر في نصب الاول يفيد اشتراك الجملتين
 في حكم النصب لأن لهما محل من الاعراب ، وهناك جامع بين الجملتين ، وعلاقة
 وثيقة ، وهذا من التوسط بين الكمالين) . . . (٤) .

- ١- سورة آل عمران ، الآية : ١٣ .
 ٢- أبو عبيدة ، مجاز القرآن : ٨٧/٢ .
 ٣- سورة الاعراف ، الآية : ٢٨-٢٩ .
 ٤- أبو عبيدة ، مجاز القرآن : ٢١٣/١ .

ويتحدث عما سمي بكمال الانقطاع فيعبر عنه تارة بالاستئناف وتارة بالابتداء*

ففي تفسيره لقوله تعالى : (ذقوا فنتنكم) (١) .

يقول : (تم الكلام ثم جاء هذا بعد استئناف) ان المتقين في جنات وعيون

. . . . (٢) .

فكلمة استئناف تفيد معنى الانقطاع والانفصال فكأنه يقول فصلت الآية الثانية

عن الاولى وسبب الفصل هنا تمام المعنى عند قوله تعالى عن الكافرين : (ذقوا فنتنكم)

ثم بدأ الحديث عن المؤمنين .

١- سورة الذاريات ، الآية : ١٤ .

٢- سورة الذاريات ، الآية ج: ١٥-١٩ . أبو عبيدة ، مجاز القرآن : ٢٢٦/٢ .

(٢) الفصل والوصل عند أبي هلال العسكري .

في كتاب (الصناعتين) .

قبل البدء* بذكر ما عنده من الامور المختصة بالفصل والوصل ، لا بد من

التنبه على أن المراد من الصناعتين هنا هو صناعة الكتابة والشعر ، كما عبر عن

ذلك صاحب الكتاب بقوله : (فرأيت أن أعمل كتابي هذا مشتملا على جميع ما يحتاج

اليه في صنعة الكلام نشره ونظمه) (١) .

وان هذا الكتاب من أهم المؤلفات البلاغية في القرن الرابع الهجري لما

احتواءه من القضايا الكثيرة التي تهتم البلاغة .

أما عن سبب التأليف لهذا الكتاب فهو لتخليط الاعلام من أهل الادب والبلاغة

فيما راموه من اختيار الكلام الجيد ، ولموقع هذا العلم من الفضل ، ومكانه من الشرف

والنبل ، فان الانسان ، كما يقول المؤلف - اذا أغفل علم البلاغة ، وأخل بمعرفة

الفصاحة ، لم يقع علمه باعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف وبراعة

التركيب) (٢) .

ولسد حاجة المكتبة العربية ، وشدة الحاجة الى مثل هذه التأليفات كما

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ١٣ .

٢- نفس المصدر السابق : ٩ .

يقول المؤلف أيضا : (ووجدت الحاجة اليه ماسة ، والكتب المصنفة فيه قليلة ، وكان

أكبرها وأشهرها كتاب البيان والتبيين لأبي عمرو الجاحظ) . . . (١) .

ويشيد في كتاب الجاحظ ويصفه بقوله (وهو لعمري كثير الفوائد جمع

المنافع لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ، والفقر اللطيفة ، والخطب الرائعة . .

الا أن الابانة عن حدود البلاغة ، وأقسام البيان والفصاحة مبثوثة في تضاعيفه ومنتشرة

في أثناءه ، فهي ضالة بين الامثلة لا توجد الا بالتأمل الطويل والتصفح الكثير) . .

. . (٢) .

فمن أجل هذه الاسباب ، ألف أبو هلال كتابه ، وقد قسمه الى عشرة أبواب

في الباب الاول عن البلاغة في أصل اللغة وحدودها ، وشرح وجوهها . وضرب

الامثلة في كل نوع .

وفي الباب الثاني ذكر تمييز الكلام جيده من رديه . والثالث في معرفة

صنعة الكلام ، والرابع في البيان عن حسن السبل وجودة الوصف ، والخامس جعله

للايجاز والاطناب ، والسادس في السرقات وحسن الاخذ ، وقبحه ، والسابع في التشبيه

والثامن في السجع والازدواج ، والتاسع في البديع وفنونه ، أما العاشر خصه في

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ١٠٠ .

٢- نفس المصدر السابق : ١٣ .

ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل والخروج من النسب وذكر المبادئ* .

وجعل الفصل والوصل فصلا في هذا الباب ، هو الفصل الثاني حيث قل :

الفصل الثاني من الباب العاشر في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل .

ويعتبر كتاب الصناعتين أول كتاب يعقد فصلا كاملا يذكر فيه الفصل والوصل

حسب ما وصل الي من القراءة في الكتب ، ولم أجد فيمن بحثت في كتبهم ، من

عقد مثل هذا الفصل ، وكل الذي وجدته شذرات وإشارات قريبة وبعيدة ، تحمل

معنى الفصل والوصل في كتبهم .

ويبدأ الكاتب بعبارة منقولة عن الجاحظ وهي : (قيل للفارسي ما البلاغة؟

فقال معرفة الفصل من الوصل) ثم يذكر أبو هلال نصوصا كثيرة تحمل معنى على مر

الازمنة وتاريخ العربية .

فهناك النصوص الجاهلية ، ونصوص تالية لهذا العصر ، نصوص من صدر الاسلام

وأخرى من الدولة الاموية والعباسية ، الا أنها غير مرتبة عنده ترتيبا فقدم مثلا قول

المأمون (قال المأمون لبعضهم : فان البلاغة اذا اعتزلتها المعرفة

بمواضع الفصل والوصل كانت كالالي* بلا نظام) . . . (١) .

ثم قول أبي العباس السفاح ثم قول الاخنف بن قيس ، وهكذا دون ترتيب .

معين يعتمد عليه .

وعند تحليل النصوص الواردة في الفصل والوصل عنده نجدها ثلاثة أقسام
فهناك نصوص تبين وجود الفصل والوصل وأهميته في الكلام ، ونصوص تبين مواطن
للفصل وأخرى للوصل ، وهناك نصوص تطبيقية على ما يقوله .

فمن النصوص التي تبين أهمية الفصل والوصل قوله مثلا : (قيل للغارسي ما
البلاغة ؟ . . .) عن المأمون : (فان البلاغة اذا اعتزلتها المعرفة بمواضع الفصيل
والوصل كانت كالالي * بلا نظام) ، وقول أبي العباس السفاح لكتابه : (قف عند
مقاطع الكلام وحسنه ، واياك أن تخلط المرعي بالهمل ، ومن حلية البلاغة المعرفة
بمواضع الفصل والوصل .

وقول الاحنف : (ما رأيت رجلا تكلم فأحسن الوقوف عند مقاطع الكلام ولا عرف
حدوده الا عمرو بن العاص (رضي الله عنه) كان اذا تكلم تفقد مقاطع الكلام .
وأعطى حق المقام وغاص في استخراج المعاني بالطف مخرج حتى كان
يقف عند المقاطع وقوا يحول بينه وبين تبيعه من الالفاظ وكان كثيرا ما ينشد :

اذا ما بدا فوق المنابر قائللا
أصاب بما يوحى اليه المقاتلا . . (١) .

وقول لمعاوية : يا أشدق قم عند قدم العرب وحجاجها فسل لسانك وجعل
في ميادين البلاغة وليكن التفقد لمقاطع الكلام منك على بال فاني شهدت رسول الله

(صلى الله عليه وسلم) أملى على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كتابها وكان يتفقد مقاطع الكلام كتفقد المصروم صريمته (١) .

وكان يزيد بن معاوية يقول : (اياكم أن تجعلوا الفصل وصلا ، فانه أشد وأهيب من اللحن) (٢) .

أما مواطن الفصل والوصل التي ذكرها ، فالفصل عند كل منقي منقني وصلوا اذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض .

والفصل عند الابتداء أيضا قال الحارث بن أبي شمر لكاتبه المرقش : اذا

نزع بك الكلام الى الابتداء بمعنى غير ما أنت فيه ، فافصل بينه وبين تبعه من الالفاظ

والفصل عند الاختلاف من مدح ذم . والا ستئناف قال : (وكان بزرجمهر يقول : اذا

مدحت رجلا وهجوت آخر فاجعل بين القولين فصلا حتى تعرف المدح من الهجاء

كما تفعل في كتبك اذا استأنفت القول وأكملت ما سلف من اللفظ) (٣) .

والفصل عند استكمال القول وآلته واستتمام معناه . . . قال : (القول اذا استكمل

آلته واستتم معناه فالفصل عنده) (٤) .

في استكمال الحرف آله يفسره بفعل عبالحميد الكاتب حيث اذا استخبر

١- أبو هلال العسكري ، الصنائع : ٤٩٨ .

٢- نفس المصدر السابق : ٤٩٩ .

٣- نفس المصدر السابق : ٤٩٩ .

٤- نفس المصدر السابق : ٥٠٠ .

الرجل في كتابه فكتب : خبرك ، وحالك ، وسلامتك ، وكان يقول : أبي عبد الحميد

قد استكمل كل حرف منها آتة ووقع

ومن مواطن الفصل هذه الاستئناف (بان) وينقل عن صالح بن عبد الرحمن

التسمي الكاتب أنه يفصل بين الآيات كلها وبين تبيعتها من الكتاب كيف وقعت ، وكان

يقول : ما استوتنف (ان) الا وقع الفصل .

ومن مواطن الفصل ، الفصل بين الفاءات كلها حيث كان يفعل جبل بن زيد

على أن بعض الكتاب قد كره ذلك .

ومن مواطن الفصل ما فعله المؤمن في الفصل عند (حتى) كيف وقعت وأمر

كتابه بذلك . ومن مواطن الفصل ، الفصل بين بل بولي ، وليس .

وأما أمثله التطبيقية على الفصل والوصل فقوله : كان عبد الحميد الكاتب اذا

استخبر الرجل في كتابه فكتب خبرك وحالك وسلامتك فصل بين هذه الاحرف .

ويقول قد استكمل كل حرف منها آتة ، ووقع الفصل عليه .

وذكر أيضا مثلا شعريا لم يظهر فيه الفصل ، فأشكل الكلام ، وهو قول المخبل

للزيرقان بن بدر :

وأبوك بدر كان ينتهس الحصى وأبي الجواد ربيعة بن قبال

فقال الزيرقان : لا بأس شيخان اشتراكا في صنعة (١) (١) .

١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٥٥٢ .

وقد شرحنا كثيرا ما ذكره الشيخ في هذا الباب تحت عنوان تاريخ الفصل

والوصل . . . فارجع اليه .

وقد نبه أبو هلال الى طول هذا الباب بقوله : (وهذا باب لو أطلقت

العنان فيه لطال فيشغل الاوراق الكثيرة ويصوم فيه الزمان الطويل) . . . (١) .

و خلاصة القول : أن أبا هلال العسكري ، هو أول من كتب في الفصل

والوصل ، فصلا كاملا بين فيه أهميته من خلال أقوال العلماء والخلفاء في العصور

الثلاثة الجاهلي و صدر الاسلام والاموي والعباسي .

ونستطيع القول أيضا أن أبا هلال العسكري حاول في هذا شرح عبارة

الجاحظ (قيل للفارسي) التي مفادها أن الفرس ، جماع بلاغة عندهم ، معرفة

الفصل من الوصل ، وحاول أن يتبين أن الفصل والوصل موجود في العربية عبر

العصور ، وأنه لا يفهم من العبارة أن العرب لم تلتفت اليه قبل توجيه الفرس لها

كما يقول كامل الخولي (. (٢) .

فعمد أبو هلال لهذا النص برهان على معرفة العرب لهذا الفن ، وأنه من

صحيح اللغة العربية وأن الكتاب العرب كانوا يعنون بمواضع الفصل وتبينها فسي

الكتابة (. (٣) .

-
- ١- أبو هلال العسكري ، الصناعتين : ٥١٢ .
 - ٢- كامل الخولي ، صور من تطور البيان العربي : ٤١ .
 - ٣- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ٣٦ .

(٣) الفصل والوصل عند عبد القاهر الجرجاني .

إذا ما بحثنا عن الفصل والوصل في القرن الخامس الهجري نجد أن هناك ثم بناته على يد عملاق البلاغة في ذلك القرن الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وإن كان هذا الامام من أئمة النحاة ، حيث أخذ النحو عن أبي الحسين محمد بن الحسن الفارسي ، ابن أخت أبي علي الفارسي ، إلا أن شهرته في البلاغة طوفت الافاق حتى صار امام عصره ، ووحيد زمانه في هذا الفن ، وحق له ذلك ، فعبد القاهر الجرجاني هو أول من وضع نظرية علم المعاني واستنبط أحكامه من تقديم وتأخير ، وحصر وقصر ووضع أيضا حروف الحال والوصل والفصل في كتابيه دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة . بل يعتبر أيضا الباني الهيكلي لعلم البيان من تشبيه ، واستعارة ، ومجاز وكناية ، وقد نص أكثر من واحد من علماء الامة واعترف بهذا الجميل لعبد القاهر الجرجاني .

فهذا شوقي ضيف يقول : (ولعبد القاهر مكانة كبيرة في تاريخ البلاغة إذ استطاع أن يضع نظريتي علمي المعاني والبيان وضعا دقيقا أما النظرية الاولى فخص بعرضها وتفصيلها كتابه (دلائل الاعجاز) وأما النظرية الثانية فخص بها ومباحثها كتابه (أسرار البلاغة) (١) .

ويقول أيضا : (ان عبد القاهر كان يرى أن علوم البلاغة علم واحد تتشعب

مباحثه .

وسمى في الدلائل علم المعاني باسم (النظم) وهو اصطلاح كان يشيع

في بيئة الاشاعرة (..... (١) .

ويقول بدوى طبانه في البيان العربي : (ولعل بحث الفصل والوصل

أهم بحث انفرد به عبد القاهر ونقله من كتابيه البلاغيين من بعده ، ولقد عدّ العلم

بما ينبني أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها

وللمجيء بها منشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة وما لا يتأتى

تمام الصواب فيه الا للاعراب الخالص والاقوام الذين طبعوا على البلاغة وأوتوا فنا

من المعرفة في ذوق الكلام وقد بلغ من قوة الامر في ذلك أن جعلوا الفصل والوصل

حدا للبلاغة (..... (٢) .

ويقول محمد رشيد رضا في مقدمة الطبعة الاولى لكتاب الدلائل ما نصه :

(يعتبر الامام عبد القاهر هو مؤسس علمي البلاغة ومقيم ركنيهما المعاني وعلم البيان

بكتابه (أسرار البلاغة) و (دلائل الاعجاز) وان كان السكاكي ومن دونه من علماء

هذا الشأن عيال عليه (..... (٣) .

(وما من شك أن البحث في فكرة النظم كانت سببا رئيسيا في وضع علمي

المعاني والبيان (..... (٤) .

١- شوقي ضيف البلاغة تطور وتاريخ : ١٦٠ .

٢- بدوى طبانه ، البيان العربي : ٢٤٨ .

٣- الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٣٧ .

٤- راجع د . فتحي أحمد عامر ، فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن : ٦٤ وما بعدها .

يرجع بعض العلماء نظرية النظم الى أصول يونانية والى المناظرة التي قامت
 بين يونس بن متى والسيرافي وأن عبد القاهر لم يكن مخترعاً لهذه النظرية أصالة فهذا
 شوقي ضيف يقول في معرض حديثه عن نظرية النظم عند عبد القاهر : (وامن عبد القاهر
 بأن التفسير الصحيح للاعجاز ينبغي أن يطلب في علاقات الكلام النحوية وكان عالمانحوا
 كبيراً قد أشربت روحه كل ما كتبه أستاذه محمد بن الحسن الفارسي وأبو علي الفارسي
 وابن جني فاضطرت مباحثهم في نفسه واضطرت معها مباحث البلاغيين من قبله
 ومباحث الخطابة ونقد الشعر وحقا ان لم يشر الى المباحث الاخيرة ، في الدلائل
 ولكنه أشار في أسرار البلاغة ما يدل على أنه قرأ كتاب الخطابة لرسطو عند ابن سينا
 وأضرابه ، واطلع على ما فيه من حديث عن صحة تأليف الكلام وما ينبغي أن يراعى فيه
 من الروابط ، ومن التقديم والتأخير ، ومن الاتساق بحيث لا تظهر فيه مغالطة ، وما
 ينبغي أن يراعى في الاستفهام ، وفي وصل الكلام وفصله وما يجري فيه من تقطيعوازدواج)
 (١) .

ويقول في موطن آخر : (وينتقل الى الفصل والوصل بين الجمل وينوه بأهميتها
 في البلاغة ونحس في كلامه أصداء من تنويه أرسطو المتكرر بها في كتابه الخطابة) . . . (٢) .
 وفي معرض حديث عبد القاهر عن قوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي ان
 قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين) (٣) .

يقول بعد تعليقه على حديث عبد القاهر : (ونوه من بأنها استلهم في ذلك

١- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٦٧ .

٢- نفس المصدر السابق : ١٧٨ .

٣- سورة

كلام أرسطو في الخطابة عن الفقر ومراعاة الروابط ، وتداخل الكلام بعضه في بعض (

..... (١) .

وفي بعض المواطن ينقل نصوصا من كتاب الخطابة لأرسطو (الا على موافقة

الكلام الذى قاله عبد القاهر لها في بعض الاحيان ، من ذلك : حديث عبد القاهر

الذى يبين أن لا فعلة في نظم بعض الكلام وتأليفه . والفصلة في متونه ومعناه فقط ،

ويذكر قول الجاحظ (جنبك الله الشين وعصك من الحيرة وجعل بينك وبين المعرفة

نسبا وبين الصدق سببا) قال عبد القاهر : (فما كان من هذا وشبه لم يجب فيه فصل

اذا وجب الا بمعناه أو بمعتون الفاظه دون نظمه وتأليفه) (٢) .

قال شوقي ضيف : (وفي تلخيص ابن سينا لكتاب الخطابة لأرسطو قطعة

تلتقي بنفس هذه الفكرة ، وهي تضي على هذا النحو (وأما اللفظ المتخلخل وهو

المقطع مفردا مفردا فهو شي * غير لذيذ ، لأنه لا يتبين فيه الاتصال والانفصال فسي

الحدود التي تنتهى اليها القضايا وغير القضايا أيضا التي هي مثل النداء * والتعجب

والسؤال اذا تمت فان لكل شي * منها حدا أو طرفا يجب أن يفصل عن غيره بوقفه

أو نبذة ، فيعلم ، واذا كان الكلام مقطعا ليس فيه اتصالات وانفصالات لم يلتذ به) . .

..... (٣) .

١- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٨٠ . وانظر: د. فتحي أحمد عامر ، فكرة
النظم بين وجوه الاعجاز : ١٠٠ .

٢- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٦٨ . وما بعدها .

٣- راجع أرسطو، الخطابة : ٢٢٢ نقلا عن شوقي ضيف : ١٧٢ .

قال شوقي : (ولا نشك أن عبد القاهر كان يصدر في أثناء كتابته للفكرة

السابقة عن كلام أرسطو في الخطابة ، مما نقلناه ، وما يتصل بسببه) (١) .

ثم يقول شوقي : (ولسنا نزع أن شيئا من ذلك كله دفع عبد القاهر لاجداث

نظريته ، وما استخرجه من قواعد المعاني الاضافية ، وانما نزع أنه قرأ ذلك كله واستوعبه

استيعاب الحاذق البصير ، ومن المؤكد أن ما كتبه نحاة العرب منذ سيبويه فسي

خصائص التعبيرات النحوية شي * يفوت الحصر ، وان عبد القاهر أفاد ما كتبه فائدة

كبيرة في دراسته التي انتهت به الى وضع نظرية في المعاني الاضافية وصور الاداء

النحوية للكلام ، أو بعبارة أخرى في النظم والخواص التركيبية للمعارات) . . . (٢) .

وأما بدوى طبانة فقد أعاد أصل النظرية الى الواسطي والمناظرة التي جرت

بين السيرافي ومتى حيث يقول : (والواقع أن هذه الفكرة لم يكن عبد القاهر مخترعا

لها ، وان كان هو الذي بسط فيها القول وأقام على أساسها فلسفة كتابه ، فقد

سبقه اليها أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطي المتكلم (ت / ٣٠٧) الذي ألف كتابا

سما « اعجاز القرآن في نظمه » وظهرت هذه الفكرة واضحة في الصراع الذي أشاره

امتزاج الثقافات وتعصب حملة اليونانية لفلسفة اليونان ومنطقهم ، ودفاع حملة العربية

١- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ١٧٢ .

٢- نفس المصدر السابق : ١٦٧ .

عن تراثهم وتقافتهم ومنها الثقافة النحوية ، ومن مظاهر هذا الصراع تلك المناظرة
 الحادة التي قامت بين السيرافي ، ويونس بن متى (ثم يذكر أفكار المناظر الى أن
 يقول) : (وتلك حقيقة الافكار التي تبناها عبد القاهر وصاغ منها كتابه) (دلائل
 الاعجاز) (١)

والقول الفصل في ذلك أن عبد القاهر فعلا استفاد من الذين سبقوه واستوعب
 أقوالهم وآراءهم حتى استطاع أن يصل الى هذه النظرية فهي خلاصة ما توصل اليه
 من خلال مطالعته وقراءته .

وينص بنفسه على ذلك فيقول : (ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قال
 العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة وفي بيان المفرد من هذه
 العبارات ، وتفسير المراد بها فأجد بعض ذلك كالرمز والايما ، والاشارة في خفاء
 ومعضه كالتبويه على مكان الخبي * ليطلب وموضع الدفين ليهبحث عنه فيخرج وكما يفتح
 لك الطريق الى المطلوب لتسلكه وتوضع لك القاعدة لتبني عليها .

ووجدت المقول على أن ههنا نظما وترتيبا وتأليفا وتركيبا وصياغة وتصويرا
 ونسجا وتحويرا ، وان سبيل هذه المعاني في الكلام الذي هي مجاز فيه ، سبيلها
 في الاشياء التي هي حقيقة منها ، وأنه كما يفضل هناك النظم والنظم والتأليف والتأليف
 والنسيج النسيج ثم يعظم الفضل وتكثر العزبة حتى يفوق الشيء * نظيره

والمجانس له درجات كثيرة ، وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد ، كذلك يفضل بعض الكلام بعضا ويتقدم منه الشيء الشيء ثم يزداد من فضله ذلك ويترقى منزلة فوق منزلة ويعلوا مرقبا بعد مرقب ، ويستأنف له غاية بعد غاية حتى ينتهي الى حيث تنقطع الاطماع وتحسر الظنون ، وتسقط القوى ، وتستوى الاقدام في العجز) . . . (١) .

يعدّ الفصل والوصل عند عبدالقاهر جزاء من نظريته التي ابتكرها في اعجاز القرآن ، وهي نظرية النظم ، ويظهر ذلك جليا عند قوله مشيرا الى تعريف هذه النظرية : (اعلم أن ليس النظم الا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نهجت ، فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها ، وذلك أنا لانعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه ، فينظر في الخبر الى الوجوه التي تراها في قولك (زيد منطلق) . . . الى أن يقول : وينظر في الجمل التي تسمد فيعرف موضع الوصل ثم يعرف فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء وموضع القاف من موضع ثم . . . فيضع كلا من ذلك في مكانه ويستعمله على الصحة وعلى ما ينبغي له) .

فالوصل والفصل علاقات ارتباط بين الجمل والمفردات على نبط اللغة العربية

واستعمالاتها الصحيحة عند العرب .

وإذا كانت نظرية النظم التي حدد معالمها الشيخ عبدالقاهر تبحث فسي
توخي معاني النحو في الكلام ، واختبار الكلمة المناسبة بأقسامها الثلاثة ، وانزالها
اللائق بها بحيث لو أريد استبدالها لأختل النص ، والنظر الى مجموع الكلام متصلاً
بعضه ببعض ، فإن الفصل والوصل على هذا الأساس جزءاً لا يتجزأ من هذه النظرية
إن يبحث في طرق اتصال الجمل بعضها ببعض أو انفصالها عن بعضها البعض وأسباب
الاتصال أو الانفصال .

والعلاقات بين الجمل لا تخلو منها لغة وإن كانت معروفة عند العرب كما
بيننا وتحذيرهم من الدمج أو عدم معرفة مواطن الفصل والوصل ، فقد عرفت أن الامم
الأخرى كالإيونانية .

وقد تنبه الى مثل هذه العلاقات أرسطو وبين ذلك بدوى طبانة بقوله :
(وقد نبه أرسطو الى أمر له خطورة في فن القول ، وهو ضرورة المعرفة باللغة التي
يعبر بها وإدراكه لا سرار التعبير بها ، وهذا يقتضي ثقافة لغوية تعينه على تحقيق تلك
الغاية فيعرف اللفظ ودلالته المحققة أو المشتركة أو المترادفة ، ويعرف ربط الجمل
وأوقات الربط ومواقع استعمال كل منها (١) .

فليس معرفة أرسطو الى مثل هذه القضايا سبباً في معرفة العرب لذلك وليس
من الضرورة القول بأن الفصل والوصل عند العرب ، فن مأخوذ عن اليونان أو غيرهم

١- بدوى طبانة ، النقد الأدبي عند اليونان : ٢٢٠ .

أو أي عبارة قريبة من هذا ، وكذلك فنون البلاغة الأخرى ، ولسنا نزعم عدم تأثر العرب بغيرهم أو تأثيرهم في غيرهم بل الذي نقوله كما يقول بدوي طبانه :

(فإذا قلنا : ان البلاغة العربية هي نتاج العقلية العربية المحضة ، وخلاصة الفكر العربي ، لاشك أننا نكون مخطئين ، كما أننا اذا قلنا : ان البلاغة العربية هي مستوردة ، ولا مجال ، ولا أثر للعقلية العربية فيها ، نكون أيضا مخطئين ، والصحيح أن من طبيعة الأمم المتجاورة المختلفة أن يكون بينها نوع من الامتزاج الحضاري ونوع من التأثير والتأثير ايجابيا أو سلبيا ، فإذا قلنا : ان الحضارات اليونانية والرومانية ، والهندية ، وحضارة الصين تأثرت بالحضارة الاسلامية العربية ، لا نقصد بذلك العساس من الحضارات الأخرى والعكس صحيح . . . وقد اطلع العرب في أوج حضارتهم على الكتب من الحضارات الأخرى المختلفة وترجموا الكثير منها أمثال كتاب الخطابة لأرسطو اليوناني . . . واستفادوا منه الكثير في مجالات النقد والبلاغة) . . . (١) .
والذي نريد أن نقوله أن اطلاع عبد القاهر على كتب اليونان أو غيرهم واستفادته منها لا ينقص من قيمة ما جاء به ولا ، يفض من كونه المبتكر لهذا الفن من النظم الذي قسمه فيما بعد تحت عنوان علم المعاني والذي يعتبر الفصل والوصل جزأ منه .

١- بدوي طبانه ، النقد الأدبي عند اليونان ، بتصرف : ٢٤٥ وما بعدها .

ويبدأ الشيخ عبد القاهر الجرجاني حديثه عن الفصل والوصل ببيان أهمية هذا الفن وخطورته ، وأن معرفة هذا الفن من أسرار البلاغة حيث يقول : (اعلم أن العلم بما يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض أو ترك العطف فيها والمجيء بها مشورة تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة وما لا يأتي لتمام الصواب فيها إلا الاعراب الخالص ، والاقوام طبعوا على البلاغة ، وأتوا فنا من المعرفة في ذوق الكلام هم لها أفراد ، وقد بلغ من قوة الامر في ذلك أنهم جعلوه حدا للبلاغة ، فقد جاء عن بعضهم أنه سئل عنها فقال : (معرفة الفصل والوصل . .

• (١) (. . .)

ذاك لغموضه وذقة مسلكه وأنه لا يكمل لا حراز الفضيلة فيه أحد الا كمل لسائر

معاني البلاغة) (٢)

فمعرفة الفصل والوصل ليس حدا حقيقيا للبلاغة على ما قاله عبد القاهر فهناك

فنون كثيرة تحتاج الى الدرس والمعرفة ، وفيها من الاسرار والغموض الشيء الكثير .

وقد وجدنا من تعبير هذه المقولة ومعرفة الفصل من الوصل (الواردة في

البيان والتبيين عند الجاحظ للبلاغة وناقشها على هذا الاساس ، فقد ناقشها

ابن سنان الخفاجي بقوله : (وقد حد الناس للبلاغة بحدود اذا حققت كانت

١- هذه العبارة وردت في البيان والتبيين : ١ / ٨٠ .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٤٠ .

كالرسوم والعلائم وليست بالحدود الصحيحة ، فمن ذلك قول بعضهم : . . . وكذلك
قال آخر: البلاغة معرفة الفصل من الوصل لأن الانسان قد يكون عارفاً بالفصل والوصل
عالمًا بتميز مختار الكلام من مطروحه وليس بينه وبين البلاغة سبب ولا نسب ولا يمكنه أن
أن يؤلف ما يختاره من تأليف غيره .

والحدود لا يحسن فيها التأول واقامة المعاذير ، وغرابة الفاظ ، لا تدل
على المقصود ، لانها مبنية على الكشف الواضح موضوعة للبيان الظاهر ، والغرض بها
السلامة من الغامض فكيف يوقع في غامضه بمثله (١) . . .

ثم يبين الشيخ عبد القاهر العلاقة بين المفردات بينها وبين أن المقصود
بالعطف هو اشراك الثاني في حكم الاول واعرابه على ما يقتضيه علم النحو وذلك بقوله :
(واعلم أن سبيلنا أن ننظر الى فائدة العطف في المفرد ثم نعود الى
الجملة فننظر فيها ونتعرف حالها ، ومعلوم أن فائدة العطف في المفرد أن يشرك
الثاني في اعراب الاول ، وانه اذا اشركه في اعرابه فقد اشركه في حكم ذلك الاعراب ،
نحوان المعطوف على المرفوع بأنه فاعل مثله ، والمعطوف على المنصوب بأنه مفعول
به أو فيه اولد شريك له في ذلك) . . . (٢) .

وقد وجدنا من يفهم من كلامه ، أن عبد القاهر لم ينص على عطف المفرد فسي

١- ابن سنان الخفاجي ، سر الفصاحة :

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٤ .

الفصل والوصل ، وذلك في كتاب أثر النحاة في البحث البلاغي ، حيث يقول المؤلف :
 (ولم يفهم من كلامه عبد القاهر تصريحها أو تلويحها ما يدل علي نفي الفصل والوصل بين
 المفردات) (١) .

والصحيح أن عبد القاهر قد نص صراحة على الفصل والوصل بين المفردات

لكن الشيخ عبد القاهر لم يمثل لهذا النوع .

ثم يتحدث عن أضراب المعطف بين الجمل ويجعله قسمين : قسم حكمه حكم

المفرد وهو واقع في الجمل التي لها محل من الاعراب ، وهذا النوع أمره هين ، سهل

لظهور وجه الحاجة فيه الى الواو ، وهو الاشراك في الحكم بين الثانية والاولى .

ونص عبارة الشيخ كما جاءت في الدلائل : (فان الجمل المعطوف بعضها

على بعض على ضربين :

أحدهما : أن يكون للمعطوف عليها موضع من الاعراب واذا كانت كذلك كان

حكمها المفرد ، اذ لا يكون للجمل موضع من الاعراب حتى تكون واقعة موقع المفرد ،

واذا كانت الجملة الاولى واقعة موقع المفرد ، كان عطف الثانية عليها جاريا مجرى

عطف المفرد ، وكان وجه الحاجة الى الواو ظاهرا ، والاشترك بها في الحكم موجودا

فاذا قلت : (مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح) كتبت قد اشركت الجملة الثانية في حكم

الاولى ، وذلك الحكم كونها في موضع جر بأنها صفة للنكرة ونظائر ذلك تكثر والا مر

فيها يسهل) (١) .

والقسم الثاني وهو الذي فيه الاشكال وهو كون الجملة الاولى ليس موقعا من
الاعراب تعطف عليها جملة أخرى بالواو فلا سبيل للادعاء أن الواو أشركت الثانية
في حكم الاولى .

إذا : فما السر في العطف ولم لا يستوى العطف وتركه ؟ هذا هو الاشكال
كما يقول الشيخ يكمن في الواو دون غيرها من الحروف لأنها لا تغيد عند العطف
المطلق الجمع أما غيرها فيزيد على الجمع الترتيب أو الترتيب والتراخي وهكذا . . .
يقول الشيخ : (والذي يشكل أمره هو الضرب الثاني ، وذلك أن نعطف
على الجملة العارضة الموضع من الاعراب جملة أخرى كقولك : (زيد قائم وعمر قاعد) . . .
. . . لا سبيل لنا أن ندعي أن الواو أشركت الثانية في اعراب قد وجب للاولى بوجسه
من الوجوه ، وإذا كان كذلك فينبغي أن نعلم أن المطلوب من هذا العطف والمغزى
منه ولم لم يستوالحال بين أن نعطف وبين أن ندع العطف فنقول : (زيد قائم عمرو
قاعد) بعد أن لا يكون هنا أمر معقول بالعطف ليشرك بين الاولى والثانية فيه ؟

واعلم أنه إنما يعرض الاشكال في الواو دون غيرها من حروف العطف ، وذلك

لأن تلك تغيد مع الاشراك معاني) (٢) .

ويتكلم عن المناسبة وأنه لا يتصور اشتراك شيئين في حكم لا مناسبة بينهما

١- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٤١ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢٤١ .

قال : (ولا يتصور اشراك شيئين حتى يكون هناك معنى يقع ذلك الاشتراك فيه . . .

• (١) ••

وأن الجملة اذا ضمت الى أخرى دون مناسبة كان الكلام فاسدا .

وبذا كرم من ذلك قول أبي تمام :

لا والذي هو عالم أن النوى صيروا أبا الحسين كـريم

اذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى ، ولا تعلق لاحدهما بالآخر

ولا الحديث بهذا يستدعي الحديث بذاك .

وشرط المناسبة عند ، أن تكون بين المسند اليه في الجملة الاولى والمسند

اليه في الجملة الثانية ، وبين المسند في الجملة الاولى والمسند في الجملة الثانية

فلا يصح أن يقال : (زيد طويل القامة ، وعمر شاعر) لانه لا مشاكلة ولا تعلق بين

طول القامة وبين الشعر وهكذا وكما يقع هذا في الاشخاص يقع في المعانسي

كقولك : (العلم حسن والجهل قبيح) . ويشتهر معنى المناسبة اذا كان المسند

اليه في الجملتين واحد كقولك مثلا (هو يضر وينفع) .

ثم تحدث عن الفصل بين الجمل دون رابط الواو لوجود روابط أخرى . من ذلك

الجملة المؤكدة لما قبلها والمبينة لها ، وذلك كقوله تعالى : (ألم ذلك الكتاب لا

ريب فيه) ويشرح التأكيد هنا فيقول : (لا ريب فيه) بيان وتأكيد وتحقيق لقوله :
 ذلك الكتاب) وزيادة تثبت له ومنزلة أن تقول : (هو ذلك الكتاب ، هو ذلك
 الكتاب فتمعيده مرة مرة ثانية لتثبته .

وليس يثبت الخبر غير الخبر ، ولا شيء * يتميز به عنه فيحتاج الى ضمام
 يضمه اليه وعاطف يعطفة عليه) (١) .

وقد أورد أيضا أمثلة للتوكيد وهو قوله تعالى : (ومن الناس من يقول آنا
 بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله) قال الشيخ : (انما قال يخادعون
 ولم يقل ويخادعون لان هذه المخادعة ليست شيئا غير قولهم (آنا) من غير أن
 يكونوا مؤمنين فهو اذا كلام أكد به كلام آخر هو في معناه وليس شيئا سواه) . . . (٢) .
 ويحدد معنى التأكيد فيقول : (. . . حد التأكيد أن تحقق باللفظ معنى
 قد فهم من لفظ آخر قد سبق منك) (٣) .

ويوضح ذلك في مثال من المفردات فيقول : (أفلا ترى أنه انما كان (كلهم
 في : جاءني القوم كلهم تأكيدا من حيث كان الذي فهم منه وهو الشمول قد فهم
 بديثا من ظاهر لفظ القوم) (٤) .

-
- ١- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٢٤٤ .
 - ٢- نفس المصدر السابق : ٢٤٤ .
 - ٣- نفس المصدر السابق : ٢٤٦ .
 - ٤- نفس المصدر السابق : ٢٤٦ .

ولم يقسم الشيخ عبد القاهر البدل الى أقسام كما فعل من جاء بعده ويتحدث

عن التبيين على قوله تعالى : (ما هذا بشرا ان هو الا ملك كريم) (١) .

بعد أن يوضح وجه التأكيد فيها فيقول : (وأما الوجه الثالث الذي هو

شبيه بالصفة ، فهو أنه اذا نفي أن يكون بشرا فقد أثبت له جنس سواء ، ان من المحال

أن يخرج من جنس البشر ثم لا يدخل في جنس آخر ، واذا كان الامر كذلك اثباته

ملكا تبينا وتعينا لذلك الجنس) . . . (٢) .

وتحدث عن الفصل أيضا اذا كان العطف يوهم وصلا في الكلام غير مقصود

كما في قوله تعالى : (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن

الله يستهزؤ بهم) على (انما نحن مستهزؤن) لكون الجملة الاولى حكاية عن

الله ، والثانية خبر منه ، قال الشيخ : وما هو أصل في هذا الباب ، أنك ترى الجملة

وحالها مع التي قبلها حال ما يعطف ويقرن الى ما قبله ، ثم تراها قد وجب فيها

ترك العطف لأمر عرض فيها فصارت أجنبية عما قبلها ، مثال ذلك قوله تعالى : الله

يستهزؤ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون (الظاهر كما لا يخفى يقتضي أن

يعطف على ما قبله من قوله : (انما نحن مستهزؤن) وذلك أنه ليس بأجنبي منه

بل هو نظير ما جاء معطوفا من قوله (يخادعون) . . . ثم انك تجده قد جاء غير

١- سورة يوسف ، الآية : ٣١ .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٤٦ .

معطوف وذلك لأمر أوجب أن لا يعطف ، وهو أن قوله تعالى (انما نحن مستهزؤن)
 حكاية عنهم أنهم قالوا : وليس بخبر من الله تعالى ، وقوله تعالى (الله يستهزى
 بهم) خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم .

وإذا كان كذلك ، كان العطف ممتعا لا استحالة أن يكون الذي يخبر من

الله تعالى معطوفا على ما هو حكاية عنهم (..... (١) .

ويتحدث عن الفصل لا اختلاف الجملتين خبرا وانشاء فيقول عند قوله

تعالى : (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء إلا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون)

فقوله (أنؤمن) استفهام ولا يعطف الخبر على الاستفهام .

ويتحدث عن الجمل ذات حكم اعرابي لا يقصد اعطاؤه لغيرها لسبب

مانع وذلك عند قوله تعالى : (وإذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن

مستهزؤن الله يستهزى بهم) قال الشيخ ردا على سؤال ، لم لم يعطف قوله

تعالى : (الله يستهزى بهم) على قوله : (قالوا انا معكم ؟ والا جابة . كما يقول

الشيخ : ان قالوا ههنا جواب شرط ، فلو عطف قوله : (الله يستهزى بهم) عليه

للزم ادخاله في حكمه من كونه جوابا وذلك لا يصلح ويعمل ذلك لكون المعنى عند

أنهم اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن) فاذا قالوا ذلك

استهزأ الله بهم ومدهم في طغيانهم يعمهون ، والجزأ من الله انما وقع على نفس
 الاستهزاء وفعلهم له لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بانفسهم استهزؤن والعطف
 على (قالوا) يقتضي أن يكون الجزأ على حد يشتم عن أنفسهم بالاستهزاء لا عليه
 نفسه (..... (١) .

ويتحدث عن الاستئناف (شبه كمال الاتصال) على نفس الآية السابقة
 فيقول : ﴿ وهاهنا أمر سوى ما مضى يوجب الاستئناف وترك العطف وهو أن الحكاية
 عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تحرك السامعين لأن يعلموا مصير أمرهم وما يصنع بهم
 وأنزل بهم النعمة عاجلا أم لا تنزل ومهلون .

وتوقع في أنفسهم الشك لأن يتبين لها ذلك . واذ كان كذلك ، كان هذا
 الذي قوله (الله يستهزئ بهم) في معنى ما مصدر ، جوابا عن هذا المقدر وقوعه
 في أنف السامعين ، واذ كان مصدره كذلك كان حقه أن يوتى به مبتدأ غير معطوف
 ليكون في صورته اذا قيل : فان سألتهم قيل لكم الله يستهزئ بهم (..... (٢) .
 ويقرر عبدالقاهر ان هذا النوع من الاستئناف يطرد في كل جملة تتضمن

١- عبدالقاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز بتصريف : ٢٤٩ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢٥٠ .

سوء الا حيث قال : (واذ استقرت وجدت هذا الذي ذكرت لك من تنزيلهم الكلام اذا ما جاء بعقب ما يقتضي سوء الا منزلته اذا صرح بذلك السؤال كثيرا) . . . (١) .
 ويبين قاعدة في الاستئناف حالة كون السؤال ظاهرا أو مقدرا ، فيلزم ذكر الفعل في الجواب للسؤال المقدر ، ولا يلزم اذا كان السؤال مذكورا ، ويفسر ذلك بقول الشاعر :

وما عفت الرياح له محــــلا
 عفاء من حدا بهم وساقا

قال : (تفسير هذا أنه يجوز اذا قيل ان كانت الرياح لم تعفه فما عفاء ؟
 أن تقول من حدا بهم وساقا ولا تقول : عفاء من حدا ، كما تقول من في جواب من يقول : من فعل هذا ؟ زيد ، ولا يجب أن تقول : فعله زيد ، وأما اذا لم يكن السؤال مذكورا كالذي عليه البيت فانه لا يجوز أن يترك ذكر الفعل ، فلو قلت مثلا : وما عفت الرياح له محلا من حدا بهم وساقا تزعم أنك أردت (عفاء من حدا بهم) شمس تركت ذكر الفعل أحلت لأنه انما يجوز تركه حيث يكون السؤال مذكورا لأن ذكره فيه يدلى على ارادته في الجواب فاذا لم يوءت بالسؤال لم يكن الى العلم به سبيلا) . . . (٢) .

ويقرأ أيضا أن كل ما جاء في القرآن من لفظ قال مفصلا غير معطوف ، فالتقدير

فيه كونه جوابا لسؤال مقدر .

١- عبد القاهر الجرجاني بولائل الاعجاز : ٢٥٠ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢٥٣-٢٥٤ .

ويأت بأمثلة كثيرة منها قوله تعالى : (هل أتاك حديث إبراهيم

المكرمين اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون) (١) .

وينتهي الشيخ عبدالقاهر الجرجاني من شرحه السابق بخلاصة للقوانين

والاصول في الفصل والوصل ويجعل المسائل السابقة تتدرج تحت ثلاثة أقسام رئيسية

في الجمل :

أولها : جملة مع التي قبلها كالصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكّد وهذه

لا عطف فيها البتة لأن العطف فيها كعطف الشيء على نفسه ويسميه الشيخ ترك العطف

للاتصال الى الغاية .

وثانيها : جملة تباير ما قبلها الا أن بينهما مناسبة واشتراك في حكم ، وهذا

النوع حقه العطف ويسميه الشيخ (العطف لما هو واسطة بين الامرين) .

وثالثها : جملة لا ارتباط لها بما قبلها ولا مناسبة بينها وهذا حقه ترك

العطف البتة ويسميه الشيخ (الانفصال الى الغاية) فالجمل : اما اتصال الى الغاية

أو انفصال الى الغاية ، أو التوسط بين الامرين ، وهذا يقتضي الواو .

ويعقد الشيخ عبدالقاهر فصلا من القول دقيق المسلك يبين فيه الروابط

بين فصول الكلام وقره ، وساطق عطف الجمل على ما يناسبها ، لأن الجملة أحيانا

لا تعطف على مثلها بل على مجموعة جمل سابقة ، وأحيانا يقع العطف بين جملتين

يكون بينهما فاصل جملة أو أكثر فامر العطف اذا كما يقول الشيخ موضوع على أنك
تعطف تارة جملة على جملة ، وتعهد أخرى الى جملتين أو جمل فتعطف بعضها
على بعض ثم تعطف مجموع هذه على مجموع تلك (١)

ويوضح الشيخ مقاله من خلال أمثلة شعرية ، وآيات من التنزيل ، من ذلك
قوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي ان قضينا الى موسى الامر وما كنت
الشاهدين ولكنا أنشأنا قرونا فتناول عليهم العمر وما كنت ثاويها في أهل مدين
تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كما مرسلين) (٢)

قال الشيخ : لو جريته على الظاهر فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها
منه لفسد المعنى وذلك أنه يلزم منه أن يكون قوله (وما كنت ثاويها في أهل مدين)
معطوفا على قوله (فتناول عليهم العمر) وذلك يقتضي دخوله في معنى (لكن)
وبصير كأنه قيل ولكنا ما كنت ثاويها ، وذلك ما لا يخفى فساد ، واذا كان كذلك ، بان
منه ، أنه ينبغي أن يكون قد عطف مجموع (وما كنت ثاويها في أهل مدين) على
(مرسلين) على مجموع قوله (وما كنت بجانب الغربي) الى قوله (العمر) (٣)

وقد ذكر أن هذا سمي فيما بعد بعطف القصة على القصة . ويجعل الشيخ

الشرط والجزاء من هذا النوع اذا تعددت جمل الشرط والجزاء كقوله تعالى : (ومن

١- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٢٥٨ .

٢- سورة القصص ، الآية : ٤٤ .

٣- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٢٥٨ .

يكسب خطيئة أذا ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتاننا واثما مبينا (قال الشرط كما يخفى من مجموع الجملتين لا في كل واحدة منها على الانفرد ولا في واحدة منهما دون الأخرى) والا لزم منه اشتراك ما ليس بشرط في الجزم بالشرط وذلك ما لا يخفى فساد ، ثم انا نعلم من طريق المعنى ، أن الجزاء الذي هو (احتمال البهتان والاثم السبين) أمر يتعلق ايجاب لمجموع ما حصل من الجملتين ، فليس هو لاكتساب الخطيئة على الانفرد ، ولا لرمي البريء بالخطيئة أو الاثم على الاطلاق بل لرمي الانسان البريء بخطيئة أو اثم كان من الرامي) (١) .

ومن القضايا التي أثارها الشيخ عبدالقاهر الجرجاني والتي لها صلة وثيقة في الوصل والفصل ، الجملة الحالية ، فقد بحث الشيخ فيها بحثا بين من خلاله : ان الحال تأتي مفردة ، وتأتي جملة ، والذي يهتدنا نحن الحال اذا كانت جملة وكما بين الشيخ لا بد لها من رابط يربطها بصاحب الحال ، وهذا الرابط ، اما الواو واما الضمير أو هما معا .

ومن أيضا أن الرابط (الواو تمتع أحيانا ، وتجب أحيانا أخرى ، وتحسن في مناطق ، وفي تتميز ذلك صعوبة وبأخذ ببيان ذلك قائلا : (ان الجملة اذا كانت

من مبتدأ وخبر ، فالغالب عليها أن تجيء مع الواو ، كقولك جاني زيد وعمرو أمامه (

••••• (١) •

أما إذا كان المبتدأ من الجملة ضمير صاحب الحال فتجب الواو كقولك :

(جاني زيد وهو راكب) . ويكثر ترك الواو إذا كان الخبر ظرفا أو جارا أو مجرورا

مقدما على المبتدأ . ومثاله قول بشار :

إذا نكرتني بلدة أو نكرتنيها خرجت مع البازي علي سوار

وقول أمية :

فأشرب هنيئا عليك التاج مرتفقا في رأس غمدان دارا منك محلا

وقد يجيء ترك الواو أيضا في مثل قولهم (كلمته فوه الي في) (ورجع عودة

على بدنه ، وإذا كانت الجملة مصدره بفعل مضارع غير منفي تمتع الواو مثل قوله تعالى

: (ولا تضن تستكثر) (جاني زيد يسعى غلامه بين يديه) ولا فرق في كون الفعل

لصاحب الحال أو لمن هو من سببه في ذلك .

أمسا إذا كان مضارعا منغيا ، فالواو جائزة في ذلك وتركها كثير مثل : (كنت

ولا أخشى بالذنب) بمعنى وجدت غير خاش للذنب ، وبدون الواو مثل قول العباسي :

مضوا لا يريدون السروح وظالمهم من الدهر أسباب جرين على قدر

(١) - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٢٣٠ ، وما بعدها .

ومثل المضارع المنفي ، الماضي أيضا الا أنه لا يقع حالا مع قد مقدرة أو ظاهرة

فمثاله مع الواو قولهم : (أتاني وقد جهده السير ، وبخير الواو كقول الشاعر جندح

المرى :

متى أرى الصبح قد لاحت مخاليه والليل قد مزقت عنه السراويل

ويبين أن الجملة الحالية اذا كانت خالية من الواو ، فهي بمثابة القيد للجملة

الاولى بفرد منها ، وأما اذا كانت بالواو فهي جملة في حكم الانفصال ، وان الامر

نوع من الاستئناف .

قال الشيخ : (وان قد عرفت هذا ، غاعلم أن كل جملة وقعت حالا ، ثم

امتعت من الواو فذاك لاجل أنك عمدت الى الفعل الواقع في صدرها فضعته الى

الفعل الاول في اشنيات واحد ، وكل جملة جاءت حالا ثم اقتضت الواو فذاك لانك

مستأنف بها خبرا ، وغير قاصد الى أن تضمها الى الفعل الاول في الاشنيات . . (١) .

وبوضح هذه القضية بالامثلة فيقول : (تفسير :) اذا قلت (جائي زيد

يسرع كان بمنزلة قولك جائي زيد مسرعا ، انك تثبت مجيئا فيه اسراع وتصل أحد

المعنيين بالآخر ، وتجعل الكلام خبرا واحدا وتريد أن تقول : جائي بهذه الهيئة)

• (٢) ••••••••

١- عبد القهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٣٤ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢٣٤ .

(واذا قلت : (جاءني وعلامه يسمى بين يديه) و (رأيت زيدا وسيفه على كتفه)

كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المجيء والوئية ، ثم استأنفت خبرا ، وابتدأت
ثانيا لسفي الغلام بين يديه ، ولكن السيف على كتفه ، ولما كان المعنى على استئناف
الاثبات ، احتيج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى ، فجاء بالواو كما جي بها
في قولك (زيد منطلق وعمرو ناهب ، والعلم حسن والجهل قبيح ، وتسميتنا لها
(واو الحال) لا يخرجها عن أن تكون محتاجة لضم جملة الى جملة (١) .

ويصل الى نتيجة وهي أن الاصل في الجمل المكونة من مبتدأ وخبر وقعت

حالا الاصل أن تكون مع الواو ، وما جاء خلاف ذلك فهو يضرب من التأويل ونوع من

التشبيه كما يقول الشيخ : فقله (كلمته) (فوه الى في) انما حسن بغير واو من أجل

أن المعنى كلمته مشافها له ، وكذلك قولهم (رجع عود على بدئه) انما جاء الرفع

فيه والابتداء من غير واو لان المعنى رجع ناهبا في طريقه الذي جاء فيه . . (٢) .

وان الجملة من المبتدأ والخبر الخالية من الواو انما جاءت على ارادة الواو

كما جاء الماضي على ارادة قد (٣) .

١- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٣٥ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢٣٧ .

٣- نفس المصدر السابق : ٢٣٨ .

(٤) الفصل والوصل عند الزمخشري في كتابه الكشاف.

رأينا فيما سبق كيف أن الامام عبدالقاهر الجرجاني استطاع أن يضع نظريتي علم المعانسي والبيان ، ويوضح جزئياتها بشكل يقرب الى الكمال ، بحيث لم يدع لمن بعده الا ما ندر من جزئيات النظريتين ، وأكثر العاملين في البلاغة من بعده ، عدوا الى التطبيق على النصوص القرآنية وغيرها ، واما الى صياغة القوالب القانونية وتحديد الحدود

ومن أعظم الذين استلهموا قواعد هذين الغنمين ، المعاني والبيان ، الامام جلاله الزمخشري ، فقد استطاع هذا الامام أن يخرج تلك القواعد الى حيـز التنفيذ ، بعد أن كانت نظريات ، التطبيق عليها قليل في النصوص الادبية .

وأسهب في تطبيقاته حتى شمل آي الذكر الحكيم في كتابه المسمى (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل) المشهور (بالكشاف) وهو يقصد في تطبيقاته امانة اللثام عن اعجاز القرآن وبيان وجوه هذا الاعجاز ، ووضع اليد على معانيه البلاغية ، ولا يكون ذلك الا بكشف أسرار النظم ودقائق المعانسي

والتصوير ، خاصة أنه يعتبر علم المعاني والبيان ، من أهم عدة الباحث في تفسير القرآن ، ومعرفة وجوه اعجازه حيث يقول : (وانما الذى تباين فيه الرتب ، وتحاكت فيه الركب ، ووقع فيه الاستباق والتفاضل . . . علم التفسير الذى لا تتم لتعاطيه واحالة النظر فيه كل ذى علم فالقاضي وان برز على الاقران في علم الفتاوى ، والاحكام ، والمتكلم وان برز أهل الدنيا في صناعة الكلام ، وحافظي القصص والاخبار وان كان من ابن القرية أحفظ ، والواعظ وان كان من الحسن البصرى أوعظ ، والنحوى وان كان أنحى من سيبويه ، واللغوى وان يطك اللغات بقوة لجيبه ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يخصوص على شيء من تلك الحقائق ، الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان) (١) .

والذى يهمني هو أن الفصل والوصل ، جزء من علم المعاني ، وان الزمخشري كان له الاثر في هذا الفن من جهة التطبيق الواسع في القرآن ، فمن خلال الكشف نجد له تطبيقات على معظم ما جاء به عبدالقاهر ، في قضايا عطف الجمل وترك العطف ، أسوق في هذا البحث ما يبين ذلك .

ففي بداية سورة البقرة ، نجده يسوق لنا الآيات ، مفصلا ومقسما اياها الى جمل كل على حدة ومبيناً ارتباطاتها بعضها ببعض وموضحاً سبب ترك العطف بينها

وهو أن هذه الجمل مؤكدة لبعضها البعض ، حيث يقول عند قوله تعالى : (ألم

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) (١)

(والذي هو أرنح عرفا في البلاغة ، أن يضرب عن هذه الحال صفحا ، وأن

يقال : ان قوله (ألم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم ، مستقلة بنفسها

(وذلك الكتاب) جملة ثانية (لا ريب فيه) جملة ثالثة (هدى للمتقين) جملة

رابعة ، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة ، وموجب حسن النظم ، حيث جي* بها

متناسقة هكذا من غير حرف نسق ، وذلك لمجيئها متأخية آخذا بعضها بعنق بعض

فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها وهم مجرا الى الثالثة والرابعة ، بيان ذلك ، أنه

نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير اليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال

فكان تقريرا لجهة التحدى وشدا من أعضائه ثم نفى عنه أن يتشبه بأطراف من الرب

فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه كمال أكمل ما للحق واليقين ، ولا نقص أنقص مما

للباطل والشبهة ثم أخبر عنه أنه هدى للمتقين فنقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم

الشك حوله ، وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) (٢)

فهذه الجمل الاربعة التي جي* بها من غير حرف نسق شديدة الصلة

ببعضها لدرجة يستغنى عن العاطف ، فبينها كمال اتصال - كما يقول البلاغيون -

١- سورة البقرة ، الآية : ٢-١ .

٢- الزمخشري ، الكشاف : ١/١٢١-١٢٢ .

وبيان ذلك أن وصف الكتاب فيها بالكمال في الهداية تقريرا لما تضمنه
 (الم) من معنى التحدى وتأكيده له ، ونفي الريب عنه أيضا تأكيد لكماله في الهداية
 وكونه هدى للمعتقين ، ابعادا للشك عنه ، وأنه يقين خالص ، وهذا معنى ما قاله
 الزمخشري واحد تطبيقاته في الفصل والوصل .

فكأنه جواب لمن سأل لم كانت هذه الجملة دون عاطف ؟ فكان الجواب انها
 تأكيد بعد تأكيد ، والتأكيد المؤكدة كالشيء الواحد ، لا يفصل بينهما بشيء* .
 ومن تطبيقاته في كمال الاتصال أيضا ، كلامه على التوكيد عند قوله تعالى :
 (ان الذين كفروا سواء عليهم أذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) حيث اعتبر قوله
 تعالى : (لا يؤمنون) جملة مؤكدة فيقول : (فان قلت ما موقع (لا يؤمنون) ؟
 قلت : اما أن تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا (لأن) والجملة التي قبلها
 اعتراض) (١) .

واعتبار الجملة مؤكدة خير من اعتبارها خبرا ، والسطة في ذلك - كما
 يقول ابن المنير (جعل) (لا يؤمنون) تأكيدا ، وبيان الاستواء في عدم الاجداء
 أولى من أن يجعل خبرا وما قبله اعتراض لأن ما تقدمه أقوى وأظهر منه في افادة ما
 سبق له الكلام فالاخرى أن تكون عمدة فيه لا معترضة مستغنى عنها) (٢) .

١- المخشري ، الكشاف : ١ / ١٥٥ .

٢- مستغنى عنها : هذه العبارة مفادها أن القرآن فيه حشو وزيادات مع أن القرآن
 لا يمكن أن يستغنى عن أى حرف منه وهذه زلة من ابن المنير .
 ناصر الدين الاسكندري المالكي بن منير ، الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال : ٥٥ .

والتوكيد هنا قادم من جهة كون الانذار وعدمه سواء عليهم ، وهذا مفاده

عدم التحول عن الكفر والبقاء على الكفر معناه عدم الايمان .

ومن التوكيد أيضا حديثه عن قوله تعالى : (واذا خلوا الى شياطينهم

قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن) حيث يقول : فان قلت اني تعلق قوله : (انما

نحن مستهزؤن) بقوله : (انا معكم) ؟

قلت هو توكيد له ، لان قوله : (انا معكم) معناه الثبات على اليهودية

وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم ، لان المستهزى بالشبي

المستخف به ، منكر له ودافع لكونه معتدا به ، ودفع نقيض الشبي تأكيد لثباته ، أو

بدل منه ، لان من حقر الاسلام ، فقد عظم الكفر (..... (١) .

وينشر في ثنايا كتابه أيضا تطبيقات على عطف البيان ، وهو نوع من كمال

الاتصال ، فنجده عند قوله تعالى : (ومن الناس من يؤمن بالله واليوم الآخر وما

هم بمؤمنين ، يخادعون الله . . .) ، يقول : (يخادعون بيان ليقول : ولما كانت

الآية أيضا تحتل الاستئناف ، فقد وضحه أيضا بقوله : (ويجوز أن يكون مستأنفا

كأنه قيل : ولم يخعون الايمان كان بين ؟ وما رفقهم في ذلك ؟ فقيل يخادعون . . .

..... (٢) .

١- الزمخشري ، الكشاف : ٤ / ١٨٦ .

٢- نفس المصدر السابق : ١ / ١٣٣ .

ومن ذلك أيضا ما قرره في تفسيره لآية الكرسي : (الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم) . . . (١) .

حيث يقول : (فان قلت : كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف ؟ قلت : ما منها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه ، والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب ، بين العاص ولحائها . فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساء عنه ، والثانية لكونه مالكا لما يدبره ، والثالثة لكبرياء شأنه ، والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق وعلمه وتعلقه بالمعلومات كلها ولجلاله وعظم قدره) . . . (٢) .

ويتحدث عن التوسط بين الكمالين عند قوله تعالى : (والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون) فيقول : فان قلت : والذين يؤمنون . . . أهم غير الاولين أم هم الاولون ، ؟ وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد) . . . (٣) .

١- سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

٢- الزمخشري ، الكشاف : ١/٣٨٦ .

٣- الزمخشري ، الكشاف : ١/١٣٣ .

ولا شك أن الصفات اذا كانت لمتبوع واحد كان بينهما تناسب . ويدرج
 في كثير من الاحيان مقارنات بين آيات استعمال فيها حرف العطف وأخرى لم تستعمل
 فيها موضحا الفرق في الاستعمال ولم كان هناك عاطف ولم يكن هنال ؟ بطريقتة
 السؤال والجواب فيعقد مقارنة مثلا بين قوله تعالى : (ان الذين كفروا سوا عليهم
 أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) ولم لم تعطف على سابقتها ؟ مثل قوله تعالى
 (ان الابرار لفي نعيم . وان الفجار لفي جحيم) فيقول فان قلت : لم قطعت قصة
 الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كحمو (الابرار لفي نعيم) وغيره من الآيات الكثيرة
 قلت : (ليس وزان هاتين القستين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة
 لذكر الكتاب ، وانه هدى للمتقين ، وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت
 فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب ، وهما على حد لا مجال فيه للعطف) . .
 (١)

فترك العطف اذا لا اختلاف المحور الذي تدور حوله هذه الآيات ، فاذا
 كانت الآيات الاولى ذكرت لتوضيح ماهية الكتاب وصفته ، فالآيات الاخرى ادرجت
 لبيان صفة الكافرين ، وهذا الاختلاف مدعاة لترك العطف وليس هذه الآيات قياسها
 (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) لما ذكر فالعطف يستلزم مقادرا
 من الاتفاق بين السياقين وهو الجامع أو التناسب ، وهنا لا تناسب ولا جامع بين
 ١- الزمخشري ، الكشاف : ١/١٤٩ .

السياقين الذي يجب اعتباره سبق الاسناد .-

ويعقد أيضا مقارنة بين قوله تعالى : (أولئك هم الغافلون) متسائلا لم

كانت الجملتان الأولى بعاطف وما بعدها دون عاطف قال : (فان قلت : لم جاء

مع العاطف ؟ يعني قوله تعالى : (أولئك هم الغافلون) وما الفرق بينه وبين قوله

تعالى : (أولئك كالانعام) قلت : قد اختلف الخبران ههنا ، فلذلك دخل العاطف

بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان ، لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبههم بالبهايم

شيء واحد ، فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الأولى فهي من العطف بمعزل) . .

• (١) •••

فالجملتان الأولى وليان عنده من باب التوسط بين الكمالين وبينهما مناسبة كافية

للعطف أما الثانية فهي من باب التقرير والتوكيد فالذي يشبه البهايم لا شك أنه أيضا

يعتبر غافلا عما يدور حوله من الهدى ، على خلاف قوله تعالى : (أولئك على هدى

من ربهم وأولئك هم المفلحون) فانهما مع تناسبهما معنيان متمايزان كما يقول ابن

منير - تعقلا وهو ظاهر وجودا فان الهدى في الدنيا ، والفلاح في العقبى واثبات

كل منهما ، أمر مقصود في نفسه ، فالجملتان المشتملتان عليهما المتحدتان فسي

المخبر عنه ، متوسطتان بين اكمال الاتصال والانقطاع فلذلك أدخل العاطف بينهما

وأما الخبران (كالانعام والخافلون) فهما ، وان اختلفا مفهوما قد اتحدا مقصودا
 ان لا معنى للتشبيه بالانعام الا المبالغة في الغفلة فكأن الجملة الثانية ههنا المشاركة
 للاولى في المحكوم عليه مؤكدة فلا مجال للعطف بينهما . (١) .

ويتحدث أيضا عن طرح الواو أو اثباتها وما يترتب على ذلك وما يترتب
 على ذلك من الاختلاف في المعنى بين الجمل ، وذلك تعليقا على قوله تعالى في
 سورة البقرة : (وان نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب . . .) (٢) .
 وسورة الاعراف : (وان أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون) . . (٣) .
 وسورة ابراهيم : (وان قال موسى لقومه انكروا نعمة الله عليكم ان أنجاكم
 من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء
 من ربكم عظيم) (٤) .

ومقارنا بين هذه الآيات الثلاثة حيث يقول : (فان قلت في سؤلة البقرة

يذبحون ، وفي الاعراف يقتلون ، وههنا ويذبحون مع الواو فما الفرق ؟ قلت : الفرق

١- الامام ناصر الدين الاسكندري " بن منير " ، الانصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال :

٤٥ (٤٦-) الآية : ٤٩ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٤٩ .

٣- سورة الاعراف ، الآية : ١٤١ .

٤- سورة ابراهيم ، الآية : ٦ .

أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبيانا له ، وحيث أثبت جعل التذبيح لأنه أوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر) . . . (١) .
 ففي حالة عدم طرح الواو يكون التذبيح غير العذاب ، أما في حالة طرحها فالتذبيح بيان للعذاب وهو معلوم أن الواو تقتضي المغايرة بين المتعاطفين من جهة ، والتناسب من جهة أخرى ، على أن الزمخشري قد وقف وقفة تعد سطحية إذا ما قيس بالنسبة لغيره حول هذه الآية ، فهذا الإسكافي يبين سبب العطف وتركه بصورة أعمق حيث يقول : (فأدخل الواو في قوله : (وهذا يحسون أبناءكم) في سورة ابراهيم ، وخذفها منه في سورة البقرة . جعل يذبحون بدلا من قوله : (يسومونكم سوء العذاب) لم يحتج الى الواو ، وإذا جعل (يسومونكم سوء العذاب) عبارة عن ضروب من المكروهة هي غير ذبح الأبناء لم يكن الثاني الا بالواو .

وفي الموضعين يحتمل الوجهين الا أن القاعدة التي يجوز أن تكون خصت لها الآية في سورة ابراهيم بالعطف بالواو وهي أنها وقعت هنا في خبر قد ضمن خبرا متعلقا به لأنه قال قبله : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) . . . (٢) .
 ثم قال : (وان قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم . . .) فضمت

١- الزمخشري ، الكشاف : ٣٦٨/٢ ، وانظر : محمد حسين أبو موسى : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ٣٦١ .
 ٢- سورة ابراهيم ، الآية : ٥٥ .

أخباره عن إرسال موسى بآياته أخباره عن تنبيهه قومه على نعمة الله ودعائهم التي شكرها فكان قوله (يذبحون) في هذه السورة قصة مضمنة قصة يتعلق بها هي قوله تعالى : (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) والقصة المعطوفة على مثلها تقوى معنسى العطف فيها فنجتاز فيما كان يجوز فيه العطف على سبيل الايثار لا على سبيل الجواز وليس كذلك موقع يذبحون في الآية التي سورة البقرة ، لانه تعالى أخبر عنه نفسه بانجاء بني اسرائيل ، وهناك اخبار عن موسى عليه السلام قال لقومه كذا بعد أن أخبر عنه أنه أرسله اليهم بآياته فافتراق المواصفات من هذا الوجه) . . . (١) .

والخلاصة أن مجي * (يذبحون) في سورة ابراهيم يتقضي كون التذبيح غير سوم العذاب وتعدد أنواع العذاب مدعاة لتذكر نعم الله - عز وجل (حيث خالصهم منها وتنويع العذاب مناسب لهد * الخطاب بالتذكير بنعم الله الموجبة للشكر . أما في سورة البقرة فالتذبيح بيان لسوم العذاب فلا تعدد عندئذ وهذا مناسب أيضا للخطاب هناك لكونه من الرحمن الرحيم ، والرحمة منه سبحانه تقتضي أن يكون العذاب قليلا لا متعدد الضروب على عكس ما في سورة ابراهيم فالخطاب غير مباشر وهو على لسان كلیم الله موسى - عليه السلام - وإذا علمنا أن صاحب درة التنزيل متقدم على الزمخشري في العصر فلا يبعد أن يكون الزمخشري قد استوفى منه هذه اللطيفة والله أعلم .

١- الشيخ الامام أبو عبد الله الاسكافي، درة التنزيل وقررة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز: ٥٨ .

وله أيضا تطبيقات على عطف المفردات من ذلك ما وضعه عند قوله تعالى :

(يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق
وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين) . . . (١) .

في قراءة جر الرجل مظهرا سر العطف بين الرجل والروءوس مع أن الرجل
من حقها الفسل وليس المسح قال : فان قلت : فما تصنع بقراءة الجرود خولها
في حكم المسح ؟ قلت : الرجل من بين الاعضاء الثلاثة المفسولة تفسل بصيب
الماء عليها فكانت مظنة الاسراف الذموم النهي عنه فعطف على الثالث الممسوح
لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها) (٢) .

فالعطف عند هذه الآية التي عطف الرجل المفسولة على الرأس الممسوح
من أجل عدم الاسراف بالماء علما أن المعطوف يأخذ حكم المعطوف عليه في الاعراب
وهنا العطف واقع بين حكيمين مختلفين أحدهما : مفسول والاخر : ممسوح ، والسر
في ذلك قد وضعه الزمخشري وقد تابعه على ذلك الزمكاني حيث قال : (واذا ثبت
أن قراءة النصب توجب الفسل تعين محل قراءة الجر على ارادة الفسل الخفيف
الذني من المسح ، ان الحاجة الى الماء في الرجلين أكثر منها في مظنة الاسراف فأمر
بالتخفيف فيها) ويزيد الزمخشري في بيان أن الترتيب بين المتعاطفات لسبب وهو

١- سورة المائدة ، الآية : ٦ .

٢- الزمخشري ، الكشاف : ٥٩٧/١ . وانظر : محمد أبو موسى ، دلالات التراكيب :

كما يقول : وأما ذكر الغاية للرجلين فمؤذن بإرادة الغسل كاليدين وأما الفصل - يعني الرجلين عن الوجه واليدين - فلكونه ذكر عضوين ليس لهما لباس منفرد به وهما الرأس والرجل ، ثم بدأ بالمكشوفين بأشرفهما وهو الوجه وفي المستورين بأشرفهما وهو الرأس (.) (١) .

وعطف المجرور على المنصوب مع الاختلاف في الحكم والعللة ترك الاسراف بالماء حيث الا رجل هنا مظنة ذلك فيه نظر لمخالفته وكسره قاعدة العطف النحوية أى (عطف المنصوب على المنصوب) .

وجر الرجلين مع أنهما معطوفتان على الوجه المنصوب لاجل علة واهية وهي ارادة التذكير بقلة الاسراف في الماء ، ولو قالوا من حق الرجلين الغسل ولكنهما عطفتا على المسوح وهو الرأس من أجل افادة التقليل في اسراف الماء لكانت الصناعة النحوية لم تخرج عن قاعدتها الموصلة ، ولسار الكلام بطريقة مستقيمة (. . .) (٢) .

على أن سر العطف هنا لا يخرج عن قصد الترتيب وان لم يكن ذلك ملحوظا في الواو باعتبارها لمطلق الجمع فان النص لا يتقبل ذكر الرجلين قبل الرأس لعلو مرتبته وشرفه عليها .

وترتيب الاعضاء في الآي من أجل المكانة والشرف فالوجه أشرف الاعضاء

١- البرهان الكاشف ، الزمكثاني : ٢٦٢ .
٢- من مؤلفات المرحوم د . عز الدين علي السيد .

في المفسولات وهكذا

ولعله أيضا حديث عن التناسب والجامع حيث أشار الى ذلك عند قوله تعالى

في سورة الرحمن : (الشمس والقمر بحسبان) وقوله : (والنجم والشجر يسجدان)

فيقول : (فان قلت : أى التناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف

قلت : ان الشمس والقمر سماويات والنجم والشجر أرضيات فبين القبلتين تناسب من

حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر

بحسبان من جنس الانقياد لا من الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر) . . (١) .

فقد وضح أن التناسب بين الجملتين قائم بين كل من المسند والمسنود

اليه في كلتا الجملتين فالشمس والقمر علويات ، والنجم والشجر سفليان ، والعقل لا

يأبى تصور السفلى والعلوكما أن نوع انقياد أيضا . وهذا مدعاة لان يكون بينهما

الجملتين توسط الكمالين .

ومن تطبيقاته في الاستئناف نقتبس تعليقه على قوله تعالى : (وانا خلوا

الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤون الله يستهزى بهم . . قال : فان

قلت : كيف ابتداء قوله تعالى (الله يستهزى بهم - ولم يعطف على الكلام قبله ؟

قلت : هو استئناف في غاية الجزالة والغمامة وفيه أن الله - عزوجل - هو الذى يستهزى

بهم الاستزاء الا بلغ الذى ليس استهزاؤهم اليه باستهزاؤهم ولا يوهبه له في مقابلته

لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل ، وفيه أن الله هو الذي يتولى

الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين أن يعاطوهم باستهزاء مثله (..... (١) .

فالذي يظهر من كلامه أنه يعني بالاستئناف هنا القطع والابتداء وهو ما

يسمى عند أهل المعاني بكمال الانقطاع ، وليس مقصوده الاستئناف ترك العطف خوفا

من توهم التقيد بالظرف (اذا) أو اندراجه تحت مقول المنافقين .

وفي هذا الموطن نجد الزمخشري يخالف الشيخ عبد القاهر فقد مر بنا أن

الامام عبد القاهر ، اعتبر الاية من باب الاستئناف البياني ، أو ما سمي بشبه كمال

الاتصال في أحد أقواله في هذه الجملة حيث يقول : (وههنا أمر سوى ما مضى يوجب

الاستئناف وترك العطف وهو أن الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت تحرك السامعين

لان يعلموا مصير أمرهم وما يضح بهم واذا كان كذلك كان هذا الذي هو قوله : (

الله يستهزى بهم) في معنى ما مصدر جوابا عن هذا المقرر وقوعه في أنفس السامعين

واذا كان مصدره كذلك كان حقه أن يوتى به مبتدأ غير معطوف ليكون في صورته اذا

قيل : فان سألتهم قيل لكم الله يستهزى بهم ويمد هم في طفيانهم يعصمون (..... (٢) .

ويخالفه أيضا بترك العطف خوفا من توهم التقيد بالظرف (اذا) حيث

١- الزمخشري ، الكشاف : ١/١٨٧-١٨٨ .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز : ٢٥٠ .

يصبح المعنى عندئذ أنهم اذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما

نحن مستهزؤون (فاذا قالوا ذلك استهزأ الله بهم وهو غير مراد أيضا لان استهزاء

الله بهم في كل حين بسبب نيتهم واعتقادهم .

ويوافقه في كون الجملة من باب كمال الانقطاع حيث قال الامام عبد القاهر

: (ثم انك تجده قد جاء غير معطوف وذلك لا مرأوجب أن لا يعطف وهو أن قوله :

(انما نحن مستهزؤون حكاية منهم أنهم قالوا وليس بخبر من الله تعالى وقوله تعالى :

(الله يستهزئ بهم) خبر من الله تعالى أنه يجازيهم على كفرهم واستهزائهم

واذا كان كذلك كان العطف متعاضدا لا استحالة أن يكون ما هو خبر من الله تعالى

معطوفا على ما هو حكاية منهم) (١) .

والاختلاف واقع بين المسند اليه في كلتا الجملتين ، وهذا مدعاة لكمال

الانقطاع لعدم التناسب والجامع .

ولعل الزمخشري الى هذا ذهب ، مع أنه لم يظهر من كلامه سوى أنه اعتبر

الكلام من باب الاستئناف .

وقد أشار شوقي ضيف الى مخالفة الزمخشري للشيخ عبد القاهر في هذه

المسألة قائلا : (ونراه هنا يخالف عبد القاهر في قوله : (ان الآية لم توصل بما قبلها

ولم تعطف خشية توهم أنها معطوفة على (قالوا) في الآية قبلها فتتقيد بالظرف
 أي (إذا خلوا) بينما هي استهزاء متصل ، ويذهب إلى أنها استثناء كأنهم يلفوا
 من سوء أمرهم ما جعل السامع يتساءل ما مصيرهم فأجابته الآية بأن الله يستهزئ
 بهم الاستهزاء الاشد والآنكسى الذى ليس استهزاء وهم باليه باستهزاء (١) .
 على أن الشيخ عبد القاهر الجرجاني نص على أن الجملة من باب الاستثناء
 كما وضحنا فيما مضى فمخالفة الزمخشري لعبد القاهر الجرجاني في النقطة الأولى
 وهي ترك العطف خوفا من التوهم بالتقيد بالظرف .

أما اعتبارها من باب كمال الانقطاع أو شبه كمال الاتصال فالمخالفة نسي
 أحدهما حسب ما قصد إليه الشيخ الزمخشري ، إذ يحتمل قوله استثناء الصرف إلى
 أنه الاستثناء البياني ، وهذا يعيد عندي لعدم تقديره سؤال كما هي عادته في
 الاستثناء البياني أو كمال الانقطاع وهذا الذى أرجحه .

فقول الاستاذ شوقي ضيف وتفسيره لقول الزمخشري أنه من شبه كمال الاتصال

مرجوح عندي .

وقد أورد الزمخشري أيضا ما يفيد كراهية الاستثناء في هذه الآية ذكر
 ذلك صاحب البرهان في علوم القرآن قوله : (أن الزمخشري قد حكى في كشافه القديم
 نقلا عن أبي حاتم السجستاني في قوله (مستهزؤون) (والله يستهزئ بهم) قال

١- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ٢٣٢ .

ليس (مستهزؤون) بوقف صالح ، لا أحب استئناف (الله يستهزئ بهم) ولا استئناف (مكر الله والله خير الماكرين) حتى أصله بما قبله قال : وإنما لم يستحب ذلك لانه ، إنما جاز اسناد الاستهزاء والمكر الى الله تعالى على معنى الجزاء عليهما ، وذلك على سبيل المزاجية ، فإذا استأنف استأنفت وقطعت الثاني عن الاول أوهم أنك تسنده الى الله مطلقا والحكم في صفاته أن تصان عن الوهم . . (١) . وهذا الكلام مناف لذهب أهل السلف ان مذ هبهم - وهو الحق - أن تثبت لله ما أثبتته لنفسه أو أثبتته له رسوله (صلى الله عليه وسلم) من الصفات دون تشبيه أو تمثيل أو تكيية أو تعليل ، وإنما عليه فيكون من المكر في الآية على الحقيقة وان تأويله يؤدى الى تعطيل هذه الصفة .

وواضح أن المقصود هنا من الكلام ليس الاستئناف الاصطلاحي الداخلى في فن الفصل والوصل وإنما المقصود اللفظي في القراءة لا من جهة الصناعة البلاغية في هذا الفن .

وله تطبيقات على شبه كمال الاتصال ، وأوردها في تفسيره ، وهو في العادة يقدر السؤال اذا أراد هذا النوع من الفصل فمن ذلك حديثه على قوله تعالى : (أولئك على هدى من ربهم) من سورة البقرة حيث يبين علاقتها مع ما قبلها بالاضافة أيضا الى قوله تعالى : (الذين يؤمنون بالغيب) فيقول : (ان هذه الجملة (أولئك

على هدى) في محل رفع ان كان (الذين يؤمنون بالغيب) مبتدأ والا فلا محل لها ونضم الكلام على الوجهين ، انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت مذهب الاستئناف ، وذلك انه لما قيل (هدى للمتقين) واختص المتقون بأن الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول : ما بال المتقين مخصوصين بذلك ؟ فوقع قولهم . . . الذين يؤمنون بالغيب . . . الى أن ساقه كأنه جواب لهذا السؤال المقدر ، وجي* بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله أن يلفظ بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم ، أى الذين هم أولاد* عقائد هم وأعمالهم أحقا* بأن يهدى بهم الله ويعطيهم الفلاح .

ونظيره قولك : أحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الانصار الذين قارعوا دونه ، وكشفوا الكرب عن وجهه ، أولئك أهل السحبة .

وان جعلته تابعا للمتقين ، وقع الاستئناف على أولئك كأنه قيل : ما للمتقين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى ؟ فأجيب بأن أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا (١)

ولم يقتصر الحديث عند هذا الحد في الاستئناف بل قسم هذا النوع من الفصل من الاستئناف الى قسمين ، وهما ما يأتي باعادة اسم من استأنف عنه وما

يأتي باعادة صفته مع بيان الافضل حيث يقول : (اعلم أن هذا النوع من الاستئناف
يجي * تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك : أحسنت الى زيد ، زيد
حقيق بالاحسان .

وتارة باعادة صفته ، كقولك : أحسنت الى زيد صديقك القميم أهل لذلك
منك . فيكون الاستئناف باعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائه على بيان الموجب وتلخيصه)
..... (١) .

وقد أشار الى هذه القواعد ، أو ما يقرب منها الشيخ عبد القاهر في
الدلائل وذلك عند قوله بوجوب اعادة الفعل اذا كان السؤال المقدر خاليا منه
أما اذا كان غير خال من الفعل فلا تجب اعادته وتفسير ذلك في بيت الشاعر الذي
ذكره :

وما عفت الريح له محلا عفاء من حدا بهم وساقا

قال بعد ما أورد البيت (تفسير هذا أنه يجوز لك اذا قيل : ان كانت
الرياح لم تعفه فمن عفاء؟ أن تقول : من حدا بهم وساقا ، ولا تقول عفاء من حدا
كما تقول في جواب من يقول من فعل هذا ؟ زيد ولا يجب أن تقول فعله زيد) (٢) .

١- الزمخشري ، الكشاف : ١ / ١٤٠ .

٢- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٥٠٣ .

ونجد له أيضا حديثا عن عطف الانشاء على الخبر ، ويقف عند ذلك ملاحظا

أن هذا النوع من العطف لا يتم الا اذا كانت احدى الجملتين مناسبة للثانية فسي

المعنى دون اللفظ فنراه يذكر قوله تعالى : (لا تعبدون) من سورة البقرة ويعلق

عليه من خلال الآية : (وان أخذ الله ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين

احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا) . . . (١) .

حيث يقول : (لا تعبدون) اخبار في معنى نهى ، كما تقول تذهب الى

فلان تقول له : هذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهي ، لانه كأنه سورع

الى الامتثال والانتها ، فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله ، وأبي (لا تعبدوا) . .

. . . ويدل عليه أيضا قوله تعالى : (وبالوالدين احسانا ، أو وأحسنوا) . . . (٢) .

وتجده عكس ذلك عنده أيضا ، وهو عطف الخبر على الانشاء وذلك كقولـه

تعالى : (ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) . . . (٣) .

قال الزمخشري : (استفهم عند انتقاد الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات

الشرح وايجابه فكأنه قيل : شرحنا صدرك ولذلك عطف عليه (ووضعنا) اعتبارا

للمعنى) (٤) .

وقد اهتم الزمخشري بقضية عطف الخبر على الانشاء لدرجة أنه اعتبر هذا

١- سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

٢- الزمخشري ، الكشاف : ١ / ٢٩٢-٢٩٣ .

٣- سورة الشرح ، الآية : ١-٢ .

٤- الزمخشري ، الكشاف : ٤ / ٢٦٦ .

البحث من اضافاته على موضوع الفصل والوصل وقد نص على ذلك شوقي ضيف بقوله :
(وربما كان أهم ما أضافه ، وقوفه عند الجملتين اذا اختلفتا خبرا وانشاءً فانه أطال
هذا الوقوف ملاحظا أنه لا يصح عقد العطف بينهما حينئذ .

ومضى يحاول جاهدا دفع ما قد يظهر في الظاهر أنه يخالف هذه القاعدة

في آى الذكر الحكيم (..... (١) .

على أنني قد وجدت في كلام عبد القاهر ما ينص على أنه ذكر عطف الخبر على
الانشاء فيكون هذا البحث من القضايا التي أثارها عبد القاهر الا أنه ذكره مرورا ولم
يتوقف عنده البتة وذلك تعليقا على قوله تعالى : (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء الا
انهم هم السفهاء *) (٢) .

قال الشيخ عبد القاهر : (على أن في هذا الا مر آخر وهو أن قوله (أنؤمن)

استفهام ولا يعطف الخبر على الاستفهام) (٣) .

والحقيقة أن السبق حتما لعبد القاهر في هذه القضية الا أن عبد القاهر

مر عليها مرورا والزمخشري أطال الوقوف عندها .

والامانة تقتضي نسبة كل جهد الى صاحبه وتحدث الزمخشري أيضا عما يسمى

١- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ٢٥٣ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٣ .

٣- عبد القاهر الجرجاني ، الدلائل : ٢٤٨ .

بعطف السياق على السياق ، أو القصة وهي عبارة عن مجموعة جمل تعطف على مثلها من ذلك قوله بعد ذكر آيات في الذين كفروا . وبدأ الحديث عن المنافقين في أول سورة البقرة قال بعد قوله تعالى : (وعلى أبصارهم غشاوة) (ومن الناس من يقول آمنا) ووصف حال الذين كفروا في آيتين ، وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية . . وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة (

..... (١) .

وفي عطف القصة على القصة لا يطلب مناسبة بين أفراد الجمل حتى يتم

التناسب وبالتالي جواز العطف .

انما يطلب التناسب بين مجموع هذه ومجموع هذه والفرض الذي سبقت

له كلا المجموعتين .

ومن عطف القصة على القصة أيضا عند ، قوله تعالى : (وشر الذين

آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة

رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم

فيها خالدون) (٢)

قال الزمخشري : (فان قلت : علام عطف هذا الامر ولم يسبق أمر ولا نهى

يصح عطف عليه ؟ قلت : ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له أمر أو نهى

١- الزمخشري ، الكشاف : ١/١٦٥ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٥ .

يعطف عليه ، انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على وصف عقاب الكافرين كما تقول : (زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر بالعفو والاطلاق)

• (١) •••••

وهذا التقدير في هذه الجملة أولى من الذى قدره السكاكي وغيره فهو يخرج بحث العطف من نطاق الجملة مع الجملة الى نطاق السياق وقد مر بنا أن الامام عبدالقاهر قد نص على مثل هذا أو قريب منه عند تعليقه على قوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين ولكننا أنشأنا قرونا فتناول عليهم العمر وما كنت ثابوا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكننا كنا مرسلين) قال : لو جريت على الظاهر فجعلت كل جملة معطوفة على ما يليها منسج

منه المعنى ، وذلك أنه يلزم منه أن يكون قوله : (وما كنت ثابوا في أهل مدين) معطوفا على قوله : (فتناول عليهم العمر) وذلك يقتضى دخوله في معنى لكن ويصير كأنه قيل : ولكنك ما كنت ثابوا ، وذلك ما لا يخفى فساد ، واذا كان كذلك بان منه أنه ينبغي أن يكون قد عطف مجموع (وما كنت ثابوا في أهل مدين . . . الى مرسلين) على مجموع قوله : (وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى) الى قوله : (العمر)

• (٢) •••••

-
- ١- الزمخشري ، الكشاف : ٢٥٣/١ - ٢٥٤
 - ٢- عبدالقاهر الجرجاني ، الدلائل : ٢٥٩

وتحدث عن الجملة الحالية متى تصح مع الواو متى تكون بدونه وبين أن أصلها

واو عطف استعميرت لوصول الجملة الحالية مع ما قبلها وبين ذلك من خلال قوله تعالى

: ((وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون) (١) .

قال الشيخ : (فان قلت : لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير الواو فما

بال قوله : (هم قائلون) ؟ قلت : قدر بعض النحويين الواو محذوفة ، ورده الزجاج

وقال : لو قلت : جاءني زيد راجلا أو هو فارس أو جاني زيد هو فارس) لم يحتج

به الى واو ان الذكر قد عاد الى الاول .

والصحيح أنها اذا عطف على حال قبلها حذفت الواو استئقالا لاجتماع

حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعميرت للوصول فقولك : جاءني زيد راجلا

أو هو فارس) كلام فصيح وارد على حده ، وأما جاءني زيد هو فارس فخبث (٢) .

وتحدث عن عطف البيان من خلال قوله تعالى : (يضل به كثيرا ويهدى به

كثيرا وما يضل به الا الفاسقين) قال : (وقوله يضل به ...) جار مجرى التفسير

والبيان للجملتين المصدرتين باما) (٣) .

والجملتان المصدرتان باما هما قوله تعالى : (فأما الذين آمنوا فاعلمون

أنه الحق من ربهم ، وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) (٤) .

١- سورة الاعراف ، الآية : ٤ .

٢- الزمخشري ، الكشاف : ٢ / ٦٧ .

٣- نفس المصدر السابق : ١ / ٢١٧ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٢٦ .

(٥) الفصل والوصل عند الفخر الرازي .

يعتبر كتاب الفخر الرازي (نهاية الايجاز في دراية الاعجاز) أحد المؤلفات

البلاغية في القرن السادس الهجري .

ومن عنوان المؤلف نستطيع أن نقول انه في اعجاز القرآن وقدرة البلاغة

العربية ، وهو تلخيص لما جاء في كتابي عبد القاهر الجرجاني ، (أسرار البلاغة) ، و

(دلائل الاعجاز) .

وقد نوه الفخر الرازي بالامام عبد القاهر وبراعته وأصالته في استخراج قوانين

البلاغة العربية ، الا أن الامام عبد القاهر لم يرتب ولم يبويب بالشكل المرضي ، كما

يقول الفخر الرازي ، لذلك ألف هذا الكتاب قائلًا في نص طويل - . . . الى ان وفق

الله تعالى الامام مجد الاسلام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني تغمد الله

تعالى برحمته ، وأفاض عليه فنون مفسرته ، حتى استخراج هذا العلم وقوانينه ورتب

حججه وبراهينه .

وبالغ في الكشف عن حقائقه ، والفحص عن لطائفه ودقائقه ، وصنف في ذلك

كتابين لقب أحدهما : بدلائل الاعجاز . والثاني : بأسرار البلاغة . ولكنه (رحمه

الله (لكونه مستخرجا ل اصول هذا العلم وأقسامه وشرايطه وأحكامه ، أهمل رعاية ترتيب الاصول والابواب ، وأطنب في الكلام كل الاطناب .

ولما وفقني الله لمطالعة هذين الكتابين ، التقطت منهما معاهد فوائدهما وراعين الترتيب مع التهذيب ، والتحرير ، مع التقدير ، وضبطت أوابدا لاجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية ، وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الاجتناب عن الاطناب الملل ، والا حتراز عن الاختصار المخل (١)

فالتأليف عنده لا يخرج عن اعادة التقسيم بالشكل المرضي والتبويب والضبط للمسائل وانزاله كلا منها في مكانه المخصص له .

ولا ننسى أن الفخر الرازي يمثل عصر الجمود للبلاغة العربية ، فقد جمدت البلاغة وتحولت الى قواعد جافة وذلك لما استقر في نفوس الابداء وغيرهم أن من سبقوهم استفذوا المعاني ولم يفد لهم الا أن يعيدوها مدخلين عليها صورا من التكلف والتعقيد (٢)

فالتلخيصات وشرح التلخيصات واعداد التقسيم والتبويب للمادة المؤلفة سابقا كل هذا من مظاهر الجمود والتقعر ، وربما لا نحصل على فائدة زائدة كما

١- الفخر الرازي ، نهاية الایجاز ودرایة الاعجاز : ٤ .

٢- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ : ٢٧٢ .

هو الحال في كتاب الفخر الرازي خاصة في الباب الثالث الذي عقده للفصل والوصل فاننا لا نرى شيئا سوى اختصار لما قاله الامام عبدالقاهر الجرجاني في هذا الباب . وان كان للرازي جهد يذكر فهو في تقسيم المادة الى خمسة فصول ، اولها الحديث عن أهمية هذا الفن ، وبيان ضوابطه ومعاقده ، والفصل والوصل يقع في المفردات وفي الجمل ، ثم الجمل منها ما هو في قوة المفرد ، ومنها غير ذلك فان كانت في قوة المفرد سهل التشريك في الاعراب كما هو حاصل في المفردات . أما الجمل التي ليست في قوة المفرد فهي ثلاثة أقسام عنده ويعني التي لا محل لها من الاعراب :

القسم الاول : اما أن يكون معنى احدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الجملة الاخرى وهذا هو كمال الاتصال .

القسم الثاني : أن لا يكون معنى احدى الجملتين لذاته متعلقا بمعنى الجملة الاخرى وهذا كمال الانقطاع .

القسم الثالث : أن يكون هناك مناسبة بين الجملتين التي لا تعلق لحدما بالآخرى وهذا هو التوسط بين الكمالين .

وقد نص على هذا كله الامام عبدالقاهر في دلائل الاعجاز . وتحدث في هذا الفصل أيضا عن المناسبة وأنها يجب أن تقع بين الجملتين جميعا حتى يتسم

اعتبار العطف والتناسب عنده أما للتشابه كقولهم : (زيد كاتب وعمرو ناشر) وأما للتضاد

كقولهم : (زيد طويل وعمرو قصير) .

على أن الامام عبد القاهر لم يفصل بالجامع بل ذكر أن يكون هناك نوع من

التناسب بين الجملتين دون شرح لهذه العبارة .

ويتحدث عن جعل الفعلين في حكم الفعل الواحد كما في قول الشاعر :

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الاذى عنكم وتوهنا

والمعنى لا تطمعوا أن تروا اكرامنا يوجد مع اهانتم ويجامعها في الحصول .

وفي الفصل الثاني يذكر أمثلة لما يترك فيه المحاطف لشدة اتصال احدى الجملتين

بالاخرى ، وهي نفسها الامثلة التي ذكرها عبد القاهر الدالة على الاتصال الى الغاية .

فذكر منها قوله تعالى : (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) وأنها من باب التأكيد

كقولك : (هو ذلك الكتاب) .

وفي الفصل الثالث : يتحدث عن مثل قوله تعالى : (الله يستهزى* بهم

ويمد هم في طغيانهم يعمهون) تحت عنوان (فيما يظن أنه من هذا الباب وليس منه)

أى : من باب جواز العطف بالواو وقال : (اعلم أنك قد ترى الجملة حالها مع ما

قبلها حال ما يقتضي العطف ثم انه يجب فيها ترك العطف لا معرض وأقاد انقطاعها

عما قبلها كقوله تعالى : (الله يستهزى* بهم ويمد هم في طغيانهم يعمهون) . . (١) .

وهذه العبارة هي نفس عبارة الجرجاني في الدلائل .

وفي الفصل الرابع يتحدث عن عطف الجمل على الجمل وهو بحث يتعلق بالجملة الشرطية وبالجملة تعطف على مثلها .

قال : (اعلم أنك تارة تعطف جملة على جملة ، وأخرى تعتمد الى جملتين أو جمل فتعطف بعضها على بعض ثم تعطف بعد ذلك مجموعا من جمل على مجموع آخر ويجب أن تصنع في الشرط والجزاء أصلا في هذا الموضع) . . . (١) .

ويضرب الامثلة بقوله تعالى : (ومن يكسب خطيئة أو اثما ثم يرم به بريئا) . . .

. . . (٢) . وقوله تعالى : (وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا الى موسى الامر) . . .

. . . (٣) . وكل هذه الامثلة مذكورة كما قلت عند الجرجاني .

وفي الفصل الخامس يتحدث عن الجملة الحالية ويقسمها الى ثلاثة أنواع ،

ما لا يصلح مسعها الا وهي الجملة التي لا يمكن ضمها الى الفعل الاول في الاثبات

مثل قولك : (جاءني زيد وغلماه يسمى بين يديه) .

ولما كان ذلك خبرا مستأنفا احتج الى ما يربط الجملة الثانية بالاولى فجاء

بالواو لتكون عاطفة) . . . (٤) .

-
- ١- الفخر الرازي ، نهاية الايجاز ودراية الاعجاز : ١٣٥ .
 - ٢- سورة النساء ، الآية : ١١٢ .
 - ٣- سورة القصص ، الآية : ٤٤ .
 - ٤- الفخر الرازي ، نهاية الايجاز ودراية الاعجاز : ١٣٨ .

وجملة لا تصلح الا بدون واو وهي التي يكون الفعل الواقع في صدرها قابلا للضم الى الاول في اثبات واحد مثل قولك بجائني زيد يسرع . وجملة يصح معها الواو وعدمه .

ثم تحدث عن الجملة الحالية المكونة من مبتدأ وخبر . وقد طبق الفخر ما جاء عنه من الفصل والوصل على آيات الله من خلال تفسيره المعروف (بالتفسير الكبير) ويظهر من خلال أقواله تأثره ونقله عن الزمخشري .

من ذلك ما أورده عند قوله تعالى : (هدى للمتقين) قال : تحت عنوان المسألة الرابعة قال صاحب الكشاف : محل (هدى للمتقين) الرفع لانه خبر مبتدأ محذوف أو خبر مع (لا ريب فيه) ولذلك والذي هو راسخ عرفا في البلاغة أن يضرب عن هذا المحال صفحا وأن يقال : ان قوله (الم) جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها و (ذلك الكتاب) جملة ثانية و (لا ريب فيه) جملة ثالثة و (هدى للمتقين) رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض .

والثانية متحدة بالاولى وهلم جرا الى الثالثة والرابعة (١) .

وأیضا عند قوله تعالى : (ان الذين كفروا سوا عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) من سورة البقرة ينقل قول الزمخشري حيث يقول : (قال صاحب الكشاف :) وهذه اما أن تكون جملة مؤكدة للجملة قبلها أو خبرا (لان) والجملة قبلها اعتراض (١)

وهو ينقل كثيرا عما جاء عن الزمخشري في الكشاف في تفسيره الكبير .

الخلاصة :

أن الفخر الرازي لم يأت بجديد بالنسبة لقضية الفصل والوصل ، وإنما تتبع من كان قبله ووضح أنه في كتابه نهاية الإجاز يلخص ما ورد في الدلائل والأسرار . ويمكن القول أنه اهتم بقضية التناسب بين الآيات والسور وطريقة نظمها وعد ذلك من الإعجاز القرآني حيث قال في سورة البقرة : (ومن تفكر في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها ، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه ونظم آياته .

ولعل الذين قالوا انه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك الا أنني رأيت جمهور

المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متبهيين لهذه الأسرار وليس الامر في هذا

الباب الا كما قيل :

والنجم تستصغر الابهار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصفر (٢) .

١- الفخر الرازي ، التفسير الكبير : ٤٢/١ .

٢- السيوطي ، معترك الاقران : ٥٦/١ .

(٦) الفصل والوصل عند السكاكي .-

بدأ السكاكي حديثه عن الفصل والوصل موضحا أهميته ، وأن هذا الفن من مركزات الانهان قائلا : (الفن الرابع مركز في نهنك لا تجد لردء مقالا ولا لارتكاب مجده . مجالا ان ليس يمتع بين مفهومي جملتين اتحاد بحكم التأخي وارتباط لا حد هما بالاخر مستحكم الاواخي ولا أن يباين أحد هما الآخر مباينة الا جانب لا نقطاع الوشاج بينهما في كل جانب ، ولا أن يكون بين لا صرة رحم ما هنالك ، فيتوسط حالها بين الاولى والثانية لذلك .

مدار الفصل والوصل وهو ترك العاطف وذكره على هذه الجهات وكذا طي الجمل عنه البين ولا طيها وانها لمحك البلاغة ومنتقد البصيرة ومضمار النظار ومتفاضل الانظار ومعيار قدر الفهم وسبار غور الخاطر ، ومنجم صوابه وخسائه ، ومعجم جلاشه وصدائه ، وهي التي اذا طبقت فيها المفصل شهدوا لك من البلاغة بالقدح المعلى وان لك في ابداع وشيها اليد الطولى (١)

ثم يبدأ حديثه مبينا أن مدار البحث في هذا الفن على تمييز موضع العطف عن غير موضعه في الجمل وقسمه الى قسمين ، نوع يقرب تناوله وتعاطيه ، ونوع يبعد

ويبقى ، وجعل القريب مداره العطف بأدوات العطف غير الواو أو بالواو بشرط أن يكون للمعطوف عليه محل من الاعراب ونحن نعلم أن كون الجملة لها محل من الاعراب مقادها أنها تعامل معاملة المفرد ، وليس في الامر صعوبة ، وجعل السعيد مداره العطف بالواو وليس للمعطوف عليها محل من الاعراب ، ثم يوضح أن العطف على ثلاثة أصول يذكرها قائلا : أحدها : الموضع الصالح له من حيث الوضع ، وثانيها : فائدته وثالثها : وجه كونه مقبولا لا مردودا ، وإن هذه الاصول ظاهرة في حروف العطف مثل الفاء ، وشم ، وحتى (١)

وقال : وأنت اذا أتقنت معاني الفاء وشم ، وحتى ، ولا ، ويل ، ولكن ، وأو ، وأما ، وأى على قولي حصلت لك الثلاثة لدلالة كل منها على معنى محصل مستمد من الجمل بينما مخصوصا مشتقا على فائدته وكونه مقبولا هناك (٢)

ويطبق هذه الاصول الثلاثة في حروف الواو فيقول (ثم اذا أتقنت أيضا أن كل واحد من وجوه الاعراب دال على معنى كما تشهد لذلك قوانين علم النحو حصل لك فائدة الواو وهي مشاركة المعطوف والمعطوف عليه في ذلك المعنى فيكون من عندك من الاصول الثلاثة أصلا ، معرفة موضعه ، ومعرفة فائدته .

وانا عرفت أن شرط كون العطف بالواو مقبولا هو أن يكون بين المعطوف

١- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١٠٨ .

٢- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١٠٨ .

والمعطوف عليه جهة جامعة ، مثل ما ترى في نحو الشمس والقمر ، والسما* والارض
 حصلت لك الاصول الثلاثة .

وان الامر من القرب فيها كما ترى . وأما توسط الواو وبين جمل لا محل
 للمعطوف عليها من الاعراب ، فانما بعد تعاطيه لكون الاصول الثلاثة في شأنه غير
 مهيأة لك ، وهو السر في أن ذق مسلكه وبلغ من الغموض الى حيث قصر بعض أئمة
 علم المعاني البلاغة على معرفة الفصل والوصل ، وما قصرها عليه لا كُن الا مركزك .
 وانما حاول بذلك التشبيه على مزيد غموض هذا الفن . وأن أحدا لا يتجاوز هذه
 العقبة من البلاغة ، الا اذا كان خلف سائر عقباتها خلفه . (١)

ثم يبدأ ببيان مواطن الفصل قائلًا : ان الجملة متى نزلت في كلام
 المتكلم منزلة الجملة العارية عن المعطوف عليها كما اذا أريد بها البدل عن سابقة
 عليها ، لم تكن موضعا لدخول الواو ، وكذا متى نزلت من الاولى منزلة نفسها
 لكمال اتصالها بها ، مثل ما اذا كانت موضحة لها ومبينة أو مؤكدة لها ومقررة
 لم تكن موضعا لدخول الواو .

وكذا متى لم يكن بينها وبين الاولى جهة جامعة لكامل انقطاعها عنها

لم يكن أيضا موضعا لدخول الواو (.) (٢) .

١- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١٠٩ .

٢- نفس المصدر السابق : ١٠٩ .

ويبين أيضا : أن الوصل بالواو يكون في حالتى التوسط بين الكمالين قائلا
 : (واما يكون موضعا لدخوله اذا توسطت بين كمال الاتصال وبين كمال الانقطاع)
 (١)

ويأخذ في توضيح هذه المواطن واحدا تلو الآخر ، فيتحدث عن الفصل
 ويسميه القطع ، ويقسمه الى نوعين : وهما : أن يكون لكلام السابق حكم مع عدم
 الرغبة في التشريك ، وهذا النوع يأتي على وجهين :-

أ- على وجه الاحتياط ، وهو ما لم يكن لمانع من العطف كما في (وتظن سلسي)
 ب- للوجوب .

والنوع الثاني للقطع هو ما يسمى عنده بالاستئناف ولا يصار اليه الا لجهات
 لطيفة ، اما لتبنيه السامع على موقعه أو لاغناؤه أن يسأل ، أو لثلا يسمع منه شيء أو
 لثلا ينقطع كلامك بكلامه أو للمقصد الى تكثير المعنى بتقليل اللفظ .

ويتحدث عن البديل قائلا : (واما الحالة المقتضية للابذال . فهي أن
 يكون الكلام السابق غير واف بتمام المراد وايراد ، أو كغير الوافي ، والمقام مقام
 اعتناء بشأنه ، اما لكونه مطلوبا في نفسه ، أو لكونه غريبا ، أو فظيحا ، أو عجيبا ، أو لطيفا
 أو غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشأنه ، فيعيد المتكلم بنظم أو فنى منه على
 نية استئناف المقصد الى المراد ، ليظهر بمجموع التصديق اليه في الاول ، والثاني :

أعني المبدل منه أو البديل مزيد الاعتناء بالشأن .

ويتحدث عن انزال الجملة الثانية منزل البيان بقوله : (وأما الحالة
المقتضية للايضاح والتبين فهي أن يكون بالكلام السابق نوع خفاء والمقام مقام ازالة له .
ويتحدث عن التأكيد بقوله : وأما الحالة المقتضية للتأكيد والتقريب فظاهرة
ثم يتحدث عن كمال الانقطاع مفصلا في ذلك وهي : أن تختلف الجملتان خبرا وطلبا
أو عدم توفر الجامع سواء كان عقلي أو وهمي أو خيالي .

ويتحدث عن الجامع ويقسمه الى وهمي وخيالي وعقلي : ويعرف الجامع
العقلي قائلا : (وهو أن يكون بينهما اتحاد في تصور مثل الاتحاد في المخبر عنه
أو في الخبر أو في قيد من قيودهما ، أو تماثل هناك فان العقل بتجريد ، المثليين
عن التشخيص في الخارج ، يرفع التفرد عن البين .

أو تضاف كالذى بين العلة والمعلول والسبب والمسبب أو السفلى والعلو .
والاقل والاكثر ، فالعقل يأبى أن لا يجتمعا في الذهن ، وأن العقل سلطان مطاع .
والوهمي : هو أن يكون بين تصوراتها شبه تماثل ، نحو أن يكون المخبر
عنه في أحدهما لون بياض ، وفي الثانية لون صفرة ، فان الوهم يحتال أن يبرزهما
في معرض المثليين ، وكم لوهم من حيل تروج والا فعليك . بقوله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر

وقال : ما الذى سواه حسن الجمع بين الشمس وأبي اسحاق والقمر هذا

التحسين ٢

قال وقد عرفت حال المثليين في شأن الجمع أو التضاد كالسواد والبياض
والهمسى والجهارة والغيب والنتن والحلاوة والحموضة والعلاسة والخشونة وكالتحرك
والسكون والقيام والقعود والذهاب والمجيء* والايمان والكفر، وكالمتصفات بذلك نحو
الاسود والابيض والمؤمن والكافر او شبه تضاد .

والخيالي أن يكون بين تصوراتهما تقارن في الخيال سابق لا سبب مؤدية
الى ذلك، فان جميع ما يثبت في الخيال ما يصل اليه من الخارج يثبت فيه على نحو
ما يتأدى اليه وتكرر لديه ، ولذلك لما لم تكن الاسباب على وتيرة واحدة فيما بين
معشر البشر ، اختلف الحال في ثبوت الصور في الخيالات ترتبها ووضوحها (١) .
وهو بهذا يوضح التفاوت في البشرية في تكوين الصور الخيالية وانقادها
في المخيلة .

ويؤكد ذلك بذكره أمثلة للصناع وأخرى للبدو ، وغيرها ، من ذلك تعليقه
على قوله تعالى : (أفلا يتظنون الى الابل كيف خلقت) (٢) .

وبيان وجه الربط بين آياتها وان هذا ما يتصوره البدوى لا الحضري ، ثم
التوسط بين الكمالين وهو أن يكون بين الجملتين جهة جامعة واتفاق في المعنى من

١- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١١ . * شبه التضاد : كالذي بين السماء والارض
والسهل والجبل .

٢- سورة الفاشية ، الآية : ١٧ . وما بعدها .

جهة كونها خبريتين ، أو انشائيتين .

ويذكر قوله تعالى : (وإذا أخذنا ميثاق بني اسرائيل) (١) .

وآيات أخرى كثيرة نص على مثلها الزمخشري في كشافه .

وهو يخالف الزمخشري أحيانا في مثل تقرير الخبر في قوله تعالى : (وبشر

الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا) (٢) . فالتقدير عنده ، أنها

معطوفة على قل مرادا قيل يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ، على

أن التقدير عند الزمخشري أنها من باب عطف القصة على القصة) (٣) .

واعتبر قول الشاعر : (وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا) من باب قطع

الاحتياط وسماه الخطيب شبه كمال الانقطاع وان كان عنه أيضا أنه يحتمل الاستئناف .

وهذه زيادة على عبد القاهر ، فقد اعتبرها السكاكي القطع من أجل الاحتياط

واعتبرها القزويني شبه كمال الانقطاع .

وتحدث عن محسنات الوصل وهو كون الجملتين متساويتين في الاسمية

أو الفعلية إلا لنكتة بلاغية .

وتحدث عن الجملة الحالية متى تأتي مع الواو ومتى تأتي بدون الواو وكل

١- سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٥٦ .

٣- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١٣ .

الامثلة معروفة عند عبد القاهر الجرجاني كررها السكاكي في هذه المواطن . .

والسكاكي اذا اردنا أن نتتبع جهود ه فلا تخرج عن كونه نظم وهوب لهذا

الفن وحرر قواعد ه ومسائله تحريريا لا مجال للشك في دقته وضبطه وقد توسع في قضية

الجامع وتقسيماته على منهج الفلاسفة والمتكلمين علما أن الشيخ عبد القاهر لم ينص

الا على وجود الجامع بين الجملتين وتوقف عند هذا الحد .

وقد تبع السكاكي أيضا الزمخشري في كثير من الآيات في تخريجها وخالفة

في تخريج البعض الآخر خاصة عند بيانه للتوسط بين الكمالين ، اذا كانت احدى

الجملتين خبرا لفظا ومعنى ، والثانية انشا لفظا وهكذا .

ومن جهود ه أيضا ما نص عليه من مسألة شبه الانقطاع والتي سماها القطع

للاحتياط في بعض صورها عند الشاعر (وتظن سلس) .

اما بقية السائل فهو تتبع من امثلة امثال الشيخ عبد القاهر والزمخشري .

ومع ان الفخر الرازي قد لخص الفصل والوصل ايضا وكان سابقا على السكاكي الا اننا

نجد الدقة المتناهية في بحث السكاكي اكثر منها عند الفخر الرازي الذي اخذ

اسلوب الايجار في ايراد المسائل دون ان ياتي بشي جديد .

والبحث في الجامع بهنئة الصورة ربما كان له الاثر في اخراج البلاغة من طور

الذوق الادبي الي طور التقسيمات والقواعد والقوانين الخاصة .

على ان كلمة مناسبة التي ذكرها الشيخ عبد القاهر كانت تكفي دون الحاجة

للخوض في مسائل فلسفية ، فكلمة مناسبة كافية في حد ذاتها .

قال الشيخ كامل الخولي : (وكلمة المناسبة بين الجملتين كانت كافية لهداية النشئ
عند العطف لولا انة حانت الفرصة لاقتحام الفلسفة حدود البلاغة فجاء حديث الجامع
بين الجملتين عند السكاكي وتبعة الخطيب)

يقدم قال عبد القاهر كلمة في الجامع وهي كلمة الاديب على اجمالها ، ان يكون
المسند الية في الجملة بسبب من المسند الية في الجملة الاخرى ، وكذلك المسند
منهما ولكن الخطيب يقسم الجامع بين الشئيين الى عقلي ووهي وخيالي ~~تعمينا~~
للسكاكي ، (١)

(٧) الفصل والوصل عند ابن الاثير .

اذا تصفحنا كتاب المثل السائر لابن الاثير ، لا نجده قد عقد فصلا للوصل
والفصل مع أنه من العلماء المتأخرين ، حيث عاصر زمنه زمن السكاكي .
والذي يبدو أنه لم يتلمذ على كتب مدرسة عبد القاهر الجرجاني والزمخشري
مع أنه أورد كثيرا من القضايا من خلال كتابه موجودة في أصلها عند الزمخشري .
وقد تحدث عن قسم بسيط من أقسام الفصل من خلال حديثه عن الحذف
والايجاز فقد قسم حذف الجمل الى قسمين :
أحدهما : الاستئناف ويعرفه بأنه (حذف السؤال المقدر وأنه يأتي على
وجهين : أحدهما باعادة الاسماء والصفات فاعادة الاسم أى أسم من تقدم الحديث
عنه ، كقولك : أحسنت الى زيد . زيد حقيق بالاحسان . ومثال اعادة الصفة
كقولك : أحسنت الى زيد . صديقك القديم أهل لذلك منك) (١) .

١- ابن الاثير ، المثل السائر : ٢ / ٢٨٠ .

وهذا أحد تقسيمات الاستئناف التي وردت عند الزمخشري كما مر سابقا
ويذكر أمثلة من القرآن على الاستئناف وردت أيضا عند من سبقوه كالزمخشري في كتابه
الكشاف .

ومثل له بقوله تعالى : (وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون) . . (١) .
الى قوله تعالى (وجعلني من المكرمين) قال : (فمخرج هذا القول مخرج
الاستئناف لان ذلك من مظان المسألة عن حالة عند لقاء ربه) (٢) .
وقد اعتبر ابن الاثير الاستئناف من أقسام علم البيان ، وذلك عند حديثه
عن الفرق في اثبات الفاء وعدمه في قوله تعالى : (يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل
سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارْتَقَبُوا اني معكم رقيب) وقوله
تعالى : (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
ويحل عليه عذاب مقيم) .

حيث قال : (ان اثباتها وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ، وحذفها وصل
خفي تقديري بالا استئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا : فماذا يكون اذا
عملنا على مكانتنا وعملت أنت؟ فقال : سوف تعلمون . فوصل تارة بالفاء وتارة بالا استئناف
للتفنن في البلاغة ، وأقوى الوصلين وأبلغهما الاستئناف ، وهو قسم من أقسام علم

١- سورة يس ، الآية : ٢٢ .

٢- ابن الاثير ، المثل السائر : ٢٨٢/٢ .

البيان تتكاثر محاسنه (١) .

وتحدث عن جملة الحال تحت عنوان الضرب الرابع عشر من الحذف ، وهو حذف الواو من الكلام وثباتها . قال : (وأحسن حذفها من المعطوف والمعطوف عليه وإذا لم يذكر الحرف المعطوف به كان ذلك بلاغة وإيجاز ، كقول أنس بن مالك (رضي الله عنه) : كان أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ينامون ثم يصلون ولا يتوضئون أو قال : يصلون لا يتوضئون) فقله : (لا يتوضئون) بحذف أبلغ في تحقيق عدم الوضوء من قوله : (ولا يتوضئون) بثباتها لأنه جعل ذلك حاله لهم لازمة : أي أنها داخلية في الجملة وليست جملة خارجة عن الأولى لان واو العطف تؤذن بانفسراد المعطوف عن المعطوف عليه وإذا حذف في مثل هذا الموضع صار المعطوف والمعطوف عليه جملة واحدة (٢) .

وقد تحدث من سبقوه عن جملة الحال وأشبهوها بحثا وببدا وأن الشيخ لم يطلع على ما كتبه الجرجاني أو السكاكي مع أن هذا الأمر الآخسر كان معاصرا له .

وأطلق حكم مجي* الجمل بدون وأولانه أبلغ عنده ، وذكر أمثله من القرآن قائلا : (وقد جاء* مثل ذلك في القرآن الكريم وذلك أنه يذكر جمل من القول ، كل واحدة منها مستقلة بنفسها ، ثم تسرد سردا بغير عاطف كقوله تسماعلي : (يا أيها

١- ابن الاثير ، المثل السائر إلقسم الثاني : ٢٨٣ .

٢- نفس المصدر السابق : ٣٢٩/٢ .

الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء

من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر (١)

تقدير هذا الكلام لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم وقد بدت البغضاء من

أفواههم . فلما حذف الواو جاء الكلام أوجز وأحسن طلاوة وأبلغ تأليفا ونظما

. (٢) .

وبين أن هناك مواضع يجوز فيها اثبات الواو وعدمه كقوله تعالى : (وما

أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) (٣) .

والحذف كقوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون) (٤) .

ويذكر قاعدة للحذف وعدمه بقوله : (اعلم أن كل اسم نكرة جاء بعد الواو ، يجوز اثبات

الواو في خبره وحذفها كقولك : (ما رأيت رجلا الا وعليه ثياب) وان شئت قلت : (الا

عليه ثياب) بغير واو .

فان كان الذي يقع على النكرة ناقصا ، فلا يكون الا بحذف الواو نحو

قولك : (ما أظن درهما الا هو كافيك) ولا يجوز الا وهو كافيك بالواو ، لان الظن

١- سورة آل عمران ، الآية : ١١٨ .

٢- ابن الاثير ، المثل السائر : ٣٢٩/٢ - ٣٣٠ .

٣- سورة الحجر ، الآية : ١٤١ .

٤- سورة الشعراء ، الآية : ٤ .

يحتاج الى شيئين فلا يعترض فيه بالواو لانه يصير كالمكتفي من الافعال باسم واحد
وكذلك جواب ظن وكان وأشباهها ، خطأ أن تقول : ان رجلا وهو قائم . ونحو ذلك .
ويجوز هذا في (ليس) خاصة تقول : (ليس أحد الا وهو قائم) لان
الكلام يتوهم بليس تمامه وحرف نكرة ألا ترى أنك تقول : (ليس أحد ، وما من أحد)
فجاز فيها اثبات الواو ولم يجز في أظن ، لانك لا تقول : ما أظن أحدا .
فأما أصبح وأمس ورأى ، فان الواو فيهما أسهل ، لانهن توأم في حال .
وكان وأظن ونحوهما بنين على النقص الا اذا كانت (كان) تامة وكذلك (لا) في
القتزيه وغيرها نحو (لا رجل ، وما من رجل) فيجوز اثبات الواو فيها وهذا
..... (١) .

ومن الجدير بالذكر أن ابن الاثير قد طرق مثل هذه المواضع في حديثه

عن الحذف وطرقها غيره عند الحديث عن الفصل والوصل والجملة الحالية .

وتحدث عن حرف العطف الواو وأنها تأتي بمعنى أو عند قوله تعالى :

(تلك عشرة كاملة) حيث قال : (وقد قال قوم ان الواو ها هنا انما أكدت قوله

وتلك عشرة كاملة) لثلا يتوهم أنها بمعنى (أو) قال : وهذا باطل ، لان الواو تجعل

بمعنى (أو) مخالفة لا صلها لمرجح يرجح ذلك على كونها عاطفة الذي هو الاصل
ولا مرجح هنا . . . (١) .

قال صاحب الفلك الدائر : أقول : صاحب هذا القول انما يقوله بعد
ثبوت مقدمات منها أنه في كلام الله تعالى من فائدة ، ومنها أنه لا فائدة اذا جعلناها
عاطفة ، فاذا ثبت ذلك له قال صحت حينئذ وجعلها بمعنى أو . ولا نزاع
أنه اذا ثبتت له ذلك كانت بمعنى أو (٢) .

وايضا من هذا الباب ما رتبة صاحب الفلك على ابن الاثير بقوله :
قال المصنف وايضا فان الصوم عبادة يجب فيها الاحتياط والالتيان بها على اكمل
صورة فكيف يظن ان الواو ها هنا بمعنى او (٣) .

وقول - ابن أبي الحديد - : (أليس قد وردت الواو بمعنى أو في قوله تعالى
: (متى وثلاث ورباع) وهو في النكاح والخطا فيه أصعب من الخطأ في هذا الصوم
فيجوز أن يكون سبحانه قال : (تلك عشرة كاملة) لزالة توهم من يتوهم أن هذه
الواو كتلك الواو) (٤) .

وقد تحدث ابن الاثير عن هذه الآية في قوله تعالى : (تلك عشرة كاملة)
قائلا : (فان قلت : ان الواو في قوله تعالى : (وسبعة اذا رجعتن) لولا أن توكد

١- ابن الاثير ، المثل السائر : ٣٢/٣ .

٢- ابن أبي جديد ، الفلك الدائر على المثل السائر : ٢٨٩ .

٣- ابن الاثير المثل السائر : ٣٢/٣ .

٤- ابن أبي جديد ، الفلك الدائر : ٢٩٠ .

بقوله : (تلك عشرة كاملة) لظن أنها وردت بمعنى أو أى : فثلاثة أيام في الحج أو سبعة اذا رجعتم فلما قيل : تلك عشرة زال هذا الظن وتحققت الواو أنها عاطفة وليس بمعنى أو قلت في الجواب هذا باطل من أربعة وجوه وقد ذكر هذه الوجوه الاربعة خلاصتها .

١- الواو العاطفة لا تجعل بمعنى أو الا حال ضرورة ترجح جانبها على جانب جعلها عاطفة وأصلها أن تكون عاطفة .

٢- لو كانت بمعنى أو لقليل فثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم ولم يحتاج الى التطويل في الآية .

٣- أن هذه الحكم متعلق بالصوم والعبادات تجب فيها الاحتياط .

٤- أن السبعة ليست معادلة للثلاثة حتى تجعل في قبالتها ثم قال : (واذا كانت للعطف خاصة فتأكيدها بعشرة كاملة دليل على أن المراد وجوب صوم الايام السبعة في الطريق قبل الوصول الى البلد) (١) .

والذى يهتأ من اثاره هذه القضايا من كون الواو العاطفة تأتي بمعنى أو ووجوه ترجيح ذلك أو رده انما لبيان واثبات أن ابن الاثير قد تطرق لعدة قضايا لها مساس من قريب بل في صلب مادة الفصل والوصل وأن حرف العطف (الواو) جزء لا يهجز البحث فيه من هذا الموضوع ، ناهيك عن استخدامه للمسائل الحالية تحت عنوان حذف الواو وغيره .

١- ابن الاثير ، المثل السائر : ٣ / ٣١ - ٣٣ .

(٨) الفصل والوصل عند الخطيب القزويني .

بدأ الحديث عن أهميته بعد تعريفه وجعله مفيدا بالجمل حيث قال : الوصل

: عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه (١)

ثم تحدث عن الجمل التي لا محل لها من الاعراب اذا قصد اشراكها

مع ما قبلها فانها تأخذ حكم المفرد ثم عن نفس النوع من الجمل مع ارادة عدم التشريك

ويذكر الامثلة التي وردت عند الجرجاني مثل قوله تعالى : (واذا خلوا الى شياطينهم

قالوا انا معكم انما نحن مستهزون) (٢) .

ثم تحدث عن الجمل التي لا محل لها من الاعراب وتشارك أخرى على

معنى حرف من حروف العطف غير الواو ثم تحدث عن ذات الحكم الاعرابي سواء قصد

التشريك بذلك الحكم أم لا ، ويورد الامثلة على ذلك من سورة البقرة كقوله تعالى :

(واذا خلوا الى شياطينهم قالوا) وقوله تعالى : (واذا قيل لهم لا تفسدوا

في الارض) وقوله تعالى : (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) .

ثم تحدث عن الجمل التي ليس لها محل من الاعراب ولا حكم اعرابي وبين

١- القزويني ، الايضاح : ١٤٧ .

من خلالها مواطن الفصل ومواطن الوصل وشبههما وهي عنده كمال الانقطاع وكمال
الاتصال ، وشبه كمال الانقطاع ويضرب الامثلة على ذلك موضعا صور كل حالة فكمال
الانقطاع يرجع الى الاسناد أو الى طرفيه فالاول أن يختلف الجملتان خبرا وانشأه
لفظا ومعنى ، أو معنى فقط . والثاني يعود الى الجامع بين طرفي الجملتين
وهو يذكرك من خلال هذا كله أقوال السكاكي وأقوالا للزمخشري والجرجاني فعند قول
الشاعر اليزيدى :

ملكته حبلتي ولكنـــــــــــــــــه ألقاه من زهد على غارسي

وقال اني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

تجده يذكرك رأى السكاكي قائلا : (فعده السكاكي (رحمه الله) من هذا

(الضرب) أى : اختلاف الجملتين خبرا وانشأه معنى لالفاظا .

وجملة الشيخ عبدالقاهر (رحمه الله) على الاستئناف بتقدير قلت) . . .

• (1) •••••

ويتحدث عن كمال الاتصال وأنه يشمل تنزيل الجملة الثانية منزلة التأكيد

ويقسم الى نوعين لفظي ومعنوي ، على أن السكاكي ومن قبله لم يذكروا الا التأكيد

أو التقرير دون تفصيله الى معنوي ولفظي ، ويشمل الابدال ويقسم الى ضربين أحدهما

١- القزويني ، الايضاح : ١٥١ .

بدل البعض من متبوعه ، والثاني بدل الاشتمال ، وأيضا ما ورد عن السكاكي الابدال فقط دون تفصيل في ذلك على أن الامثلة التي ذكرها الخطيب هي نفسها التي وردت عند السكاكي ومن قبله ، ويشمل أيضا تنزيل الجملة الثانية منزلة عطف البيان .

ويرد على تساؤل يطرح نفسه لم لا تنزل بعض الجمل منزلة بدل الكل أو

النعته ؟ فيقول : (لان بدل الكل لا ينفصل عن التأكيد الا بأن لفظه غير لفظ متبوعه وأنه مقصود بالنسبة دون متبوعه بخلاف التأكيد .

والنعته لا ينفصل عن عطف البيان الا بأنه بدل على بعض احوال متبوعه

لا عليه وعطف البيان بالعكس وهذه كلها لا يتحقق شي * منها فيما نحن بصدده

• (١) •••••

ثم بين مواطن شبه كمال الانقطاع وعرفه بقوله : (وأما كون الثانية بمنزلة

المنقطعة عن الاولى فلكون عطفها عليها موهما لعطفها على غيرها ويسمى الفصل لذلك

قطعا) ••••• (٢) •

وهذا النوع كما بينا سابقا يسمى عند السكاكي بالقطع للاحتياط ، على أن

المثال الذي ذكره يحتمل الاستئناف ولم ينص الجرجاني على هذا النوع وانما هو من

عند السكاكي وسماه الخطيب باسم غير ما ذكره السكاكي وهو قول الشاعر :

١- القزويني ، الايضاح : ١٥٤ .

٢- نفس المصدر السابق : ١٥٤ .

وتظن سلمي التي أبغى بها بدلا أراها في الضلال تهم

وكثيرا ما يخالف السكاكي في أقواله بذكر عبارة (وفيه نظر) ففي قوله تعالى

: (ألا انهم هم السفهاء) يقول السكاكي : (ان القطع فيها للوجوب ، وقال الخطيب

وفيه نظر لجواز أن يكون المقطوع معطوفا على الجملة المصدرية بالظرف) (١) .

والنوع الثالث : عند الخطيب يسمى استثناء وهو ثلاثة أضرب عنه لان

السؤال الذي تضمنته الجملة الاولى اما عن سبب الحكم فيها مطلقا كقوله قال كيف

انت ؟ وأما عن سبب خاص كقوله تعالى : (ما أبرئ نفسي) وأما عن غيرها

كقوله تعالى : قالوا سلاما قال سلام) .

وتحدث أيضا عن اتیان الاستئناف باعادة اسم استئناف عنه كقولك :

(أحسنت الى زيد ، زيد حقيق بالاحسان) أو باعادة صفته كقولك : (أحسنت

الى زيد . صديقك القديم . وهو بهذا يتابع الزمخشري . كما مر سابقا ، فبنسبة

الاستئناف بهذا الشكل أول ما ورد عند الزمخشري .

وتحدث عن أحوال الاستئناف وأنه يأتي محذوف الصدر مع قرينة دلالة

على ذلك كقوله تعالى : (يسبح له فيها بالفد والاصال رجال) (٢) .

وأنه يأتي أيضا محذوف كله ويقام ما يدل عليه مقالة مثاله قول الحماسي :

لهم ألف وليس لكم الاف

زعمتم أن اخوانكم قريش

١- القزويني ، الايضاح : ١٥٥ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٥ .

قال الخطيب : (حذف الجواب الذي هو كذا بتم في زعمكم وأقام قوله لهم ألف وليس لكم ألف مقامه ، لدلالته عليه .

على أن البيت قد ورد عند السكاكي على أنه من باب القطع للاحتياط أو الاستئناف . كما أنه قد يحذف الاستئناف ولا يقام مقامه كقوله تعالى : (نعم العبد) أى : أيوب أو هو لدلالة ما قبل الآية أو بعدها عليه .

وتحدث عن مواطن الوصل منها الوصل لدفع إيهام خلاف المقصود أو للتوسط بين الكمالين وقسم الي ضربين :

١- أن تتفق الجملتان خبرا وانشاء معنى ولفظا .

٢- الاتفاق معنى لا لفظا . ونراه يرد قول الزمخشري ولا يأخذ به نسي

سورة البقرة عند قوله تعالى : (وشر الذين آمنوا) .

فالزمخشري رأيه أن هذا باب عطف الجملة وصف ثواب المؤمنين على جملة

وصف عقاب الكافرين (قال القزويني : (وفيه نظرا لا يخفى على المتأمل) . . . (١) .

ولعله يقصد اختلاف المسند اليه في الجملتين فقوله تعالى : (فاتقوا المسند

اليه هنا هم الكافرون ، وقوله (وشر) المسند اليه هو الرسول (صلى الله عليه وسلم)

فلا مناسبة .

ويرد أيضا قوله ، عند قوله تعالى : (وشر المؤمنين) في سورة الصف

وقال ايضا يعنى الزمخشري - في قوله تعالى في سورة الصف (وبشر المؤمنين)
وانة معطوف على (تؤمنون) لانة بمعنى امنوا ، وفيه ايضا نظر لان المخاطبين
في (تؤمنون) هم المؤمنون وفي (بشر) هو النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قوله
(تؤمنون) بيان لما قبله على سبيل الاستئناف فكيف يصح عطف (بشر المؤمنين)
(عليه) (١) .

ويرد على السكاكي قوله ايضا في بعض المواطن قال (وذهب السكاكي الى انها
معطوفتان على قد مراد ا قيل (يا ايها الناس ويا ايها الذين امنوا)
لان اراده القول بواسطة انصباب الكلام الى معناه غير في القران .

قال الخطيب : والاقرب ان يكون الامر في الايتين معطوفا على مقدر يدل عليه

ما قبله وهو في الاية الاولى (فانذر) اونحوه فانذرهم : (وبشر الذين امنوا)

وفي الاية الثانية (فابشر) اونحوه اي فابشريا محمد وبشر المؤمنين . .

وهذا كما قدر الزمخشري قوله تعالى : (واهجرني مليا) معطوفا على محذوف

يدل عليه لا رجعتك (اي فاحذرني واهجرني لان لا رجعتك تهديد وتقريع) . (٢) .

ويتحدث عن الجامع ولكنه لم يأت بجديد سوى تلخيص كلام السكاكي في ذلك وتحدث

عن الحال المنتقلة وهي التي سماها السكاكي حالا بالاطلاق هلى ان السكاكي قد فصل

في الحال وقسمها الى نوعين حال مؤكده وحال بالاطلاق .

وهو يتفق معه ايضا على ان اصل واو الحال هي واو العطف ويبين ان اصل الحال المنتقله ان تاتي بغير الواو لوجوه : اولها ان اعرابها ليس يتبع وان الحال في المعنى حكم على ذي الحال كالخبر بالنسبة للمبتدا وانها في الحقيقة وصف لذي الحال فلا يدخلها الواو كالنعت ثم بين وقوع الحال جملة كما فعل السكاكي واحوال هذه الجمل اذا كانت اسمية او فعلية مضارعية او ماضوية منفية او مثبتة .

وخلاصة القول ان جهود القزويني في الفصل والوصل تتمثل في تنظيمه للمادة وتلخيصه لما جاء عند السكاكي بالاضافة الى تطعيمه المادة بما جاء عند الزمخشري المادة بما جاء عند الزمخشري والجرجاني على اننا نجد له بعض الاراء الخاصة كما في تقديره عند الحديث عن قوله تعالى (وبشر الذين امنوا) وايضا رده لبعض آراء السكاكي وتسمية القطع للاحتياط بشبه كمال الانقطاع .

ان الخطيب قد اشار في بداية كتابه انه اراد تنظيم وتلخيص ما جاء عند السكاكي واطافة ما جاء به الجرجاني وغيره حيث قال : (فهذا كتاب في علم البلاغة وتوابعها ترجمته بالايضاح وجعلته على ترتيب مختصرى الذى سميت تلخيص المفتاح وسطت فيه القول ليكون كالشرح له فاوضحت مواضعه المشككة ، وفصلت معانيه النجملة .

وعدت الى ما خلا عنه المختصر ما تضمنه مفتاح العلوم والى ما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الامام عبد القاهر الجرجاني رحمه الله - في كتابه (دلائل الاعجاز) (و اسرار البلاغة) والى ما تسير النظر فيه من كلام غيرهما فاستخرجت زبدة ذلك كله وهذا بنيتها ورببتها حتى استقر كل شي منها في محله واضفت الى ذلك ما ادى فكري

ولم اجده لغيري (.....) (١) .

وسامن شك ان مسألة الفصل ولوصل في الكتب البلاغية خذت شكلها النهائي عند

الخطيب القزويني ، وكل من جاء بعده ساروا على طريقته اما شارحا أو موضحا أو محشيا

أو مختصرا أو معلقا .

أما الدراسات الحديثة في هذا الميدان فلم أعر على شيء جديد بقدر

ما هي مقولات للرجوع الى ما كتبه الامام عبدالقاهر ، ويقدر ما هي محاولات لضغط كثير

من الاقسام لجعلها قسما واحدا ، خاصة فيما يتعلق بالاستئناف أو مسائل كمال الاتصال

فالفروقات بين البدل وعطف البيان ، والتفسير ، والتأكيد خيطية متداخلة ما ينطبق

على أحدها ينطبق على الآخر .

الباب الثالث

الفصل والوصل في
المفردات والجمل

الباب الثالث

(الفصل والوصل في المفردات)

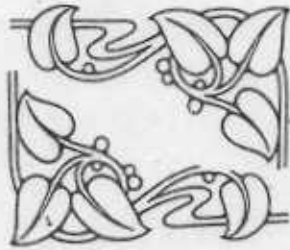
الفصل الاول : الفصل والوصل في المفردات .
والجمل

الفصل الثاني : الفصل والوصل في الجمل التي لها محل من
الاعراب .

الفصل الثالث : الفصل والوصل في الجمل التي لها حكم اعرابي .

الفصل الأول

الفصل والوصل في المفردات



الفصل الأول

الفصل والوصل في المفردات

تتشابه وجوه الربط بين المفردات والجمل على معاني حروف العطف المعروفة ،
 ولا شكال كما يقع في الواو في الحديث عن الجمل ، يقع أيضا في الواو في حالة الربط
 والوصل في المفردات ، وقد ذكر أهل المعاني وفصلوا ، في الفصل والوصل في الجمل
 على وجه الخصوص ، أما المفردات ، فقد تركوا التفصيل فيها ولعل من الاسباب أنهم
 استغنوا بما في الجمل عنها للتشابه النسبي بينهما أو لوضوح الحديث في المفردات
 على العكس من الجمل ، علما أنهم في كثير من أمثلتهم عند الحديث عن الجمل
 كانت من عطف المفردات .

وجعلوا عطف المفردات وزان ما يقع في الجمل كما ذكر الخطيب قوله : فوازن

ما وزن كذا وكذا في المفرد (. . . الخ .

وقد تناول السبكي الفصل والوصل في المفردات بشي * من التفصيل ناهجا

منهجهم في الجمل من اعتبار الكمالات بأنواعها وقصد التشريك والجامع ويأتي بالامثلة

على كل نوع من الانواع السابقة فمثال كمال الانقطاع بلا ايها غير المراد قوله : (زيد

عالم قائم) فانه لا جامع بين هذين الخبرين معتبر وكذلك (جاء زيد لا يسا ثوبا ضاربا

عمرا) ومثال كمال الانقطاع مع ايهاام خلاف المقصود في الفصل (ظننت زيدا ضاربا
وعالما) فيجب العطف ان لو لم يعطف لتوهم أن عالما معمول لقولك ضاربا .

ومثال كمال الاتصال (التأكيد المعنوي واللفظي) جاء زيد نفسه .

ومثاله (عطف بيان ونعت) جاء أبو عبد الله زيد ، جاء زيد القائم ، أو يكون في معنى
واحد من هذه الامور كما في الجمل أو يكونا بمنزلة خبر واحد مثل : هذا حلو حامض
اذا جعلناهما خبرين ، وعطف بعض الصفات على بعض عنده خلاف الاصل وهو ترك
العطف .

وشبه كمال الانقطاع : وهو أولا : أن يكون للمفرد الا اول حكم لا يقصد

اعطاؤه للثاني : نحو (زيد مجيب) ان قصد صالح اذا اردت الاخبار بأنه صالح مطلقا
فان عطف صالح على مجيب يوهم أنه صالح ان قصد لان الشرط في أحد المتعاطفين
شرط في الاخر .

ثانيا : بأن يكون عطفه على المفرد قبله على غيره نحو (كان زيد ضاربا

عمرا قائما) فلو قلت وقائما لا وهم أنه معطوف على عمرا المفعول .

ومثال شبه كمال الاتصال قولك : (زيد غضبان ناقص الحظ) كأن سائلا سأل

لم غضب وهذا تقدير معنوي لا صناعي ولو كان صناعيا لدخل في عطف الجمل .

والحالة السادسة : التوسط بين الكمالين كقولك : (زيد معطر مانع) على

أن يكونا خبرين . فانك اذا أردت جعل الثاني صفة يتعين الوصل تقول : (زيد معط ومانع) وتحدث عن الجامع في المفردات باعتبار المسند ويقصد به كما قال مدلول المفرد والمسند اليه وهو العامل في المفردين مثل (زيد كاذب وخائن وأتى) يشاهد قول الشاعر:

فقدت الاديـم لراهشية وألفى قولها كذبا ومينا (١) .

فان المبين هو نفس معنى الكذب . والبيت يتحدث عن قصة الزنا مع عمرو عندما قدم اليها من أجل الزواج ، وكان قد قتل أبها سابقا فنصب له فخا باغرائه أن يتزوجها ويحل الوثام فلما وقع قدمت طست لراهشية وهما العرقان في الرسغ يقصدان .

قال أيضا السبكي : (وكذلك جاء زيد راضيا وضاحكا يتحدان باعتبار

المناسبة بين الضحك والرضا ، وليس هنا مسندين بل هما متعلقان بصاحب الحال أوالاتحاد في المسند ، والاتحاد في المفردات عنده عمل الفصل السابق فيها مثل جاء زيد وعمرو ضاحكا وياكيا فقد اشتركا في جاء . والاتحاد في المسند اليه فقط مثل زيد عالم آكل) (٢)

١- قائله : عدى بن زيد العبادى في قصة الزنا وغدرها بجذيمة والراهشان:العرقان الظاهران في الذراعين والمعنى أنها قدمت النطيع من عروقه وفصدتها ففدرت به قال ابن هشام : وهذا من عطف الشيء على مرادفه (الكذب ومينا) .
المغني ، ابن هشام : ٢ / ٣٩٥ .

٢- السبكي ، عروس الافراح يتصرف وتلخيص : ٣ / ١١٤-١١٥ .

ويظهر من خلال حديث السبكي وضوح هذه المسائل مع أن كثيرا من الأمثلة التي ذكرها تحتل أكثر من وجه سواء في العطف أو في تركه ، ومنها لا يأتي في المفردات أبدا لان السؤال فيها عن الاسناد كله كما هو الحال في الاستئناف البياني .

الفصل والوصل في الاسماء والصفات

المفردات اما أن تكون أسماء أو صفات فاذا عطفنا اسما أو أكثر فلا بد أن يكون بينهما مناسبة ما مع اقتضائهم للمغايرة أيضا وذلك اذا قصد اشراك الثاني في حكم الاول سواء كان في الفاعلين أو المفعولين الى كونه مجرورا أو منصوبا أو مرفوعا .
فلا شتراك في الفاعلين قوله : (جاء زيد وعمرو) وفي المفعولين : (رأيت زيدا وعمرا) وفي الجر : (مررت بزيد وعمر) ومن الأمثلة القرآنية وهي كثيرة قوله تعالى :
(يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) . . (١) .
فالخارج من الارض معطوف على الداخل فيها والعارج في السماء معطوف على النازل منها والجامع بين هذه المتعاطفات هو التضاد .

ومن الأمثلة قوله تعالى : (الرحمن ، علم القرآن ، خلق الانسان ، علمه

البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان

..... (١) .

فعطف القمر على الشمس وهما كونيان والشجر والنجم وهما أرضيان —

النباتات وبين الشمس والقمر تضاد ، ان الشمس نجم مضي * بذاته والقمر بغيره .

والشجر والنجم فالشجر نبات ذو ساق والنجم نبات زاحف ، وأولئك سماويات

وهو^١ أرضيان . ومن قوله تعالى : (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد

وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع) (٢) .

والجامع بينهم التكذيب والكفر .

ومن الشعر قول البحتري :

ولم أنس وحش القصر ان ربيع سريره وانذا نذرت أطلاؤه وجآذره

تجعل عنه ساكوه فجـاؤه فعادت سواء دوره ومقآبره

فالاطلاء والجان رمح اختلافا فيها يجمعها الطفولة الغضة الجديرة بالعطف

والاحسان فينبهما شبه تماثل وكذلك الشأن بين الدور والمقابر منها بنان (٣)

اما اذا لم يتحقق جهة جامعة فلا وصل عندئذ لذلك نعيب على ابي تمام قوله :

لا والذى هو عالم ان النوى صبر وان ابا الحسين كريم

لان لا مناسبة بين مرارة الصبر وكرم ابي الحسين سواء كان ذلك باعتبار عطف

مفرد على مفرد او جملة على جملة باعتبار وقوعه موقع مفعولي العلم وقول الشاعر : لا :

نفي لما ادعت الجيبه عليه من اندراس هواه بدلالة البيت السابق :

١- سورة الرحمن ، الآية : ٧-١ . ٢- سورة ق : الآية : ١٢ .

زعمت هواك عفا الغداة كما عفا عنها طلال باللسوى ورسوم

وجواب القسم البيت التالي :

مازلت عن سنن الورا ولا غدت نفسي على ألف سواك تحوم (١) .

والصبر بكسر الباء هو الداء المر المعروف ، وقد أجيب عن هذا البيت وقيل

ان هناك مناسبة قيل (بأنه لما كان الكلام الموصوف به أبو الحسين حلوا ، ويدفع

بسببه ألم احتياج السائل ، والصبر قرأ ، ويدفع به بعض الآلام ، كان هناك مناسبة

التضاد وجهة جامعة هي دفع الالم في كل .

وقيل أن المراد أن مرارة الصبر وكرم أبي الحسين ما لا يعلمه الا الله

مبالغة في عظمة الشيء والجامع أنه ما لا يحيط به علم أحد الا الله أو أن الجهة

الجامعة خيالية (..... (٢) .

ومنه قوله تعالى : (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف

رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) (٣) . وقد تحدثنا

على هذه الآيات .

١- المطول على التلخيص : ٢٤٨ .

٢- كتاب تقرير العلامة الشمس الانبياي على شرح سعد الدين التفتازاني لتلخيص المفتاح

وحاشيته الشهيرة بالتجربة في علم المعاني والبيان والبديع والكلام من الحاشية .

٣- سورة الفاشية ، الآية : ١٧-٢٦ .

من أسرار العطف في الاسماء المفردة

قال تعالى : (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير

المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحراث) (١) .

جميع هذه المتعاطفات يجمعها كونها من الشهوات بالاضافة الى أن النساء

والبنين من جنس البشرية ، والذهب والفضة من جنس المعادن ، والخيل والانعام

من جنس الحيوانات) (٢) .

فالمناسبة حاصلة بين الجميع وكذا لك التباير واضح من أن كل معطوف

دال على ذات في نفسه والعجائب في هذه الآية كيف اجتمعت هذه الاشياء وكيف

رتبت هذا الترتيب ؟

قال صاحب الطراز : (فلما كانت الآية مسوقة من أجل تزيين المشتبهيات في

أفئدة بني آدم واستيلائها عليها ، قدم ما هو الادخل في ذلك فصدرها بذكر

النساء تشبيها على أن لا مشتبهى يغلب على العقول مثلهن لما يغلب على القلوب

من توقان النفوس اليهن ومن هذا قال (صلى الله عليه وسلم) : (ما رأيت أغلب

١- سورة آل عمران ، الآية : ١٤ .

٢- العلوى ، الطراز : ٣/٣١٤ .

لذوى العقول من النساء وفي هذا دلالة على استيلائهن على العقول لانهن
 أدخل في المشتبهات ثم عقبه بذكر البنين كما كانوا مما يلي النساء في الرقة والرحمة
 والشفقة والحنو مع المشاكلة في الخلقة والصورة ثم أردف ذلك بالاموال الذهبية
 والفضية لما يحصل فيها من اللذة والسرور والاطمئنان وانشراح الصدور بها والاستطالة
 والقوة كما يحصل بالابناء لكن الاولاد أدخل فرحا ، وأشد محبة ، وأكثر بهم رحمة
 ورأفة ، وقوله القناطر المعنطرة مبالغة في وصفها . . . ثم عقب ذلك بذكر الخيل لما
 يحصل بها من الجمال والهيئة الحسنة والقوة والاستطالة على الاعداء بالقهر ، وأورد فيها
 بذكر الانعام لما يحصل بها من المنافع وهي دون منافع الخيل ، وأتبعها بذكر الحرث
 وختم هذه المنافع لان كل واحد من هذه الاشياء على مرتبة في السبق على قدر حالها
 في الجمال والمنفعة ، وقد أشار الله تعالى الى ترتيبها كما سردها تنبيها على ما
 تقدم منها ، فهو أحق من غيره لا اختصاصه بما اختص به (١)

وقوله تعالى : (انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة

قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل) (٢) .

هذه الاصناف يجمعها كونها مستحقة لجعل الصدقة فيها وقد خص الله تعالى

المصارف الاربعة الاول باللام دلالة على الملك والاهلية للاستحقاق وعدل عن اللام

١- الملوي ، الطراز : ٣ / ٣١٤ .

٢- سورة التوبة ، الآية : ٦٠ .

الى حرف الواو في الاصناف الاربعة الاخرى وما ذاك الا للايذان بأن اقدامهم أرسخ
 في الاستحقاق للصدقة وأعظم حاجة في الافتقار من حيث كانت (في) دالة على الوطاء
 فنية على أنهم أحق بأن توضع فيهم الصدقات كما يوضع الشيء في الوطاء وأن يجعلوا
 مظنة لها وذلك لما في فك الرقاب وفي العزم من الخلاص من الرق والدين يشتملان
 على النقص وشغل القلب بالعبودية والفرم ثم تكرير الحرف في قوله : (وفي سبيل الله)
 قرينة مرجحة له على الرقاب والغارمين وكأن سياق الكلام يقتضي أن يقال (وفي الرقاب
 والغارمين وسبيل الله وابن السبيل) فلما جاء (بغي) مرة ثانية وفصل بها سبيل
 الله ، علم أن السبيل أكد في الاستحقاق وبالصرف فيه من أجل عمومته وشموله
 لجميع القربات الشرعية والمصالح الدينية (.....) (١) .

الفصل والوصل في الصفات

لما كانت الصفات دالة على بعض أحوال الموصوف وجريها مجراها في الاحوال
 المختلفة بالاضافة الى اتحاد محلها ، كان الاولى عدم العطف لانه عندئذ يكون من
 باب عطف الشيء على نفسه ، والعطف كما هو معروف يقتضي المفايزة بين المتعاطفين
 وفي بعض الاحيان نجد أن هناك تعاطفا ليس بين الصفات فحسب بل بين الذات
 نفسها على نفسها .

١- العلوى ، الطراز : ٥٥/٢ ، وانظر: ابن القيم ، الفوائد المشوق : ١٨٨-١٨٩ .

ومما ورد في سورة البقرة في هذا القبيل ما ذكره ابن كثير قال : (كان في مصحف حفصة :) حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر وقوموا لله قانتين (١)

عطفت صلاة العصر على الصلاة الوسطى مع أنها هي نفسها على أرجح الروايات فصلاة العصر هي الصلاة الوسطى قال ابن كثير : وتحتل أن تكون الواو لعطف الصفات لا لعطف الذات ، وذكر مستندا لذلك ما روى عن سيبيه حيث قال : (وقد نص سيبيه شيخ النحاة على جواز قول القائل مررت بأخيك وصاحبك ويكون الصاحب هو الاخ نفسه) (٢) .

والمقصود في الصفات هنا ليس النعت فحسب بل يشمل الاخبار والا حوال أيضا لانها صفات في المعنى فالصفات المتتابعة على موصوف واحد الاصل أن لا تعطف وقد جوزوا العطف في بعض الاحيان تقول : جاء زيد العامل والكريم والعالم . وتقول : جاء زيد العامل الكريم العالم . فالعطف على معنى أن هذه المتعاطفات متغايرة وان كانت على موصوف واحد .

قال الفراء : (والعرب تنعت بالواو وبغير الواو . وأنت تقول في الكلام

١- سورة البقرة ، الآية : ٢٣٩ ، انظر : ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم : ١ /

٢- انظر : تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير : ١ / ٣٠٠ ، وما بعدها .

ان زرتي زرت أخاك وابن عمك القريب لك . وان قلت : والقريب بالواو - لك كان صوابا .

وقال تعالى : (وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك) . (١) .

وفي قراءة عبد الله : (وبنات خالاتك واللاتي هاجرن معك) بالواو فقد تكون المهاجرات من بنات الخال والخاله) . (٢) .

وفي تفسير البحر المحيط قال : (وانما تدخل الواو في الصفات جوازا اذا

عطف بعضها على بعض وتغاير مدلولها نحو (مررت بزيد الكريم الشجاع والشاعر) . (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : (والعطف يكون لتغاير الاسماء والصفات وان

كان المسمى واحدا كقوله تعالى : (سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر

فهدي) وقوله : (هو الاول والاخر والظاهر والباطن) . (٤) .

وقال ابن يعقوب : (وجوزوا ترك العطف في الاخبار وكذا في الصفات

المتعددة مطلقا ، بل هو الاحسن فيها ما لم يكن فيها ، ايها التضاد ، فالقسم الاول

كقوله تعالى : (الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر) . (٥) .

والثاني (وهو الاول والاخر والظاهر والباطن) وانما استحسن العطف

عند ايها التضاد كما في المثال الثاني ليفهم الجميع ونفي التناقض) . (٦) .

١- سورة الاجزاب ، الآية : ٥٠ . ٢- الفراء ، معاني القرآن : ٣٤٥/٢ .

٣- أبو حيان الاندلسي ، تفسير البحر المحيط وبها مشه تفسير النهر الماد من البحر المحيط : ٤٠/٧ .

٤- ابن تيمية ، مقدمة التفسير ، الفتاوى : ٩/٣ .

٥- سورة الحشر ، الآية : ٢٣ . ٦- ابن يعقوب ، شرح التلخيص : ٧/٣ .

أما من الجهة الاعرابية . فان المخالفة في الاعراب بين الصفات تجعل

الكلام فيه نوع من التفنن وهو الاحسن عند الفارسي .

قال أبو علي الفارسي : (اذا ذكر صفات في معرض المدح أو الذم ، فلا حسن

أن يخالف في اعرابها لان المقام يقتضي الاطناب فاذا خولف في الاعراب كان المقصود

أكمل لان المماني عند الاختلاف تتنوع وتتنفن ، وعند الايجاز تكون نوعا واحدا .

ومثله في المدح قوله تعالى : (والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل

من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتئين الزكاة) (١) .

فانصب المقيمين على القطع وهو من شفة المرفوع الذي هو (المؤمنون)

وقيل بل انتصب بالعطف على قوله (بما أنزل اليك) وهو مجرور مكانه قال : (يؤمنون

بالذي أنزل اليك وبالمقيمين) أي اجابة المقيمين ، والاول أولى لان الموضوع للتفخيم

فالا ليق به اضمار الفعل ، حتى يكون الكلام جملة لا مفرد) (٢) .

على أنه في حالة القطع تصبح هذه المفردات في حكم الجمل ، فالقطع على

الرفع يعني كونها اخبارا ويقدر لها مبتدأ ، أو العكس ، وعلى النصب بتقدير فعل

عامل النصب كقوله : اقصد أو اعني أو أخص وهكذا . . . ويخرج الموضوع من حكم

المفردات .

فخرج من هذا كله الى أن الصفات اذا كانت جارية على موصوف واحد دون

١- سورة النساء ، الآية : ١٦٢ .

٢- الزركشي ، البرهان : ٤٤٧/٢ .

أن توهم التضاد توصل بلا عاطف ، قال تعالى : (الرحمن الرحيم الملك القدوس

السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور) (١) .

(فهذه الصفات المقدسة وافقت الذات المقدسة فجزت مجرى الاسماء

المترادفة) (٢) .

أما اذا توهم فيها التضاد فالوصل بحرف العطف قال تعالى : (هو الاول

والآخر والظاهر والباطن) (٣) .

فلانها أسماء متضادة المعاني في أصل موضوعها لا تجتمع في ذات واحدة

من جهة واحدة لان الشيء الواحد لا يكون ظاهرا وباطنا من جهة واحدة . . . وفي

المصرف اذا قصد تناقض أحوال الشخص قيل : (هذا قائم قاعد بخيروا) (٤) .

وهنا في هذه الآية ، العطف قائم بين الاول والآخر من جهة ، والظاهر

والباطن من جهة أخرى باعتبار جامع التضاد ثم العطف بين مجموع الظاهر والباطن

على مجموع الاول والآخر للتناسب بين المجموعتين باعتبار أجزائهما .

وربما يقع ايهام التضاد في بعض الصفات دون البعض وذلك كقوله تعالى :

(عسى ربه ان يطلعنك أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات

عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) (٥) .

١- سورة الحشر ، الآية : ٢٣ . ٢- تقرير الشمس الانباري على شرح التلخيص

للسعد التفتزاني : ١٩١ . ٣- سورة الحديد ، الآية : ٣ .

٤- تقرير الشمس الانباري على شرح السعد : ١٩١ .

٥- سورة التحريم ، الآية : ٥٥ .

فالوصل بحرف العطف واقع بين قوله تعالى : (ثيبات وأبكارا) للمفايرة
 التامة بين الثيبوية والبكارية ، وهو من التضاد لعدم امكان اجتماعهما بمكان واحد .
 ومنه أيضا قوله تعالى : (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون
 الساجدون والامرون بالمعروف والناهون عن المنكر) (١) .
 وقد يكون بعض الصفات مقاربا لمعنى صفة أخرى قبله فلا يعطف بين الصفتين
 لذلك ، وتجيء الأخرى معطوفة لمفايرتها لما قبلها معنى ، وان كان ليس بينهما
 مضادة ومنه قوله :

لا يبغدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معتـرك والطيبون معاهد الارز

فانه لم يعطف النازلون لانه في معنى ، سم العداة ، وعطف الطيبون ، لان
 المراد به العفاف والعفاف يفاير الشجاعة معنى ولغظا ، فلذلك تعين العطف في
 قوله وآفة الجزر لان المراد الكرم وذلك يفاير وصف الشجاعة (٢)

على أنه قبيح . ورد عكس ذلك تماما ، وذلك أن تكون الكلمتان أو الصفتان

في معنى واحد متقارب ومع ذلك جلاى الوصل بعاطف ومنه قول الشاعر :

فقد مت الاديم لراهشية وألفى قولها كذا ومينـا

فالكذب هو نفسه المين ، ومن الآية القرآنية قوله تعالى : (غافر الذنب

قابل التوب شديدا لعقاب ذى الطول (..... (١) .

فان غفر الذنب وقابل التوب متقارب جدا . وقد فصل في الطراز الحديث

في هذه الآية مبينا أسرار الفصل والوصل قال : (أما مجي * غفر عقيب قوله (العزيز

العليم) من غير واو مع أنهما من صفات الذات وغفر من صفات الافعال ، فانما كان

كذلك لانها في معناهما ، لان العزيز هو الغالب ، العالم هو المحيط بكل المعلومات

ومن كان غالبا بالقدرة على كل شي * وعالما بحسن العفو ومزيد الاحسان ، فهو الاحق

بالستر ، واسقاط العقوبة ، وان لا يستوفي له حقا من العباد ، فلهذا جاءت من

غير واو ، لانتظامها مع ما قبلها في سلك واحد .

وأما مجي * قوله : وقابل التوب ، بالواو مع كونها من صفات الافعال لا مريد

أما أولا : فلان المرجع بالمغفرة الى السلب لان معنى الغافر : هو الذى ريفعل

العقوبة في الاستحقاق ، والمرجع بقبول التوبة الى الاثبات لان معناه أنه يقبل العذر

والندم ، فلما كانا متناقضين بما ذكرناه وجب ورود الواو فصلا بينهما

وأما ثانيا : فالجمع بينهما لانسادة الجمع للذنب التائب بين رحمتين ، قبول

التوبة وكتابتها طاعة وامحاء * للذنوب كأنه قال :

جامع المغفرة والقبول من جهة ثانية ، أن المغفرة مختصة بالعبد وقبول

التوبة مختص بالله فوزنت الواو منبهة مع هذا التفاير .

والتعبير أيضا باسم الفاعل غافر وقابل لاحداث المغفرة والتوبة للعبد

أما قوله تعالى : (شديد العقاب ذى الطول) فهو تعقيب للرحمة والعفو وتحذيرا
عن مواجهة الخطايا والمعاصي ثم ختم هذه الصفات (بالطول) رحمة للخلق وتسلية
للعبيد (.....) (١) .

وقيل : ان غافر ، وقابل ، منقبان تشعر بالحدوث وهما صفات الافعال
وفعله (سبحانه وتعالى) في غيره لا في نفسه فدخل حرف العطف للمغايرة بين
المعنيين ، وأما شديد العقاب فمن باب الصفة المشبهة ، وهي مشعرة بالدام والاستمرار
مع أن شدة العقاب دالة على القوة والقدرة التامة فشابه صفات الذات .
وقوله (ذى الطول) المراد به ذاته فلذا جاء العاطف في بعضها دون
بعض (.....) (٢) .

وقال السبكي : (وشديد العقاب ذى الطول كالمضاد بالنسبة الى
غير الله عزوجل) (٣) .

(والصفة تأتي لاغراض كثيرة ، منها المدح ، ومنها البيان ، ومنها التعظيم
أو التحقير ، فمن التعظيم ما مر من قوله تعالى : (هو الله الذى لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم)) (٤) .

١- العلوى ، الطراز بتصرف : ٣٦-٣٧ .

٢- تقرير الانبارى : ١٨١-١٩٢ .

٣- السبكي ، عروس الافراح : ١١٤ .

٤- سورة الحشر ، الآية : ٢٢ .

ومن التحقير قوله تعالى : (ولا تطع كل حلاف مهين هماغز مشاء بنميم مناع

للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زميم) (١) .

ومن البيان لخصوصية ما ، واظهار الكرامة ، قوله تعالى : (عسى ربه

ان يطلعن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) (٢) (٣) .

١- سورة القلم ، الآية : ١٠ .

٢- سورة التحريم ، الآية : ٥ .

٣- ابن القيم ، الفوائد المشوقة الى علوم القرآن وعلم البيان :

عطف المفردات في سورة البقرة

ان الناظر المتمعن في سورة البقرة ، ليجد انها قد اشتطت على عدد كبير من المفردات ، قد عطف بعضها على بعض بواسطة حرف عطف ، او بدون واسطة ، وللوهلة الاولى يجد الناظر ان العطف بين المفردات الواقع بواسطة حرف العطف الواو ، حاز على نصيب الاكثر في السورة ، وان العطف بدون الواو ، اي بواسطة الحروف الاخرى لم يقع لا بالفاء ولا "بثم" ، وان العطف باو احتل المركز الثاني في التصنيف من هذه الجهة ، اعني : "العطف بواسطة الحروف" . اما العطف بدون حرف العطف فقد ورد ايضا بكمية اكبر من العطف باو ، وامل من العطف بالواو .

العطف بالواو :

وقد وقع هذا العطف في ايات كثيرة نذكر جل ارقامها وهي الاية :

" ٧ ، ٩ ، ٨ ، ٩ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ ، ١٧٣ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٦ ، ٢٠٥ ، ٢١٠ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ " .

ولسهولة بيان الوجه الجامع بين المتعاطفين فاننا سنختصر الحديث على بعض الامثلة

لاستخراج الوجه الجامع وبيان سر العطف فنقول مثلا في قوله تعالى الاية : " ٧ " ،

" ختم الله على قلوبهم وعلى ابصارهم غشاوة . . . ولهم عذاب عظيم " . نجد عطف المفردات

قد وقع بين القلوب والاسماع حيث عطف الاسماع على القلوب وما حسن العطف ان كلا من

الاسماع والقلوب من الاجهزة البصرية وجزءا من الانسان فالقلوب مكان الوسى والتعقل والاسماع مكان السمع واستقبل الاصوات التى منها يتم الوسى والادراك فهى احدي الطرق للوصول الى الوسى القلى وكلا القلوب والاسماع ما يحسن الختم عليه ويصح .

وفى الاية (١٩) قال تعالى (او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم فى اذانهم ٠٠٠٠) (١) نجد ان العطف بالواو قد شمل الرعد والبرق وعطف كل منهما على الظلمات او الجامع هو : الرعد والبرق وهما يجتمعان فى الذهن معا فاذا ذكر الرعد ذكر البرق والعكس صحيح وذلك لتكرار الظاهرة الطبيعية مقترنة . اما العطف على الظلمات فالرعد والبرق ما يخافه الانسان لما فيه من احتمالية حدوث المصائب من الحرائق وتدمير المنازل . وكذلك الظلمة فهى ايضا . مربية مخيفة فالجامع هو الخوف والارهاب والله اعلم .

فى الاية (٢٤) قوله تعالى (فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ٠٠٠٠٠) (١) نجد انه قد عطف الحجارة على الناس ولاول وهلة . يظن هذا العطف انه غير مناسب لان الناس من الاحياء والمقلاء . والحجارة من الجمادات ولا جامع بينهما ولكن الاية وضحت ان هناك جهة جامعة بين الناس والحجارة يوم القيامة وهو ان كلاهما وقود للنار فالحجارة ما يشتعل وكذلك الناس فهم ما يشتعل ايضا .

قوله تعالى : (الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء ٠٠٠٠٠) . نجد عطف المفردات قد وقع بين السماء والارض وهما يجتمعان فى الذهن وبينهما شبه تضاد فالسماء فى العلو والارض فى السفلى .

وقوله تعالى : (بشيرا ونذيرا) نجد العطف بين الطرفين وقع والجامع بينهما هو التضاد .

في قوله تعالى: " ولقد اتينا موسى الكتاب والفرقان . . . " (٢) نجد العطف
 قد وقع بين الفرقان والكتاب مع ان الفرقان هو نفسه الكتاب واسم من اسما^ه لكنه لما تغير
 المعنى بين الكتاب الذى بمعنى المكتوب وبين الفرقان الذى بمعنى المفرق بين الحق
 والباطل حسن العطف على هذا المعنى وهومن باب تغير الصفات والاسما^ه لسمى واحد .
 قوله تعالى : " ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى
 فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السما^ه من ماء^ه فاحيا به الارض بعد موتها وبث
 فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب الصخر بين السما^ه والارض لايات لقوم يعقلون " (٣)
 قال العلامة الالوسى : ووجه الترتيب على ما أرى انه سبحانه الله تعالى ذكر اولا خلق
 امرين علوى وسفلى ، واختلاف شيئين بمدخليه امرين سماوى وارضى ، ثانيا تعاقب الليل
 والنهار او اختلافهما ازيد يارا او انتقاصا او ظلمة ونورا انما هو بمدخليه سير الفلك وحبوله
 جرم الارض على كيفيتين مخصوصتين . ثم عقب ذلك بما يشبه ايتى الليل والنهار السابح
 كل منها فى لجة بحر فلكه الدوار الصخر بالجريان فيه زهابا واياها بما ينفع الناس فسى
 امر معاشهم وانتظام احوالهم وهو الفلك " التى تجرى على كبد البحر بذلك . . . " ثم عقب
 ذلك بما يشترك فيه العالم العلوى والعالم السفلى وله مناسبة لذكر البحر " بل ولذكر الفلك
 التى تجرى فيه . . . وهو انزال الماء من السما^ه ونشر ما كان دفيننا فى الارض بالاحياء " وفى

(١) سورة البقرة اية ١٩ . (٢) اية ٥٣ سورة البقرة . (٣) اية ١٦٤ سورة البقرة .

ذلك النفع التام والفضل العام . . . (١)

وواضح ان المتعاطفات في هذه الاية المفردة هي : الختلاف الليل والنهار والظلمة والجمالية وانزال المطر وتصريف الرياح كل هذه المفردات عطف على قوله " في خلق السموات والارض " وواضح ان كل من هذه الامور قائم بذاته لانه يشكل اية عظيمة من ايات الله ، بها يستطيع العقل السليم ان يتبين سر الخلق الالهي وسر القدرة الالهية فخلق السموات والارض اية . واختلاف الليل والنهار اية وانزال المطر ما يتسبب عنه اية وكذلك تصريف الرياح اية اخرى عظيمة ، وهذه كلها من الظواهر الطبيعية ذات الفوائد العظيمة على الانسان في حياته اليومية تستدعي المخيلة ذكر المعطوف بعد ذكر المعطوف عليه .

العطف باو

لقد ذكرنا سابقا ان العطف بواسطة حرف من حروف العطف عدا الواو لا اشكال فيه ،
 الا غير الواو يتفيد معاني يكتسبها المتعاطفان او يظهر المعنى من خلال استخدام ذلك
 الحرف فكل حرف عطف غير الواو يفيد معنى الجمع وزيادة . وقد ورد ان "او" تفيد عدة
 معان وقد ذكرها ابن هشام في المغنى حين قال : " او حرف عطف ، ذكر له المتأخرون
 معاني انتهت الى اثني عشر : الشك ، والابهام ، والتخيير ، والاباحة ، الجمع المطلق
 كالواو ، والاضراب ، والتقسيم ومعنى الا في الاستثناء ، ومعنى الى ، والتقريب ،
 الشرطية والتبعض ، وبين في التحقيق ان او موضوعة لاحد الشئيين او الاشياء ، وهو
 الذي يقوله المتقدمون ، وقد تخرج الى معنى "بل" والى معنى "الواو" واما بقية المعاني
 فاستفادة من غيرها " (١)

وقد ورد العطف باو في سورة البقرة بين المفردات في هذه الايات ، الآية : ١٩ ،
 ٧٤ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٠ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ،
 ٢٨٢ ، ٢٢٩ .

نذكر منها تحليلا لما نحن بصدد من اظهار المعاني المترتبة على استخدام

العطف الاية " ١٩ " قوله تعالى : " مثلهم كمثل الذي استوقد نارا . . . او كصيب من

السماء " (١٩)

يلاحظ في هذه الاية التباين بين المتعاطفين (كمثل وقوله او كصيب) وقد وردت (او)

هنا متحطة لعدة معاني كما ذكر العكبري هي الشك والتخيير والاباحة والابهام . اما
 الشك : فهو راجع الى الناظر في حال المنافقين المذكورين في الاية فلا يدري ايشبههم
 بالمستوقد او باصحاب الصيحات . والثاني للتخيير اي شبهوهم باي القبيلتين شتمت ،

(١) ابن هشام المغنى ج ١ ص ٦١ ، ٦٢

والثالث انها للاباحة ، والرابع انها للايهام : اى بعض الناس يشبههم بالمستوقد والبعض
 باصحاب الصيب ومثله قوله تعالى " كونوا هودا او نصارى " (١) اى قالت اليهود كونوا هودا
 وقالت النصارى كونوا نصارى وملاحظ ان الابهام هنا بمعنى تفصيل لاجمال والتقسيم ويرجع
 هذه المعنى فى قوله تعالى او كصيب ان المثل الاول " مثل الذى استوقد ناراً " يحتمل
 ان يكون خاص بالكافرين وهم احد اقسام الناس الثلاثة " مؤمننا / كافر / منافق " كما دلت
 بداية السورة ، والمثل الثانى " او كصيب " خاص بالمنافقين فهذا من ان يقول مثل الكافرين
 مثلهم كذا وكذا ، ومثل المنافقين كذا وكذا دمج الطائفتين فى قوله " مثلهم " للاشتراك فى
 النهاية فى طريق الضلال وعدم الايمان فهم كالطائفة الواحدة .

الاية ٧٤ : قوله تعالى : " قد ظهركم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة " .
 نزلت هذه الاية فى معرض الحديث عن بنى اسرائيل اما سر العطف هاؤ فيها بين كالحجارة
 او اشد قسوة فقد ورد هنا للاباحة اى للاباحة فى تشبيه اليهود ظهركم بالحجارة او فى
 غيرها ما هو اشد قسوة فقد ذكر المعنى نقلاً عن ابن مالك انها هنا للاباحة فى التشبيه
 وذكر ايضا عن ابن جتى انها بمعنى الواو " (٢)

وذكر العكبرى انها هنا كاهؤ فى قوله تعالى " او كصيب " تحتل اربعة وجوه وهى اما للشك ،
 او التخيير ، او للاباحة ، او للايهام " (٣)

قوله تعالى " كونوا هودا او نصارى " (٤) عند ابن مالك تاتى او هنا للتفريق المجرد من
 الشك والابهام والتخيير كما نقل المعنى ، وتاتى هنا لتفصيل الاجمال فى " قالوا " وقالوا
 كونوا هودا او نصارى " (٥)

وذكر العكبرى انها هنا للايهام للايهام اى قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا

(١) العكبرى : املاء ما من به الرحمن ج ١ ، ص ٢١٠ . (٢) ابن هشام : المغنى ج ١ ص ٦٥
 (٣) العكبرى : املاء ما من به الرحمن ج ١ ، ص ٢١٠ . وانظر الجدول فى اعراب القرآن
 وصرفه ج ١ ص ٤٦٠ . (٤) ١٣٥ ، ٧٨ ، ١٤٠٠ . (٥) ابن هشام : المغنى ج ١ ص ٦٣ .

نصارى ٠٠٠ (١) والابهام هنا كما هو ملاحظ في معنى التفضل .

قوله تعالى : " واتموا الحج والعمرة لله فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محلة فمن كان منكم مريضا او به اذى من راسه ففدية من صيام او صدقة او نسك . . . " اية ١٩٦ .

ذكر العكبري ان او هنا للتخيير على اصلها في قوله ففدية من صيام او صدقة او نسك (٢) .
وقال ابن هشام في المغنى فقد مثل العلماء بايتي الكفارة والفدية للتخيير مع امكان الجمع . قلت : لا يجوز الجمع بين الاطعام والكسوة والتحرير على ان الجميع الكفارة .
ولا بين الصيام والصدقة والنسك على انهن الفدية بل تقع واحدة منهن كفارة او فدية والباقي قرية مستقلة خارجة عن ذلك ٠٠٠ (٣) .

قوله تعالى (لبث يوما او بعض يوم) ٠٠٠ (٤) . فحرف العطف (او) هنا بمعنى الشك . كما صرح بذلك ابن هشام في المغنى ٠٠٠ (٥) .
ومن الاباحق في التشبيه قوله تعالى (كذكركم اباؤكم او اشد ذكرا) اية (٢٠٠) . . . (٦)

وفي التخيير قوله تعالى (الطلاق مرتان فامسك بمعروف او تسرح باحسان) الاية ٢٩ .

(١) العكبري : املاء ما من به الرحمن ج ١ ص ٢٢

(٢) السابق ج ١ ص ٨٥

(٣) ابن هشام : المغنى ج ١ ص ٦٢

(٤) سورة البقرة : اية ٢٥٩

(٥) ابن هشام : المغنى ج ١ ص ٦١

(٦) العكبري : املاء ما من به الرحمن ج ١ ص ٨٢

(١) العكبري : املاء ما من به الرحمن ج ١ ص ٢٢ . (٢) العكبري : املاء ما من به الرحمن ج ١ ص ٨٥ .

العطف بين المفردات بدون عاطف

وقد ورد ايضا في هذه السورة بدون الواو . واكثر ما يقع ذلك في الصفات لموصوف واحد
واكثر ما وقع في هذا الباب في صفات الله سبحانه وتعالى ومن الظاهر ايضا ان هذه
الصفات المتعددة لموصوف واحد هو الله سبحانه وتعالى وقعت في معظم الحالات
بالنسبة للايات واما في اواخر الايات . وقد وقع العطف في الاية : ١٨ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٧ ، ١٤٣ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
١٨١ ، ١٨٢ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٢٦ ، ٢٢٥ ،
٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٥ ، ٢٤٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ،
. ٢٦٨

وكذلك هناك ظاهرة وهي ان معظم هذه الصفات الواقعة لموصوف واحد هو الله سبحانه
وتعالى في جل الايات في هذه السورة وقعت اخبارا . انك انت السميع العليم . اية ١٢٧
التواب الرحيم ، العزيز الحكيم فان الله شاكر عظيم . وجميع ما ورد من هذه الصفات لم
يعطف بالواو بسبب امكان الجمع بينها على سبيل التناقض فالسمع والعلم والرحمة والتهمة
والمغفرة والحكمة والرافة والغفران والحياة والقيومة والسعة والغنى والحمد يمكن الجمع
بينها في موصوف واحد لعدم تضاد هذه الصفات . فلم يقع في هذه السورة يفيد معنيين
متضادين كقوله " هو الاول والاخر والظاهر والباطن " وقد ورد ايضا بعض الصفات في
الكفرة كقوله تعالى " صم بكم عسى " (١٨ ، ٧) وهذه الصفات ايضا مما يجتمع ولا يتضاد
لذلك جاءت بدون عاطف مع جواز اتيان العاطف .

فس قوله تعالى ١٨ ، ١٧١ : " صم بكم عسى فهم لا يرجعون "

صم : خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم صم ، وبكم : خبر ثان ، وعسى : خبر ثان . (١)

وهذه الاخبار معطوفة على بعضها البعض ون حرف عاطف لا مكانية الجمع بينها في
موصوف واحد وقد ذكر ابن مالك ذلك في باب تعدد الخبر لابتداء واحد بقوله :

واخبروا باثنين او باكثر عن واحد كلهم مرأة شعرا

قال الشارح ابن عقيل " اختلف النحويون في جواز تعدد خبر البتداء "

الواحد بنحو عطف نحو " زيد قائم ضاحك " فذهب قوم - منهم المصنف - الى جواز
ذلك سواء كان الخبران في معنى خبر واحد نحو " هذا حلوحامض " الاخر ام لم يكونا
كذلك " (١)

ونذكر ذلك ابن هشام في باب تعدد النعت لنعوت واحد (٢) ٠٠ و اشار الى ان
النعت يتعدد لنعوت واحد ولك الخيار حينئذ بالاتيان بحرف العطف او عدم الاتيان
به واستشهد على ورود التعدد مع حرف العطف بقوله تعالى (سج اسم ربك الاعلى الذي
خلق نسوي والذي قدر فهدى والذي اخرج المرعى) (٣) ٠٠

ويدون حرف قوله تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين هزاز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم)
٠ (٤) ٠٠

ومن الظواهر في هذه السور انني لم اعثر على عطف بين المفردات اسما او صفات بحرفي
العطف (ثم) و (الفاء) ٠ اما بقية حروف العطف التي تشرك المعطوف مع المعطوف
عليه مطلقا حكما ولفظا مثل (حتى) و (ام المتصلة) ٠ او التي تشرك المعطوف بالمعطوف
عليه لفظا فقط لا حكما مثل (بل) و (لا) و (لكن) فانني لم اعرها اهتماما في هذا
البحث لعدم شهرتها اذا ما قيست بحرف العطف (او) او (الواو)

(١) ابن عقيل : شرح ابن عقيل ج ١ ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ -

(٢) ابن هشام : تقريب قطر الندي بتصريف ج ١ ، ص ٧٧ .

(٣) الايات ٤ - ١ سورة الاعلى

(٤) الايات ١١ - ١٢ سورة القلم

من خلال هذا الفصل تبين لنا أن الربط بواسطة حرف العطف أو الربط بدونه يتواجد بكثرة بين المتعاطفات غير المركبة سواء كانت هذه المتعاطفات أسماء أو صفات .

ومن هذا الجانب ننتقل الى الحديث عن المترابطات في جوها التركيبي وأقصد بذلك الربط بين الجمل ، وهي المرحلة الثانية التي يتم بها تأليف الكلام حيث الانتقال من البسيط الى المركب ومن المفرد الى الجملة .

ونسنعمل الحديث عن الجمل التي لها موقع من الاعراب وذلك لشبهتها بالمفردات من جهة كونها واقعة موقع المفرد عند التأويل وقد بينا أن الجملة لا يكون لها محل من الاعراب حتى تقع موقع المفرد .

الفصل الثاني

الفصل والوصل في الجملة التي لها محل

من الاعراب



الفصل الثاني

الفصل والوصل في الجمل التي لها محل من الاعراب

نصي العلماء المعاني على أن الفصل والوصل يقع في كل من المفردات والجمل التي لها محل من الاعراب ، والجمل التي لا محل لها من الاعراب الا أن الناظر في كتبهم يجد أنهم قد ركزوا أبحاثهم في هذا المجال حول الجمل التي لا محل لها من الاعراب ، والسرفي ذلك أن الجملة اذا لم يكن لها محل من الاعراب وعطفنا عليها غيرها بالواو يظهر عندها الاشكال في هذا العطف اذ ليس هنا حكم اعرابي للاولى يراد اعطاؤه، للثانية وعندنا يبدأ البحث الدقيق لوجود مسوغ لهذا العطف وهو ما يسمى بالبحث عن المناسبة والجامع سواء كانت المناسبة عامة أو خاصة بين المسند والمسند اليه في كلا الجملتين .

أما الجمل التي لها محل من الاعراب فانه اذا عطف عليها جملة أخرى ظهرت الفائدة في هذا العطف وهو اشراك الثانية في حكم الاولى الاعرابي ، كأن تقول : (مررت برجل خلقه تحسن وخلقه قبيح) فجملة (خلقه حسن) محلها الجر صفة لرجل وكذلك جملة (خلقه قبيح) فانها أخذت نفس الحكم بسبب العطف وقد

أحقوا هذا النوع من الجمل بعطف المفردات اذ لا يكون للجملة محل من الاعراب الا اذا وقعت موقع المفرد ، وذلك لظهور الجامع بين الجملتين وسهولة الوصول اليه فاللاحاق باعتبار سهولة الوصول الى الجامع في كل .

قال اليعقوبي : (والجملة التي لها محل ، بمنزلة المفرد ، فلا يحتاج

فيها الا الى جامع واحد كالمفرد ، بخلاف التي لا محل لها تعتبر نسبتها وما يتعلق بها من مفردات ويراعى في تلك النسبة ما ذكر من كمال الانقطاع والاتصال وغيرهما ولهذا خصصوا التفصيل للجملتين اللتين لا محل لهما) (١) .

ويزيد اليعقوبي حديثه تفصيلا حيث يقول :

(على أن الجمل التي لها محل من الاعراب تقع موقع المفرد كلام ليس على

اطلاقه ان رت بالجملة المخبر بها عن ضمير الشأن فانها ليس في محل مفرد وان

كان وقوع الجملة موقع المفرد هو الغالب والاصل) (٢) .

ومن خلال هذا الحديث نصل الى القول بانه لا فرق بين كون الجملة لها

من الاعراب اولا محل لها من الاعراب الا بان ظهور الجامع فيما لها محل اوضح ،

على الخلاف من التي لا محل لها من الاعراب فانه يحتاج الى امعان وروية وبحث ،

١- اليعقوبي ، مواهب الفتح : ١٢/٣

٢- اليعقوبي ، مواهب الفتح يتصرف : ١٠

وهذا ما نص عليه السكاكي حيث قال (اعلم ان تميز موضع العطف عن غير موضعه في
 الجمل كحوان تذكر معطوفا بعضها على بعض تارة ومتروكا العطف بينها تارة اخرى
 هو الاصل في هذا الفن وانه نوعان : نوع يقرب تعاطيه ونوع يبعد ذلك فيه ، فالقريب
 هو ان تقصد العطف بينها بغير الواو او بالواو بينها لكن بشرط ان يكون للمعطوف
 عليها محل من الاعراب ، والبعيد هو ان تقصد العطف بينها بالواو وليس للمعطوف
 محل اعرابي الخ) (١)

قال السبكي (والجملۃ التي لا محل لها وغيرها سيما في اقتضا العطف
 وعدمه والواو وغيرها سواء في اقتضا الوصل وعدمه فليس المعتبر غير الجهة الجامعة
 سواء كانت الجملة الاولى لها محل ام لا سواء كان العطف بالواو ام بغيرها ، غير ان
 الجملة السابقة ان كان لها محل من الاعراب كانت الجهة الجامعة او بعضها ظاهر
 بما تدرك بالبدئية وان لم يكن ، كانت الجهة تحتاج الى فكر ولا سيما في الجامع
 الخيالي ، وسبب ذلك ان الجملتين اذا كانتا لهما محل فلهما طالب لفظي يستد
 عيهما استدعا واحدا واذا لم يكن لهما محل فليس بينهما جامع لفظي والعطف لا
 يد له من جامع فاحتجنا الى النظر في الجامع المعنوي) (٢)

ومع انهم الحقوا الجمل التي لها محل من الاعراب بحكم المفردات فان
 هناك فرق بينهما فالجملة التي لها محل من الاعراب تحتاج ان قصد التشريك الى
 حرف عطف بخلاف المفردات خاصة الصفات فانها لا تحتاج الى عاطف اذا كانت على
 موصوف واحد لانها كالشيء الواحد من الموصوف فلا استقلال لها .

١- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١٠٨ .

٢- السبكي ، عروس الافراح : ٥ وانظر شرح التلخيص ٣٠٤ .

بخلاف الجمل فانها بسبب استقلالها لا يدل على تعلقها بما قبلها الا
 العطف و فرق اخر هو ان الاعراب يظهر غالبا في المفردات اما الجمل فلا ظهور للاعراب
 فيها لذلك كانت حاجتها الى حرف العطف في حالة التشريك اكثر من المفردات . (١)
 والناظر في امثلة القوم عند التمثيل للجمل التي لا محل لها من الاعراب
 يجد ان الكثير منها مما له محل من الاعراب .

وقد وضحنا ذلك في مكانه وقد لاحظ السبكي هذا الخلط حيث قال

(ووجدتهم قرروا قواعد لا تخلو من اشكال وذكروا امورا على غير الصواب من جعل ما
 ليس له محل من الاعراب ذا محل وعكسه الى غير ذلك) (٢)

ومن الامثلة التي ذكرها قوله تعالى (وللواصل) - (والله يقبض ويبسط

واليه ترجعون) (٣)

فجملة يقبض مع الفاعل المضمر في محل رفع خبر عطفت عليها جملة يبسط فاخذت

نفس الحكم والجامع بين القبض والبسط واضح وهو التقابل .

ومن امثلة الفصل قوله تعالى (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما

نحن مستهزون الله يستهزي بهم) (٤)

لم يعطف (الله يستهزي بهم) على (انا معكم) لانه لو عطف عليه لكان من

مقول المنافقين وليس منهم) (٥)

فجمله (انا معكم) في محل نصب مقول القول وهو قول المنافقين ولو عطفنا عليها
 (الله يستهزئ* بهم) لكان ايضا من مقول المنافقين لانه ياخذ ساعتئذ نفس الحكم
 لذلك فصل ولم يعطف .

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو لم يعتبر العطف بين (انا نحن مستهزؤون)

وبين (الله يستهزئ* بهم) او بين (انا معكم) وبين (انا نحن مستهزؤون) ؟

والجواب واضح وهو ان الجملة انا نحن مستهزؤون جملة تأكيدية لقولهم

انا معكم فكانها هي ولا فرق بينهما فالمؤكد والمؤكد كالشيء الواحد .

وقد اقتصر الخطيب على التمثيل بما ورد وبعض الايات الاخرى المشابهة

ولم يفصل كما فعل بالنسبة للجملة التي لا محل لها من الاعراب ، وتبعه اكثر الشراح

وقد فصل بعضهم

قال الانبائي في ذلك (وتحصل من المتن والشارح على الاول اعني كون الاولى

لها محل من الاعراب خمس صور لانه اما ان يقصد التشريك اولا وان قصد التشريك فاما

ان يكون هناك جهة جامعة اولا ، وفي كل اما ان يكون العطف بالواو او بغيرها ، فان

قصد التشريك فاما ان يكون هناك جهة جامعة اولا ، وفي كل اما ان يكون العطف بالواو

او بغيرها فان قصد التشريك ووجدت جهة جامعة صح العطف بالواو وبغيرها وان لم

توجد صح بغير الواو وقبح بها وان لم يقصد بالفصل () (١)

وقد ذكر السبكي امثلة لكل نوع من انواع الجمل التي لها محل من الاعراب نذكرها لك من باب التمثيل للاقسام السابقة التي سار عليها الخطيب وهي كما ذكرت عنده :

١- كمال الانقطاع بلا ايها (مثل زيد يكتب وهو يشعر)

٢- كمال الاتصال (ان الله امدك بما تعلم امدك بانعام)

٣- شبه كمال الانقطاع (ان سلسي تظن انني ابغى بها بدلا

وارها تهسيم)

٤- شبه كمال الاتصال (زيد يحمده الناس وكرمه دائم)

ولا بد من القول هنا بعد هذه الامثلة ان السبكي يقول ان كلا من العطف بالواو وغيره

يدخله الانقطاع والاتصال (١)

والجمل التي لها محل من الاعراب سبعة كما نكروها في علم النحو :

١- الجملة الواقعة خبرا ومحلها الرفع في باب الابتداء وتختلف باختلاف العوامل

الداخلة على المبتداء (ومثالها في الرفع زيد ابوه قائم) .

٢- الجملة الحالية ومحلها النصب جا زيد وهو يضحك (ولا تمنن تستكثر)

٣- الجملة الواقعة مفعولا محلها النصب في باب الحكاية مثل قال : (اني عبد الله)

(ظننت زيدا يقوم) .

٤- الجملة المضاف اليها ومحلها الجر (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم يوم

هم بارزون) . . (السلام علي يوم ولدت) .

١- السبكي ، عروس الافراح : ٣ / ٨ . وانظر شروح المتلخيص

٥- الواقعة بعد الفاء او اذا جوابا لشرط جازم لانها لم تصدر بمفرد يقبل الجزم لفظا

كما في قولك : ان تقم اقم ، او محلا : ان جئتني اكرمتك (من يضل الله فلا هادي له) .

وبعد اذا الفجائية (وان تصبهم سيئه بما قدمت ايديهم اذا هم يقنطون) وعلى الجزم .

٦- التابعة لمفرد كالجملة الموصوف بها وهي على حسب موصوفها من ناحية الرفع والجر

والنصب ، الرفع مثل (من قبل ان ياتي يوم لا بيع فيه) والنصب مثل (واتقوا يوم ترجعون

فيه) والجر (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) .

٧- الجملة التابعة لها محل من الاعراب (زيد قام وقعد) وزاد ابن هشام .

٨- الجملة المستثناة كقوله تعالى (لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله)

قال ابن خروف (ومن : مبتدا) (ويعذبه الله) خبر والجملة في موضع نصب على الاستثناء

المنقطع .

٩- الجملة المسند اليها نحو (سوا عليهم أذرتهم) على ان سوا خبر أذرتهم

مبتدا ، والجملة هنا في تاويل مصدر (.....) (اى الواقعة فاعلا .

وقد ورد في سورة البقرة من الجمل التي لها محل من الاعراب الشبيء الكثير

وتتمثل فيها كل الانواع الواردة في هذه الجمل ، وهانذا أذكر نماذج تطبيقية على ما ورد .

(١- السبكي ، عروس الافراح : ٨ ، وانظر : ابن هشام ، المغني : ٤٥٨-٤٧٧ .

(١) الجملة الواقعة خبرا .

وقد جاءت على أنواع مختلفة منها الماضي والمضارع ومنها الجمل الاسمية أو

الواقعة خبرا لا سم أو مصدرية بحرف ناسخ كما هو الحال في أساليب الكلام فمن

الواقعة خبرا ومصدرية بالفعل المضارع قوله تعالى : (وبآخرة هم يوقنون) (١) . . .

وقوله تعالى : (وأنتم تعلمون) (٢)

وقوله تعالى : (وأنتم تتلون الكتاب) (٣)

وقوله تعالى : (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٤)

ومن المصدرية بالفعل الماضي قوله تعالى (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين)

. (٥)

وقوله تعالى : (سيقول السفهاء من الناس ما ولا هم عن قبلتهم التي كانوا

عليها) (٦)

فـ (ولا هم) خبر ما الاستفهامية ، وقوله (المؤمنون كل آمن بالله . .) (٧)

وقوله تعالى : (ان تبدوا الصدقات فنعمنا هي) (٨)

٥- سورة البقرة ، الآية : ١٤

٦- سورة البقرة ، الآية : ١٤٢

٧- سورة البقرة ، الآية : ٢٨٥

٨- سورة البقرة ، الآية : ٣٨ . وانظر : الايات : ٦ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٤٤ ،

٤٨ ، ٤٩ .

٨- سورة البقرة ، الآية : ٢٧١

ومن وقوعها خبر لا سم الشرط قوله تعالى : (ان الذين آمنوا والذين هادوا

..... من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم) (١) .

ف (من) (هنا شرطية في محل رفع المبتدأ وجملة الشرط العاضية في محل رفع

خبر ومن الواقعة خبرا مصدرية باسم قوله تعالى : (أولئك عليهم صلوات من ربهم) (٢) .

قوله تعالى : (أولئك عليهم لعنة الله) (٣) .

قوله تعالى : (أولئك لهم نصيب مما كسبوا) (٤) .

قوله تعالى : (أولئك هم الخاسرون) (٥) .

ومن المصدرية بحرف ناسخ قوله تعالى : (الله لا اله الا هو الحي القيوم) .

..... (٦) .

وقوله تعالى : (ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم) (٧) .

على اعتبار أن (من) موصولة وتطوع صلتها وجملة (فان الله) خبر من الموصولة .

ومن الواقعة خبرا الحروف الناسخة قوله تعالى : (لعلكم تتقون) (٨) .

قوله تعالى : (وان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) (٩) .

١- سورة البقرة ، الآية : ٦٢ . ٧- سورة البقرة ، الآية : ١٥٨ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٥٧ . ٨- سورة البقرة ، الآية : ٢١ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ١٦١ . ٩- سورة البقرة ، الآية : ٦٧ .

٤- سورة البقرة الآية : ٢٠٢ .

٥- سورة البقرة ، الآية : ٢٠ .

٦- سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

- قوله تعالى : (لكن أكثر الناس لا يشكرون) (١)
- قوله تعالى : (فانهم لا يعلمون) (٢)
- قوله تعالى : (علم الله أنكم ستذكرونهن) (٣)
- قوله تعالى : (ائ البقر تشابه علينا) (٤)

ومن المصدرة باسم ظاهر قوله تعالى : (فانه آثم قلبه) (٥)

على اعتبار أن (قلبه) مبتدأ مؤخر و(آثم) خبر مقدم والجملة خبر (ان) .

ومن الواقعة خبرا والمعطوف عليها جملة أخرى مثلها قوله تعالى : (الله

يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) (٦)

وقوله تعالى : (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) (٧)

وقوله تعالى : (واني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون)

..... (٨)

ومنه قوله تعالى : (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) (٩)

على اعتبار أن أصحاب النار خبر وجملة هم فيها خالدون خبر ثان مؤكّد .

٨- سورة البقرة ، الآية : ٣٣ .

٩- سورة البقرة ، الآية : .

١- سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٠١ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٢٣٥ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٧٠ .

٥- سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣ .

٦- سورة البقرة ، الآية : ١٥ .

٧- سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

(٢) الجملة الواقعة مفعولا .

وهي كما ذكر النحاة (الجمل المحكية بالقول (مفعول القول) أو جملة المفعول الثاني للافعال الناسخة أو المفعول الثالث لما يتعدى الى ثلاثة مفاعيل)

• (١) •••••

أو جملة المفعول به ، وقد ورد في سورة البقرة تشيلا لهذا النوع من

الجمل فمن الجمل المحكية بالقول قوله تعالى : (ومن الناس من يقول آنا) •• (٢) •

وقوله تعالى : (قالوا انما نحن مصلحون) ••••• (٣) •

وقوله تعالى : (ثم يقولون هذا من عند الله) ••••• (٤) •

ومن المحكية الواقعة في محل نصب مفعول القول ، قوله تعالى : (قالوا

سمعنا وعصينا) ••••• (٥) •

وقوله تعالى : (قالوا اننا لله وانا اليه راجعون) ••••• (٦) •

وقوله تعالى : (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة

وقنا عذاب النار) ••••• (٧) •

-
- ١- انظر المغني : ٥٣٩/٢ ، ابن هشام •
 ٢- سورة البقرة ، الآية : ٨ •
 ٣- سورة البقرة ، الآية : ١١ •
 ٤- سورة البقرة ، الآية : ٧٩ •
 ٥- سورة البقرة الآية : ٩٣ •
 ٦- سورة البقرة ، الآية : ١٥٦ •
 ٧- سورة البقرة ، الآية : ٢٠١ •
 وانظر الايات : ٣٠ ، ٣٥ ، ٢٨٥ •

ومن الواقعة في موضع المفعول الثاني للافعال الناسخة قوله تعالى :

(وان قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى) (١) .

وقوله تعالى : (ولقد علموا لمن اشتراه ماله في آخرة من خلاق) . . (٢) .

(٣) الجمل الواقعة في محل جر بالاضافة

وتشتمل كل جملة أضيفت الى ظرف زمني أو مكاني يصح ، اضافته الى الجمل

وقد ورد في سورة البقرة بأعداد كبيرة أكثر من خمس وستين موضعا منها :

قوله تعالى : (فلما أضاءت ما حوله) (٣) .

قوله تعالى : (فلما أنبأهم بأسمائهم) (٤) .

وقوله تعالى : (وانذا قيل لهم لا تفسدوا) (٥) .

وقوله تعالى : (وانذا لقوا الذين آمنوا) (٦) .

وقوله تعالى : (وانذا قال ربك للملائكة) (٧) .

وقوله تعالى : (وانذا قلنا للملائكة) (٨) .

وقوله تعالى : (وكلا منها حيث شئتم) (٩) .

٥- سورة البقرة ، الآية : ١١ .

٦- سورة البقرة ، الآية : ١٤ .

٧- سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

٨- سورة البقرة ، الآية : ٣٤ .

١- سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ١٧ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٣٣ .

٩- سورة البقرة ، الآية : ٣٥ .

وقوله تعالى : (ومن حيث خرجت) (١) .

ومن الجمل الواقعة في محل الجر بسبب العطف على ما محلها الجر :

قوله تعالى : (وان قتلتم نفسا فادلرثتم فيها) (٢) .

فجملة (ادلرثتم) في محل جر بلاضافة عطفا على جملة قتلتم المضافة الى الظرف

الزماني (ان) ، وهذا التقدير على اعتبار أن الفاء عاطفة .

وقوله تعالى : (ولما جاءهم كتاب من عند الله صدق لما سئعهم وكانوا

من قبل يستفتحون على الذين كفروا) (٣) . (وان أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم

الطور) (٤) .

قوله تعالى : (وان فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون) (٥) .

قوله تعالى (وان واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده)

..... (٦) .

١- سورة البقرة ، الآية : ١٩١ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٧٢ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٨٩ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٩٣ .

٥- سورة البقرة ، الآية : ٥٠ .

٦- سورة البقرة ، الآية : ٥١ .

(٤) الجملة الواقعة في محل جزم

وهي كل جملة وقعت بعد أداة شرط عاملة، أو جواباً لشرط عمل الجزم، أو عطف على الشرط أو الجواب .

وأدوات الشرط العاملة الجزم كما ذكر النحاة هي : (ان ، ان ، ما ،
وهما من الحروف ، والباقي من الاسماء وهي : من ، ما ، مهما ، متى ، أيان ، أين ،
أنى ، حيثما) (١)

وقد وردت الجمل الواقعة في محل جزم في سورة البقرة بصورة ملحوظة
سواء أكانت اسمية أو فعلية ماضية أو مضارعة مقترنة بالفاء أو غير مقترنة وقد قاربت
المواضع الستين موضعاً نقتبس منها ما يلي :

قوله تعالى : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله

وادعوا شهدائكم من دون الله) (٢)

وقوله تعالى : (فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٣)

وقوله تعالى : (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم)

— (٤)

١- انظر تفصيل هذه الادوات في (النحو الوافي) : ٤ / ٤٢١ . عباس حسن ط / ٣
دار المعارف - مصر .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٣ . ٣- سورة البقرة ، الآية : ٣٨ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ١٩٦ .

وقوله تعالى : (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب

النار هم فيها خالدون) (١) .

وقوله تعالى : (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في

الحج) (٢) .

وقوله تعالى : (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)

..... (٣) .

وقوله تعالى : (ان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر

لمن يشاء) (٤) .

(وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا فراهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا

فليؤم الذي أوتمن أمانته وليتق الله ربه) (٥) .

ومن الملاحظ في هذه الآيات أن العطف على جواب الشرط على فعل

الشرط غالبا ما يكون بحرف العطف الواو .

١- سورة البقرة ، الآية : ٨١ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٩٧ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٢٥٦ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٢٨٤ .

٥- سورة البقرة ، الآية : ٢٨٣ .

(٥) الجملة الواقعة نعتا أو بدلا أو عطف

بيان أو توكيد

وهذه المصطلحات : النعت ، البدل ، عطف البيان ، التوكيد ، هي ما ساءها النحاة ، بالتوابع ، والجملة التي تقع تابعا عند النحاة ، هي ما تبعت مفردا وهي على ثلاثة أنواع كما صرح ابن هشام في المغني :

(الضموت بها والمعطوفة بالحرف والمبدلة ولا يقع عطف البيان أو التوكيد في الجمل بل في المفردات) (١) .

وأكثر ما ورد في سورة البقرة النوع الاول وهو الجملة الواقعة نعتا لمفرد وقع في أكثر من ستين موضعا ، نذكر منها ما يلي :

قوله تعالى : (وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون) (٢) .

قوله تعالى : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) (٣) .

وقوله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما

كسبت) (٤) .

١- ابن هشام ، المغني : ٤٢٤/٢ . ٣- سورة البقرة ، الآية : ٢٣٤ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٣٠ . ٤- سورة البقرة ، الآية : ٢٨١ .

وملا حظ في هذه الآيات وقوع النعت جملة مقدرة بالمضارع وما صدر بالماضي

قوله تعالى : (تلك أمة قد خلت) (١) .

وقوله تعالى : (يقطعون ما أمر الله به أن يوصل) (٢) .

وقوله تعالى : (واني أعلم ما لا تعلمون) (٣) .

وقوله تعالى : (بثسما اشتروا به أنفسهم) (٤) .

على اعتبار أن (ما) نكرة تامة فيما سبق ومن مجيء النعوت متعددة معطوفة

قوله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت

وهم لا يظلمون) (٥) .

وفي التعداد أيضا ،

قوله تعالى : (تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما

كانوا يعملون) (٦) .

ومن النعت الواقع جملة اسمية :

قوله تعالى : (ولكل وجهة هو موليها) (٧) .

وقوله تعالى : (فأصابها اعصار فيه نار) (٨) .

٥- سورة البقرة ، الآية : ٢٨١ .

٦- سورة البقرة ، الآية : ١٣٤ .

٧- سورة البقرة ، الآية : ١٤٨ .

٨- سورة البقرة ، الآية : ٢٦٦ .

١- سورة البقرة ، الآية : ١٣٤ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٧ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٣٠ .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٩٠ .

وقوله تعالى : (وأنها بقرة ذلول تشير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية

فيها) (١) .

وقوله تعالى : (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون

هم الظالمون) (٢) .

والامثلة السابقة أيضا منها ما يحتمل البدلة أيضا . وذلك كقوله تعالى :

(لا شية فيها) بدل من مسلمة ، وقوله : (تشير الارض) بدل من لا ذلول .

(٦) الجملة الواقعة حالا .

وستحدث عنها (ان شاء الله) عند الحديث عن الحال وعلاقته بالفصل

والوصل (٣) .

(٧) الجملة الواقعة فاعلا أو مبتدأ أو نائب فاعل .

أما المبتدأ فقوله تعالى : (ان الذين كفروا سواء عليهم أئذرتهم أم لم

تفرتهم) (٤) .

١- سورة البقرة ، الآية : ٧١ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ .

٣- انظر ما في البحث من الجملة الحالية وعلاقتها في الفصل والوصل .

٤- سورة البقرة ، الآية : ٦ .

فأندرتهم مبتدأ خبره سواء (..... (١) .

وكقول العرب : (أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه) .

وقوله تعالى : (وأن تصوموا خير لكم) (٢) .

أما الفاعل ونائبه ، فقد اختلف في وقوعه جملة والمشهور المنع مطلقا كما صرح

بذلك ابن هشام في المغني (..... (٣) .

وأجازه هشام وشعلب مطلقا نحو : (يعجبني قام زيد) ، وفصل الفراء وجماعة

ونسبوه لسيبويه فقالوا : ان كان الفعل قلبيا ووجد معلق عن الفعل نحو (ظن لي

أقام زيد) صح والا فلا .

وقد ذكر السيوطي أيضا أن الجملة لا تقع فاعلا أو نائبا عن الفاعل حتى

تقترب بحرف مصدرى يجعلها تقدر بالمفرد (..... (٤) .

وفي التصريح على التوضيح : (أن البصرين ومن لف لفهم يمنعون وقوع الفاعل

جملة) (٥) .

أما ابن هشام فقد أجاز وقوع الجملة فاعلا أو نائبا للفاعل عند الحديث

١- ابن هشام ، المغني : ٤٢٧/٢ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٨٤ .

٣- ابن هشام ، المغني : ٨٣٨/٢ .

٤- السيوطي ، الاشياء والنظائر في النحو : ١٨/٢ .

٥- التصريح على التوضيح : ٢٦٨/١ .

عن قوله تعالى : (وَاذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) (١) .

قال : (زعم ابن عصفور أن البصريين يقدرون نائب الفاعل (في قيل)

ضمير المصدر (القول) وجملة النهي مفسرة لذلك الضمير ، والصواب أن

النائب الجملة لأنها كانت قبل حذف الفاعل منصوبة بالقول فكيف انقلبت مفسرة ؟) . . .

. . . (٢) .

ومن وقوع الجملة فاعلا في سورة البقرة :

قوله تعالى : (سِوَاهُمْ عَلَيْهِمُ الْآذِرَتُهُمْ أَمْ لَمْ تَنْذِرْهُمْ) (٣) .

على اعتبار أن آذرتهم فاعل للمصدر (سوا) خبران أي : استوى عندهم الانذار

وعنده) (٤) .

ومن وقوعها نائبا عن الفاعل في السورة أيضا :

قوله تعالى : (وَاذا قيل لهم لا تفسدوا) (٥) .

قوله تعالى : (وَاذا قيل لهم آمنوا) (٦) .

قوله تعالى : (وَاذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) (٧) .

قوله تعالى : (وَاذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) (٨) .

قوله تعالى : (وَاذا قيل له اتق الله) (٩) .

١- سورة البقرة ، الآية : ١١ . ٥- سورة البقرة ، الآية : ١١ .

٢- ابن هشام ، المغني : ٢ / ٤٠٢ . ٦- سورة البقرة ، الآية : ١٣ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٦ . ٧- سورة البقرة ، الآية : ٩١ .

٤- انظر التأويل النحوي في القرآن ٢ / ٨٩٩ . عبد الفتاح أحمد الحوز ، ط ١ ، ١٩٨٤ م .

مكتبة الرشد الرياضي .

٨- سورة البقرة ، الآية : ١٧٠ .

(٨) الجملة المستثناة

وقد نص على ذلك ابن هشام في المغني ومثل لها بآيات من سورة البقرة

كقوله تعالى : (فشرخوا منه الا قليل منهم) (١)

على رواية من رفع قليل (وقليل) مبتدأ حذف خبره أى لم يشرخوا (.....) (٢)

ومنه أيضا في نفس السورة :

قوله تعالى : (ثم توليتم الا قليل منكم) (٣)

أما النوع التاسع : فهو الجمل التابعة لجملة لها محل من الاعراب ويكثر ذلك في

النسق والبدل (.....) (٤)

١- سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩ .

٢- ابن هشام ، المغني : ٢ / ٤٢٧ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٨٣ .

٤- ابن هشام ، المغني : ٢ / ٤٢٦ .

الفصل الثالث

الفصل والوصل في الجمل التي لها حكم

اعرابي



الفصل الثالث

الفصل والوصل في الجمل التي لها حكم اعرابي

ومن الجمل الداخلة في هذا الفن كمن الجملة لها حكم اعرابي يقصد اعطاؤه

للثانية أم لا .

والحكم الاعرابي هو قيد زائد عن أصل الجملة وتامها ، ويختلف باختلاف

الجمل ، فمن القيود الصفة ، والحال ، والظرف ، والشرط ، والاستثناء ، ونحوه .

وقد مثل له الخطيب ب :

قوله تعالى : (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن

الله يستهزى بهم) فلم يعطف جملة (الله يستهزى بهم) على جملة قالوا (جواب

الشرط) لان هذه الثانية مختصة بالظرف (اذا) ، فلو عطف لصارت مثلها فسي

الاختصاص ، وكونها معطوفة على الشرط وعندئذ يصبح المعنى غير سديد وهو أن الله

يستهزى بهم وقت خلوعهم الى شياطينهم وقولهم كذا وكذا والصحيح أن

استهزأ الله بهم في كل لحظة وفي كل وقت لذلك لم يعطف الله يستهزى بهم على

(قالوا) هذا أحد الاحتمالات ، والاحتمال الثاني : أن عطف الله يستهزى بهم

على قالوا على معنى (واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن)

فإذا قالوا ذلك استهزاءً الله بهم ومد هم في طغيانهم يعمهون ، وهذا أيضا لا يصح وذلك أن الجزاء وهو استهزاءً الله بهم إنما هو على نفس الاستهزاء فعلهم له وإرادتهم إياه في قولهم (آنا) لا على أنهم حدثوا عن أنفسهم بأنهم مستهزؤون والعطف على قالوا يقتضي أن يكون الجزاء على حدثهم عن أنفسهم بالاستهزاء
 (لا عليه نفسه) (١) .

وهذا وارد في اللغة وله مشاكل (فالعطف على جواب الشرط يكون على

ضربين :

أحدهما : أن يستقل كل بالجزائية نحو (ان تأتي أعطك وأكسك) وعلى

معنى أن الكسوة مترتبة على الاتيان ، ومثلها الاعطاء مترتب عليه أيضا دون ملاحظة سببية ما بين الاعطاء والكسوة من جهة الشرط .

والثاني : أن يكون المعطوف بحيث يتوقف على المعطوف عليه ويكون الشرط

فيه سببا بواسطة كونه سببا في المعطوف عليه كقولك (اذا رجع الامير استأذنت وخرجت)

أى : اذا رجع استأذنت واذا استأذنت خرجت) (٢) .

على معنى أن الخروج مترتب على الاستئذان لا منفصلا عنه ، والاية القرآنية

السابقة قياسا على هذا النحولا تصح كما بينا ، وملاحظ من تمثيل الخطيب أنه لم يمثل

الا للجملة التي تقدمها القيد وهو هنا اذا الشرطية الظرفية ، وان هذا القيد اذا

١- شروح التلخيص : ١٨-١٩ . وانظر : الايضاح والجرجاني في دلائل الاعجاز بتصرف

٠٢٤٩ :

٢- شروح التلخيص : ١٨-١٩ وانظر في الايضاح والجرجاني في دلائل الاعجاز بتصرف

٠٢٤٩ :

تقدم يشمل المعطوف والمعطوف عليه اذا قصد نص شراح التلخيص على ذلك قال سعد في المطول : (ثم القيد اذا كان مقدما على المعطوف عليه فالظاهر تقيد المعطوف به كقولنا (يوم الجمعة سرت وضربت زيدا) وقولنا (ان جئتي أعطك وأمسك) وبين أن هذا ليس قطعيا ولكنه السابق الى الفهم في الخطابيات) (١) .

ومثل هذا أيضا في حاشية الدسوقي حيث قال : (٢) ولم يتحدث عن القيد

اذا تأخر أو توسط بين المعطوف والمعطوف عليه والمسألة فيها خلاف اذا تأخر القيد فالسبكي يقول : (فالقيد اذا تأخر أيضا فانه يشمل المعطوف والمعطوف عليه اذا

أردت التشريك قال السبكي : (لو كان القيد في الجملة الثانية كان الامر كذلك - أي تقيد المعطوف عليه به - فانك اذا قلت : (أكرم المسلمين وأهن الكافرين ان رأيتهم

كان الشرط عائدا الى الجملتين معا) (٣) .

وفي حاشية الدسوقي فقد قال (ان القيد اذا تقدم على المعطوف عليه

واجب بحسب الاستعمال اعتباره في المعطوف نحو جائني يوم الجمعة اوراكبا زيد وعمر

ولا يجوز في الاستعمال خلافه بخلاف ما اذا تأخر عن المعطوف عليه فانه لا يجب ان

يكون معتبرا في المعطوف) (٤) .

١- سعد الدين التفتازاني : المطول / ٢١ .

٢- حاشية الدسوقي : شروح التلخيص / ٢١ .

٣- السبكي : عروس الافراح / ١١ .

٤- حاشية الدسوقي : شروح التلخيص / ٢١ .

ويبدو ان ذلك مختص في المفردات كما هو واضح من تعميل الدسوقي اما الجمل

فعنده مجال تردد ، حيث بعد هذا الحديث فهل عطف الجمل كذلك محل تردد ؟ (١)

ويؤيده ان المسألة محل نظر في الجمل ما نقله السبكي عن ابن الحاجب حيث

قال (وقد اشار ابن الحاجب في المختصر الى احتمالين في قولك ضربت زيدا يوم الجمعة

وعمرها هل يلزم ان يكون ضرب عمرو ايضا يوم الجمعة اولا ، احتتمل ذلك في المفردات

فالجمل اولى بان لا تنقيد الثانية منها بخلاف الاولى (.....) (٢) .

وقد فصل السبكي في مسألة القيد وميز بين ان يكون شرطاً او غير شرط قال في

الاستثناء (اما الاستثناء فان كان بعد الجملتين ففيه الخلاف المشهور في اليهما او

الى الاخير ان قلنا يعود الى الاخرة فلا يمنع ان يمنع ان تعطف الجملة التي فيها

الاستثناء على جملة استثناء فيها وان قلنا يعود الى الجميع فيمنع ان تعطف الجملة

المذكورة على جملة لا تريد ان تستثنى منها شيئاً الا بقريئة لان ذلك حكم للثانية لا تريد

الاستثناء من الاخير فقط (.....) (٣) .

واما غير ذلك من القيود كالظرف نحو ضربت زيدا واكرمت عمرا اليوم وعكسه والصفة

مثل اكرم المسلمين واهن الكافرين الذين عندك فالذي يظهر انه كالشرط وانه يتقيد سواء

توسط القيد ام تاخر فيمتنع ارادة التشريك (.....) (٤) .

١- حاشية الدسوقي : شروح التلخيص / ٢١ .

٢- السبكي : عروس الافراح / ٢٥ .

٣- نفس المصدر السابق : ٢٥ .

٤- نفس المصدر السابق : ١١ .

وقد بين علم النحو أن العطف على جواب الشرط في مثل قولك : (ان جاء

زيد أكرمه وهو جدير) سواء كان العطف على الجواب بالفاء أو بالواو ، فيحتمل

العطف وحكمه الجزم أو في محل جزم ان كان جملة اسمية ويحتمل الرفع عن الاستئناف

ومراده هنا العطف على مجموع الشرط والجزاء أو النصب بأن مضمرة (١)

وفي بعض الحالات يتعين أن يكون الجملة الثانية معطوفة على الجملة الشرطية

لان المعنى يطلب ذلك مثاله : ان سلم الناس دخلوا الجنة وهم عبيد لله لانه .

لو كان معطوفا على الجواب وله حكم وهو اختصاصه بالشرط لكان الشرط في المعطوف

عليه كذلك فيلزم أن يكون المعنى ان أسلموا فهم عبيد الله وليس هذا مرادا (٢) . . .

والمتبع لآيات سورة البقرة وجملها الواردة يجد أن مسألة التقيد ظاهرة

جلية في الآيات والجمل كالتقيد بالوصف أو الحال أو التقيد بالجملة أو بالجار والمجرور

وأكثر ما يظهر ذلك واضحا في قيود الظرف والشرط بأنواعه المختلفة .

والجمل التالية المقيدة تراها في بعض الاحيان معطوفة على سابقها

بحيث تتقيد مثلها أو مستأنفة غير منفصلة لئلا تقع رهن ذلك التقيد .

١- حاشية الصبان على شرح الأشموني : ٢٧/٢ .

٢- السبكي ، عروس الافراح : ٩-١٠ .

ولنضرب لذلك الامثلة على سبيل التوضيح لا الحصر فمن الجمل المقيدة

بظرف الاستقبال الشرطي ما مثل به الخطيب في بداية سورة البقرة من قوله تعالى :

(واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ألا انهم

هم المفسدون ولكن لا يشعرون) (١) .

وقوله تعالى : (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن

السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) (٢) .

وقوله تعالى : (واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا معكم انما نحن مستهزؤن

الله يستهزؤن بهم) (٣) .

ونجد في هذه الآيات أنه قد فصل كلا من قوله تعالى : (ألا انهم هم

المفسدون) ، (ألا انهم هم السفهاء) ، (الله يستهزؤن بهم) عما قبلها لثلاث

بالظرف اذا والتالي لتكون حالهم على الدوام حال المفسدين والسفهاء والمستهزؤن

بهم من قبل الله سبحانه وتعالى لا فقط حالة أن يقال لهم لا تفسدوا أو آمنوا ، وحالة

خلوهم لشياطينهم ، وزعمهم أنهم بالمؤمنين مستهزؤن .

وقد ورد أيضا الكثير من الجمل المقيدة بالظرف (اذا) منها الآيات :

-١

-٢

-٣

..... ٧٦، ١١٧، ١٥٦، ١٧٠، ٢٠، ١٨٦، ٢٣١، ٢٨٢، وغيرها

ويكثر أيضا التقيد بالظرف (ان) بين الآيات الواردة في هذه السورة من ذلك قوله تعالى : (وان قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابي واستكبر وكان من الكافرين ، وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) (١) .

ففي هذه الآية نجد أن الجملة الاولى منها (قلنا للملائكة) قد قيدت بالظرف (ان) المنصوب بفعل مقدر ، وان كر (ان) وقد عطف على هذه الجملة المقيدة قوله تعالى : (قلنا يا آدم) بحرف الواو لتتقيد بهذا القيد على أحد الوجوه الاعرابية الجائزة .

وذلك لتدخل معها في معنى الظرفية لا لتكون جملة يراد بها منفصلة ومن ذلك أيضا قوله تعالى : (وان أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذا ما آتيناكم بقوة وان كسروا ما فيه لعلمكم تتقون) (٢) .

حيث عطف جملة رفعنا بالواو على الجملة المقيدة بالظرف (ان) لتشاركها في حكمه ، وفصل جملة (خذا وا) عن المقيدة بالظرف لثلا تشاركها في حكمه لان الامر

١- سورة البقرة ، الآية : ٣٤-٣٥ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٦٣ .

يأخذ بما آتى الله مقيدا بزمن معين .

أما رفع الظور وأخذ الميثاق فكان محددًا بزمن معين لذلك كان بين

الجملتين تعاطف .

وقد ورد التقييد بهذا النوع من الظروف في السورة في مواطن كثيرة منها

الآيات : (٦١، ٦٣، ٣٠، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٦٠، ٦٧، ٧٢،

٨٣، ٩٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، ١٤٦) .

ومن التقييد بالظرف (لما) قوله تعالى : (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله

بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عي .) .

حيث نرى أن الجملة (تركهم) قد عطف على الجواب المقيد (ذهب الله

بنورهم) لتأخذ حكمه ، أما جملة (صم بكم عي) فقد فصلت لفادة معنى دوام كونهم

على مثل هذه الحالة لا مجرد أضاءت النار ما حولهم فيصبحوا هكذا) (١) .

ومن التقييدات (بما) الشرطية قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها

نأت بخير منها أو مثلها) (٢) .

فقد عطف في هذه الآية على جملة الشرط بأو كما عطف على الجواب بأو أيضا

فالاتيان بآية أخرى خيرا أو مثل المنسوخة مشروط بالانساء أو النسخ وليست مطلقا .

١- سورة البقرة انظر الآيات : ٣٣ ، ٨٩ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ١٢٦ .

ومن التقييدات بـ (ما) الشرطية أيضا :

قوله تعالى : (وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا) (١) .

فقد فصل بين جواب الشرط المقيد بالشرط وبين جملة (وتزودوا) وجاء بها مستأنفة مع الواو لان التزود ليس شرطا ولا جوابا لفعل الخير .

وقد ورد أيضا التقييد بالوصف وذلك كقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا

أنفقوا ما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم

الظالمون) (٢) .

فقد قيد اليوم بالجملة الوصفية لا ببيع ، ولا خلة لا شفاعة . وهذه القيود

حددت هذا اليوم - ليصبح معرفة بعد نكرة وليعرف المقصود منه - بعد ابهامه وهو يوم القيامة .

ومن التقييدات بالجار والمجرور ، قوله تعالى : (وعلى المولود له رزقهن

وكسوتهن بالمعروف) (٣) .

وهناك تقييدات مختلفة أكثرها يعود الى الظرف والشرط تجدها في خضم

١- سورة البقرة ، الآية : ١٩٧ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٥٤ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٢٣٣ .

الباب الرابع
الفصل والوصل في الجمل
التي لا محل لها من
الاعراب

الباب الرابع

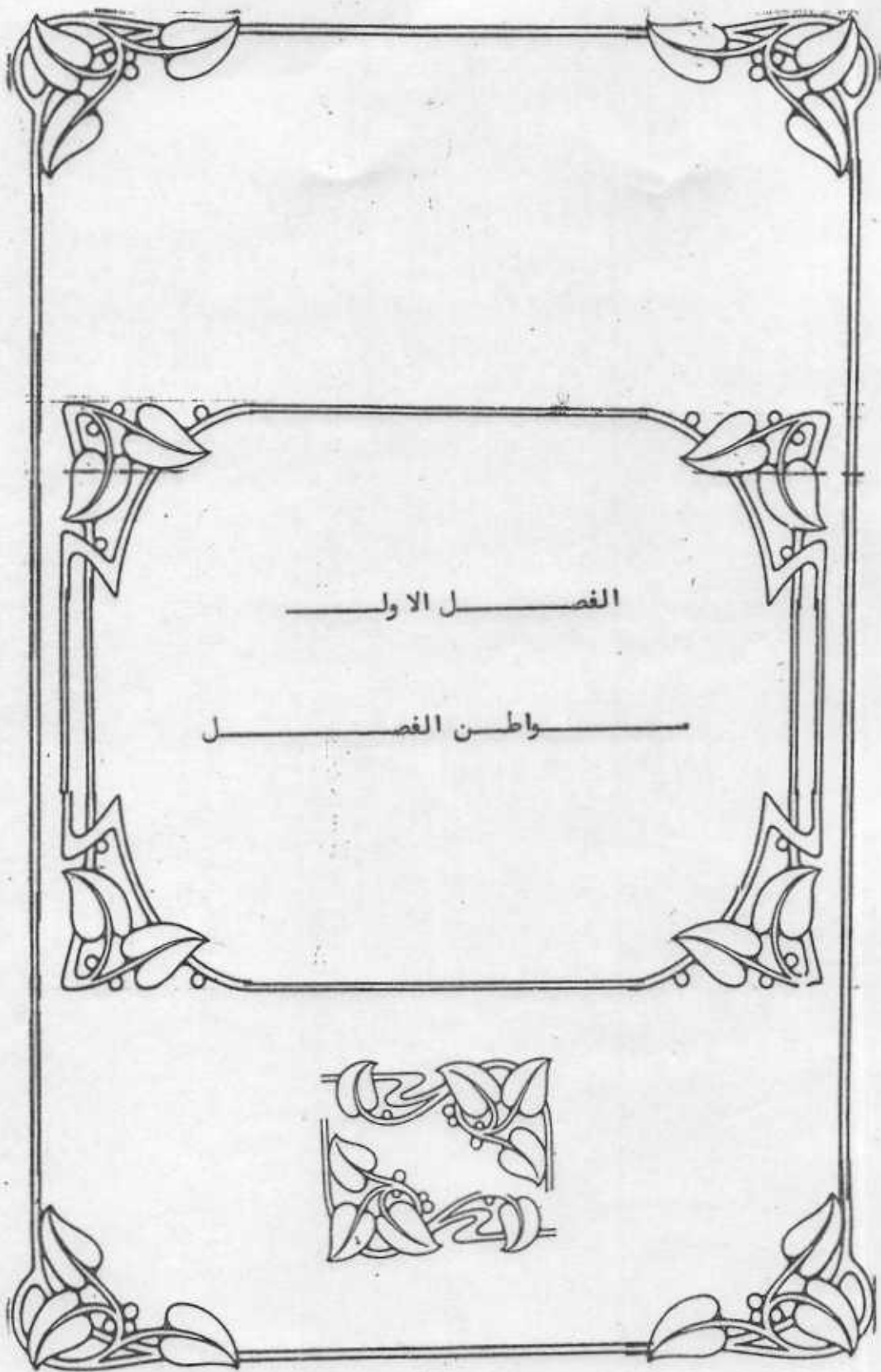
(الفصل والوصل في الجمل التي لا محل لها من)

الاعراب

الفصل الاول : مواطن الفصل .

الفصل الثاني : مواطن الوصل .

الفصل الثالث : الجامع وأنواعه .



الفصل الأول

وإطن الفصل

الفصل الاول

مواطن الفصل

الجملة التي لا محل لها من الاعراب

ذكر ابن هشام في المعنى أن الجملة التي لا محل لها من الاعراب سبعة

هي :

١- الجملة الابتدائية أو الاستئنافية وهي نوعان : المفتوح بها النطق

والمنقطعة عما قبلها .

٢- الجملة الاعتراضية بين شيئين لا فادة الكلام تقوية أو تسديدا أو تحسينا

٣- الجملة التفسيرية سواء كانت مقترنة بأن أو بأى أو غير مقرونة بشي .

٤- الجملة المجاب بها القسم .

٥- الجملة الواقعة جوابا للشرط غير جازم مطلقا أو جازم ولم تقترن بالنفاة

ولا بانذا الفجائية .

٦- الجملة الواقعة صلة .

٧- الجملة التابعة لما لا محل له من الاعراب .

وحد يثا يشمل النقطة الاخيرة من هذه الانواع لبيان علاقة ووجوه الارتباط
في الجملة المعطوفة على مثلها مما لا محل له من الاعراب أو فصلها عنها ولذلك مواطن
كثيرة تشمل النوعين الفصل والوصل ومن مواطن الفصل ما يلي :

مواطن الفصل

كمال الانقطاع بلا ايهام

كمال الانقطاع : هو ترك العطف بين الجمل المانع يرجع اما الى الاسناد
أو الى طرفيه السند والمسند اليه أو الى الجامع والمناسبة فاذا كان المانع من الاسناد
فهو لا خلاف الجملتين خبرا وانشأ لفظا ومعنى ، أو معنى لا لفظا ومثال الاختلاف
في اللفظ والمعنى قولهم (لا تدن من الاسد يأكلك) بالرفع لانك ان جزمت تصبح
الكلام وليس له وجه كلام الناس لانك لا تريد أن تجعل تباعده من الاسد سببلا كله) ..
••• (١) •••

وربما يظن البعض أن هذه من باب الشرط والجواب على معنى لا تدن من
الاسد يأكلك بالجزم غير جائز والسبب أن قولك : لا تدن يدل على أن الشرط موضوع

بنفي الدنو ، نحولا تدن يأكلك ، وهذا محال ، ولو كان التقدير لا تدن من الاسد يأكلك بمعنى : انك ان تدن منه يأكلك ، وجب اظهار الشرط لانه انما يضر اذا كان ما قبله من جنسه وليس النهي من جنس الاثبات وترك الجزم هنـا واجب (. (١) .

ومثال الاختلاف في المعنى قولهم : (مات فلان رحمه الله) ومثال عدم

الجامع في المسند اليه : (خاتي ضيق وخفي طين) .

ومن أمثله عدم الجامع وكما ورد عن السكاكي قزله تعالى : (ان الذين كفروا

سوا عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم) قال السكاكي : (قطع ان الذين كفروا عما

قبله لكون ما قبله حديثا عن القرآن وان من شأنه كيت وكيت وكون (ان الذين كفروا)

حديثا عن الكفار وعن تصميمهم في كفرهم . والفصل لازم الانقطاع (. (٢) .

ومثال انتفاء الجامع بين الجملتين أن تقول : (زيد طويل وعمر قائم) و

(العلم حسن ووجه زيد قبيح) ، أما اختلاف في الجملتين في الخبر والانشاء فان

بعض النحويين يجيز عطف الخبر على الانشاء والعكس ومنعه البيانين كما سلف .

والجملة الخبرية مفايرة للجملة الطلبية والانشائية فالخبر دال على حصول

١- عبد القاهر الجرجاني :، المقتصد في شرح الايضاح : ١٢٤-١٣٧ .

٢- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١٨ .

أمر في الخارج وهو يحتمل الصدق والكذب حسب المطابقة للواقع وعددها .

أما الانشاء فهو أمر لا يدل على حصول شيء في الخارج . ومن أنواع الطلب

الأمر ، والتمني ، والنهي ، والاستفهام ، والنداء ، والعرض ، والدعاء ، وقد قسم إلى

سلبى وإيجابى باعتبارات كثيرة عند العلماء ، فالسلبى يشتمل على النهي (١) .

ويسمى كمال الانقطاع بالانفصال إلى النهاية أيضا حسب ما ورد عند

الـجـرجـاني (٢) .

وعبارة ابن هشام قال عن عطف الخبر على الانشاء والعكس : (منعه البيانين

وابن مالك في باب المفعول معه ، من كتاب التسهيل وابن عصفور في شرح الايضاح

ونقله عن الاكثيرين وأجازه الصفار تلميذ ابن عصفور وجماعة مستدلين بقوله تعالى :

(وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) (٣) .

وقوله تعالى : (وبشر المؤمنين) (٤) .

قال أبو حيان وأجاز سيبويه (جائني زيد ومن عمر العاملان) على أن يكون العاقلان

خبر لمخذوف (٥) .

١- الطراز العلوى : ٢٨٠/٣ .

٢- الجرجاني ، الدلائل : ٢٥٦ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٢٣ .

٤- سورة الصف ، الآية : ١٠-١٣ .

٥- ابن هشام ، المغني : ٥٣٠-٥٣٦ .

وتحدث محقق شرح أبيات سيبويه مبينا اجازة سيبويه للعطف المذكور قال

في هذا البيت :

وقائلة خولان فانكح فئاتهم وأكرومة الحيين خلوكما هي

قال : وقصد القائل أن يقول باستواء : هذه خولان فانكح فئاتها ولا سبب

للنكح ، أما الغاء فهي عند سيبويه اما لعطف الانشاء على الخبر أو لربط جواب شرط

محدوف أي : اذا كان كذلك فانكح (.....) (١) .

واختلف الباحثون حول عطف الخبر على الانشاء والعكس فمنهم من أجازة

ومنهم من منعه فمن المجيزين الصغار تلميذ ابن عصفور وأبو حيان . ومن المانعين

ابن مالك والبيانين وابن عصفور وابن هشام .

أما أدلة المجيزين : قوله تعالى : (وشرا الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

وقوله تعالى : (وشرا المؤمنين) وأجاز سيبويه (جائني زيد ومن عمر العاقلان)

على أن يكون العاقلان خبرا لمحدوف ..

وقول امرئ القيس :

وان شفائي عبرة مهـراقـة وهل عند رسم دارس من معول

وتاغى غزالا عند باب ابن عامر وكحل أمأقيك الحسان بأثمد

١- شرح أبيات سيبويه ، الحاشية : ١/٤١٤ .

وقائلة خولان فانكح فتاتهم وأكرومة الحسين خلوكما هي

فان التقدير عند سيبويه : هذه خولان ، وقد ر على هذه الدلالة ابن

هشام بذكر أقوال المشاهير العلماء أما بالنسبة للإية في سورة البقرة فقد ذكرنا أن

الزمخشري بين أن المعتمد في العطف ثواب المؤمنين على جملة عذاب الكافرين وليس

المعتمد بالعطف الامر حتى يطلب له مشاكل كما أنه جوز عطفه على قوله تعالى (اتقوا)

وفي آية الصف قال الزمخشري : أن العطف على (تؤمنون) لانه بمعنى آمنوا .

ولا يقدح في ذلك أن المخاطب بـ (تؤمنون) المؤمنون ، وفي (بشر)

النبي (صلى الله عليه وسلم) .

وقد قدر السكاكي أيضا العطف على قل قبل (يا أيها) وحذف القول كثير .

أما بيت امرى القيس يقول ابن هشام : (فهل) فيه نافية مثلها في (فهل يهلك

الا القوم الظالمون) (١) .

والمعنى لا يهلك الا القوم الظالمون . وأما : هذه خولان ، فقد قدرها

على معنى لخولان أو الفاء لمجرد السببية مثلها في جواب الشرط (٢)

وأما : وكحل أمأتيك فيتوقف على النظر فيما قبله من الأبيات وقد يكون معطوفا

على أمر فقد يدل عليه المعنى أي : فافعل كذا وكحل .

١- ابن هشام ، المغني : ٥٣٧ .

٢- نفس المصدر السابق : ٥٣٧ .

وأما ما نقله أبو حيان عن سيبويه ففلط عليه وإنما قال : (واعلم أنه لا يجوز
من عبد الله وهذا زيد الرجلين الصالحين ، رفعت أو نصبت لانك تثني الا على من
أثبتته) (١) .

وعلمتسه ولا يجوز أن تخلط من تعلم ومن لا تعلم فتجعلها بمنزلة واحدة وقال
الصفار : (لما منعها سيبويه من جهة النعت علم أن زوال النعت يصححها فتصرف
أبو حيان - كما يقول ابن هشام - في كلام الصفار فوهم فيه ولا حجة فيما ذكر الصفار
ان قد يكون للشيء مانعان ويقتصر على ذكر أحدهما لانه الذي اقتضاه المقام والله
أعلم) (٢) .

أما البيانين فقد منعه ورد ذلك عند عبد القاهر والزمخشري والسكاكي
والقزويني وغيرهم .

السرفي كمال الانقطاع

فكمال الانقطاع يكون لتباين من جهة المعنى على الاخص في الخبرية

والانشائية بشرط وضوح المقصد للمتكلم عند الفصل ، وهو يحدث حركة ذهنية الى كل

١- وعبارة سيبويه (واعلم أنه لا يجوز من عبد الله وهذا زيد الرجلين الصالحين رفعت
أو نصبت لانك لا تثني الا على واحدة وإنما الصفة علم فيمن علمته) . سيبويه ، الكتاب :

٠٦٠/٢

٢- ابن هشام المغني : ٥٣٧ .

من الجملتين زائدة عن أصل مفهومها لتبين سر الفصل بينها شبيهة بالحركة الناشئة

من الالتفات ومثل هذه الحركة جديرة بتقرير المعنى والتبنيه اليه) (١) .

وقد ورد منع عطف الخبر على الانشاء عند عبد القاهر وذلك عند حديثه عن

قوله تعالى في الفصل والوصل : (أنو من كما آمن السفها ، ألا انهم هم السفها)

قال : على أن في هذا أمرا آخر وهو أن قوله (أنو من) استفهام ، ولا يعطف الخبر

على الاستفهام (٢) .

ومن أمثلة كمال الانقطاع للاختلاف خبرا وانشاء قول القائل :

وقال رائد هم أرسوا نزاولها — فكل حتف امرى* يجرى بمقدار

وقول الآخر :

ملكته حبلي ولكن — ألقاه من زهد على غارسي

وقال :

اني في الهوى كاذب — انتقم الله من الكاذب

الرائد : الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلاء وأرسوا أى : أقيموا من رسيت

السفينة أى حبستها بالمرساة ، نزاولها أى : نحاولها ونعالجها والضمير للحرب أى :

١- د . عزالدين السيد ، الحديث النهوى من الوجهة البلاغية : ٢٢ .

٢- الجرجاني ، دلائل الاعجاز : ٢٤٨ .

قال رائد القوم ومقدّمهم أقيموا نقاتل ، فان موت نفس يجرى بمقدار الله وقدره لا الجبن
ينجيه ولا الاقدام يرديه .

وقيل المزاوله هنا ، للخمر ، والوجه ما ذكرناه . ولما كان أرسوا انشاء لفظا
ومعنى ، ونزاولها خبر كذلك لم يعطف عليه ، ولم يجعل أيضا مجزوما جوابا لالامر
لان الفرض تعليل الامر بالارساء بالمزاوله ، والامر في الجزم بالعكس ، أعني يصير
الارساء علة للمزاوله كما في أسلم تدخل الجنة (.) (١) .

فان قلت هذه الاقسام كلها من التقدير الثاني وهو أن لا يكون للجملة
الاولى محل من الاعراب والجملة الاولى في هذا المثال : وهي قوله (أرسوا) في
محل نصب على أنه مفعول قال : فكيف يصح ؟ قلت : لما ذكر أنه قيد يكون بيّن
الجملتين اللتين لا محل لوليها من الاعراب كمال الانقطاع أو كمال الاتصال أو نحوهما
أشار الى تحقيق هذه المعاني من غير نظر الى كونها بين الجملتين اللتين يكون
لا وليها محل من الاعراب أولا يكون فهذا مثال لمجرد كمال الانقطاع بين الجملتين
وقد يقال ان المقصود بالتمثيل هو ما وقع في كلام الرائد ، والجملتان في كلامه
ليس لهما محل من الاعراب ولا يخفى ما فيه من التعسف لان المثال انما هو هذا

(١) - سعد الدين التفتازاني ، المطول : ٢٥١ .

المصراع والجملة في ما له محل من الاعراب ولهذا جعل نحو قوله تعالى : (انا

معكم انما نحن مستهزؤن) مما له محل من الاعراب على ما مر (١) (١) .

وقد نص كثير من البلاغيين : أن المقصود المحكي لا الحكاية . قال سيد

شريف في حاشيته على المطول ردا على سعد الدين قال : (انما هو هذا المصراع

مسلم باعتبار دلالة على المحكي لا باعتبار نفس الحكاية ولا تعسف في ذلك) . . (٢) .

وكان الشاعر أراد أن يقول أرسوانا نزاولها يجعله محمولا على اضرار

شرط لذلك لم يجزم (٣) (٣) .

والبيت له رواية بالفاء :

فقال رائد هم أرسو نزاولها فكل حتف أمرى يجرى بمقدار

ونسب سيويه والشغرى هذا البيت للاختلاف وليس في ديوانه وأيضا من

الخرانة (٣ / ٦٥٩) (٤) .

وهناك من جعل منع العطف بين الخبر والانشاء له ثلاثة شروط قال اليعقوبي

: (والحق أن منع العطف بين الانشاء والخبر له ثلاثة شروط : أن يكون بالواو وفيما

لا محل له من الاعراب من الجمل وأن لا يوهم خلاف المراد) . . . (٥) .

١- سعد الدين التفتازاني ، المطول : ٢٥٢ .

٢- حاشية شريف على المطول : ٢٥٢-٢٥٣ .

٣- المقتصد في شرح الايضاح : ١١٢٢/٢ .

٤- نفس المصدر السابق : ١١٢٢/٢ .

٥- ابن يعقوب المغربي ، مواهب الفتح في شرح تلخيص المفتاح : ٣٢٨/٣ .

شبهه كمال الانقطاع

وهو أن تكون الجملة الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى لكون عطفها عليها

موهما لعطفها على غيرها . ومثاله :

وتظن سلمى أنسى أبني بها بدلا أراها في الضلال تهيم

لم يعطف (أراها) على (تظن) لئلا يوهم السامع أنه معطوف على (وأبني)

لقرينه منه مع أنه ليس بمراد (.....) (١) .

ولم يرد مثل هذا النوع من الفصل عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني وأول

وروده كان عند صاحب المفتاح الشيخ السكاكي وقد سماه القطع للاحتياط ، وسماه

الخطيب شبه كمال الانقطاع ويحتمل أنه يريد بالاحتياط أنه سبب وجوه من حيث

البلاغة وإن لم يكن واجبا ، ومن أمثله أيضا التي وردت عند السكاكي البيت السابق

لغة (.....) (٢) .

وقول الشاعر:

زعمتم أن اخوتكم قريش لهم ألف وليس لكم آلاف

١- الخطيب القزويني ، الايضاح : ١٥٤-١٥٥ .

٢- السبكي ، عروس الافراح ، وانظر: شروح التلخيص : ٥٢ .

لم يعطف لهم ألف حيفة أن يظن العطف على ان اخوتكم قريش فيفسد معنى

البيت (..... (١) .

على أن البيت الثاني من هذين المثالين ورد عند الجرجاني تحت الاستئناف

وقد نص أيضا كل من السكاكي والخطيب على احتمالها للاستئناف قال السكاكي : (وليس

بمستبعد لانصباب قوله (وتظن سلس أني أبغي بها بدلا) الى ايراد : (فاقولك

في ظنها ؟ ذلك أن يكون قد قطع أراها ليقع جوابا لهذا السؤال على سبيل الاستئناف

..... (٢) .

وقد سعى شبه كمال الانقطاع انه يشتمل على مانع من العطف وهو ايهاام خلاف

المراد كما ان المختلفتين انشاء وخبرا (او المتفقين اللتين لا جامع بينهما يشتملان على

مانع ، لكن هذا دونه لان المانع في هذا خارجا ربما يمكن دفعه بنصب قرينة) (٣)

ومن هذا القبيل (اى القطع للاحتياط وشبه كمال الانقطاع قطع (الله يستهزى

بهم) عن الجملة الشرطية اعني قوله (وانا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم) فان عطفه

عليها يوهم عطفه على جملة قالوا أو جملة انا معكم ، وكلاهما فاسد كما مر ، فظهر أن قطع

أيضا للاحتياط كما في هذا البيت لا للوجوب ، كما زعم السكاكي - لانه لم يبين امتناع عطفه

١- السكاكي ، المفتاح : ١١٤ .

٢- السكاكي ، المفتاح : ١١٤ .

٣- سعد الدين ، المطول : ٢٥٧ .

على الجملة الشرطية .

لا يقال أنه تركه لظهور امتناع عطف الشرطية على الشرطين وظهور أنه

لا جامع بينهما (.) (١) .

وعدّ سعد الدين قوله تعالى : (وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا انا معكم

انما نحن مستهزون^١ ون الله يستهزى^٢ بهم) . . من هذا الباب وسماه القطع للاحتياط

مفائرا للسكاكي الذي اعتبره من باب القطع للوجوب .

قال سعد : (زعم السكاكي أن قطع (الله يستهزى^٢ بهم) للوجوب وانما هو

للاحتياط ، لانه لم يبين امتناع عطفه على الجملة الشرطية وقال أيضا لا يقال أنه تركه

لظهور امتناع عطف غير الشرطية على الشرطية وظهور أنه لا جامع بينهما لانا نقول

الاول ممنوع فان عطف الشرطية على غيرها وبالعكس كثير في الكلام مثل قوله تعالى :

(وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر) وقوله : (فإذا جاء أجلهم

لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وكذا الثاني لظهور المناسبة بين المسندين أعني

استهزا^١ الله بهم وتقاولهم بهذه المقالات وأوقات الخلوات بل لا تحادها في التحقيق

وكذا بين المسند اليهما لكونهما متقابلين يستهزى^٢ كل واحد منهما بالآخر بدليل

أنه علل قطع (الله يستهزى^٢ بهم) عن جملة قالوا وجملة (انا معكم) بما هو ، لا بعد

١- سعد الدين ، المطول : ٢٥٧ .

الجامع بينهما فليغهم (.....) (١) .

وقطع الاحتياط : وهو أن يكون قبل الجملة كلام يشتمل على مانع — من

المطف وكلام لا مانع فيه فنقطع عنه حتى لا يتوهم عطفها على ما هو مشتمل على ذلك

المانع .

قطع الوجوب : وهو أن يكون قبل الجملة كلام يشتمل على مانع ولا يوجد هناك

ما لا يشتمل على مانع فتقطع الجملة عما قبلها وجوبا .

وسواء أكان القطع للاحتياط أو للوجوب فإن هذه التقسيمات لا تمنيني كثيرا

خاصة وأن الامثلة المطروحة تحتمل وجوه عدة باعتبارات عدة .

فليس المجال مجال ذكر صرح أو خطأ بقدر ما هو مجال لبيان عدة وجوه وأسباب

اطلاق تسميات مختلفة لمسألة من المسائل ، والمحصلة النهائية هو أن يكون هناك

قطع بين الجملتين سواء أكان للاحتياط أو للوجوب .

كمال الاتصال

١- التأكيد

وهو أحد اقسام الفصل في هذا الفن ويسمى بالاتصال الى الغاية عند الجرجاني

وكمال الاتصال يتعلق بالجمله المنزله من ثانياتها منزله التابع ويشمل التوكيد المعنوي

واللفظي وعطف البيان وبدل البعض من كل وبدل الاشتغال ، اما بدل الكل من الكل

فليس داخل في هذا الاصطلاح كذلك الصفه مع ان السكاكي قد ذكر الصفه وليكن

الخطيب القزويني اسقطها - (١) .

وسبب الاسقاط يرجع الى عدم تحقق معني الصفه في الجمل قال الدين (واما

النعته فلما لم يتميز عن عطف البيان الا بأنه بدل على بعض احوال المتبوع لا عليه والبيان

بالعكس وهذا المعنى مما لا يتحقق له في الجمل لم تنزل الثانيه من الاولى منزله النعته

من المنعوت) (٢) .

اما بالنسبه لبديل الكل فهو لا ينفصل عن التأكيد لذلك اسقط ايضا) قال الخطيب

فان قيل (هلا نزلتم الثانيه منزله بدل الكل من متبوعه في بعض الصور ومنزله النعته من

متبوعه وانه مقصود بالنسبه دون متبوعه بخلاف التأكيد والنعته لا ينفصل عن عطف البيان

١- السبكي ، عروس الافراح : ٣ .

٢- سعد الدين ، المطول : ٢٥٢ - ٢٥٣ .

الا بأنه يدل على بعض احوال متبوعه لا عليه وعطف البيان بالعكس وهذه كلها اعتبارات لا يتحقق شي منها فيما نحن بصدده (١)

وبهذا يستغنى فيها بعطف البيان عن النعت والتأكيد عن بدل الكل واما

بدل الغلظ فيقع في فصيح الكلام (٢)

وعلى أي حال فكما ان الاتصال بأنواعه اسلوب من الاساليب البيانية والبلاغية العالية

وأحد الوسائل التي من خلالها توضح المعاني في النفس .
وسر ترك المعطف في كمال الاتصال او التوابع ان شئت هو ان هذه التوابع

هي عين المتبوع واذا كانت عينه والمعطف يقتضي التشريك كان المعطف منافيا (لكل من هذه التوابع فعلم أنه لا يجوز خيث اريد احداها) (٣)

وهي في فن الفصل والوصل قياسا على ما هي في علم النحو ولم يفصل الشيخ

عبد القاهر في كمال الاتصال واعتبر الكل من باب التأكيد والتبيين (ولعل هذا أسهل من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع في الجمل) (٤)

كما يقول عبد المتعال الصعيدي وانا اقول ان في هذا تقليل للاقسام وحصر

للبلاغة العربيه وتكثير الاقسام مدعا للبحث والانتاج وتقوية الفكر في استخلاص النكات البلاغية الداله على الاعجاز .

-
- ١- القزويني ، الايضاح : ١٥٤ .
 - ٢- عهد المتعال ، بغية الايضاح : ٧٧ .
 - ٣- السبكي ، عروس الافراح : ٣ .
 - ٤- عبد المتعال ، بغية الايضاح : ٧٧ .

قال صاحب الطراز : (اعلم أن التأكيد تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره
وفائدة ازالة الشكوك واحاطة الشبهات عما أنت بصدده وهو دقيق المأخذ كثير الفوائد)
..... (١) .

ف عند النحاة مثلا التوكيد نوعان لفظي ومعنوي فاللفظي ما كان باعادة اللفظ
مثل (جاء زيد زيد) أو مرادف اللفظ مثل (فجا جا سبلا) ويقع في الجمل (فان
مع العسر يسرا) (٢) .

والتوكيد المعنوي ما كان بالفاظ مخصوصة مثل جاء القوم كلهم أجمعون نفسه
عينه) (٣) .

أما التوكيد في فن الفصل والوصل فلا يقصد به التوكيد الاصطلاحي النحوي
وكذلك بقية الاعتبارات من عطف بيان وبدل ، فهذه الامور في الاصطلاح البلاغي
وفي الاصطلاح النحوي لها قيود وتعريفات تعرف بها غير ما هي في هذا الفن - الفصل
والوصل - ويظهر ذلك جليا في غيابه الخطيب وغيره عند قوله (فوازن وازن كذا وكذا
قال المنبري في مواهب الفتاح : (واعلم من قوله فوازن الخ أن الجملة ليس
تأكيدا معنويا في الاصطلاح وهو ظاهر لانه في الاصطلاح انما يكون بالفاظ معلومة

١- العلوي ، الطراز : ١٧٦/٢ .

٢- سورة الانشراح ، الآية : ٦ ، ٧ .

٣- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٣٨٥/٢ .

مع أنه تابع وذلك يقتضي المحلية في الاعراب والجملتان هنا لا محل لهما - يقصد
(ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) - فالمراد أنها مثل التأكيد في حصول مثل ما يحصل
منه ومثل هذا يقال في كون الجملة بدلا أو بيانا (١)

فالتوكيد وعطف البيان والبدل اذا في فن الفصل والوصل لها اصطلاح خاص
تقصد به وتعرف به من خلاله والظاهر أن التوكيد والبدل وكل هذه الاعتبارات تتفق
في اصطلاح النحاة واصطلاح أهل المعاني في فن الوصل والفصل في جانب المفردات
فالتوكيد في النحو هو التوكيد في الفصل والوصل اذا كان الامر يتعلق بالمفردات
أما في جانب الجمل ففيه نوع من الاختلاف ان حديث الفصل والوصل في الجمل التي
لا محل لها من الاعراب والتوابع في النحولها محل من الاعراب الا اذا كان المقصود
التوكيد اللفظي بطريق تكرار الجملة كقولك جاء علي (فهذا مشترك بين النحو والفصل
والوصل .

والتأكيد قسمان : أحدهما : أن تنزل الجملة الثانية من الاولى منزلة
التأكيد المعنوي من متبوعه في افادة التقرير مع الاختلاف في المعنى كقوله تعالى :
(ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه) فان وزان (لا ريب فيه) وزان نفسه في قولك (جاء
الخليفة نفسه) ، فانه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجة القدوى من الكمال يجعل
المبتدأ (ذلك) وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل أن يتأمله مظنة أنه مما
(- ابن يعقوب ، مواهب الفتاح : ٣ / ٣٥ .

يرى به جزافاً من غير تحقق فاتبع (لا ريب فيه) نغياً لذلك اتباع (الخليفة) (نفسه)

ازالة لما عسى أن ينوهم السامع أنك في قولك (جاء الخليفة متجاوزاً وساء) . . (١) .

وكمال الكتاب باعتبار هدايته والاهتداء به ونغي الرب لا زم لهذا الكمال فجملة

(لا ريب فيه) مؤكده لجملة (ذلك لكتاب) تأكيداً معنوياً حيث اختلف مفهوم الجملتين

مع الاتحاد في المعنى (. (٢) .

وضابط التوكيد المعنوي أن تختلف مفهوم كل من الجملتين ولكن يلزم من ثبوت

معنى احدهما ثبوت معنى الاخرى (. (٣) .

وافاده معنى الكمال قادم من تعريف المسند اليه بالاشارة للدلالة على كمال

العناية بتسميئه وانهرما يجعل ذريعة الى تعظيمه وبعد درجته وان تعريف المسند اليه

باللام يفيد الحصر حقيقه او مبالغه فمعنى ذلك الكتاب انه الكتاب الكامل كان ما عداه

من الكتب في مقابلته ناقصه وأنه يستحق ان يسمى كتاباً (. (٤) .

١- القزويني ، الايضاح : ١٥٠ .

٢- ابن يعقوب ، مواهب المفتاح ؛ ٣ / ٣٥ شرح التلخيص .

٣- عهد المتعال الصعدي ، بغية الايضاح : ٢ / ٧١ .

٤- التلخيص في علوم البلاغه : ١٨١ .

التأكيد المعنوي

وثانيهما ان تنزل الثانية من الاولى منزلة التأكيد اللفظي من متبوعه في اتحاد

المعنى كقوله تعالى (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) فان هدى للمتقين

معناه انه وافي الهداياه لان الكتب السماويه بحسبها تتفاوت في درجات الكمال (١) . (١) .

وضابط هذا التوكيد الاتحاد في المعنى بين الجملتين كما هو واضح من كلام

الخطيب ولم يتعرض الخطيب الى التأكيد اذا كان هناك اتحاد في اللفظ والمعنى

بين الجملتين او ما يسمى التأكيد بنفس تكرر اللفظ قال السبكي: (ومن الغريب ان اهل

الفن لم يذكروا من اقسام كمال الاتصال ان تكون الثانية صريحة في تأكيد الاولى باعادتها

بلفظها مثل (قام زيد) فهي تأكيد بنفسها فهي اجدر ان يحكم عليها بكمال الاتصال

ما هو فرع عنها وملحق بها ولعلمهم تركوا لان المؤكد الصريح هو نفس المؤكد فكانها

جملة واحدة فلا تعدد (..... (٢) .

فالاتحاد في اللفظ والمعنى بين الجملتين لا فيه صفة العطف لظهور المسألة

على أنه قد ورد في بعض الايات عطف بين جملتين متحدتين في المعنى واللفظ بأحد

حروف العطف كقوله تعالى (وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين) وقوله

تعالى (اولى لك فأولى ثم اولى لك فأولى) وقيل في ذلك أنه عطف صوري لا حقيقي

وقيل انه تأسيس لا تأكيد (..... (٣) .

١- القزويني ، الايضاح : ١٥٢ .

٢- السبكي ، عروس الافراح : ٣ / ٤٨ شرح التلخيص .

٣- الصعدي ، بغية الايضاح : ٢ / ٧٣ .

وفي البرهان قال : زعم الكوفيون انه لا يجوز الفصل بين التوكيد والمؤكد
 قال الصفار في شرح سيبويه : والسماع يردده قال تعالى (وهم بالاخره هم كافرون)
 فان (هم) تأكيد للاولى (.....) (١) .

والذي أراه أن يكون التوكيد المعتبر بين الجملتين في حالة عدم وجود عاطف
 حتى يسير الكلام على وتيرة واحدة والقول بأن حرف العطف في هذه الحالة فقد معنى
 المغايرة فلا تفاير بين الجملتين وافادته فقط للترتيب والتراخي .

كمال الاتصال

ببديل البعض

ومن أقسام كمال الاتصال ، البديل ، وهو لفظة العوض . وقيل الحديث عن البديل في الجمل في فن الفصل والوصل نقول : ان البديل يقسم الى عدة أقسام باعتبارات مختلفة منها انقسامه الى بديل مفرد من مفرد ، وجملة من جملة ، وجملة من مفرد ، ومفرد من جملة ، وفعل من فعل .

فبديل المفرد من المفرد كقولك : (جاء زيد أخوك) ، وبديل الجملة من الجملة كقوله تعالى : (فأتقوا الله وأطيعون وأتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام) (١) .

وهنا بديل الجملة على اعتباران (أمدكم بما تعلمون) صلة (الذي) أبديل منها (أمدكم بأنعام) وبديل الجملة من المفرد كقوله تعالى : (كمثل آدم خلقه من تراب) (٢) .

وقوله تعالى : (ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) (٣) .

١- سورة الشعراء ، الآية : ١٣٢ .

٢- سورة آل عمران ، الآية : ٥٩ .

٣- سورة فصلت ، الآية : ٤٣ .

ومن ابدال الجملة من المفرد أيضا قوله تعالى : (وأسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم أفنتون السحر وأنتم تبصرون) هذا الكلام كله في محل نصب بدلا من قوله تعالى : (النجوى) أي : وأسروا هذا الحديث (١)
 ويبدل الفعل من الفعل الموافق له في المعنى مع زيادة بيان كقوله تعالى : (ومن يفعل ذلك أثاما يضاعف له العذاب) (٢)

وقد تكلمت عن هذا عند الكلام على الفصل والوصل عند سيبويه ، وبدل المفرد من الجملة كقوله تعالى : (ألم يرو كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون) بدل ، لان* الاحلال وعدم الرجوع بمعنى واحد .
 فان قلت : لو كان بدلا لكان معه الاستفهام قيل هو بدل معنوي (.

• (٣)

ويقسم أيضا في المفردات الى بدل بعض من كل وبدل كل من كل وبدل اشتغال وبدل غلط ، ومثال بدل الكل من الكل قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين) وهو بدل من الشيء* مما يطابق معناه .

ومثال بدل البعض : (أكلت الرغيف نصفه) ولا بد من اتصاله بضمير يرجع

١- الزمخشري ، الكشاف : ٥٦٢/٢ .

٢- سورة الفرقان ، الآية : ٦٨-٦٩ .

٣- سورة يس ، الآية : ٣١ .

للمبدل منه (والغرض في المفردات تحقيق النسبة لمدلول اللفظ الثاني لنكتة وتقوية ذلك بالنسبة للاول ، لغرض من الاغراض .

ولما صار المقصود الثاني بالذات صار الاول كغير الوافي (..... (١) .

ومثال بدل الاشتغال وهو بدل شي* من شي* يشتمل عامله على معناه بطريق الاجمال مثاله (اعجبني زيد علمه) وامره في الضمير كأمر بدل البعض ومنه قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه) (٢) .

وهناك ما يسمى ببذل الفلظ والنسيان والبدا* وهذه الثلاثة حسب الاعتبارات فان كان المبدل منه ليس مقصودا وانما سبق اللسان اليه فهو بدل غلط واذا تبين بعد ذكره انه فاسد فهو النسيان وان كان القصد الاضراب عن الاول فهو بدل البدار او الاضراب .

وفي بيت اللفية ذكر هذه الانواع جميعاً بقوله :

كزره خالداً وقبله اليد واعرفه حقه وخذ نبلا مدى

فخالد بدل كل من كل واليد بدل بعض من كل وحقه بدل اشتغال ، ومدى يحتمل الاقسام

الثلاثة ، على أن السهيلي (رحمه الله تعالى) : (رد بدل البعض والاشتغال الى

بدل الكل وقال : (ان العرب تتكلم بالعام وتريد به الخاص ، وتحذف المضاف وتنويه

١- ابن يعقوب ، مواهب الفتح : ٤٠/٣ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢١٧ .

فاذا قلت : (أكلت الرغيف ثلثه) انما تريد أكلت بعض الرغيف ثم بينت ذلك البعض

..... (١) .

والفرض من البديل في الجمل هو الاخبار بالتفصيل وتقويته بالاجمال . . .

..... (٢) .

ويسمى في اصطلاح النحاة بعدة أسماء فعند البصريين يسمى بدلا ، وأما

الكوفيين فقالوا اخفش يسمونه بالترجمة والتبيين وقال ابن كيسان : يسمونه بالتكرير وهو

التابع المقصود بلا واسطة (٣)

على أن تسميته بالتبيين لدلالاته على ذلك فالبدل يحمل معنى التبيين

والتكرار من أجل أن البدل هو نفس معنى البدل منه فهو التكرار .

قال اخفش والواحدى في بدل البغض من الكل نحو (ولله على الناس حج

البيت من استطاع اليه سبيلا) (٤)

يسمى هذا البدل البيان لان الاول يدل على العموم ثم يؤدى بالبدل ان

أريد البعض (٥)

ومن فوائد البدل ، التبيين على وجه المدح ، فقولك : (هل أدلك على

أكرم الناس وأفضلهم فلان ، أبلغ من قولك : فلان الاكرم والا فضل بذكره مجعلا ثم

١- شرح الاشعوني بتصرف : ١٢٦/٣-١٢٧ .

٢- شرح التلخيص ، مواهب الفتاح : ٤٠/٣ .

٣- شرح الاشعوني : ١٢٣/٣ .

٤- سورة آل عمران ، الآية : ٩٧ .

٥- الزركشي ، البرهان : ٤٢٥/٢ .

مفصلاً (..... (١) .

قال صاحب البرهان : (والقصد به - أى البدل - الايضاح بعد الابهام وهو يفيد البيان والتأكيد ، أما البيان فانك اذا قلت : رأيت زيدا أخاك ، بينت أنك تريد بزيد الاخ لا غير ، وأما التأكيد فلانه على نية التكرار للعامل ألا ترى أنك اذا قلت : (ضربت زيدا) جاز أن تكون ضربت رأسه أو يده أو جميع بدنه ، فاذا قلت : يده ، فقد رفعت الابهام .

فالبديل جار مجرى التأكيد لدلالة الاول عليه أو لمطابقة كما في بدل الكل ، أو التضمن في بدل البعض أو الالتزام كما في بدل الاشتغال ، فاذا قلت : ضربت زيدا رأسه ، فكأنك قد ذكرت الرأس مرتين مرة بالتضمن وأخرى بالمطابقة .

وإذا قلت : (شربت ماء البحر بعضه) فانه مفهوم من قولك : (شربت ماء البحر) أنك لم تشربه كله فجئت بالبعض تأكيدا وهذا معنى قول سيبويه : (ولكنه بنى الاسم تأكيدا وجرى مجرى الصفة في الايضاح ، لانك اذا قلت : (رأيت أبا عمرو زيدا) و (رأيت غلامك زيدا) و (مررت برجل صالح زيد) ، فمن الناس من يعرفه بأنه غلامك أو بأنه رجل صالح ولا يعرف أنه زيد ، وعلى العكس فلما ذكرتهما أثبت باجتماعهما المقصود (..... (٢) .

١- الزركشي ، البرهان : ٤٢٥/٢ .

٢- نفس المصدر السابق : ٤٥٤/٢ .

على أنه ليس كل بدل يراد به رفع الاشكال الذي في العبدل منه بل ، من
البدل ما يراد به التأكيد وان كان ما قبله غنيا عنه كقوله تعالى : (وانك لتمهدى الى
صراط مستقيم صراط الله) (١) (٢) .

ومن فوائد العبدل : عبدل البعض والاشتغال - البيان والتخصيص للعبدل
مسنه . قال الزركشي : (واعلم أن في كلا العبدلين أعني بدل البعض وبدل الاشتغال
بيانا أو تخصيصا للعبدل منه وفائدة العبدل أن ذلك الشيء * يصير مذكورا مرتين ويتبين
أحدهما بالعموم ، والثانية بالخصوص ومن أمثله : (اهدنا الصراط المستقيم صراط
الذين أنعمت عليهم) (٣) . و : (آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) (٤) .
فقوله تعالى : (رب العالمين) يشمل كل شيء * لفادة العالمين أنعمه
والاستفراق لجميع ما يطلق عليه من العالم سوا* في الارض أو في السماء ، ومن بين
ذلك الناس ، وموسى وهارون منهم فكانه ذكر هنا مرة ومرة أخرى نصا بقوله : (رب موسى
وهارون) وهذا معنى قوله : (بصيرا) مذكورا مرتين أحدهما بالعموم والثانية
بالخصوص .

وربما يسأل سائل عن سبب ذكر هذه التوطئة للعبدل وهل هناك علاقة بين

١- سورة الشورى ، الآية : ٥٢-٥٣ .

٢- الزركشي ، البرهان : ٤٥٤/٢ .

٣- سورة الفاتحة ، الآية : ٦-٧ .

٤- سورة الشعراء ، الآية : ٤٧-٤٨ . وانظر الزركشي في البرهان : ٤٥٥/٢-٤٥٦ .

ما ذكرت وبين البدل في فن الفصل والوصل الواقع في الجمل ؟

أقول : نعم هناك علاقة وطيدة فان اعتبارات البدل في الجمل في فن الفصل

والوصل قائم على قياسها من وقوعه في المفردات في علم النحو بل ان بعض الاعترافات

في فن الفصل والوصل هي نفسها الاعترافات في علم النحو كالجملة المنزلة من متبوعها

منزلة بدل البعض وقد مثلوا له بقوله تعالى : (أمدمكم بما تعلمون أمدمكم بأنعام وينين)

فجملة (أمدمكم بأنعام وينين) . . الخ بدل من جملة (أمدمكم بما تعلمون) على أن

المقصود في الجملة الواقعة بدل في النحو الجملة التي لها محل من الاعراب وهذه

الجملة التي لا محل لها من الاعراب فالتشيل بها في فن الفصل والوصل أصدق .

قال الصبان : (ولا يخفى أنها صلة الذي في قوله : (واتقوا الذي أمدمكم

بما تعلمون) فلا محل لها فاطلاق التبعية على ما بعدها مجاز . . . وقال الدماميني :

(اطلاقها عليه بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي) (١) .

وجملة (أقول له أرجل لا تقمين عندنا) . فقد مثلوا بها لبدل البعض

على اعتبار أن الامر بالشيء عين النهي عن ضده ، هذا من وجه ومن وجه آخر يمكننا

القول أنهم قد سكتوا عن اشتراط الضمير في بدل البعض والاشتمال في الافعال والجمل

لتعذر عود الضمير (٢) .

١- شرح الاشموني ، منهاج السالك الى ألفية ابن مالك : ١٣٢/٣ .

٢- حاشية الصبان على شرح الاشموني : ١٣٢/٣ .

والبدل هو الموطن الثاني من مواطن كمال الاتصال ، ويتم كما قال الخطيب

ب) ان تكون الجملة الثانية بدلا من الاولى والمقتضي للابدال كون الاولى غير وافية
بتام المراد بخلاف الثانية ، والمقام يقتضي اعتناء بشأنه لنكتة ، لكونه مطلوباً في نفسه
أو فظيماً ، أو عجيباً ، أو لطيفاً ، وهو ضربان : أحدهما : أن تنزل الثانية من الاولى
منزلة البعض من متبوعه كقوله تعالى : (أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين وجنات
وعيون) (١)

أوفي بتأديته ما قبله لدلالته عليها بالتفصيل من غير احوالة على علومهم
مع كونهم معاندين . والامداد بما يذكر من الانعام وغيرها بعض الامداد بما يعلمون (. (٢)

قال ابن يعقوب : (والمقام يقتضي اعتناء واهتماماً بشأن ذلك التشبيه أي
على نعم الله - لكونه مطلوباً في نفسه لانه تذكير للنعم لتشكر وهو ذريعة لغيره كالايمان
والعمل والطاعة) (٣)

وإذا نظرنا الى قوله تعالى : (أمدكم بما تعلمون) نجد أنها تحمل معنى
الاجمال والعموم بالاضافة الى أنها تحيل على علم المخاطبين بالآية ، وفي ذلك مظنة

١- سورة الشعراء ، الآية : ١٣٣-١٣٤ .

٢- الخطيب القزويني ، الايضاح : ١٥٢-١٥٣ .

٣- ابن يعقوب ، مواهب الفتح : ٤١/٣-٤٥ . شروح التلخيص .

الانكار من مثل المعاندين ، أو شبه الامر بالامداد الى ذواتهم وأنفسهم أو الى غير
الله سبحانه وتعالى من معبوداتهم .

وقوله تعالى : (أمدكم بأنعام وينين . .) تحمل معنى التفصيل وفيها
أيضا عدم الاحالة على علم المخاطبين وهذه الانعام المذكورة بعض من امداد الله لهم .
والجملة الثانية أوفى بالمراد لاشتغالها على التفصيل بالاضافة الى أن معناها
بعض معنى سابقتها . ومن جهة أخرى فان قوله تعالى : (أمدكم بما تعلمون) عام
والعموم مأخوذ من ما الموصولية ، وفي الجملة الثانية تخصيص لبعض هذا العام فهي
من باب ذكر الخاص بعد العام في الجمل .

قال بعض البلاغيين : (انه لا فرق بين بدل البعض وبين ذكر الخاص بعد

العام في الجمل) (١) .

وفصل ابن يعقوب في المسألة فقال : (وها هنا شيء لا بد من التبيين
عليه وهو أن قوله : (أمدكم بأنعام وينين وجنات وعميون) ان كان هو المراد فقط من
الجملة الاولى كانت الثانية بدل البعض ولكن يفوت التبيين على جميع النعم المعلومة
لهم ، وان أريد ما هو أعم لم تكن الثانية بدل البعض بل من ذكر العام بعد الخاص
فلا تكون أوفى لان الاولى أوفى من جهة افادة العموم والثانية أوفى من جهة التفصيل)

. (٢) .

- ١- سليمان نوار ، مذكرات في الفصل والوصل والقصر : ٢٩٠ . نقلا عن / د . علي البدوي
بحوث المطابقة لمقتضى الحال : ٤٢٥ .
٢- ابن يعقوب ، مواهب الفتح ، شرح التلخيص : ٤٣ / ٣ .

ومما نكته البدل فيه كونه فظيحا ، ونكته كون الامر فظيحا مثلوا لها بمثال
 من بدل الكل من الكل ، وهو أن يقال لا امرأة تزني وتتصدق تويخا (لا تجمعي بين
 الامرين لا تزني ولا تتصدق) ومثال كونه عجيبا مثلوا له بقوله تعالى : (وقالوا مثل
 ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) (١) .

فان البحث بعد صيرورة العظام ترابا عجيب منكر به ومن عجائب القدرة عند
 مثبتيه (٢) .

ومثال كونه لطيفا ظريفا ، قولك لفائض يريد الغنا* (غوص وضا* كيف سرني
 ونقر زممار) (٣) .

ومثل له الصعیدی بقولك : (لقد جمع بين امرين جمع اللطف والاستقامة
 وهذا كما يقول من البدل المطابق) (٤) .

وهنا نقطة وهي أن ابن مالك صنع وقوع بدل البعض في الفعل . قال : (ولا
 يبدل بدل البعض ونقل في التصريح أن الشاطبي أثبتته ومثل له بنحو ، ان تصل تسجد
 للرحمن يرحمك . قال القارضي : (انه يحتمل بدل الاشتمال ، فان الصلاة تشتمل
 على السجود) (٥) .

١- سورة المؤمنون ، الآية : ٨١-٨٢ .

٢- مواهب الفتاح : ٤٣/٣ ، شروح التلخيص .

٣- عبد المتعال الصعیدی ، بغية الايضاح : ٧٥/٢ .

٤- ابن يعقوب ، مواهب الفتاح : ٤١/٣ .

٥- حاشية الصبان على شرح الاشموني ، منهاج السالك الى الغية ابن مالك : ٣١/٣ .

بـ بدل الاشتغال

والثاني من مواطن البدل أن تنزل الجملة من متبوعها منزلة بدل الاشتغال

وقد مثلوا له بقوله تعالى : (اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم

مهتدون) أو في بتأدية ذلك لان معناه : لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وترجعون

صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا وخير الآخرة (١)

(ونكتته كونه مطلوبوا في نفسه) (٢) .

فالجملتان الأولى (اتبعوا المرسلين) مفادها حمل الناس على اتباع الرسل

وكذلك الجملة الثانية (اتبعوا من لا يسألكم) تدل على نفس الدلالة مع زيادة إيضاح

وبيان واغراء للاتباع مع كونهم أي الناس لن يخسروا شيئا في هذا الاتباع بل سيكسبون

أجر الآخرة وهذا مدعاة للاتباع اتباع هداية الله - عز وجل - عن طريق المرسلين

وجملة الاشتغال كما هو واضح تدل على نفس معنى سابقتها وهي في هذا تساوى جملة

التأكيد وتفترق عنها بملاحظة خصوصية ما بها تكون أوفى دلالة على المقصود من الأولى (

. (٣) .

١- الخطيب القزويني ، الايضاح : ١٥٣ .

٢- الصعدي ، بغية الايضاح : ٧٤/٢ .

٣- د . علي بدر بحوث المطابقة لمقتضى الحال : ٤٢٢ .

وعدم السؤال من قبل المرسلين لهؤلاء الناس (اكثر تلطفاً في اقتضاء اتباعهم) (١)

قال السبكي : ولك ان تقول : اتباع المرسلين واتباع من لا يسأل اجراً ليس

كبدل الاشتغال ومبدل له لان الاتباع الاول لم يشتمل على الاتباع الثاني. بيل وبديل

الاشتغال كبدل البعض في ان وجه منع العطف فيه ان المبدل منه هو هو (٠٠٠٠) (٢)

(في نية الطرح عن القصد الذاتي فصار العطف عليه كالعطف على ما لم يذكر) . (٣)

ولا يخلو بدل الاشتغال والبعض من بيان وايضاح ، ويظهر ذلك في البدل الا فرادى

جليا فانك اذا قلت اعجبني زيد لم يتبين الامر الذي منه أعجبك ، واذا قلت وجهه تبين

وشو بعض من زيد فكان بدل بعض واذا قلت اعجبني الدار حسنها فكذلك الحسن

ليس بعضا فكان بدل اشتغال ، ومن هذا تعلم أن البدل الاتصالي لا يخلو من

بيان (٠٠٠٠٠٠) (٤) .

ومن الامثلة التي ذكرها قول الشاعر :

أقول له ارحل لا تقيم عندنا والا فكن في السر والجهر مسلما

قال الخطيب : (فان المراد به كمال اظهار الكراهة لا قامته بسبب خلاف

سره العلن وقوله (لا تقيم عندنا) اوفى بتأديته لدلالته عليه بالمطابقة مع التأكيد

بخلاف ارحل .

١- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢ / ٤٦٠ .

٢- السبكي ، عروس الافراح : ٣ / ٣٩ ، وانظر اليعقوبي ، مواهب الفتاح شرح التلخيص

٣- حاشية الدسوقي ، وانظر ابن يعقوب مواهب الفتاح (شرح التلخيص) : ٣ / ٣٩ .

٤- حاشية الدسوقي ، وانظر ابن يعقوب مواهب الفتاح (شرح التلخيص) : ٣ / ٣٩ .

والمفهوم عرفاً أنك إذا قلت لـ (ارحل) ان ذلك يتضمن اظهار الكراهة
 لاقامته وكذلك قولك (لا تقيم) ودلالة (لا تقيم) على اظهار الكراهة أوفى لوجود
 نون التوكيد الدالة على شدة الكراهة والتأكيد عليها فدلالة (لا تقيم) على الكراهية
 بالمطابقة العرفية ودلالة (ارحل) بالالتزام العرفي أيضاً (لان طلب الارتحال يقتضي
 عرفاً محبته ومحبته تقتضي كراهة ضده وهو الاقامة) (١) .

وربما يظن أن المثال من باب التوكيد اللفظي في الجمل وليس كذلك لان
 عدم الاقامة الذي هو مطلوب (بلا تقيم) مغاير للارتحال الذي هو مطلوب بقوله
 (ارحل) .

والذي يخرج التوكيد المعنوي من هذا المثال كون الثاني أوفى بالمراد
 ولان التوكيد المعنوي لدفع توهم التجوز لا لمجرد الافادة على وجه يكون فيه المفيد أوفى
 وهو أيضاً غير داخل فيه فلا يكون بدل بعض وهو ظاهر بناً على أن الامر بالشئ يتضمن
 النهي عن الضد) (٢) .

ويمكن اعتبار البيت أيضاً من باب بدل الكل وهذا مبني على أن الامر بالشئ
 عين النهي عن ضده وقد مثل به ابن مالك في التصريح لبذل الاشتغال وهو مبني على

١- الصعدي ، بغية الايضاح : ٢ / ٧٥ .

٢- ابن يعقوب ، مواهب الفتاح : ٣ / ٤٤-٤٥ .

على أن الامر بالشئ * يستلزم النهي عن ضده وقد نقل الصبان عن الدماميني قال :
 (لا تتعين التبعية في البيت لجواز أن يكون مجموع الجملتين هو القول وكل واحدة
 جزء القول) (١) .

قال صاحب البغية عند شرح كلمة العلابسة الواردة في الايضاح : (يريد
 أى الخطيب بهذا تحقيق كون ذلك بدل اشتمال لا تأكيدا ولا بد لبعض من كل ولكنه
 لا يمنع ألا ان يكون تأكيدا لفظيا كما هو ظاهر ولهذا قيل انه يصح أن يكون ما في
 البيت تأكيدا معنويا ، لان عدم الاقامة مغاير للارتحال بحسب المفهوم ولكنه ملازم
 له في الوجود) (٢) .

١- حاشية الصبان على شرح الاشموني : ١٣٢/٣ .

٢- الصفيدى ، بغية الايضاح : ٧٥/٢ .

بدل الكل

وهو بدل الشيء مما يطابق معناه ، ومقاله في المفردات نحو " اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين . . . " ويسمى البدل المطابق . . . (١)

وقد اشرنا فيما سبق الى ان السهلي قد رد بدل البعض وبدل الاشتغال الى بدل الكل

حيث قال : (العرب تتكلم بالعام وتريد الخاص وتخوف المضاف وتنويه فاذا قلت :

اكلت الرغيف ثلثة انما تريد اكلت بعض الرغيف ثم بينت ذلك البعض " . . . (٢)

اما عن سبب عدم اعتبار جملة بدل الكل في هذا الباب يتحدث الخطيب قائلا :

" لان بدل الكل لا ينفصل عن التاكيد الا بان لفظه غير لفظ متبوعه وانه مقصود بالنسبة

دون متبوعه بخلاف التاكيد . . . وهذه كلها اعتبارات لا يتحقق شيء منها فيما نحن

بصدده " (٣)

وقد شرح ابن يعقوب مراد الخطيب القزويني بهذا قائلا :

" ولم يعتبر الخطيب بدل الكل في الجمل التي لا محل لها من الاعراب لانه لا يفارق

الجملة التاكيدية الا باعتبار قصد نقل النسبة الى مضمون الجملة الثانية في البدلية

دون التاكيدية وهذا المعنى لا يتحقق في الجمل التي لا محل لها من الاعراب لانه

لا نسبة بين الاولى منها وبين شيء اخر حتى ينقل الى الثانية فتجعل بدلا من الاولى

وانما يقصد من تلك الجمل استثناء اثباتها . ومعظم اعتبره في الجمل التي لا محل

لها ونزل قصد استثناء اثباتها منزلة نقل النسبة فادخل بدل الكل في كمال الاتصال

ومثل بقوله القائل (قنعنا بالاسود بين قنعنا بالتمر والما *) فاذا قصد الاخبار بالاولى

ثم بالثانية لكون الاولى كغير الوافية لما فيها من ابهام ما والمقام يقتضى الاعتناء بشان

(١) شرح الاشعوني على منهاج السالك الى الهدية ابن مالك : ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٧
 (٢) القزويني : الايضاح ص ١٥٤ . (٣) ابن يعقوب : شروح الطخيمص مواهب
 الفتح ج ٣ ص ٣٩

بشان المخبر به تفصيلا لما فيه من تشويق المخبر او نحو ذلك كانت بدل كل فتحصل من ذلك ان جعل الجملة الواقعة بدل كل من كل دلالة في كمال الاتصال او غير داخله * (١) وهذا يستغنى بالتاكيد عن جملة بدل الكل من الكل كما يستغنى عن النعت بعطف البيان * (٢) وذكر السبكي ان المصنف لم يتعرض لحالة كون الثانية . بمنزلة بدل الكل لانه استغنى عنه بعطف البيان لانه قريب منه . وقال في الايضاح : لان بدل الكل تأكيد الا ان لفظه غير لفظ متبوعه يعنى انه تأكيد معنوي وانه لا يتوافق لفظهما الا بزيادة نحو (لنسفا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة) ولانه مقصود بها دون متبوعه بخلاف التأكيد المعنوي واللفظي (١)٠٠٠ واما بدل الكل في المفردات فان الغرض منه تحقيق النسبة لمدلول اللفظ الثاني لنكته وتقوية ذلك بالنسبة للاول لغرض من الاغراض . ولما صار المقصود الثاني بالذات صار الاول كغير الوافي (٢)٠٠

بدل الغلط

اما بدل الغلط فهو كقولك : ضربت زيدا عمرا . ومثاله في الجمل كقولك : اكرمت زيدا ضربت عمرا وهذا لا يقع في فصيح الكلام ولهذا لم يتعرض له المصنف (الخطيب) . (٣) على انه لو وقع لكان من باب كمال الانقطاع . هذا ولم يقسم السكاكي البدل الى اقسامه المعروفة هذه كما فعل الخطيب بل ذكر امثلة عامة حوله كالبيت المشهور (اقول له ارحل) والايات التي استشهد بها الخطيب قال السكاكي : اما الحالة المقتضية للابدال فهي ان يكون الكلام السابق غير وافي بتمام المراد وايراده او كغير الوافي والمقام مقام اعتناء بشانه اما لكونه مطلوبا في نفسه او لكونه غريبا او فظيحا او عجيبا او لطيفا او غير ذلك مما له جهة استدعاء للاعتناء بشانه فيعيد المتكلم بنظم وافي منه على استئناف القصد الى المراد ليظهر بمجموع القصدين اليه في الاول والثاني أعني

(١) الصعيدي : بغية الايضاح ج ٢ ص ٧٧

(٢) السبكي عروس الافراح من شرح التلخيص ج ٣ ص ٤٦

(٣) ابن يعقوب مواهب الفتح ج ٣ ص ٤٠

(٤) الصعيدي بغية الايضاح ج ٢ ص ٧٧

العبدال منه أو البدل مزيد الاعتناء بالشأن (١)

على أن الامام عبدالقاهر الجرجاني ، يظهر من كلامه أنه يجعل كل كمال
الاتصال من باب التأكيد وان كان يشتمل أحيانا على نوع من البيان ولعل هذا أسهل

من تكلف ما سبق من الفروق بين التوابع في الجمل (٢)

وهذا فيه من تقليل الاقسام وحصر البلاغة ما فيه ، فمن الاولى تركه والاخذ

بالتقسيم المذكور .

عطف البيان

وهو القسم الثالث من أقسام كمال الاتصال وسمي هذا التابع بعطف البيان

لان المتكلم يرجع الاول فيوضحه ويبينه (٣)

ومعنى العطف الرجوع الى الشيء بعد الانصراف عنه (٤)

قال ابن مالك في تعريف عطف البيان :

(فذو بيان تابع شبه الصفة حقيقة القصد به منكشفة) (٥)

١- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١٠ .

٢- الصعدي ، بغية الايضاح : ٢٧٧/٢ .

٣- حاشية الصبان على شرح الاشموني : ٨٥/٣ .

٤- نفس المصدر السابق : ٨٥/٣ .

٥- شرح الاشموني ، منهاج المسالك الى الفية ابن مالك : ٨٥/٣-٨٦ .

فلا صل في عطف البيان كشف الخفاء* وبيان المقصود ، ومثاله في المفردات

: (أقسم بالله أبو خفص عمر) ، فلما كان حفص كناية يقع فيها الاشتراك كثيرا ، احتيج

الى بيان مدلوله باللفظ المشهور وهو عمر . ويخص بعض النحويين عطف البيان بالمعارف

ومنهم من اعتبره في النكرات مثل الكوفيين وعدوا منه (من ماء صديد) وقيل يختص

عطف البيان بالعلم اسما أو كنية ، أو لقبا (..... (١) .

كما نصوا على أن عطف البيان في التقدير من نفس الجملة لثلاث يفوت الربط

على خلاف البدل ، ونذهب الاشموني الى عدم وقوع البيان في الجمل حيث قال نسي

خاتمة الحديث عنه : (يفارق عطف البيان في ثمان مسائل منها : أنه لا يكون جملة

بخلاف البدل فانه يجوز فيه ذلك) (٢) .

قال الصبان وهذا يشكل عليه ما ذكره أهل المعاني في الفصل والوصل من

أن جملة (قال يا آدم) عطف بيان على فوسوس اليه الشيطان) (٣) .

على أن أهل المعاني في فن الفصل والوصل لم يقولوا بوقوعه في الجمل

ولكنهم ينزلون الجملة الثانية منزلة عطف البيان ، بدليل ما يذكره الخطيب القزويني

من قوله فوازنها وازن كذا وكذا . . . كما سيأتي اما المفرد فان عطف البيان يصلح

١- شرح الاشموني ، منهاج السالك الى ألغية ابن مالك : ٨٥/٣ - ٨٦ .

٢- نفس المصدر السابق : ٨٩/٣ .

٣- حاشية الصبان على شرح الاشموني : ٨٩/٣ .

أن يكون بدلا ما لم يعتنع اخلا له محل الاول .

وجواز الامرين باعتبار قصد ين كما يقول الصبان في حاشيته على الاشموني

قال : (فان قصد بالحكم الاول وجعل الثاني بيانا له فهو عطف البيان وان قصد به

الثاني وجعل الاول كالتوطئة له فهو البدل) (١) .

وقد فرق بينهما ابن كيسان قال الزركشي في البررهان : (قال أبو جعفر

النحاس ما علمت أحدا فرق بينهما الا ابن كيسان فان الفرق بينهما ، أن البدل يقرر

الثاني في موضع الاول وكأنك لم تذكر الاول - هذا معناه أن الاول في نية الطرح -

وعطف البيان أن تقدر أنك ذكرت الاسم الاول لم يعرف الا بالثاني وان ذكرت لم

يعرف الا بالا ول فجئت بالثاني مبينا للاول قائما له مقام النعت والتوكيد .

وتظهر فائدة هذا في النداء تقول : (يا أخانا زيد أقبل) على البدل كأنك

رفعت الاول وقلت : يا زيد أقبل فان أردت عطف البيان قلت : زيدا) (٢) .

وواضح من هذا القول أن الفرق يظهر أحيانا في علامات الاعراب من رفع

ونصب وجر ، ويشترط صاحب الكشاف الزمخشري في عطف البيان أن يكون وضوحه زائدا

عن وضوح متبوعه) (٣) .

١- حاشية الصبان على شرح الاشموني : ٣/٨٩ .

٢- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٢/٤٦٤ .

٣- نفس المصدر السابق : ٢/٤٦٤ .

على أن ابن مالك يقول : ان أكثر المتأخرين يتوهمون أن عطف البيان لا يكون الا أخص من متبوعه وليس كذلك فانه في الجوامد بمنزلة النعت في المشتق ولا يمتنع كون المنعوت أخص من النعت (١)

وقد اتفق النحويون على أن البيان والمبين لا يتخالفان تعريفاً وتكثيراً (٢)

وتتزيل الجملة منزلة عطف البيان في افادة الايضاح هو الموطن الثالث من مواطن كمال الاتصال . قال الخطيب : (والمقتضي للتبيين أن يكون في الاولى نوع خفاً مع اقتضاء المقام ازالته) (٣)

وقد مثلوا بقوله تعالى : (فوسوس اليه الشيطان قال : يا آدم هل أدرك على شجرة الخلد وملك لا يبلى) (٤)

فجملة (قال يا آدم) فصلت عن جملة فوسوس اليه الشيطان لكونها تفسيراً وتبييناً له ووازن هذه الجملة في المفردات وزان قولك : (أقسم بالله أبو حفص عمر) فعمر عطف بيان لا بهي حفص لان الكنية يقع فيها الاشتراك كثيراً فيحتاج الى بيان مدلولها بلفظ أشهر وأعلم كعمر مثلاً في هذا المثال وكذلك وسوسة الشيطان تبين بقوله (قال يا آدم بسبب خفاً الاولى) (٥)

-
- ١- ابن هشام ، المغني ٤ : ٦٣٠-٦٣١ .
 - ٢- نفس المصدر السابق : ٦٣٦ بتصرف ٢/٧٦ .
 - ٣- القزويني ، الايضاح : ١٥٣ .
 - ٤- سورة طه ، الآية : ١٢٠ .
 - ٥- ابن يعقوب ، شروح التلخيص ، بتصرف : ٣/٤٩ .

بسبب خفاه الا ولى (..... (١) .

وقد أورد على الاستشهاد بهذه الآية ان جملة (وسوس) معطوفة على جملة

(قلنا للملائكة) في قوله تعالى قبل ذلك . . . (وان قلنا للملائكة) . . . فتكون

في محل جر مثلها .

والحديث عن الجمل هنا التي لا محل لها من الاعراب ورد الاستشهاد

بهذا منظور فيه الى ما قبل تسليط (قالوا) عليه (٢)

وقد مثلوا لعطف البيان أيضا في المفردات بقول الشاعر:

أقسم بالله أبو حفص عمر . . . ما مسها من نقب ولا دبر

فاغفر اللهم ان كان فجر

والنقب ضعف أسفل الخف ، والدبر جراحة الظهر ، ومعنى فجر حنث

والمناسبة أن أعرابيا أتى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال : ان أهلي بعييد

واني على ناقة دبراء ، عجفاء نقباء ، واستحمله ، فلم يحمله فأخذ الوادي فجعل يقول

ان قال الاعرابي اغفر له اللهم ان كان فجر اللهم صدق حتى التقيا فأخذ بيده فقال

ضع عن راحلتك فوضع فاذا هي نقباء عجفاء فحمله على بعيير وزوده وكساه (٣)

ان ترك العطف في عطف البيان لمانع نحوي لا يصح عده من الفصل كالتأكيد

١- ابن يعقوب ، شروح التلخيص : بتصرف : ٤٩/٣ .

٢- عبد المتعال الصعدي ، بغية الايضاح : ٧٦/٢ .

٣- حاشية الدسوقي ، السبكي عروس الافراح : ٤٨/٣ .

والبذل).....(١)

وربما يظن أن هذه الآية من باب عطف البيان في الفعل حيث عطف قال على وسوس لان البيان لا يتم الا باعتبار الفاعل أيضا والمتعلقات فهي من باب العطف

في الجمل).....(٢)

بين البذل وعطف البيان

والفرق بين البذل وعطف البيان فيما نحن بصدده أن عطف البيان لا يتبين فيه المراد من المعطوف عليه ، والبذل فهم معه معنى البذل منه الا أنه لم يف بالفرض كما يظهر من أمثلة كل منهما وأيضا البيان في البذل لم يقصد بالذات بل المقصود تقرير النسبة وعطف البيان المعني به هو التفسير والايضاح لا تقرير النسبة).....(٣)

وان كان في كل من البذل وعطف البيان جانب ايضاح فانه في عطف البيان

حاصل مقصود لذاته في الجملة الثانية أما في البذل فان البيان حاصل غير مقصود

لذاته).....(٤)

١- الصعيدي ، بغية الايضاح : ٧٦/٢ .

٢- ابن يعقوب ، شروح التلخيص : ٤٧/٣-٤٨ . وانظر مختصر السعد على تلخيص

المفتاح : ٤٨/٣ .

٣- شروح التلخيص : ٣٩ .

٤- حاشية الدسوقي بتصرف : ٤٧/٣ .

ويبين السبكي الفرق بينهما بقوله : (فان قلت : اذا كان في الجملة السابقة خفاءً فالاولى غير وافية أو كغير الوافية بتمام المراد وهي حالة البدل فيلزم أن تتخذ حالتها البدل والبيان .

قلت : المقصود في الابدال هو الثاني لا الاول فلهذا كان الاول غير واف أو كغير الوافي ، والمقصود في البيان هو الاول والثاني توضيح له وان اشتركا في أصل خفاء الجملة السابقة (..... (١) .

وقد استغنى بعطف البيان كما مر عن النعت ولم يعتبر هذا الثاني عند الخطيب لدلالته على بعض أحوال متبوعه وقد ذكر السبكي أن ترك الخطيب للوصف لتزليل الجملة الثانية منزلة الوصل كان اقتداءً بالسكاكي ، غير أن السكاكي جعل هذا القسم الأخير (عطف البيان) مما نزلت فيه الثانية منزلة التبيين ولم يقل عطف البيان وكأنه قصد ما هو أهم من عطف البيان والنعت .

والفرق بينهما أن الثانية اذا كانت في معنى الوصف تكون مبهنة لمعنى الاولى المقصودة كالمؤكد ، والمنزلة عطف البيان تدل على ما دلت عليه الاولى بلفظ أوضح ، والمنزلة منزلة الوصف تدل على صفة لاحقة لمعنى الجملة السابقة ، وفي المفردات يختص عطف البيان في الجوامد والنعت في المشتقات (..... (٢) .

١- السبكي ، عروس الافراح : ٦٢/٣ .

٢- نفس المرجع السابق : ٥٢/٣ ، وانظر ابن هشام ، المغني : ٦٣٠-٦٣١ .

وقد نص كل من السبكي وابن يعقوب على أن عطف البيان يداخل كثيرا من
الاقسام الماضية كالبدل ، والتأكيد بحسب الاعتبارات .

قال ابن يعقوب : (ويرد على ما قرره في البيان أن الوجه الذي به صح
البدل يصح لمثله عطف البيان لانه كما قيل ان الفرق بينه وبين التأكيد حاصل بقصد
الاستئناف فصح البدل ، يقال ان الفرق بين التأكيد وعطف البيان يحصل بقصد بيان
الاولى فصح عطف البيان فيتحقق بذلك التعارض بين علة الجواز والنع في عطف
البيان) (١) .

على أن مرجع كثير من هذه الاعتبارات يعود الى قيد المتكلم وهو الذي
يستطيع بيان ما يريد .

شبهه كمال الاتصال

ومن مواظن الفصل ما يسمى بشبهه كمال الاتصال أو الاستئناف البياني
وهو أن تكون الجملة الثانية بمنزلة المتصلة بالاولى والمقتضي لذلك كون الجملة الثانية
جوابا عن سؤال اقتضته الاولى فتتزل الاولى منزلة السؤال وتفصل الثانية عنها كما
الجواب عن السؤال) (٢) .

-
- ١- ابن يعقوب ، مواهب الفتاح : ٤٩٩ ، من شروح التلخيص .
 - ٢- الخطيب القزويني ، الايضاح بتصريف : ١٥٥/١ .

وقد عدّ السكاكي الاستثناف من الحالة المقتضية للقطع قال : (وثانيهما

الحالة المقتضية للقطع - أن يكون الكلام النسابق بفحواه كالمورد للسؤال فتزول ذلك

منزلة الواقع ويطلب بهذا الثاني وقوعه جوابا له فيقطع عن الكلام السابق لذلك وتنزيل

السؤال بالفحوى منزلة الواقع لا يصار اليه الا لجهات لطيفة) (١) .

وسواء قلنا بتزويل الجملة الا ولى منزلة السؤال كما هو رأى الخطيب أو

تنزيل السؤال منزلة الواقع وفصل الجملتين كفصل السؤال عن الجواب فان الخلاف

صورى والشرة واحدة وهي قطع الجملة الثانية عن الا ولى سواء لتضمن الا ولى معنى

السؤال وتنزيلها أو تنزيلها منزلة السؤال الواقع .

وقيل ان الفصل هنا من باب كمال الانقطاع لان جملة السؤال انشاء وجملة

الجواب خبر) (٢) .

ونرده بأن تنزيل السؤال ليس كالسؤال نفسه والجملتان هنا ان نظرا الى

معنيهما فبينهما شبه كمال اتصال وان نظرا الى لفظيهما فبينهما كمال انقطاع لكون

السؤال انشاء والجواب خبر) (٣) .

وسرّ الاستثناف هو كما يقول السكاكي : (وتنزيل السؤال بالفحوى منزلة

١- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١٠ .

٢- الصعيدي ، بغية الايضاح : ٧٩/٢ .

٣- حاشية الدسوقي ، شرح التلخيص على شرح السعد : ٥٣/٣ .

الواقع لا يصار اليه الا لجبهات لطيفة أما لتنبية السامع على موقعه أو اغائه أو لثلا
يسمع منه شيء أو لثلا ينقطع كلامك بكلامه أو لقصد تكثير المعنى بتقليل اللفظ وهو
تقدير السؤال وترك العاطف أو غير ذلك مما يخطر في هذا السلك ، وفيه أيضا دفع
للاستشراف النفسي أن يطول وتقرير للمعنى برفع الشك عنه (١)

وهذا النوع المسمى شبهه كمال الاتصال يداخل كثيرا من أقسام الفصل
والوصل ويمكن القول أن كلا الكمالين - الانقطاع والاتصال - لا غنى لاي منهما عن شبه
كمال الاتصال وكذلك شأن شبه كمال الانقطاع قد يتأتى فيه أيضا شبه كمال الاتصال
متى أريد البحث عن سر ارتباط الجملة الثانية بالاولى (٢)
والاستئناف كما يقول ابن يعقوب : (هو الاتيان بمستقل في جميع أجزاء

تركيبه عما قبله) (٣)

والاستئناف البياني يختلف عن الاستئناف النحوي فالاستئناف النحوي يشمل
الجملة الابتدائية التي تسمى بالاستأنفة ويشمل الجمل المنقطعة عما قبلها نحو (مات
فلان رحمه الله) أما الاستئناف البياني فهو مخصص بما كان جوابا لسؤال مقدر (. (٤)

-
- ١- الاستاذ عز الدين علي السيد ، الحديث النبوي من الوجهة البلاغية : ٢٢٠ .
٢- د . علي البدوي ، بحوث مطابقة لمقتضى الحال صورها وعلاقتها بالنقد الادبي
الحديث : ٤٢٧ .
٣- ابن يعقوب ، شروح التلخيص : ٥٦-٥٧ .
٤- ابن هشام ، المغني : ٤٢٧-٤٢٨ .

ويكثر الاستئناف في الجمل المصدرية بالقول كما يقول الامام عبد القاهر
وهذا الفن المسمى بشبه كمال الاتصال يعتمد كما قر العلماء على السؤال المقدر
في الجملة الاولى وكأن الجملتين ثلاثة جمل في الاصل حذف منها جملة السؤال لتتصل
الجملتين الاولى والثانية مع بعضها البعض وحذف السؤال المقدر هذا من أسرار
الاستئناف وقد ساء بعض العلماء . . . (الوصل بالمحذوف ، وله فوائد منها صرف
الذهن عن أمور لا يعلق بها الفرض ومنها الابقاء على القوة الذهنية وجمعها مسن
التفرق وغالبا ما يكون ذلك في القصص القرآني .

وهذا مثال نسوقه اليك عن أحد الكتاب قال : (لم أجد في كلام تقريب
البعيد كما وجدت في القرآن يحذف من القصة أمور لا يكاد يحذفها أحد ويوصل
الطرفين .

والفرض ليس الا صرف الذهن عن أمور لا يتعلق الفرض به ولكيلا يضيع قوة
الذهن ويتفرق سمته كما ترى في قوله تعالى : (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى
قال يا قوم لتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) . . . (١) .
ففضب قومه وتآمروا عليه فقال : (ومالي لأعبد الذي فطرني واليه ترجعون) فقالوا أترك
آلهة كما نعبدها نحن وآباؤنا وتتخذها واحدا) . . . (٢) .

١- سورة يس ، الآية : ٢٠-٢٧ .

فقال : (أتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تنفني عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين) ثم التفت الى المرسلين قائلا ((١) اني آمنت بربكم فاسمعون ، فاذا آمن اشتد غضب قومه وألقوه في عذاب) (٢) فأرسل الله جنده من السمء فقلب العذاب عليهم ونجاه منه ثم قيل له ادخل الجنة (٣) فحينئذ ملا قلبه من الشكر لله لنفسه (٤) ومن الحسرة لقومه فهتف قال : يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . قال الكاتب فهذا باب الوصل بالمحذوف وان تأملت في ذلك علمت أن في الحذف فائدتين أخريين :

الاولى : حذف ما يستكره ذكره ومن ذلك حذف أقوال الكفار وأفعالهم .

والثانية : حذف ما فيه الشغب والسرعة فحذفه أبلغ وأوضح دلالة على ما في

أصل الواقعة من كيفية القول والفعل (..... (٥) .

وستطيع أيضا من خلال هذا المثال تقدير أسئلة أكثر تناسب مقام الاستئناف

البياني خاصة في الآيات الثلاثة الاولى على أن تقدير السؤال والجملة قبل قوله

تعالى على لسان الرجل (وما لي لا أعبد) . . . لا يدخل معنا في هذا الباب لوجود

-١

-٢

-٣

-٤

٥- المعلم الغراهي ، جمهرة البلاغة : ٦٢-٦٣ .

حرف الواو

قال الزركشي في البرهان : واعلم ان كل جملة صدرت بأن مفيدة للتعليل

وجواب سؤال مقدار فان الفاء يصح ان تقوم فيها مقام (ان) مفيدة للتعليل حسن

تجربتها عن كونها جوابا للسؤال المقدر (١)

ويتضح ذلك من خلال الامثلة التي ساقها فن ذلك قوله تعالى (اتقوا ربكم ان زلزلة

الساعة شيء عظيم) (٢) قال : امرهم بالتقوى ثم علل وجوبها مجيبا لسؤال

مقدر بذكر الساعة واصفا لها بأهول وصف ليقدر عليه الوجوب وكذا قوله تعالى (ولا

تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغفون) (٣)

أى : لا ترضي في شأنهم واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك لانهم محكوم

عليهم وقد جف به القلم لا سبيل الى كفه عنهم .

ومثله في النهي عن الدعاء لمن وجبت شقاوته قوله تعالى : (يا ابراهيم

اعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود) (٤)

ومنه قوله تعالى : (وما أبرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا من رحم

ربي ان ربي غفور رحيم) (٥)

١- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ٤٠٦/٢ - ٤٠٧ .

٢- سورة الحج ، الآية : ١ .

٣- سورة هود ، الآية : ٤٧ .

٤- سورة هود ، الآية : ٧٦ .

٥- سورة يوسف ، الآية : ٥٣ .

فان قوله تعالى : (ما أبرئ نفسي) أوردت للمخاطب كيف لا ينزه نفسه

مع كونها مطمئنة زكية ؟

فأزال حيرته بقوله تعالى : (ان النفس لا مارة بالسوء) في جميع الاشخاص

بالسوء الا المعصوم) (١) .

وواضح الاستئناف من الامثلة السابقة وسهولة تقدير السؤال الموجب لذلك .

أقسام الاستئناف

الاستئناف بالنظر الى السؤال الناتج عن الجملة الاولى يقسم في عرف

أهل المعاني الى ثلاثة أضرب السؤال عن السبب العام وذلك حينما يكون السائل

جاهلا في أصل السبب خالي الذهن منه ومثلوا له بقول الشاعر :

قال كيف أنت قلت وعليك سهر دائم وحزن طويل . . (٢) .

والسؤال المقدر : ما بالك عليلا وما سبب علتك ؟ أنا عليلا اقتضت سوءا

من السائل وهو ما بالك عليلا وما سبب علتك ؟ فيأتي الجواب سهر دائم وحزن طويل .

١- الزركشي ، البرهان : ٤٠٦/٢ .

٢- لا يعرف قائله ، الصعدي ، بغية الايضاح : ٧٩/٢ .

على أن هذا الشاهد يخرج من باب الاستدلال معنا بقولنا : ان قوله

سهر دائم وحزن طويل من باب الخبر بعد الخبر أو بدلا من عليل ، أما على تقدير

: حالي سهر ، فالشاهد كما هو (١)

قال الصعدي ولا شاهد في قوله كيف انت قلت عليك ، للاستثاف للتصريح فيه

بالسؤال (٢) والصحيح انه لا شاهد في ذلك اذا اعتبرنا الحديث متوقف

بين جمليتي كيف انت وجملة قلت عليل ، لان الثانية جواب السؤال الاول اما اذا قلنا

ان جملة قلت عليل تقتضي سؤال وهو ما سبب علتك ؟ يكون الشاهد معنا على ما هو عليه

ويمكن حمل المثال على النوع الثاني من الاستثاف ، السوء ال عن السبب الخاص ، اذا

قدرنا السؤال : هل سبب علتك السهر الدائم والحزن الطويل ؟ فيكون الجواب نعم

سهر دائم وحزن طويل . الا ان التقدير الاول اولى بالاعتبار لأن المعرف والعادة أنه

اذا قيل فلان مرض ان يسأل عن سبب مرضه عاما (٣) والسؤال عن السبب

العام يطلب تصور السبب للجهد به فهو من باب التصور ، والسؤال عن مطلق السبب

لا يؤكد : لكون السائل خال الذهن عندئذ .

ويخرج المثال ايضا الى السؤال لا عن السبب الخاص ولا العام اذا قدرنا

السؤال (ما ترتب على علتك فأجاب سهر دائم وعلى هذا لا يكون سؤالاً عن السبب

١- الصعدي ، بحية الايضاح : ٢ / ٧٩ .

٢- نفس المصدر السابق : ٢ / ٧٩ .

٣- شروح التلخيص بتصريف : ٣ / ٥٨ .

بل يكون من القسم الثالث (..... (١) .

ثانياً: السؤال عن السبب الخاص للحكم : ويطلب به التصديق وغالباً ما يؤكّد

لتردد السائل في تعيين الاسباب بخصوصها ومثاله قوله تعالى : (وما أبرئ نفسي

ان النفس لا مارة بالسوء) والسؤال المقدر هل النفس اشارة بالسوء ؟ بقرينة التأكيد

ولا مانع من كونه سوءاً عن السبب العام (..... (٢) .

ومن قوله تعالى : (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) بعد قوله (واصنع

الفلك) يشير الى الحكم بالاغراق فكان المخاطب مستشرقاً له ومنزلة المتردد فيه ولهذا

أكد له الخبر أنهم مغرّقون (..... (٣) .

وضابط السبب العام والخاص هو ان الجملة السابقة المقتضية للسؤال أو

سياقها اذا لوحا بالاستثناف ، فالسؤال المقدر عن سبب خاص ، والا فهو سبب عام

فقول الشاعر في البيت السابق قال لي كيف أنت لا يدل الاعلى وجود علة مستدعية لسبب

ما وقوله تعالى : (وما أبرئ نفسي) يتصرف الذهن فيه الى سبب خاص هو اشارة

بالسوء (..... (٤) .

وغالب السبب الخاص أن الجملة مؤكدة على خلاف السبب العام وما جا

١- السبكي ، عروس الافراح : ٦٠/٣ ، شرح التلخيص .

٢- د . علي البدوي ، بحوث المطابقة لمقتضى الحال : ٤٣١ .

٣- نفس المصدر السابق : ٤٣١ .

٤- الصعدي ، بغية الايضاح : ٨٠/٢ .

غير مؤكدة والسبب فيه خاص قول الشاعر الفرزدق :

إذا ما الدهر جر على أناس كلا كله أنساخ بأخـرنا
فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتين كما لقينا

فجملته (سيلقى الشامتين) غير مؤكدة (..... (١) .

ثالثا : من أقسام الاستئناف السؤال عن شيء ليس عام ولا خاص وهو قسمان :

أ- السؤال عن شيء عام ليس سبب وهو حكم يقتضي المقام السؤال عنه ومن

أمثلته قوله تعالى : (هل أتاك حديث إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا

سلاما قال سلام قوم منكرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقره اليهم قال ألا

تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم) (٢) .

فجملته (قال سلام) فصلت عن قولهم (قالوا سلاما) لاقتضائها سؤالا وهو

لماذا قال إبراهيم أو ماذا رد عليهم ، وهذا السؤال المقدر ليس عن سبب السلام ولا

لماذا كان جوابه سلام على الخصوص فهو سؤال عن غير السبب عام ولا خاص .

ومن الأمثلة الشعرية قول أبي الطيب المتنبي :

وما عفت الرياح له محـلا عفاه من حدا بهم وساقا

والسؤال المقدر فما عفاه ؟ وليس ما سبب عفاه ؟ ولا هل الذي عفاه الحادي ؟

فالسؤال عن أي شيء عفاه لا عن سببه ولا بخصوص الحادي .

١- ر . علي البدوي ، بحوث المطابقة : ٤٣٢ .

٢- سورة الذاريات ، الآية : ٢٨ .

وقول الشاعر الوليد بن يزيد الاموي :

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوالي
عفا كل حنان عسوف الويل هطال

فانه لما قال - وكان العفاً ما لا يحصل للمنزل بنفسه كان مظنة أن يسأل

عن الفاعل (.....) (١) .

والسؤال عن شيء عام ليس سبب ، لا يقتضى تأكيد الحكم كما هو واضح

بدالسؤال عن شيء خاص ليس سبب وهذا يأتي مؤكداً أحياناً وقد مثلوا له

بقول الشاعر :

ففنها وهي لك الفداء ان غناء الابل الحدا

قال د . علي البدوي : (فليس السؤال هنا عن سبب عام أو خاص فكون

غناء الابل الحدا ليس علة الأمر بالغناء وإنما علتها حمل الابل على الاسراع في السير

والسؤال المقدر هو : هل غناء الابل الحدا ؟ (.....) (٢) .

ولا يمنع عندي من كون هذا الشاهد دليل على السؤال عن السبب الخاص

وذلك لانا نمنع أن يكون المقصود هنا مطلق الغناء بل هو غناء الابل بدليل قوله

ففنها والضمير يعود للابل وهذا مدعاة ليتساءل الرجل يا ترى ما غناء الابل هل هو

١- الصعیدی ، بغية الايضاح : ٨٢ .

٢- د . علي البدوي ، بحوث المطابقة : ٤٣٤ .

الحداء* وهذا من باب السؤال عن السبب الخاص المقتضي للتأكيد لانه سؤال عن التصديق وقال البدوي : (وان هذا النوع - السؤال عن شيء خاص ليس سببا - لم يمثل له الخطيب ونقده العصام ان يضع قاعدة دون أن يمثل لها) (١) .
 ونقول أن الخطيب في كتاب الايضاح لم يقسم السؤال عن شيء ليس سببا الى قسمين بل اعتبرهما شيئا واحدا وقسما واحدا ، ومثل له بقوله تعالى : (قالوا سلاما) .

زعم العوانل أنني في غمرة صدقوا ولكن غمرتي لا تتجلي

وقول الشاعر:

زعم العوانل أن ناقة جندي بجنوب خبت عريت وأجمت

كذب العوانل لورأينا مناخنا بالقادسية قلن لج وذلت

وقول الوليد بن يزيد :

عرفت المنزل الخالي عفا من بعد أحوالسي

عفا كل حنلان عسوف الوال هطال . . (٢) .

١- د . البدوي ، بحوث المطابقة : ٤٣٤ .

٢- القزويني ، الايضاح : ١٥٦ - ١٥٧ .

وخلاصة هذه التقسيمات أن الاستئناف قد يكون جواباً عن السبب العام ، وهذا الغالب فيه أن لا يؤكّد ، وقد يكون جواباً عن السبب الخاص والغالب فيه التأكيد ، وقد يكون عن شيء عام أو خاص وهذا يأتي مؤكّد وغير مؤكّد . قال د . علي البدوي : (ومدار التأكيد وعدمه على أن الاستئناف من شأنه أن يتردد فيه أولاً) (١) .

صور الاستئناف

١- إعادة اسم أو صفة المتحدث عنه انظر إلى هذا المثال في قولك : أحسنت إلى زيد حقيق بالاحسان تجد ان الجملة الثانية المصدرية يزيد فصلت عن الأولى لشبه كمال الاتصال ، وإذا حللنا المثالين نجد أن اسم المتحدث عنه وهو زيد ذكر في الجملتين نهما وهذا نوع من الصور التي يأتي عليها الاستئناف وتسمى بإعادة اسم المتحدث عنه .

وربما ذكروا صفة من صفات المتحدث عنه كقولك : (أحسنت إلى زيد صديقك

القديم ، أهل لذلك) وهذا ابلغ لا نظوايه على بيان السبب) (٢) .

١- د . بدوي ، بحوث المطابقه : ٤٢٦ .

٢- القزويني ، الايضاح : ١٥٨ .

أى السبب الذى من أجله كان الاحسان . والذى أراه أن ذكر الاسم والصفة لا يكون أبلغ الا اذا اقتضاه المقام فرما المقام اقتضى ذكر نفس الاسم كأن يكون مرغوبا أو يتلذذ في سماعه أو التبرك به . . . الخ .

ومن الامثلة أيضا قولك : (أثبتت على الراشدين - رضي الله عنهم - أصحاب رسول الله - (صلى الله عليه وسلم) جد يرون بالثناء) (١) .

ومن الامثلة القرآنية ، قوله تعالى في أول سورة البقرة : (ألم . . . هدى للمتقين) وتستأنف (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) . قال السكاكي : (وانه أدخل في البلاغة - يعني الاستئناف - لكون الاستئناف على هذا الوجه منظوما على بيان الموجب لا اختصاصهم بما اختصوا به على نحو ما نقول : (أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل منك لما فعلت) (٢) .

والسؤال المقدر هنا وفي الامثلة هذه قياسا على هذا السؤال لماذا أحسنت اليه ؟ وهو عن السبب العام ، وأهل حقيق بالاحسان ، عن السبب الخاص (٢) .

ومن صور الاستئناف أن يحذف صدره أى صدر ما استأنف عنه الحديث ومثاله :

قال تعالى (يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن

١- ج . بدوى ، بحوث المطابقة : ٤٣٦ .

٢- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١٥ .

٣- مختصر السعد على تلخيص المفتاح : ٦٣/٣ .

ذكر الله (.....) (١) .

وذلك على القراءة التي تنهي الفعل فيها للمجهول وتقدير السؤال هنا

من يسبحه فيكون الجواب يسبحه رجال .

وهذه الجملة مستأنفة حذف صدرها ، وتعام الجملة الاولى عند قوله تعالى :

(والآصال) ويتضح من السؤال أنه من غير السبب العام أو الخاص ، أما على قراءة البناء

للمعلوم فالآية جملة واحدة ورجال فاعل هذه الجملة (.....) (٢) .

ومن أمثله التي ذكروها : (نعم الرجل أوجلازيد) على تقدير هو زيد ،

على اعتبار أن المخصوص بالمدح خبر مبتدأ محذوف تقديره هو ، وكان سائلا يسأل من

هذا الرجل ؟ من المخصوص بالمدح ؟ فتقول زيد ، وإذا قدرنا المخصوص مبتدأ حذف

خبره ، كان من حذف عجز الاستئناف لا صدره (.....) (٣) .

ومن صور الاستئناف ، أن يحذف كله ويقام ما يدل عليه مقامه مثال قول الشاعر :

وقد زمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقاها أو عليها فجورها

والتقدير : هل يضرها ؟ والجواب لا يضرها . وجملة الجواب هذه جملة

الاستئناف المحذوف بجزئيتها المسند والمسند اليه ، أما الجملة الموجودة (لنفسي تقاها)

أو عليها فجورها فهي كما هو موضح من خلال البيت تعليل لذكرك المحذوف ، وكان أحدا

١- سورة النور ، الآية : ٣٧ .

٢- علي بدوي ، بحوث المطابقة بتصريف : ٤٣٦-٤٣٧ .

٣- الصعدي ، بغية الايضاح : ٨٣/٢ .

سأل لماذا لا يضيرها هذا ، وكان الجواب لنفس تقاها . فيكون في البيت استثنافات

الثاني منهم لماذا ؟ للنفس تقاها او عليها فجورها (١)

ومن الامثلة :-

لهم الف وليس لكم الاف

زعمتم ان اخوتكم قريش

وقد جاءت بنوا اسد وخافوا (٢)

اولئك اومنوا جوعا وخوفنا

حذف الجواب الذي هو كذبتم في زعمكم واقام قوله لهم الف وليس لكم الاف

مقاه لدلالته عليه ويجوز ان يقدر قوله : لهم الف وليس لكم جوابا لسؤال اقتضاء الجواب

المحذوف وكأنه قال المتكلم اكد بتم ؟ قالوا لم كذبنا ؟ قال : لهم الف وليس لكم الاف

فيكون في البيت استثنافات (٣)

ومن صور الاستئناف المحذوفون قيام شيء مقاه سوى وجود القرائن الدالة

عليه ، وذلك كقوله تعالى : (نعم العبد) (٤) وتقدير السؤال من هو ؟ والجواب

هو أيوب وقوله تعالى : (فضع الماهدون) (٥) والسؤال من هم ؟ الجواب

هم نحن ، ويمكن اخراج النوع الاخير من باب الاستئناف على اعتبار فضع الماهدون

خبر مقدم ونحن مبتدأ .

١- ج . بدوى ، بحوث المطابقة : ٤٣٧ .

٢- الشاعر مساور بن هند العبسي في هجاء بني اسد وتكذيبهم في انتسابهم الى قريش
الصعيدى يغبة الايضاح : ٨٣ .

٣- نفس المصدر السابق : ٨٣ / ٢ - ٨٤ .

٤- سورة ص ، الآية : ٤٤ .

٥- سورة الذاريات ، الآية : ٤٨ .

قال السبكي : ولك ان تقول الفصل لا يعقل الا بين كلامين منطوق بهما فاذا

كانت الجملة المستأنفة عما قبلها محذوفه فكيف يسمى ذلك فصلا الا ان يقال :

المصنف استطرده الى انواع الجملة المستأنفة ولم فصلا فليس من هذا الباب . (١)

الفصل الثاني

وطن الوصل



الفصل الثاني

مواطنن الوصل

الوصل لرفع ايها خلاف المقصود

انظر الى هذه الحكاية (وحكي صاحب المغرب عن ابي بكر رضي الله عنه انه مر برجل في يده ثوب فقال الصديق قومت السنتم لو تستقيمون لا تقل هكذا قل عافاك الله لا .

وحكاة الزمخشري في ربيع الا برار فقال : ان الصديق قال له قل لا وبرحمك الله (..... (١) .

لا أحد يشك ان الرجل اردا الدعاء لا بي بكر مع بيان انه لا يرغب في البيع الا ان كلامه خرج مخرجا عكسيا تماما فبدل الدعاء له اصبح الدعاء عليه وذلك بسبب مباشرة (لا) التي هي جزء الجملة الخبرية (لا ابيع) الجملة الانشائية الدعائية (عافاك الله) ومع أن الجملتين مختلفتين خبرا وانشاءً والقطع بينهما واجب الا ان هذا القطع يقيد عكس المقصود وخافه وحتى يصب المعني المقصود نتبع ما يلي :-

اما نذكر الجملة الخبرية الكاملة بهذا الترتيب اولا ابيع ايدك الله ، او عكسه ايدك الله لا ابيع .

اونؤ خر جزء الجملة الخبرية كما في الرواية الثالثة القول الصديق رضي الله عنه ايدك الله لا ، واما ان تقول لا ثم نتوقف ثم نقول ايدك الله وهذا لا يظهر في الخط

وأما نجعل هناك واصلاً بين الجملتين كالواو وهذا الأخير يسمى عند البلاغيين الوصل لرفع الإيهام خلاف المقصود وهو شبه عكس الفصل في شبه كمال الانقطاع وقد تحدثنا عنه قول الشاعر (وتظن سلمى أنني) .

قال الخطيب وهذا عكس الفصل للقطع وقد اختلف في هذه الواو ف قيل (أنها واو عطف وقيل زائدة وقيل استئنافية) (١) .

وعند السبكي (أنها زائدة وليس عاطفه زيدت لرفع التوهم وتفيد معنى التأكيد وقيل أنها عاطفه والمعطوف محذوف التقدير لا وأقول أكرم الله) (٢) .
ولا مانع أن نسمى الواو واو دفع التوهم بغض النظر أي شيء آخر .

وروى أن هارون الرشيد سأل وزيره عن شيء فقال : لا وأيد الله الخليفة فلما بلغ ذلك لصاحب بن عباد قال : هذه الواو حسن من الواوات في حدود الملاح (٣)

التوسط بين الكمالين

ومن مواطن الوصل أن تتوسط الجملتين بين كمالين الانقطاع والاتصال بميمنى آخران لا يكون هناك مانع من اعتبار وجود حرف العطف .

وإذا نظرنا إلى آية جملة نجدها تتكون من مسند ومسند إليه وقیود فإذا اردنا

- ١- الصعیدی ، بغية الايضاح : ١٥٩ .
- ٢- السبكي ، عروس الافراح : ٨٤ .
- ٣- احمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغه : ١٩٦ .

ان نعطف جملة على اختها بحرف العطف لا بد ان يكون بين اجزاء الجملتين الاساسيتين (المسند والمسند اليه) نوع من التغاير في المعنى من جهة وهذا لوقع كمال الاتصال ونوع من التناسب من جهة اخرى وهذا لرفع كمال الانقطاع مع قصد التشريك .

وهذه الحالة هي المسماة بالتوسط بين الكالين ، والتناسب كما مر معنا نقصد به أمراً فوق التناسب العام او ما يسمى بالجامع عند اهل هذا الفن .

وعندئذ يتحقق العطف بين الجملتين واعتبار الوصل عائد لوجود مناسبة بين المسند والمسند اليه في كلا الجملتين المتعاطفتين (اما بالنسبة للمتعلقات فلا عبارة للجامع فيها ان لم يكن القيد مقصودا بالذات في الجملتين) (١)

وتتحقق هذه الاعتبارات بأن تتفق الجملتان المراد الوصل بينهما خبراً او

انشاءً والمعتبر في الاتقاق المعنى لا اللفظ ، وصور الجمل على هذا الاساس اى على

اعتبار المعنى واللفظ ستة صور حسب ما تقتضيه القسمة العقلية فهما اما خبريتان معنى

ولفظاً او معنى احدهما انشائي لفظاً او خبريتان معنى انشائيتان لفظاً واما انشائيتان

لفظاً ومعنى ، وواحداهما خبرية لفظاً انشائية معنى او انشائيتان معنى خبريتان لفظاً

واليك امثله ذلك :- الحملتان الخبريتان لفظاً ومعنى ذلك كقوله تعالى (ان الابرا

لني نعيم وان الفجار لني جحيم) (٢)

١- ابن يعقوب ، مواهب الفتح : بتصرف : ٣ / ٧٨ .

٢- سورة الانفطار ، ايه : ١٣ - ١٤ .

فالمسند اليه في الجملة الاولى يقابل المسند اليه في الجملة الثانية وكذلك المسند
ومعنى الاولى يفاير معنى الثانية مع قصد التشريك وهناك ملاحظة وهي : ان هناك
تناسب بين الجملتين في الاسمية والجامع بينهما شبه التضاد .

والجملتان الانشائيتان لفظا ومعنى : قوله تعالى (كلوا واشربوا ولا تسرفوا)
..... (١) فالاكل والشرب وعدم الاسراف قضايا تتصل ببعضها اتصالا وثيقا اذا ذكر
احداها استدعى الاخر فهي متقارنة في الخيال بالاضافة الى أن ضمير المخاطبين
بالاضافة الى ان ضمير المخاطبين الثلاثة واحد هو المسند اليه (..... (٢)
وكذلك يجمعها الانتفاع مع عدم الضرر (..... (٣) .

ومثال الجملتين الانشائيتين معنى واحداهما خبريه لفظا قوله تعالى : (وان
اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى
والمساكين وقولوا للناس حسنا) (٤) فجملة لا تعبدون خبرية لفظا انشائية
معنى لا تعبدون وجملة قولوا للناس حسنا انشائية لفظا ومعنى ، اما قوله تعالى
وبالوالدين احسانا (فتحتمل الانشائية معنى ولفظا على تقدير واحسنوا بالوالدين
وتحتمل الانشائية معنى الخبرية لفظا على تقدير وتحسنون وبالوالدين والتقدير الثاني
أولى لدلالته على ان القوم قد سارعوا للامتثال للامر وكأنه اصبح خبرا بسبب ذلك

١- سورة الاعراف الآية : ٣١ .

٢- ابن يعقوب ، مواهب الفتح شرح التلخيص : ٢ / ٧١ .

٣- على البدوي ، بحوث المطابقة : ٤٠٩ .

٤- سورة البقرة : الآية ٧٣ .

قال ابن يعقوب : ويترجح هذا التقدير (وتحسنون) بوجهين احدهما :

موافقه المعطوف عليه لفظا والاخر الالمام الى المبالغة في تأكيد الطلب حتى كان

المخاطب سارع او يسارع الى الامتثال فهو مخبر عنه بهذا الاعتبار لا مأمورا اظهارا

لكمال الرغبة ، ويحتمل ان يكون وجه المبالغة الالمام الى ان الاليف بحال المخاطب

ان لا يؤمر بهذا بل الاليق به ان يخبره عنه لكون ذلك انسب بماله (.....) (١)

والجامع بين هذه الجمل الثلاث التماثل او شبهه فمعانيهما من فضائل الاعمال (.....) (٢)

والمسند اليه فيها متحد وتخصيص الله بالعبادة والا حسان للوالدين وقول الحسن

للناس اتحدث في انها مأمور بها ، واخذ الميثاق عليها ، ولا مانع من اعتبار الجامع

فيها خيالي باعتبار المكلفين المخاطبين بالتكليف الشرعية (.....) (٣) .

ومثال الجملتين الانشائيتين لفظا الخبريتين معنى ، قول بعضهم الم

امرك بالتقوى ، وألم اموك بترك الظلم (.....) (٤) -

ومثال الجملتين احدهما انشائية لفظا خبرية معنى قوله تعالى (الم نشرح

لك صدرك ووضعنا عنك وزرك) (.....) (٥) ولجامع بينهما خيالي كونها من نعم

الله عليه سبحانه وتعالى .

١- ابن يعقوب ، مواهب الفتح شرح التلخيص : ٧٣ .

٢- نفس المصدر السابق : ٧٦ .

٣- نفس المصدر السابق : ٧٦ .

٤- نفس المصدر السابق : ٧٦ .

٥- سورة الانشراح ، الاية : ١- ٢ .

عطف مضمون القصة

ومن التوسط بين الكمالين ما يأتي بأكثر من جملة بمعنى آخر من عطف مجموعة
جمل على مجموعة أخرى وقد بينا هذا عند الزمخشري والجرجاني ويسمى بعطف القصة
على القصة .

انظر قوله تعالى (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوبسورة من مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم
جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من
قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) (١)
هذه الايات من سورة البقرة تتحدث عن التحدي في مطلعها وعقاب الكافرين وشواب
المؤمنين ، واذنا بحثنا عن الروابط بينها نجد انه من السهل القول ان (فاتوا)
جملة جواب الشرط (وان كنتم) جملة فعل الشرط وجملة ادعوا شهداءكم معطوفة على
جواب الشرط وكذلك الحال في فان لم تفعلوا وجملة فاتقوا النار : اما قوله تعالى :-
(وبشر المؤمنين الذين امنوا) فاذا ما اردنا ان نبحث على اي شيء عطف ، وهل لها
مسوغ العطف ام لا نقع في اشكالات فهذا الجملة (وبشر) لا يصح عطفها على جملة

(فأتوا) وذلك لانه لا مناسبة بينهما ولأن جملة (فأتوا) مقيدة بالجار والمجرور بعده

(بسورة) ولا يجوز تقييد (وبشر) بهذا القيد (..... (١) .

وإذا اردنا ان نعطفها على قوله تعالى : فاتقوا النار) نجد ان المناسبة

ايضا فيها نوع من البعد بالاضافة الى ارتباط فاتقوا النار) بجملة الشرط (فان لم

تفعلوا) (..... (٢) .

واعتبر السكاكي العطف هنا على (قل) المراد قبل : يا أيها الناس اعبدوا

ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم) لكون ارادة القول بواسطة انصباب الكلام الى معناه

غير عزيزة في القران وعد منه ايضاً قوله تعالى : (وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا)

(أي وقلنا او قائلين كلوا) و (وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم كلوا واشربوا) (..... (٣) .

وقلنا او قائلين كلوا واشربوا) (..... (٤) .

اما الخطيب القزويني فعنده أن (وبشر) معطوفة على مقدر يدل عليه ما قبله

وهو فأنذرا ونحوه اي فأنذرههم وبشر الذين آمنوا) (..... (٥) .

١- د. علي البدوي ، بحوث المطابقة : ٤٨٠ .

٢- نغص المصدر السابق : ٤٨٠ .

٣- سورة البقرة ، الاية : ٦٠ .

٤- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١٣ .

٥- القزويني ، الايضاح : ١٦١ .

وللزمخشري في هذه الآية رأيان يظهر من قوله حيث قال : (. . . ليس
الذي أعتمد بالعطف هو الا مر حتى يطلب له كل من أمر ونهي عليه انما المعتمد
بالعطف جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما
تقول : زيد يعاقب بالقيد والا رهاق وبشرعرا بالعفو والا اطلاق .

ولك أن تقول هو معطوف على قوله : (فاتقوا) كما تقول (يا بني تميم
احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني أسد باحساني اليهم) (١) .

وانا تتبعنا هذه الاقوال تجد أن في قولي كل من السكاكي والخطيب نوع
من الضيق في الافق فالعطف عندهم لا يتجاوز عبارة على أخرى ، وقول الزمخشري
الثاني بينا أنه فيه نوع من الاستبعاد ويبقى القول الراجح عندي وهو أن هذا من
باب عطف السياق على السياق والقصة على القصة وهو ما عبر به الزمخشري بجملة وصف
ثواب المؤمنين على جملة عقاب الكافرين .

ومثل هذا النوع من العطف لا يستلزم خاصة بين أفراد الجمل الداخلة

فيه فلا تكلف لعنا* البحث عن معطوف عليه أو عن معطوف .

وانما يكتفى فيه بمناسبة خاصة بين المضمونين حتى يجي* الوصل بينهما .

وكأن معنى القستين : الكفار لهم النار وقودها الناس والحجارة ، والمؤمنون لهم

جنات تجرى من تحتها الأنهار) (١)

وقد تحدثنا عن هذا النوع عند عبد القاهر الجرجاني عند قوله تعالى :

(وما كنت ثابِتًا في أهل مدين) ومن الأمثلة القرآنية على عطف القصة قوله تعالى :-

(إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم أزواجهم في ظلل على الأراك

متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم ، وامتازوا اليوم أيها

المجرمون) (٢)

ومن الأمثلة الشعرية :-

أن الكبير إذا تناهت سنةً أعيت رياضته على الرواض

وإذا دفعت إلى الصغير فانما تكفيك منه إشارة الأيماض

فكأنه قال : إن الكبير تعي رياضته والصغير تسهل رياضته فيهما مناسبة

واضحة وهي مسوغ العطف بينهما) (٣) والخلاصة أن عطف القصة على القصة

يمكن اعتاده في السياقات العامة التي يصعب تقدير معطوف عليه فيها وهو عندنا أولى

من تقدير المعطوف القريب .

١- د . علي البدوي ، بحوث المطابقة : ٤١١ .

٢- سورة يس ، الآية : ٥٥-٥٩ .

٣- د . علي البدوي ، بحوث المطابقة : ٤١٣ .

محسنات الوصل

قال الخطيب : (ومن المحسنات الوصل تناسب الجملتين في الاسمية والفعلية في المضي والمضارعة الا لمانع كما اذا أريد بأحدهما تجدد ا وبالاخرى الثبوت كما اذا كان زيد وعمرو قاعدين ثم قام زيد دون عمرو) وقلت (قام زيد وعمرو قاعد)
 كما سبق (..... (١) .

ويمكن النظر في الجملتين المتعاطفتين بعد ثبوت العلاقة المصححة من وجود الجامع والمناسبة .

والجملتان المتعاطفتان بعد ثبوت العلاقة المصححة للعطف من قصد التشريك ووجود الجامع والمناسبة يمكن النظر اليهما من وجه آخر وهو تناسبها في الاسمية أو الفعلية سواء كانتا ماضويتين أو مضارعتين ، وكذلك من جهة التقيد وعدمه وهذا ما يزيد الوصل حسنا فمثال التناسب في الاسمية قوله تعالى : (ان البرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) فالأبرار اسم ان كذلك الفجار اسمان والخبر في كلتا الجملتين جار ومجرور داخله عليه لام المزحلقة .

ومن الامثلة الشعرية :

أسود اذا ما أبدت الحرب نابها وفي سائر الدهر الفيوث المواطر

والتناسب في الاسمية لا يكون الا اذا قصد الثبوت في كلتا الجملتين ومن

تناسب الجملتين في كونها مضارعتين قوله تعالى : (يخرج الحي من الميت ويخرج

الميت من الحي) (١)

وفي الشعر :

نروح ونغدوا لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضني . . . (٢)

ومن التناسب في المضارع : (وهو الذي أضحك وأبكى) وفي الماضي : (علي

صام النهار وقام الليل) .

وفي الشعر :

أعطيت حتى تركت الريح حاسرة وجدت حتى كأن الفيث لم يجد . . (٣)

ومنه قول الشريف الرضي :

غاض الوفاء وقاض القدر واتسعت مسافة الخلق بين القول والعمل . . . (٤)

فالمضارعية : تغيد التجدد والحدوث ، والدلالة على الزمن الماضي في الماضوية

١- سورة الروم ، الآية : ١٩ .

٢- الصعدي ، بغية الايضاح : ٩٣ .

٣- نفس المصدر السابق : ٩٣ .

٤- د . البدوي ، بحوث المطابقة : ٢٤٢ .

ومن أمثلة التقيد في الجملتين قول الشاعر :

دنوت تواضعا وعلوت مجدا فشأنك انحدار وارتفاع

فالدنو مقيد في التواضع والعلو مقيد في المجد ، وكثير ما يعدل عن التناسب

بين الجملتين لنكتة بلاغية واحتياج المقام لذلك انظر الى قوله تعالى في سورة الانبياء

: (أجثثنا بالحق أم أنت من اللاعبين) (١) .

والفرض اثبات أن ابراهيم عليه السلام - من صفته اللعب الدائم المستمر

أما مجيئه بالحق فهو أمر متجدد طارىء عليهم ومن أجل بيان هذا الغرض في الجملة

عدل عن التناسب بين الجملتين (. (٢) .

وانظر الى قوله تعالى : (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) (٣) .

فالمقام مقام استحضار الصورة الماضية فالقتل حدث في الماضي ولكن لما أراد أن

يصوره كأنه واقع الآن عدل عن ذلك الى المضارع فقال : (تقتلون) وذلك لبيان فظاعته

وشناعته ومن ذلك : (ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) (٤) . عطف

المضارع على الماضي .

ومن الامثلة في التقليد والاطلاق قوله تعالى : (وقالوا لولا انزل عليه ملك

ولو انزلنا ملكا لقضي الامر) (٥) فالجملة الثانية (ولو انزلنا ملكا) .

١- سورة الانبياء ، الاية : ٥٥ .

٢- المراغي ، علوم البلاغة بتصرف : ١٩٩ .

٣- سورة البقرة ، الاية : ٨٧ .

٤- سورة الحج ، الاية : ٢٥ .

٥- سورة الانعام ، الاية : ٨ .

بشرطها وجزائها معطوفه على جملة قالوا بمتعلقها (١) والثانية مقيدة بالشرط على عكس الاولى والجامع يؤخذ من معنى الجملتين فهم يقولون ان نزول الملائكة سبب ايمانهم ونجاعتهم هذا ما تضمنته الاولى .

والثانية تضمنت ان نزولهم سبب هلاكهم وعدم ايمانهم بالغرض العام ببيان

ما يكون نزول الملك سببا له (.) (٢) .

ومنه قوله تعالى : (فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) (٣)

فجملة (لا يستقدمون) عطف على الشرطية قبلها لا على الجزاء الذى هو (لا يستأخرون)

اذلا معنى لقولنا اذا جاء اجلهم لا يستقدمون (.) (٤) .

الجملة الحالية

ومن تمام الحديث في القواعد النظرية التي تختص بموضوع الفصل والوصل

الحديث عن الجملة الحالية من حيث كونها جملة ذات اتصال وثيق بما قبلها او من

حيث كونها جملة منفصلة من جهة الصناعة النحوية وكيفية ارتباط هذه الجملة بما قبلها

١- ابن يعقوب ، مواهب الفتح : ٣ / ١١٣ .

٢- نفس المصدر السابق : ٣ / ١١٣ .

٣- سورة الاعراف ، الاية : ٣٤ .

٤- شرح السعد ، على تلخيص المفتاح : ١٣٥ .

او بعدها .

اما الحديث عن الحال المفردة فهو غير داخل معنا في هذا البحث لان الحال اذا كانت مفردة تعتبر قيودا من قيود الجملة وفضلة متممة لكامل المعنى وهي اشبه ما يكون بالخبر في الجملة الاسمية ان تعتبر حكما على المبتدأ او صاحب الحال لا بالاضالة بل بالتبعية ، ووصفه .

ففي قولنا مثلا : - زيد راكب ، جا زيد راكبا فان راكبا الاولى خبر وحكم على المبتدأ وراكبا الثانية ايضا حكم على الفاعل زيد لكن بقيد المجيء ، ووصفه ، اما الحال اذا كانت جملة فان الامر يختلف ان بالنظر الى الجملة الحالية بكونها جملة منفصلة ذات معنى تام قائم بنفسه من جهة ، والنظر اليها من جهة كونها جملة ذات علاقة وطيدة وحميمة مع ما قبلها .

والجملة الحالية قياسا على الجملة الخبرية لا بد أن يكون هناك ما يربطها بما قبلها والرابط في الاصل ان يكون الضمير حيث نجد الاقتصار على الضمير حال كون الحال مفردة اما في الجملة فيصح ان يكون الضمير الواو وهناك احكام تظهر من خلال كون الجملة خالية من ضمير ذي الحال او خالية من الواو وفيها ضمير . . الخ

فنقول : الجملة التي تقع حالا ضربان :-

(- ان تكون خالية من ضمير ما تقع حالا عنه ، هنا يتعين ان ترتبط بالواو لئلا تعتبر منقطعة تماما غير مرتبطة بما قبلها .

٢- ان تكون مشتملة على ضمير ذى الحال ، وهنا يجوز في بعض الحالات ان تكون الواو وفي بعضها يمتنع وجود الواو وفي بعضها يستوى الامران وفي بعضها يترجح وجود الواو وفي البعض الاخر يترجح عدم وجودها .

اما امتناع الواو فيكون في مثل قوله تعالى : - (ولا تمنن تستكثر) اى كون الحال جملة فعلية فعلها مضارع مثبت لانه في هذه الحالة تشابه الجملة الحالية الحال المفردة في كونها اى الحال المفردة تدل على حصول صفة غير ثابتة مقارن لما جملت قيد له (..... (١) .

فالجمللة المصدرية بفعل مضارع مثبت تشبه الحال المفردة ان الفعل من صفاته التجدد والحدوث فهو صفة غير ثابتة ، اما دلالت على المقارنه فلكونه مضارعا لذلك يجب ان يكون الرابط في مثل هذه الجمل الحالية المصدرية بالمضارع المثبت يجب ان يكون الرابط الضمير وحده فلا يصح مثل جاء زيد ويتكلم عمرو .
وقد اول العلماء ما جاء على مثل هذه الصورة كقول العرب مثلا : قمت واصك عينه او وجهه (

وقول عبد الله همام السلولي : -

فلما خشيت اظافيرهم نجوت وأرهبنهم مالكا

على تقدير وانا اصك عينه وانا اراهنهم مالكا .

(القزويني ، الايضاح : ١ / ١٦٦ .

على ان الشيخ عبد القاهر الجرجاني ان الواو في مثل هذه الحالة ليست للحال وانما هي للعطف وان (اصك) بمعنى صككت وأرهنهم بمعنى رهنتم مالكا .
 وبين أنه باب اخرج الماضي بصورة المضارع لحكاية الحال بعد ترك الاو على اصله .
 اما الحالة التي يجوز فيها الامران فهي : ان يكون المضارع في الجملة الحالية منفيا حيث اختلف احد شروط فقد ان الواو وهو عدم الدلالة على الحصول مع دلالة على المقارنة بكونه مضارعا كقول مسكين الدارمي :-

اكسبته السورق البيضا
 ولقد كان ولا يدعي لاب

اما مجيئه بخير واو فكقوله تعالى : (وما لنا لا نؤمن بالله)

رتول عكرمة العبيسي :-

مضوا لا يريدون الرواح وظالمهم من الدهر اسباب جرين على قدر

وكذلك اذا كان الفعل ماضيا لفظا او معنى فانه يجوز الامران بالواو او

عدمه مثل قوله تعالى : (اني يكون لي غلام وقد بلفنى الكبر) وقوله (او جاؤكم

حصرت صدورهم) والماضي معنى قولهم : فادرك لم يجهد ولم يثن تأوه (. . . (١) .

اما اذا كانت الجملة الحالية اسمية فانه يجوز ان تأتي بالواو وعدسها ومجي

الواو اولى لان الجملة في كونها اسمية فيها دلالة على الثبوت وفيها دلالة على

المضارع ايضا عكس الماضي تماما ومن مجيها الجملة بالواو قوله تعالى : (ولا تباشروهن

وانتم طائفون في المساجد) .

ومن الجلو من الواو ما ذكره سيبويه : كلمته فوه الى في ، رجوع عوده على بدئه ومنه ايضا ما جاء في الشعر كقول القائل : ما بال عينك د معها لا يرقا .

ومن الجدير بالذكر ان الجملة الحالية الاسمية يظهر من خلالها الاستثناف واستقلاليتها بالفائدة والمعنى فيحسن زيادة رابط بالاضافة الى الضمير لتأكيد الربط والاتصال .

قال الشيخ عبد القاهر : ان كان المبتدا ضمير نى الحال وجب الواو كقولك (جا زيد وهو يسرع) او وهو مسرع .

ولعل السبب فيه كما يقول الخطيب : ان اصل الفائدة كان يحصل بدون هذا الضمير بأن يقال جاني زيد يسرع او مسرعا ، فالأتيان به يشعر بقصد الاستثناف المنافي للاتصال فلا يصح لان يستقل بفائدة الربط فتجب الواو (١) .

ويحسن مجيء الجملة الاسمية بلا واو في مثل :-

فقلت عسان تبصريني كأنما بنى حوالي الاسود الحوادر

حيث دخل الحرف كأن فحسن الحال بخير واو ومثل :-

والله يبيقك لنا سالماً بهرداك تبجيل وتعظيم

حيث جاء جملة حاله بخير واو بعد حال مفردة (سالما) ولولاها لم يحسن

ان تقول (والله يبيقك لنا سالما) .

(- الخطيب القزويني : ١ / ١٨٣ .

اما مثل جاءني وعلى كتفه سيف (فانه يجب الواو لثلاثه تشته بالنعته فتلزم

الواو لبيان الحال .

وقد وردت في سورة البقرة الجملة الحالية فيما يقارب ٨٤ اربعة وثمانين

موضعا على طرق مختلفة منها ما هو مصدر بالفعل المضارع او الماضي ومنها جميل .

اسمية ومنها ما هو مثبت ومنفي ومقترن بقدر وغير مقترن ومقترن بالواو وغير مقترن .

١- الجملة الحالية المضارعية الشبته غير المقترنة بالواو .

ورد مثل هذا النوع في السورة مثل قوله تعالى : (يخادعون) آية : ٩ .

وقوله : (يعمهون) آية : ١٥ ، وقوله : (يجعلون) آية : ١٩ ، وقوله : (يضل

به كثيرا) آية : ٢٦ ، وقوله : (يسومونكم) آية : ٤٩ ، وقوله : (تشير الارض) آية : ٧١

وقوله : (تقتبوت ، تخرجون ، تظاهرون) آية : ٨٥ ، وقوله : (يود احد هم) آية : ٩٦

وقوله : (يتلون) آية : ١٢١ ، وقوله : (يتلو عليهم) آية : ١٢٩ ، وقوله : (يعرفونه)

آية : ١٤٦ ، وقوله : (يحبونهم) ١٦٥ ، وقوله : (يبينها) آية : ٢٣٠ ، وقوله : (يعظم

آية ٢٣١ ، وقوله : (تحمله الملائكة) آية : ٢٤٨ ، وقوله : (نتلوها عليك بالحق) ٢٥٢

وغيرها

ونلاحظ في هذا النوع من الجمل امتناع الاقتران بالواو لتوفر شرطي الثبوت

والدلالة على صفة مقارنة لصاحبها وفي هذه الحالة تعد الجملة مكملة للمعنى وقييدا

فيه لوقوعها موقع المفرد بالاضافة لتحمل الفعل المضارع فيها الى ضمير يعود
على صاحب الحال .

وقد أكد النحويون تأكيداً يقارب الاجماع على أن مثل هذه الجمل لا يصح
اقترانها بالواو وما جاء ما يشعر بالحالية فهو مؤول اما باضمار مبتدأ واعتبار الواو
للعطف أو الاستئناف وغيره (..... (١) .

كما في تأويل قوله تعالى : (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا
ويشهد الله على ما في قلبه) (٢) .

فقوله تعالى : (ويشهد الله) تحتل الحالية والعطف على (يعجبك)
او على تقدير ضمير (وهو يشهد) .

ومثله قوله تعالى : (قالوا انؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه) (٣) فقوله
(ويكفرون) يحتل الاستئناف والحال او على تقدير اضرار مبتدأ وهم (يكفرون) .
ويرى د . الحموز ان الجملة المصدرية بالمضارع المثبت المسبوقة بواو وغير

المقترنة بقدر يصح ان تقع حالا مستشهدا بالموضعين السابقين من السورة لا غيا ما
ذهب اليه النحاة بقوله : (ولست أتفق مع هؤلاء) (النحاة) لان محل النص على ظاهره

١- الازهرى ، شرح التصريح على التوضيح : ١/٣٩٢ .

٢- سورة البقرة ، الآية : ٢٠٤ .

٣- سورة البقرة ، الآية : ٩١ .

أولى من التكلف والتحمل ولا محوج الى تقدير مبتدأ ولان ما في القرآن من شواهد
تؤيد ما ذهب اليه واشتشهد بالموضعين السابقين - ثم أكد ذلك بقوله : (ولعل
ما يعزما ن ذهب اليه قراءة ابن عامر) ان يشأ يسكن الريح . . . أو يوقهن بما كسبوا
ويغف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) (١)

برفع (ويعلم) على أن الجملة في موضع الحال فلا يحسن فيها تقدير مبتدأ

لان فاعل (يعلم) مظهر (.) (٢) .

٢- الجمل الحالية المضارعية المنغية .

ورد مثل هذا النوع مقترنا بالواو وغير مقترن بها وفي كلتا الحالتين جواز من غير ترجيح
وذلك لدلالة الفعل المضارع على المقارنة لكونه مضارعا وعدم دلالة على الحصول لكونه
منغيا .

ومن ذلك قوله تعالى : (لا يبصرون) الآية : ١٧ ، وقوله : (لا تعبدون)

آية : ٨٣ ، وقوله : (لا تسفكون دماءكم) آية : ٨٤ ، وقوله : (لا يخفوا عنهم) آية : ١٦٢

وقوله : (لا تأخذه سنة ولا نوم) آية : ٢٥٥ ، وقوله : (لم يتسنه) آية : ٢٥٩ ،

وقوله : (لا يستطيعون ضربا) آية : ٢٧١ ، وقوله : (لا يسألون الناس) آية : ٢٧٩ .

١- الشورى ، آية : ٣٣-٣٥ .

٢- د . عبد الفتاح الحموز ، التأويل النحوي : ١/١٤٨ .

هذه الجمل وردت دون الواو أما بعض ما ورد بالواو وقوله تعالى : (وما

يشعرون) آية : ٥٩ ، وقوله : (ولا ينفعهم) آية : ١٠٢ ، وقوله : (ولما يعلم الله)

آية : ٢١٤ ، وقوله : (ولم يوءت سعة من المال) آية : ٢٤٧ ، وقوله : (ولم تجسدوا

كاتباً) آية : ٢٨٣ .

٣- الجملة الحالية الماضية بغير الواو مثل قوله تعالى : (أعدت للكافرين)

آية : ٢٤ ، وقوله : (أبى واستكبر) آية : ٣٤ ، وقوله : (مستهم البأساء) آية : ٢١٤

وقوله : (أصحابها وأهل) آية : ٢٦٥ .

٤- الماضية بالواو كقوله تعالى : (وأتوا به متشابها) آية : ٢٥

وقوله : (وكنتم أمواتاً) آية : ٢٨ ، وقوله : (وكانوا من قبل) آية : ٨٩ ، وقوله : (وأشيروا

في قلوبهم) آية : ٩٣ ، وقوله : (وأصابه الكبر) آية : ٢١٦ .

٥- الماضية الحالية المقترنة بالواو وقد معا ، كقوله : (وقد كان فريق)

آية : ٧٥ ، وقوله : (وقد فرضتم لهن) آية : ٢٣٧ ، وقوله : (وقد أخرجنا) آية : ٢٤٦ .

وكما أسلفنا فالجملة الماضية الواقعة حالا يجوز فيها ذكر الواو وعدمه

لدلالاتها خالة الاثبات على حصول صفة غير ثابتة لكونها فعلية وعدم دلالتها على المقارنة

لكونها ماضية ولهذا تشترط أن تكون مع (قد) ظاهرة أو مقدرة حتى تقترب من الحال

ليصح وقوعها حالا .

الجمل الاسمية الحالية

وفي استقصاء لهذا النوع من الجمل وجدت أنها أحيانا تصنر بالواو وأحيانا

بالضمير وكثيرا تصنر بهما معا فمن المصدرة بالواو والضمير قوله تعالى : (وأنتم تعلمون)

آية : ٢١ ، ٤٢ ، ١٨٨ .

وقوله : (وأنتم لا تعلمون) ٢١٦ ، وقوله : (وهم فيها خالدون) آية : ٢٥

وقوله : (ونحن نسبح بحمدك) آية : ٣٠ ، وقوله : (وأنتم تتلون الكتاب) آية : ٤٤ .

وقوله : (وأنتم تتظنون) آية : ٥٠ ، ٥٥ ، وقوله : (وأنتم ظالمون) آية : ٥٥ ، ٥٠ (١) .

ومن الجمل الحالية الاسمية دون واو الحال ، قوله تعالى : (لا ريب فيه)

آية : ٢ ، وقوله : (هدى للمتقين) آية : ٢ ، وقوله : (لعلكم تتقون) آية : ٢١ ، وقوله

: (بعضكم لبعض عدو) آية : ٣٦ ، وقوله : (هم فيها خالدون) آية : ٣٩ ، ٨١ ، ٨٢

٢١٧ ، وقوله : (صدق لما مهمم) آية : ١٠١ ، وقوله : (لهما ما كسبت) آية : ١٣٤ ، وقوله

: (خالدين فيها) آية : ١٦٤ ، وقوله : (فيه سكينه وبقيّة) آية : ٢٤٨ ، وقوله : (لا

انقسام لها) آية : ٢٥٦ .

ومن الملاحظ أن وقوع الجملة الاسمية حالا أكثر من الجمل الفعلية تقريبا

١- انظر أيضا : ٧٥ ، ١٤٦ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ،

١٣٩ ، ١٦١ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٩ ، ٢١٦ .

(٤٩) جملة اسمية و (٣٥) جملة فعلية ونسبة الجمل الاسمية المقترنة بالواو والضمير أكثر من غير الواو ، وكذلك نسبة الجمل المضارعية أكثر من الماضية .

الفصل الثالث

الجامع وأنواعه



الفصل الثالث

الجامع

صور المناسبات بين المتعاطفات

مر بنا أن الامام الشيخ عبدالقاهر الجرجاني لم يفصل لا في مسألة العلاقة المصححة بين الجملتين المتعاطفتين من جهة الجامع سواء كان ذلك في المفردات أو في الجمل الا أن أهل البلاغة من بعده قد أخذوا هذه المسائل بالتفصيل الى حد الغلو خاصة الامام السكاكي (رحمه الله) والخطيب ما جعل الامرأ خذا عليهما لا في الجامع فحسب بل في البلاغة واخراجها الى أمور فلسفية بعيدة عن الذوق ونقل لك نص د . الخولي في كتابه صور من تطور البيان العربي الذي بين هذا البعد وأثره على العربية حيث قال : (وكلمة المناسبة بين الجملتين كانت كافية لهداية النشيء عند العطف لولا أنه حانت فرصة لاقتحام الفلسفة حدود البلاغة فجاء حديث الجامع بين الجملتين عند السكاكي وتبغى الخطيب وقد قال عبد القاهر كلمته في الجامع وهي كلمة الاديب على اجمالها أن يكون المسند اليه في الجملة بسبب من المسند اليه في الجملة الاخرى وكذلك المسند فيها ولكن الخطيب يقسم الجامع بين الشئيين الى عقلي ووهمي

وخيالي تبعا للسكاكي (١) .

١- الخولي ، صور من تطور البيان العربي : ٥٣ .

ويبين أثر الفلسفة في تأخر العبارة والاسلوب بقوله : (وان الايغال في
البحث الفلسفي وتأخر الاسلوب الادبي في عصر السكاكي والخطيب ما أضعف العبارة
وأن بها عن النهج الادبي والدراسة الفنية كلاهما قد توارى أمام هذا الاسلوب الفلسفي
المنطقي) (١) .

الأن الخولي لا يغفل ما أسداه السكاكي بوجه عام للبلاغة العربية ويحمد
له بعض القضايا في الجامع حيث تكون الاشارة أقرب الى الادب منها الى الفلسفة
حيث يقول :

(وان كنا نأخذ على السكاكي في حديثه عن الجامع اسرافه في البحث
الفلسفي وخروجه عن منهج البلاغة الادبي فانا نحمد له هذه اللوحة الادبية البيئية
في تكوين الخيال ان يقول في المفتاح : (ولصاحب المعاني فضل احتياج في هذا
الفن الى التنبه لانواع هذا الجامع والتيقظ لها لا سيما النوع الخيالي فان جمعه
على مجرى الالف والمادة بحسب ما تتعقد الاسباب في استيداع الصور خزلتة الخيال
. فقل اذا لم يوفه حقه من التيقظ وأنه من أهل المدرأني يستحلي كلام رب العزة
أهل كلام رب العزة أهل الوبر حيث يبصرهم الدلائل ناسقا ذلك النسق) أفلا ينظرون

الى الابل (لبعده البعير عن خياله في مقام النظر ثم لبعده في خياله عن السماء
 ثم قال الخولي : (ومع اعجابنا بهذه اللحة من السكاكي فان ادراكها
 في غنى عن هذا الفيض من التقسيمات الفلسفية . . . والبلاغة في غنى عن هذا البحث
 الفلسفي وحسبها كلمة عبدالقاهر وهي أن يكون كل من طرفي الجملة بسبب من نظيره
 في الجملة المراد العطف عليها) (١) .

١- د . كامل الخولي ، صور من تطور البيان العربي : ٥٥-٥٦ .

الجامع العقلِي

تحدثنا على أن الحالة المقتضية للتوسط بين الكمالين لا بد من وجود

مصحة فيها للعطف وهي قصد التشريك بالاضافة الى التباين بين المتعاطفين

ووجود المناسبة بينهما أو ما يسمى بالجامع ، والجامع لا بد أن يقع بين المسند

والمسند اليه ، والمسند اليه في الجملتين المراد أن نعطفهما على بعض سواء كانت

ما له محل من الارب كقوله تعالى : (ان الابرار لفي نعم وان الفجار لفي جهيم)

أما القيد فغير معتبر في كلام الخطيب وقد نقض أيضا كلام السكاكي الشعر

باعتبار القيد حيث قال : (وأما ما يشعر به ظاهر كلام السكاكي في موضع من كتابه

أنه يكفي أن يكون الجامع باعتبار المخبر عنه أو الخبر أو قيد من قيودهما فإنه منقوض

بما مر ونحو قولك : حزم الامير الجند يوم الجمعة وخاط زيد ثوبي فيه ، وقد اعترض

الخطيب عن السكاكي بقوله : (ولعله سهو فانه صرح في موضع آخر منه بامتناع عطف

قول الثاني (خفي ضيق) على قوله : (خاتمي ضيق) مع اتحادهما في الخبر) . . (١) .

وقد قيل انه لا سهو من السكاكي في ذلك لان الظاهر من كلامه وكلام غيره

أن الجامع يكفي فيه التناسب له سبب وله مظنة مسببه اجتماع الجملتين في القوة

١- القزويني ، الايضاح : ١٦٢ ، وانظر السكاكي ، مفتاح العلوم : ١١٧ .

المفكرة بطريق العقل أو الوهم والخيال . . . ومظنة حصول الاتحاد بين الطرفين حقيقة أو بتأويل قريب أو بعيد ولكن المظنة غير ملازمة للمظنون فقد يحصل التناسب مع الاتحاد في الطرفين كقولك : (زيد يعطي ويمنع) وقد يحصل مع الاتحاد في أحدهما دون الآخر ، كمن يذكر في مجلسه الحركة واللبياض فنقول له - الحركة عرض نقله ، واللبياض لون مفرق للبصر .

فالتناسب موجود ولم يحصل الا باتحاد المسند اليه في الجامع الخيالي وقد يحصل الاتحاد في الطرفين ولا يحصل التناسب كقولك : انظر الى علم زيد وانظر الى هذا القطع في ثوبك) وانما منع السكاكي نحو (خاتمي ضيق وخفي ضيق) حيث لم يجمع بينهما ذكر في مجلس أو نجود لك كما صرح به وما يزيد ذلك قوله تعالى : في سورة يوسف : (مسنا وأهلنا الضر وجئنا) فالمسند (المسن والمجي *) والمسند اليه فيها (الضر واخوة يوسف) وهما مختلفان لا يتحدان في شيء * ومع هذا حصل الفصل بوجود التناسب بين المسندين لان المس سبب في المجي * .

وقد ذهب السيد الى أن مجرد الاتحاد أو التناسب في الفرض الذي تصاغ له الجملة يكفي في صحة الوصل ولو لم يتحد الطرفان وهذا كما يأخذ شخص في ذكر ما وقع في يوم من الافعال - انطلق زيد - وطلب الطعام - وصليت الظهر الخ .

واني أرى ان هذا يصح نحو لا بلاغة لانه في تأويل حصل كذا وكذا على معنى
 واو العطف لا واو الوصل لان واو الوصل لا يؤول بها لمثل هذا وانما يؤول بها لرفع
 الابهام او للدلالة على التناسب البلاغي بين الجملتين والاتحاد في الفرض الذي
 تصاغ له الجملة لا يكفي للوصل لانه يجب في حالة الفصل ايضاً كما سبق (١)
 وبخرجنا من هذه الخلاقات للعلاقة المصححة للوصل ان تقول كما قال الامام
 عبد القاهر ومن سار على دربه انه يكفي وجود مناسبة ما بين الجملتين يحكم بها العقل
 او الخيال او الوهم او أى شي* اخر اعتباره وسنحاول بقدر الامكان الابتعاد عن الفلسفة
 في هذا البحث لان البحث البلاغي يجب ان يكون بحثاً ادبياً زوقياً .

والجامع ثلاثة انواع عقلى ، ووهي ، وخيالي .

١- العقلي :- فيتم بأن يكون بين الجملتين :-

أ- ايحاد المسند اليه او في قيد من قيودها نحو (وهو الذي اضحك وابكى)

فالمسند اليه في الجملتين هورب العزه والجلال .

واتحاد في التصور معناه تكرار الشيء* واعادته بنفسه وهذا يوجد في الجمل لا

في المفردات لانه لا يعطف الشيء* على نفسه (. (٢)

ومثال الاتحاد في السند والمسند اليه قوله تعالى : (يخرج الحي من الميت ويخرج

الميت من الحي) (٣) فالأختلاف هنا واقع في المفعول به الجار والمجرور

١- الصعيدى ، بغية الايضاح : ٢ / ٨٩ .

٢- د . البدوى ، بحوث المطابقة : ٤٠٥ - ٤٠٦ .

٣- سورة الروم ، الآية : ١٩ .

وهما من القيود ، وضابط الجامع العقلي ان يكون الجمع بين الشئيين فيه حقيقيا بأن

يكون الواقع ونفس الامر (..... (١) .

بدأ وتماثل : وهو اتحاد امرين في الحقيقيه مع وجود مناسبه خاصه بينهما

وذلك كقولك : (الرشون ابو بكر وعمر وعثمان وعلي) فهم متماثلون في كثير من الصفات

كالا سلام والصحية والا خلاصه مع اختلافها في الشخصيه ومثاله ايضا (زيد شاعر وعمر

كاتب اذا كان زيد وعمر أصدقاء او بينهما علاقه والعقل بتجريد المثلين من التشخيص

في الخارج يرفع التعدد بينهما (..... (٢) .

ج- او يكون بينهما تضاييف: والمراد ان يكونا المسند والمسند اليه في الجملتين

بحيث لا يمكن تعقل كل منهما من غير الاخر وذلك مثل المعلول والعلو والسبب والمسبب

والسفل والعلو والاقبل والاكثر فان العقل بأبي الا يجتمع في الذهن ومعنى اخر هو

ارتباط عقلي بين أمرين يوجب تصور احدهما عند تصور الاخر (٣) .

تأمل قوله تعالى : (لا اقسام بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ووالد وما ولد

لقد خلقنا الانسان في كبد) (٤) ترى انه لا يعقل والد بدون ولد ولا يعقل

ولد بدون والد (..... (٥) .

١- الصميدى ، بغية الايضاح :

٢- القزويني ، الايضاح : ١٦٢ .

٣- الصميدى ، بغية الايضاح : ٩٠ وانظر . علي البدوي بحوث المطابقة : ٤٠٥ .

٤- سورة البلد الآية : ١-٤ .

٥- ر . علي البدوي ، بحوث المطابقه : ٤٠٥ .

وكذلك قول المصطفى (صلى الله عليه وسلم) : (اذا التقى المسلمان
بسيوفيهما فالقاتل والمقتول في النار) فانه لا يعقل أن يكون مقتول بدون
قاتل .

الجمع الوهمي

وهو أن يكون بين تصوريهما - أي الجملتين - شبه تماثل أو تضاد أو شبه
تضاد وضابطة ، أن يكون الجمع بين الشيئين فيه اعتبارها غير محسوس باخدي الحواس
الظاهرة (..... (١) .

١- شبه التماثل : يدخل فيه الألوان كالأبيض والأصفر والأخضر والأسود
والحمرة أو كل أمرين يكادان يتحدان في الحقيقة فان الوهم يبرز هذه الأمور في
معرض المثليين (٢) .

مع أن العقل يدرك أنهما لوان مختلفان متباينان داخلان تحت جنس
واحد هو اللون ، ومن الأمثلة الشعرية على ذلك قوله وهو محمد بن وهيب - يمدح
المعتصم بالله بن هارون وكنيته أبو اسحاق :

١- الصعدي ، بغية الايضاح : ٩٠ .

٢- شروح التلخيص : ٩٤ .

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر . . . (١) .
 فهذه الثلاثة شمس الضحى وأبو اسحاق والقمر ، اذا نظرنا اليها من
 منظار عقلي وجدنا أنها متباينة فأبو اسحاق انسان وشمس الضحى نجم ، والقمر
 كوكب ، والشاعر يريد أن يبين مقدار فضل أبي اسحاق وأنه عام في الخلق بحيث
 أصبح وكأنه نوع من الكواكب والشموس فأخرج هذه الثلاثة بمعرض المتألفات لهذا
 الغرض .

من هنا صح العطف بينها وملاحظ أن المثال من عطف المفردات وليس
 الجمل على أن هذا الشاهد ليس من الوصل في رأى الجمهور وإنما هو من مراعاة
 النظير (.) (٢) .

ومنه أيضا قول الشاعر :

اذا لم يكن للمرء في الخلق مطع فذ والتاج والسقاء والذر واحد

فالوهم هو الذى حسن الجمع بين الملك والسقاء وصفار النحل لا شتراكهما

في عدم التوقع منهم والاستغناء عنهم مع كونها متباعدة متباينة غاية التباين (. .) (٣) .

ب- أما التضاد : فهو التقابل بين أمرين موجود بين بينهما غاية الخلاف

يتعاقبان على محل واحد كالسواد والبياض والايمان والكفر والقيام والقعود والهمس

- ١- حاشية الدسوقي على شرح السعد : ٩٥ شروح التلخيص .
- ٢- الصعدي ، بغية الايضاح : ٩٥ ، شروح التلخيص .
- ٣- حاشية الدسوقي على شرح السعيد : ٩٥ شروح التلخيص .

والجهر ، والطيب والنتن ، والحلاوة والحموضة ، والملاسة والخشونة ، ونلاحظ أنه

يدخل تحت هذا الأمر المحسوسات والمعقولات (..... (١) .

ومن أمثله الشعرية :

اصبر لك هرنال منك فكذا مضت الدهور

فرح وحزن مرة لا الحزن دام ولا السرور

ومنه قول أحمد شوقي :

اختلاف النهار والليل ينسي اذ كر لي الصبا وأيام أنسي

فالفرح والحزن ، والليل والنهار ، لا يتماقبان على مكان واحد فبينهما

تضاد واضح .

ومن الآيات قوله تعالى : (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) . وقوله تعالى

: (ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم) . وقوله : (ومن آياته مناكمم

بالليل والنهار) .

ج - شبه التضاد : وهو التقابل بين لازمي أمرين ، ومعنى آخر تقابل

شيعتين لا يتافيان في ذاتيهما ولكن يستلزم كل منهما معنى ينافي ما يستلزمه الآخر .

مثل السماء والارض ، والسهل والجبل ، والاول والثاني ، فان الوهم

ينزل المتضادين والشبيهين بهما منزلة المتضادين فيجمع بينهما في الذهن ولذلك

تجد الضد أقرب خطورة بالبال من الضد (١)

ومن أمثله القرآنية بقوله تعالى : (ومن آياته خلق السموات والارض)

فالسماء دالة على الارتفاع والارض تدل على الانخفاض ، والارتفاع أو العلولاء زم السماء

وكذلك الانخفاض أو الدنولاء زم الارض وبينهما تضاد وكذلك قوله : (وجعل الظلمات

والنور) (٢)

وقوله تعالى : (وما يستوى الاعمي والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل

ولا الحرور ، وما يستوى الاحياء ولا الاموات) (٣)

١- الخطيب ، الايضاح + ١٦٣ .

٢- سورة الانعام ، الآية : ١ .

٣- سورة فاطر ، الآية : ١٩-٢٢ .

الجامع الخيالي

وهو اقتران أمرين في الذاكرة والخيال أثر تقارنهما في الوجود وأسباب

هذا التقارن لا تدخل تحت الحصر) (١) .

فذاكرة الخيال دائرة واسعة قادرة على حفظ تقارن كثير من الأشياء

التي يصعب على العقل أن يجمعها ومن أجل اختلاف الأسباب في التقارن واستدعاء

الذاكرة للمعاني حسب الأحوال التي مر بها الشخص سابقا اختلفت الصور الناتجة

من جهة الترتيب والوضوح وهذا الجامع أقرب ما يكون من نظرية تداعي المعاني

وتختلف هذه الصور باختلاف الأشخاص أيضا فكم تتعانق في خيال وهي في آخر لا تتراعى

وكم صورة لا تكاد تلوح في خيال وهي في غيره نار على علم) (٢) .

وظلها ما تكون الصور الخيالية لها علاقة في البيئة التي يعيش فيها الشخص

أو الصناعة والأدوات التي يستعملها الى غير ذلك ولا يمنع ذلك من أن يأتي من جهة

غير متوقعة وهو في حكم النادر ساعتئذ ويؤكد هذا ما يحكى أن جريرا أنشده عدى

١- د . علي البدوي ، بحوث المطابقة :

٢- القزويني ، الايضاح : ١٦٣ .

وهو شاعر وير :

عرفت الديار توها فاعتادها من بعد ما شمل البلى ابلادها

فلما بلغ الى قوله :

تزجي أغن كأن ابرة روقه . قال : رحمة وقلت : قد وقع ما عساه يقول وهو

أعرابي ويقول وهو أعرابي جلف جاف فلما قال :

قلم أصاب من الدواة مدادها استحالت الرحمة حسدا

ويقول الخطيب في هذا : (فهل كانت رحمة في الاولى والحسد في الثانية

لانه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له في أول الفكر شبه وحين أتمه صادفه

قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف) ؟ (١) .

انظر الى هذه الصورة الغريبة وهي صورة قادمة من بدوى أعرابي كيف

استطاع أن يأتي بوصف لا يخطر على بال والتشبيه هنا صورة طرف قرن الظبي الصغير

بالقلم الذي في طرفه حبر أسود .

وان كان البيت شاهد في التشبيه المستطرف الا أنه يحقق الفرض في أن

هذه الصورة خيالية بحتة استطاع الخيال أن يخرج هذه المقارنة بين أشياء بعيدة

جدالا تكاد تتصور .

ومن دلالات اختلاف الصور باختلاف الشخص لسعة دائرة الخيال واختلاف

أسبابها من شخص الى آخر ما أورده صاحب المفتاح وهي حكاية أن صاحب سلاح

ملك وصانعا وصاحب بقر ومعلم سافروا ذات يوم معا وواصلوا سير النهار بسير الليل

فبينما هم في وحشة الظلام ومقاساة خوف التخبط والضلال طلع عليهم البدر بنوره فأفاض

كل منهم في الثناء عليه وشبهه بأفضل ما في خزانة صورته فشيبهه السلاحى بالترس المذهب

يرفع عند الملك والصانع بالسبيكة من الابريز تفتقر عن وجهها البوتقة والبقار بالجبن

الابيض يخرج من قلبه طريا ، والمعلم برغيف أحمر يصل الليل من بيت ندى مروءة)

• (١) •••••

ومن تعانق الصور في الخيال جريا على العرف والعادة ما وصف به الكلام

الحسن ، فالجوهرى يقول : (أحسن الكلام ما ثقتبه الفكرة ونظمته الفطنة وفصل جوهر

معانيه في سطر الفاظه فحملته نحور الرواة .

أما الصيرفي فيقول : خير الكلام ما نقدته يد البصيرة وجلته عين الرواية ووزنته

مقيار الفصاحة ينطق فيه بزائف ولا يسمع فيه ببهرج) ••••• (٢) •

١- القزويني ، الايضاح : ٨٦٣ •

٢- السكاكي ، مفتاح العلوم : ١٨٨ •

قال السكاكي : (ولصاحب علم المعاني فضل احتياج في هذا الفن الى

التبنيه لانواع هذا الجامع والتيقظ لها لا سيما النوع الخيالي فان جمعه على مجرى

الالف والعادة بحسب ما تتعمد الاسباب في استيداع الصور خزانة الخيال وان الاسباب

لكما ترى الى اى حد تتباين في شأن الجمع بين صور وصور فمن اسباب تجمع بين صومعة

وقنديل وقرآن ومن اسباب تجمع بين دسكرة وابريق وأقران فقل لي اذا لم يوفه حقه من

التيقظ وأنه من أهل المدرأني يستحلى كلام رب العزة مع أهل الوبر حيث يبصرهم

الدلائل ناسقا ذلك النسق (أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت

والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت) لبعده البعير عن خياله في مقام

النظر ثم لبعده في خياله عن السماء وبعد عن رفعها وكذا البواقي لكن اذا وفاه حقه

بتيقظه لما عليه تقلبهم في حاجاتهم جاء الاستعلاء وذلك اذا نظر ان أهل الوبر اذا

كان مطعمهم ومشربهم وملبسهم من المواشي كانت عنايتهم مصروفة لا محالة الى أكثرها

نغما وهي الابل ثم اذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل الا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى

غرضهم نزول المطر وأهم مسارح النظر عند هم السماء ان اكانوا مضطرين الى مأوى

بأوبهم والى حصن يتحصنون فيه ولا مأوى ولا حصن الا الجبال فما ظنك بالتفاف

خاطرهم اليها ثم اذا تغذرت طول مكثهم في منزل ومن لا صاحب المواشي يذاك كان

عقد الهمة عند هم بالتنقل من ارض الى سواها من عزم الامور فعند نظره هذا يرى

البدوي اذا أخذ يفتش عما في خزانة الصور له لا يجد صورة الابل حاضرة هناك أو لا يجد صورة السماء لها مقارنة أو تعوزه أو صورة الجبال بعد ههنا أو لا تتصل اليه صورة الارض تليها بعد هن ، لا وانما الحضري حيث لم تتأخذ تلك الامور وما جمع خياله تلك الصور على ذلك الوجه اذا تلا الآية قبل أن يقف على ما ذكرت فلن النسق بجهله معيبا للعيب فيه) (١) .

والناظر في كلام السكاكي هذا يجد أنه يقصد في الجامع الخيالي علاقات أبعد من أن يكون المسند والمسند اليه من نظيريهما في الجملة الثابتة فهو يوضح لنا أن المعتبر هو وجود المناسبة المستتبطة من خلال التحليل للنصوص والمشعرة أنه هناك روابط أصلية بين الآيات أكثر من تحقق معنى الجامع الاصطلاحي ولا يخفى على المتأمل أن الاتحاد في المسند والمسند اليه موجود في هذه المتعاطفات فضمير الخطاب واحد وهو المسند اليه وهذه الامور المذكورة من الابل والسماء والارض والجبال بحكم المقاميل أو القيود وهي المسندات في الجمل ويجمعها كونها من مخلوقات الله العجيبة العظيمة على أن هذا المثال هو من المفردات اذا نظرنا الى المجرورات فقط ويمكن عدة من عطف الجمل على اعتبار آخر .

قال العلوي : (وقد عددنا هذه الآيات السابقة - في عطف المفردات

نظرا الى عطف المجرورات بعضها على بعض وكأن ما بعدها منفصلا عنها .

فهذا هو الذي حسن فيه والاقرب أن يكون من الجمل لان ما تقدم من

المجرورات هو متعلق بالجمل بعدها فلهذا كان معدودا من الجمل (. . . . ((١) .

فالذي يريد السكاكي أن ينبه الى أن العلاقة المصححة للعطف بـ

لوجود كلام اثر كلام هو وجود مناسبة بين الكلامين يمكن أن تسوغ اعتبار أحد هما

اثر الآخر ناهيك عما يقصده من أثر البيئة في ايقاع وترتيب السور ونحن نعلم أن

المخاطبين في هذه الآيات هم العرب أهل الوبر على وجه الخصوص والناس كافة

على وجه العموم فكما أن هذا الترتيب له أثر على أهل الوبر فلا نشك أيضا أن هذا

الترتيب له أثر بعيد أيضا على غيرهم وهو الأولى بالاعتبار كيف لا وأثر القرآن الكريم

أبعد من أن يتصور وهو يخاطب كل من كان له قلب من بني الانسان .

ولنورد تحليلا لهذه الآيات عند غير السكاكي حتى ندرك أبعاد هذه الآيات

عند غير السكاكي .

هذه الآيات وانها عامة في النزول أيضا لا فقط على وجه الخصوص وهو

الأولى في الاعتبار يشتمل التحدى لجميع الانس والجن قال صاحب الظلال في هذه

الآيات : (وتجمع هذه الآيات الاربعة القصار أطراف بيئة العرب المخاطب بهذا القرآن أول أمره كما تضم أطراف الخلائق البارزة في الكون كله حيث تتضمن السماء والأرض والجبال والجمال ممثلة لسائر الحيوان على مزينة خاصة بالابل في خلقها الصفة عامة وفي قيمتها للعربي بصفة خاصة ثم قال : ان هذه المشاهد معروضة لنظر الانسان حيثما كان . . . السماء والأرض والجبال والحيوان وأيا كان حظ الانسان من العلم والحضارة فهذه المشاهد داخلية في عالمه وإدراكه موحية له بما وراءها حيث يوجه نظره وقلبه الى دلالاتها والمعجزة كامنة في كل منها وصنعة الخالق فيها معلمة لا نظير لها وهي وحدها كافية لان توحى بحقيقة العقيدة الاولى ومن ثم يوجه القرآن الناس كافة اليها) (١)

ثم يقوم بشرح هذا التوجه فالابل حيوان العربي الاول عليها يسافر ومنها يأكل ويشرب ويلبس ويتقل وعلى ضخامتها يقودها الصغير وهي قليلة التكاليف تسير صابرة على الجوع والعطش وسوء الاحوال فهي مناسبة للبيئة التي هي فيها بالاضافة الى حجمها الذي يشكل خطا أفقيا مع الجبال والخالق لهما هو الله وحده - سبحانه - على هذا الشكل العجيب ثم السماء .

وأولى الناس بالتوجه اليهما هم أهل الصحراء حيث لها طعم ومذاق عندهم

فالسماء بنهارها الواضح وأصيلها الرائق الساحر وغروبها البديع ، وليلها المترامي

١- سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٥٦٤/٨ .

ونجومها الملاء لثة وشروقها الجميل والنتيجة أنها بلا عمد ترونها خالقها الواحد
القهار ، ثم الجبال ويلجأ العربي مشهدا يوحى الى النفس الانسانية للجلال والهيبة
والاستهوال حيث يتضاهل الانسان الى جوارها والنفس في أحضان الجبل تتجسس
بطبيعتها الى الله وتشعر أنها اليه أقرب وهي تشكل الجزء الثاني من الخط الافقي
مع الجمال .

ثم الارض كيف سطحت مهيبة لعمل الناس عليها لم يسطحوها ولكن الله
سطحها وهذا القدر كاف لبيان جمال التناسق التصويرى للمشهد القرآني الكوني
هذا ، وكاف لاستجابة الوجدان واستحياة القلب ومن ثم الايمان (١) .
فالنسبة هنا ، والتناسب كما هو واضح والخيال في هذا التناسب لا يقود
فقط لقوم دون قوم وان كان الخطاب بخصوص قوم معينين والاعتبار بعموم اللفظ لا
بخصوص السبب كما يقال .

وخلاصة ما أريد قوله أن الجامع بأقسامه الثلاث العقلي والوهمي والخيالي
أمر وجوده يصح العلاقات بين الجمل أو المفردات ولكن هذا النظر الى الجمل
من هذه الزاوية فقط يشعر بالنقص لان العلاقة بين الجمل لا تكمن من الوجهة الصناعية
فقط بل يجب أن تعدى الى أبعد من ذلك ونبين وجه الارتباط بينها وأسبابه وعمله
ومدى صلاحيته وما يستفاد منه على أساس من النظر والشمولية العامة للنصوص ولناخذ
١- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، بتصرف : ٥٦٤/٨ - ٥٦٥ .

مثالا معاكسا لتتضح ما نريد ، قال الخطيب القزويني : (والجامع بين الجملتين يحب أن يكون باعتباره المسند اليه في هذه والمسند اليه في هذه وباعتبار المسند في هذا والمسند في هذا جميعا كقولك : (زيد طويل وعمرو قصير) اذا كان بينهما مناسبة كأن يكونا أخوين . بخلاف (زيد شاعر وعمرو طويل) كأن بينهما مناسبة أو ، وعليه قوله تعالى : (ان الذين كفروا سوا عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) قطع عما قبله لانه كلام في شأن الذين كفروا وما قبله في شأن القرآن) (١) .

فكلمة قطع عند الخطيب مشعرة أنه لا علاقة رابطة بين هذا النص وما قبله

مع أن العلاقة أوثق من أن تكون بحرف عطف .

انظر ما قال أهل العلم في توقف الصلة بين هذا النص وما سبقت سبقة ،

وبيين السيوطي وجه الربط بينهما بقوله : (فان أول السورة كان حديثا عن القرآن

وأن من شأنه الهداية للقوم الموصوفين بالايمان فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث

الكافرين فبينهما جامع وهيمسي بالتضاد .

من هذا الوجه وحكمته التشويق والثبوت على الاول كما قيل وبضد ها تتميز

الاشياء .

فان قيل هذا جامع بعيد لان كونه حديثا عن المؤمنين بالعرض لا بالذات

والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام انما هو الحديث عن القرآن لانه مفتتح القول
 قيل لا يشترط في الجامع ذلك بل يكفي التعلق على أى وجه كان ويكفي وجه الربط ما
 ذكرنا القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به والحث على الايمان ولهذا لما فرغ من ذلك
 قال : (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) فرجع الى الاول (١) .

وقد عدّه الزمخشري من باب الاستئناف على تقدير سؤال حيث قال : (قد

مر لي أن الكلام المبتدأ عقيب المتقين - يعني قوله تعالى : (ان الذين كفروا . .)
 سبيله سبيل الاستئناف وأنه مبني على تقدير سؤال فذلك ادراج له في حكم المتقين
 وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة كالجارى عليه (٢) .
 وبعد فنا نخرج من قوقعة الجامع الى أبعد من ذلك وهو ما يسمى عند
 العلماء بالتناسب والمناسبة وهي قضية تداخل التوسط بين الكمالين وكمال الانقطاع
 أيضا في الفصل والوصل وسنبين هذا التناسب في الآيات من خلال الكلام على سورة
 البقرة ان شاء الله - وللمناسبة أهمية كبيرة في بيان ارتباط أجزاء الكلام بعضها ببعض
 علما أن بعضهم أنكروا وجود التناسب في آيات الله وبياننا لاهميتها قال الزركشي :

(واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول والمناسبة
 في اللفظة : المقارنة وفلان يناسب فلانا أى يقرب منه ويشاكله ومنه النسب الذي هو

١- السيوطي ، معترك القرآن ، ٥٩/١ ، وانظر الزركشي ، البرهان : ٤٩/١ .

٢- الزمخشري ، الكشاف : ٣٦/١ نقلا عن البلاغة في تفسير الزمخشري ، محمد حسين

القريب المتصل كالأخوين وابن العم وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما وهو القرابة

ومنه المناسبة في العلة في باب القياس : الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقاربه

له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم ولهذا قيل المناسبة أمر معقول إذا عرض

علي المعقول تلقته بالقبول وكذلك المناسبه في فواتح الأي وخواتمها ومرجعها - والله اعلم

إلى معنى ما رابط بينهما عام أو خاص عقلي أو حسي أو خيالي وغير ذلك من أنواع العلاقات

أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه أو التلازم

الخارجي كالمرتبط على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر (..... (١) .

وتمكن فائده التناسب في جعل أجزاء الكلام أخذا بعضها بأعناق بعض حتى

يصير الكلام والتأليف كالسبيكة الواحدة أو كالبناء المحكم المتناسك الأجزاء ومن اعتنى بهذا

النوع من المفسرين الإمام الجليل فخر الدين الرازي صاحب مفاتيح الغيب حتى قال في تفسيره

أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيب والروابط (..... (٢) .

ونقل الزركشي أيضا قول القاضي أبي بكر في المناسبة حيث قال : (قال القاضي

أبو بكر ابن العربي في سراج المرئيين : ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون

كالكلمة الواحدة منسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل

فيه سورة البقرة ثم فتح الله (عز وجل) لنا فيه ، فلما لم نجد له حملة ، ختمنا وجعلنا

١- الزركشي ، البرهان في علوم القرآن : ١ / ٣٥ .

٢- نفس المصدر السابق ، ١ / ٣٦ .

بيننا وبين الله ونقل عن الشهرابي ايضاً قال : قال الشيخ ابو الحسن الشهرابي
 اول من اظهر علم المناسبة ولم تكن سمعناه من غيره هو الشيخ الامام ابو بكر النيسابوري
 وكان يقول على الكرسي اذا قرئ عليه الاية : لم جعلت هذه الاية الى جنب هذه ؟
 وما الحكمة في جعل هذه السورة الى جنب هذه السورة ؟ (١)

اما كيفية معرفة الجامع والمناسبة يذكر لنا السيوطي قاعدة في ذلك فيقول الامر
 الكلي المقيد لعرفان مناسبة الايات في جميع القران وهو انك تنظر وتنظر الى مراتب
 تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب وتنظر عند انجرار الكلام في مقدمات الى
 ما تستتبعه من استشراف نفس السامع الى الاحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي
 البلاغة شفاء الغليل برفع عنا الاستشراف الى الوقوف عليها فهذا هو الامر الكلي المعين
 على حكم الربط بين جميع اجزاء القران فاذا فعلته بين ذلك وجه النظم مفصلاً بين كل
 اية وايه في كل سورة وسورة (. (٢)

وتطبيق ذلك على سورة البقرة انها تبدأ بالكلام عن الكتاب المقدس وانه هادي
 للمتقين وهؤلاء يستلزمون ويحتاجون الى معاملات بشرية كالتجارة والزواج والطلاق
 وكذلك الى امور نفسية مريحة كالهداية والصلاة والى حماية كالقتال والحب وكذلك
 يستلزم ان يكون هناك غير مهتدين مثل الكفار والمنافقين والى ضالين كاليهود والنصارى
 بيان احوالهم -

١- الزركشي ، البرهان في علوم القران : ١ / ٣٦ .
 ٢- السيوطي ، معترك الاقراص : ١ / ٦٢ .

وتطرح عليك بعض الامثلة للتناسب بين السور والايات مثال التناسب بين السور

نأخذ سورة البقرة والفاحة : فقوله تعالى : (الم ذلك الكتاب) في سورة البقرة فانه
اشارة الى الصراط في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم (كأنهم لما سألوه الهداية
الى الصراط قيل لهم ذلك الصراط المستقيم الذي سألتهم الهدايح اليه هو الكتاب) (١)
ومن التناسب بين السور ايضا ما قاله بعض الائمة : وسورة الفاتحة تضمنت

الاقرار بالربوبية والالتجاء اليه في دين الاسلام والسيانة عن دين اليهودية والنصرانية
وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين ، وال عمران تكلمة المقصود فالبقرة بمنزلة اقامة الدين
على الحكم وال عمران بمنزلة الجواب عن شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيه ذكر المتشابه
لما تمسك النصارى .

وأوجب الحج في ال عمران واما في البقرة فذكر انه مشروع وأمر باتمامه بعد
الشروع فيه وكان خطاب النصارى في ال عمران اكثر كما ان خطاب اليهود في البقرة
اكثرا لان التوراة اصل والانجيل فرع لها (.....) (٢) .

ومن امثلة التناسب في الاية الواحدة قوله تعالى : (هو الذي خلق لكم

ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات وهو بكل شي عليم)
قال السيوطي : أن البقرة لما تضمنت خلقا مستويا محكما من غير تفاوت والخالق عليم
الوصف المذكور يجب ان يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجلا ومفصلا ناسب ختمها

بصفة المعلم .

وسندكر ما نستطيع عليه من اقوال العلماء في الربط واظهار التناسب .

الايات في سورة البقرة .

ولندكر بعض من رفض هذه الفكرة ومن الذين لم تستهوهم فكرة الربط في القران

الكريم الشيخ عز الدين بن عبد السلام وعلل ذلك بأسباب يرجع بعضها الى الزمن ومدة

نزول القران ونزول القران مغرقا ومنها اختلاف الاحكام فيه ومنها كونه كلام الله وتصرف

الله (عز وجل) في الكلام ليس كتصرف الملوك والناس المخلوقين .

قال العز : (واعلم ان من الفوائد ان من محاسن الكلام ان يرتبط بعضه

ببعض وينشبت بعضه ببعض لثلا يكون مقطعا مبتورا وهذا بشرط ان يقع الكلام في امر متحد

فيرتبط اوله باخره فان وقع على اسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط احد الكلامين بالآخر

ومن ربط ذلك فهو متكلف لما لم يقدر عليه الا يرتبط ركيب يمان عن مثله حسن الحديث

فضلا عن احسنه ، فان القران نزل على الرسول عليه السلام في نيف وعشرين سنة . فسي

احكام متلفه شرعت لاسباب مختلفة غير مؤتلفة وما كان كذلك لا يثاتي ربط ببعضه

ليس يحسن ان يرتبط تصرف الاله في خلقه واحكامه بعضه ببعض مع اختلاف العسلل

والاسباب ولذلك امثله احد هما ان الملوك يتصرفون في حده ملكهم يتصرفون في حده

ملكهم يتصرفون في حده ملكهم بتصرفات مختلفة متضادة وليس لاحد ان يرتبط بعض

ذلك ببعضه .

المثال الثاني : الحاكم يحكم في يومه بوقائع مختلفة واحكام متضاده وليس

لا حد أن يلتزم ربط بعض أحكامه ببعض .

المثال الثالث : أن المفتي يفتي في مدة عمرو أو في يوم من أيامه أو مجلس

من مجالسه بأحكام مختلفة وليس لا حد أن يلتزم ربط بعض فتاويه ببعض .

المثال الرابع : أن الانسان يتصرف في خاصته بطلب أمور موافقه ومختلفه

ومتضادة وليس لا حد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات ببعض - والله أعلم - والحمد

لله وحده فقول العز - رحمه الله - من نزول القرآن في نيف وعشرين سنة في أحكام

مختلفة لا يسبب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتى فيه ربط فيمكن الرد عليه وهو أن القرآن

نزل في هذه المدة الطويلة إلا أن وضع الآيات وترتيب السور فيه أمر توقيفي منه

(صلى الله عليه وسلم) مقصود فيه الترتيب والتناسب لا نقيس كلام الله - عز وجل - على

كلام البشر فتصرف الله في الامور والكلام ليس كتصرف البشر حتما .

ويقول الزركشي عن بعض مشايخه المحققين ردا على هذا قد وهم من قال

لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لانها على حسب الوقائع المتفرقة .

وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيبها

فالمصحف كالمصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكون مرتبة سورة كلها وآيات

بالتوقيف ومن المعجز البين اسلوبه ونظمه الباهر فانه كتاب أحكمت آياته ثم

فصلت من لدن حكيم خبير) .

ويقول الزركشي مؤيدا فكرة التاسب بين الآي والسور وإذا اعتبرت افتتاح

كل سورة وجدته فب غاية المناسبة لم ختم السورة قبلها ثم هو يخفي تارة ويظهر أخرى

كافتتاح سورة الانعام بالحمد فانه مناسب لختام سورة المائدة من فصل القضاء (١) . . (١)

وإذا ثبت هذا بالنسبة الى السور فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض؟

بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة (٢) (٢)

على أن اخفاء سر الربط بين الكثير من الآيات والسور أو وجود روابط ركيكة

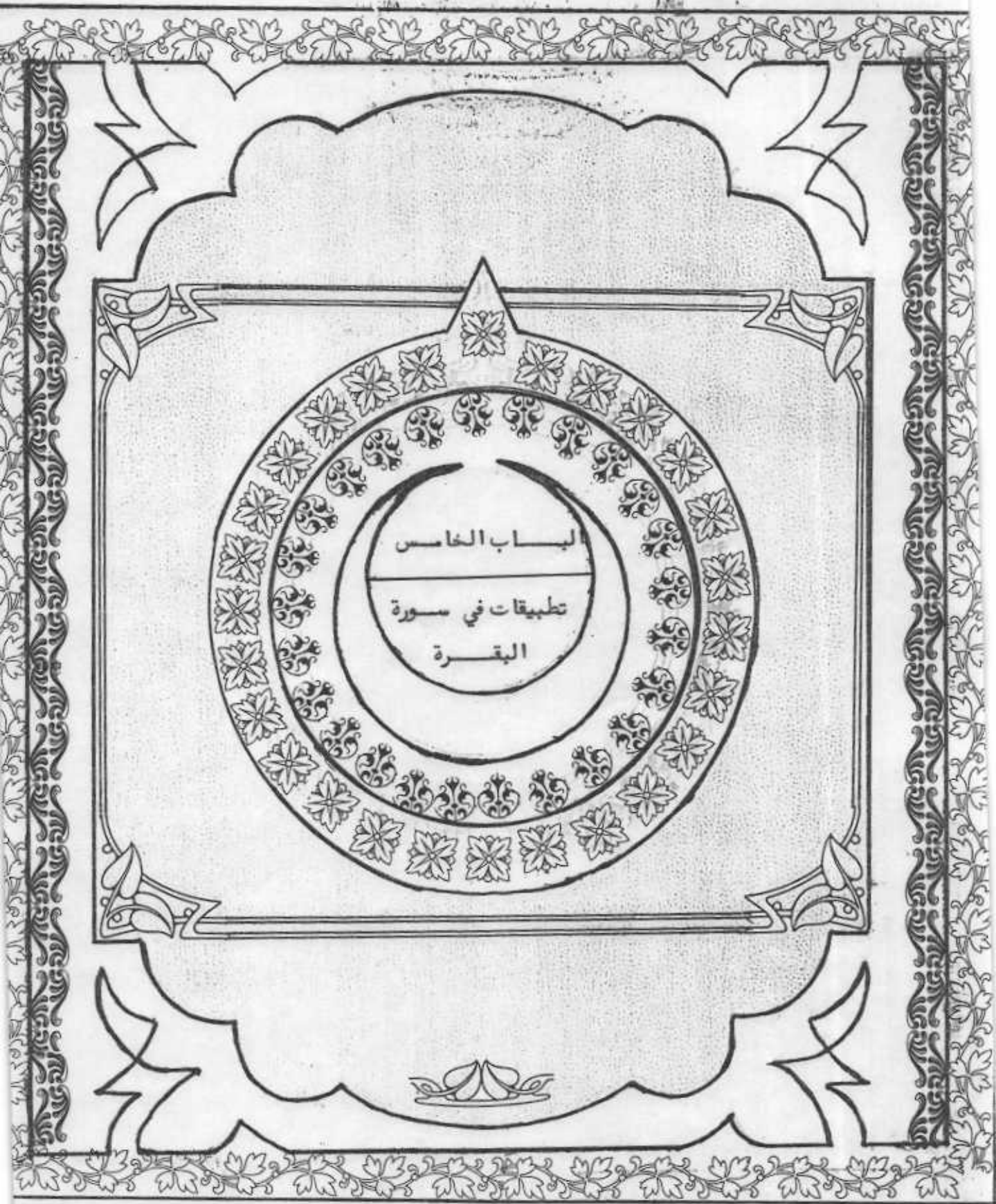
استتبطها بعض العلماء أدى بالبعض الآخر أن ينفي قضية الربط من أساسها حفاظا

على كتاب الله - عز وجل - لا رغبة في انكار الربط أصلا .

(١) - العبارة التي قصد كما قال سبحانه (وقضي بينهم بالحق) وقيل : الحمد لله

رب العالمين (.

٢- الزركشي ، البرهان : ١/٣٧-٣٩ .



الباب الخامس

تطبيقات في سورة

البقرة



الباب الخامس

(تطبيقات في سورة البقرة)

الفصل الاول : تطبيقات شاملة .

الفصل الثاني : تحليل نظام عقد المعاني في السورة .

الفصل الأول

تطبيقاً شاملة



تطبيقات شاملة

في هذا الفصل سأحاول ان شاء الله ان ابين مدي تلاحم وارتباط آيات هذه السورة ابتداء من مطلعها حتى نهايه الجزء الاول منها وذلك اعتمادا على اقوال اهل العلم من المفسرين والبلاغيين وما يفتحه الله على في هذا المجال - قدر الجهد مركزين بؤرة الضوء على السر البلاغي ليظهر سر من اسرار الاعجاز القراني من خلال ربطه المحكم - اما اقتصرنا على الجزء الاول فقط من السورة في هذا الفصل وعدم ادخال السورة كلها تحت هذا التطبيق فيعود الى التشابه الشديد بين الآيات وطبيعية تركيبها والكفاية هذا الجزء من جهة الطول والشمول - وسنرجى الحديث عن فضائل هذه السورة واهميتها والافكار الرئيسة الواردة فيها للفصل الثاني من هذا الباب لانهما به انسب وما فكره اعلق. قال تعالى في بدايه هذه السورة (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هادي للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة مما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . اولئك على هدي من ربهم واولئك هم المفلحون) -

ان الناظر في المقطع القراني السابق الذي افتتحت به سورة البقرة ليجد عجباً في التماسق الدقيق بينه وبين سورة الفاتحة التي صدر بها المصحف الكرم والتي اشتملت على طلب المؤمنين الهداية من الله عزوجل بقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم . . .) فكانت بدايات هذه السورة الجليلة جواباً كافياً شافياً لذلك الطلب وكان لسان حال هذا المقطع يقول (ان كنتم تطلبون الهداية فهي في اتباع ذلك الكتاب الخالي من الرب الهادي الى الطريق المستقيم) (١)

(١) انظر ابوحيان لاندلسي - ابصر المحيط ج ١ ص ٣٦ وانظر السبوطي

وهناك اشارات اخرى مفادها ان الخطاب في بدايه هذه السوره موجه لاهل الكتاب من اليهود الذين كانوا قد وعدوا كتابا ينزل بالحق الا انهم لما جاءهم ما عرفوا كفروا به مع انهم يعرفون انه الحق كما يعرفون ابناءهم كما ورد في الايات الكريمات (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ٠٠٠٠) (٢) وقوله تعالى : (يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ٠٠٠)^(٢) فمعنى (الم ذلك الكتاب) اي هذا الكتاب الذي كنتم تتوقعونه كما يقول المبرد . واتى بدليل على ان (ذلك) بمعنى (هذا) مستشهدا يقول : خفاف ابن ندبه ٠٠٠٠ (٣)

اقول له والرحم يا طرمتنه تا مل خفافا اني انا ذلكا ٠٠٠ (٤)

واذا حاولنا ان ننظر تفصيلا في هذا المقطع الكريم نجد انه اشتغل على ثلاث افكار رئيسه قيمه متازره متعانقه ذات علاقه وطيدته بين بعضها البعض . فالفكره الاولى المتشبهه في الجملة الاولى وهى جمله (الم) على تقدير ان (الم) خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذه) تحمل معنى التحدي لاولئك البلغاء الفصحاء من العرب مطالبه اياهم ان ياتوا بمثله هذا القران خاصه ان حروفه وعباراته وتراكيبه وجمله من

-
- | | |
|-----|-------------------------|
| (١) | سوره البقره ايه ٨٩ |
| (٢) | سوره البقره ايه ١٤٦ |
| (٣) | شاعر جاهلى |
| (٤) | المبرد الكامل ج ٢ ص ١٦٧ |

جنس ما يتكلمون به ٠٠٠ (١)

والفكرة الثانية تتمثل في الجمل الثلاثة الآتية (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين) وهي فكرة قائمة على بيان أهمية هذا الكتاب واختلافه عن غيره من الكتب في كونه هداية محضة وان ما عداها من الكتب بالنسبة له يعد لا شيء وفي هذه الفكرة ما يحمل المبغضين له على محاولة سبر غوره لنقده ومحاولة استخراج أي خلل ليسوغ لهم الطعن وللثبات نقيض ما ذهب إليه من الكمال هذا الحفز يجعلهم - في النهاية يدعون للحق لما يجدونه من فارق كبير بين ما يروجونه من باطيل وبين هذا الكتاب الكامل في هدايته .

وأما وجه استخراج معنى الكمال من الآية السابقة فيتمثل من خلال تعريف الخبر والابتداء باسم الإشارة - وهو من أعرف المعارف - وتعريف طرفي الجملة الاسمية فيه معنى القصر وكأنك تقول : هذا هو فقط الذي يستحق ان يسمى كتابا بالاضافة الى ما في استخدام اسم الإشارة البعير من اضعاف معنى بعد المنزلة والعلو في الشأن ووجه ارتباط هذه الجملة (ذلك الكتاب) بما قبلها اذا اعتبرنا (الم) جملة هو ان معنى ذلك الكتاب هو نفس معنى هذه الم فالقران حروفه من جنس (الم) فكأنك كررت الجملة

(١) قدر ابو عمرو الداني الوقف هنا تاما اذا جعل الم اسما للسور على

تقدير اقراء الم او جعل على تا ويل انا الله اعلم .

انظر : ابو عمرو الداني عثمان بن سعيد الداني اللاندلسي ف ٤٤٤

ت ودراسة د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي ط وموسسة الرساله

ص ١٥٨ . المكتفي في الوقف والابتداء في كتاب الله عزوجل .

بمعناها لتقرير الخبر وتأكيد له ولهذا السبب نفسه لم تحتل الجملة رابطا بحرف من
 حروف الربط لشدة التصاق التأكيد بالمؤكد افا جملة (لا رب فيه) المكونه من
 لا واسمها وخبرها والتي توحى بمعنى استغراق نفي الرب من جراء دخول النفي على
 المصدر فانها جملة تامه مستقله لها مقدمات الجملة . و يكمن سر ارتباطها عاقلها
 من جملة (ذلك الكتاب) في انه لما اتيت الكمال التام للكتاب على معنى عدم نظرق
 هذا المعنى بجملة (لا رب فيه) حتى لا يحمل معنى الكمال السابق على
 المبالغه او السهو او النسيان او الرمي من غير تحقق وفي هذا المعنى يقول الخطيب
 القزويني : فانه لما بولغ في وصف الكتاب ببلوغه الدرجه القصوي من الكمال بجعل المبتدأ
 ذلك وتعريف الخبر باللام كان عند السامع قبل ان يتأمله وظنه انه مما يرمى به جزافا
 من غير تحققه فاتبع (لا رب فيه) زفيا لذلك (١)

فالجملة اذا توكيد لسابقتها ولما كانت الحروف مختلفه والمعنى مختلفا كان
 هذا التوكيد توكيدا معنويا كانك قلت ذلك الكتاب نفسه اما عند الشيخ عبد القاهر فعى
 توكيد وبيان وتحقيق لقوله تعالى : (ذلك الكتاب) وزياده تتبين بمنزله ان يقول هو
 ذلك الكتاب هو ذلك الكتاب فتعيده مره ثانيه لتشبيهه (٢)

وهذا المعنى لا يتحقق الا على تلك التركيبه للجملة من ايلاء الرب حرف النفي
 لنفي الرب عنه واتباعه انه حق لا باطل كما يزعم الكفار ولو اولى الظرف فيه تقصد الى ما
 عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه رب لاني هذا الكتاب كما قصد في قوله تعالى (لا

(١) الخطيب القزويني الايضاح في علوم البلاغه ج ١ ص ١٥١

(٢) فقلا عن سعد الدين التفتازاني المعطل ص ٢٥٤

فيها (محول) من تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا باءنها لا تغتال العقول^ل

كما تغتالها خمر الدنيا (١)

والجملة الاخيرة من هذه الفكرة تتمثل في قوله تعالى (هدى للمتقين) و

وبلاحظ في هذه الجملة وضع المصدر هدى موضع الوصف هاد كما ان نفسه هدايه

بالاضافة الى ايراده منكرات فيه اشعار بان هدى لا يكتبه كنهه (٢)

وكل ذلك من اجل تأكيد معنى الكمالية في ذلك الكتاب فمعنى هدى

للمتقين : انه في الهداية بالغ درجة لا يدرك كتها حتى كما انه هدايه محققة وهذا

نفس معنى قوله تعالى ذلك الكتاب اي الكامل في الهداية فالمعنى في الجملتين

متحد بحيث تستطيع القول ان الجملة الاولى ذلك الكتاب كما انها قد كررت واكدته

مرة بالمعنى على وزن نفسه ومرة لفظا في قوله تعالى هدى للمتقين (٣)

ونلاحظ ايضا ان هذه الجملة لم تعطف مباشرة على ما قبلها لا رب فيه

ولس في ذلك هو ان لا رب فيه جملة مؤكدة لما قبلها تابعة لها وكذلك هدى

للمتقين جملة مؤكدة ذلك الكتاب فبسبب عدم عطف التاكيد الاول لم يعطف التاكيد

الثاني وعدم عطف التاكيد الثاني على الاول من باب اولي لشدة ارتباطه وكما انه هو هو

قال صاحب مواهب الفتح في سر عدم العطف بان لا رب فيه لما كان تأكيدا تابعا

لما قبله صار كهو فلما اتبع العطف على ما قبله امتنع عليه لشدة ارتباطه بما قبله فالعطف

(١) انظر تفسير النسفي ج ١ ص ١٠ تبصرف

(٢) السابق ص ١٢-١٣

(٣) الخطيب القزويني الايضاح ج ١ ص ١٠٢

عليه كالعطف على ما قبله ٠٠٠ (١)

أما جملة لا ريب فيه فقد قيل أيضا أنها خبر لفظا انشاء معنى قال صاحب
عروس الافراج : وقد قيل انه نهى معناه لا ترتابوا فرارا مما يوهمه الخبر من نفى وقوع
الريب من احد ٠٠٠٠ (٢)

وعلى هذا يكون الفصل بين الجملتين سواء السابقة فيها او اللاحقة من باب
الاختلاف في الانشائية والخبرية فلم تعطف على ذلك الكتاب ولم تعطف هدى للمتقين
عليها ٠ وقد ركبت وجوها عدة من الاعراب في قوله تعالى : (الم ذلك ٠٠٠٠ للمتقين)
منها قال النسفي : ووجه تأليف ذلك الكتاب مع الم ان جعلت الم اسما للسورة
ان يكون الم مبتدأ ذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره ٠ والجملة خبر للمبتدأ
الاول ٠٠٠٠ (٣) وعلى هذا الاعتبار كما هو واضح لا تعد الم جملة قائمة بحد
ذاتها ٠ وقال ايضا : وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ وخبره الكتاب
٠٠٠٠ (٤) وعلى هذا الاعتبار ايضا لا تعد الم جملة منفصلة بل جزء من جملة ٠
قال ابو حيان قالوا يجوز ان يكون ذلك خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هو ذلك الكتاب
والكتاب صفة او بدل او عطف بيان ويحتمل ان يكون مبتدأ وما بعده خبر ونى موضع خبر
الم وللا ريب جملة تحتمل الاستئناف فلا يكون لها موضع من الاعراب وان تكون في

(١) ابن يعقوب مواهب الفتح شرح التلخيص ج ٣ ص ٣٨

(٢) السبكي عروس الافراج شرح التلخيص ج ٣ ص ٣٦

(٣) التسفي تفسير ج ١ ص ١٠ - ١١

(٤) البحر المحيط ابو حيان ج ١ ص ٣٠

موضع خبر لذلك والكتاب صفة او بدل او عطف او خبر اذا قلت بتعدد الاخبار
التعليقة في معنى خبر واحد . وهذا اولى بالبعد لتباين احد الخبرين لان
الاول مفرد والثاني جملة (١) اما هدى فتحتل الرفع لانه خبر مبتدا محذوف
او خبر مع لا رب فيه لذلك او النصب على الحال من الهاء في فيه (٢)
وهو النصب على القطع كما يقول الغراء (٣) والاولى في الاعتبار ما ذكرناه سابقا
من اعتبار ان كل جملة من هذه الجمل قائمة بذاتها وهو اختيار جل المفسرين قال
الزمخشري : والذي هو ارسخ عرفا في البلاغة ان يقال : ان قوله الم جملة
براسها او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها . وذلك الكتاب جملة ثانية
و لا رب فيه ثالثة و هدى للمعتين رابعة . وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة
وموجب حسن النظم حين جرى بها متاسفة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها
متاخية اخذا بعضها يعنى بعض . فالثانية متحدة بالاولى معتقة لها وحلم جرا
الى الثالثة والرابعة - بيان ذلك انه نبه اولاً على انه الكلام المتحدي به ثم اشير اليه
بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال . فكان تقريراً لجهة التحدي وشدا من اعضاءه
ثم فنى عنه ان يتثبت به طرف من الرب فكان شهادة وتسجيلاً بكماله لانه لا كمال اكمل
مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والسببه ثم اخبر عنه بانه هدى
للمعتين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله . وحقا لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الارب بعد ان رتب هذا الترتيب اللانيق

(١) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ٣٦

(٢) النسخة تفسير النسخة ج ١ ص ١٢ وانظر الزركشي في البرهان

ج ١ ص ٥١

(٣) الغراء معاني القران ج ٢ ص ٢٨٦

ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة . ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض
 بالطف وجه وارشفه . وفي الثانية ما في التحريف من الفخامة . وفي الثالثة ما في
 تقديم الرب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدي موضع الوصف
 الذي هو هاد و ايراده منكرا والابجاز في ذكر المتقين (١) ولا شك ان
 دخول حرف عطف مهما كان نوعه يقسم هذا السبك المتين . اما الفكرة الثالثة فهي
 تتمثل في قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب الى قوله تعالى واولئك هم
 المفلحون) وهي تتحدث عن صفة الذين يؤمنون بالكتاب وصفه الذين اهدوا به و
 محصله تلك الايمانيات الا وهو الفلاح في الدنيا بالتعكين وفي الاخرة نبيل رضى رب
 العالمين ولاحظ الربط الدقيق بين مقدمة هذه الفكرة مع ما قبلها فقد صدرت هذه
 الفكرة بالاسم الموصول وهو وصفه لما قبله (المتقين الذين) وتقسّم هذه الفكرة الى
 عدة جملة الذين يؤمنون بالغيب وجملة يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون اولئك
 على هدي من ربهم . اولئك هم المفلحون . وليبيان وجوه ارتباطات هذه الجمل مع
 بعضها البعض نقول : انه يمكن اعتبار الذين يؤمنون صفة للمتقين ولم تعطف بحرف
 عطف للاتصاف الشديد بين الصفة والموصوف وجملة يقيمون الصلاة معطوفة على سابقتها
 وقد جاءت بحرف الواو للاتحاد مع الاولى في موقعها للاعراب و ارادة التشريك ولاحظ
 التناسب التام بين يؤمنون و يقيمون من جهة الاتحاد في الفاعل ومضارعية الجملة
 والتناسب بين طرفي العنصر فالإيمان والاقامة من مقومات الاسلام ويصيان في معنى واحد
 ومثلها ايضا جملة ينفقون في الاتحاد في الفاعل و ارادة التشريك والتناسب في الفعليه

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٢١ - ١٢٣

وانظر النسخ تفسير النسخ ج ١ ص ١٢ - ١٣

المضارعية من جهة ومعنى الفعل من جهة اخرى . ويختلف اعتبار عطف الذين
 يؤمنون على المتقين باعتبارين احدهما انه من عطف المفرد اي للمتقين المؤمنين
 وتكون الذين اسم موصول في محل جرا ومن عطف الجمل على تقدير اخصر او اعنى
 او هم الذين يؤمنون وعلى كلا الحالتين فالجملة او المفرد لا يخرج عن دائره كونه
 صفة لما قبله ولا شك ان ان العطف بالجملة اقوى من العطف بالمفرد . وهناك اعتبار
 اخر وهو مبنى على ان (الذين يؤمنون) جملة مستأنفة جديدة . خبرها جملة
 واولئك على هدي من ربهم وهذا يكون الوقف تاما على عبارة المتقين والربط
 بينها وبين هدي للمتقين هو انها فصلت عنها كفصل الجواب عن السؤال . وذلك
 انه لما قيل هدي للمتقين واختصر المتقون بان الكتاب لهم هدي اتجه السائل يسأل
 فيقول : ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله - الذين يؤمنون بالغييب -
 الى ساقته كما انه جواب لهذا السؤال المقدر وجبى بصفة المتقين المنطوية تحتها
 خصائصهم التي بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم
 اي الذين هو لاء عقائدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح و
 نظيره قولك : احب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الانهار الذين قارحوا دونه
 وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك اهل للمحبة افا قوله تعالى : (والذين يؤمنون بما
 انزل اليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) فان مجس الوافى مقدمتها
 لاشراكها في حكم ما قبلها فهي معطوفة على جملة والذين يؤمنون بالغييب فالمؤمنون
 هنا هم المؤمنون في الجملة الاولى وتوسط العاطف بين الصفات التابعة لموصوف
 واحد - قال الشاعر .

الى الملك القرم وابن العمام وليث الكتيبة في المزدم (١)٠٠

نقد وسط العاطف بين الصفات المعادلة لموصوف واحد . قال الزمخشري : ويحتفل
ان يراد بهؤلاء) والذين يؤمنون بما انزل اليك (٠٠٠) مؤمنو اهل الكتاب كعبد
الله بن سلام واضرابه من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحى انزل من عند الله
٠٠٠٠ فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ٠٠٠ (١) وعلى هذا المعنى يكون
مؤمنواهل الكتاب صنفا اخر غير مؤمنى العرب . وعندى ان هذا فصل وتقسيم
لا ولله عليه . وقد رجح السيد شريف كون الجملة وصف للاولين والذين يؤمنون
بالغيب . ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات حيث قال
هذا الاحتمال ارجح من الاول . لان الايمان بما انزل الى النبي - صلى الله عليه
وآله وسلم - وما انزل من قبله مشترك بين المؤمنين قاطبة فلا وجه لتخصيصه بمؤمنى
اهل الكتاب - ٠٠٠ (٢) ولا شك ان عطفهم على الذين يؤمنون بالغيب يعنى
دخولهم فى جملة صفات المتقين . اما اذا كان العطف على المتقين فان هذا
يعنى ان الكتاب هدى للمتقين وهدى لهذه الزمرة من الذين يؤمنون بما انزل الله
وتعدير الجملتين بالاسم الموصول مع امكانية عدم اعادته فى الجمل الثانية - ليبرل
على التناسب فى الاسمية بين الجملتين من جهة الشكل ثم لبيان استقلالية كل جملة
على حده وبالتالى استقلاليتها بما شملت عليه من صفات متهثلة فى جمل الصلة . و
يظهر التناسب من خلال الاتحاد فى المبتدأ بين الجملتين والاتحاد بالصلة
فالايمان بالغيب يشتمل على الايمان بالكتب المنزلة السابقة واللاحقة وهى من الغيب

(١) الزمخشري التفسير ج ١ ص ١٣٤

(٢) السيد شريف حاشية على تفسير الزمخشري ص ١٣٥

اما قوله تعالى وما انزل من قبلك ، فان التركيب معطوف على ما نعدت اليه
 يؤمنون . وما انزل اليك وما انزل من قبلك والتناسب واضح بين التركيبين من حيث
 التصور بما الموصولة والفعل انزل .

اما جملة (وبالآخره هم يوقنون) فانها معطوفة على جملة الصلة السابقة

(يؤمنون بما انزل اليك) الا ان العبارة اتخذت شكلا اخر في تقديم المتعلق

الجارو المجرور وبناء جملة يوقنون على الصفيير الفصل هم يوقنون لافاد معنى الاختصاص
 بالايقان بالآخره وكما ان ما عداهم لا يوقن بها ايقانا تاما وهذا فيه ما فيه من التشريف
 لهم . وفيه تعريضا ايضا باهل الكتاب من قبلهم بان ايقانهم بالآخره ادعاء وزعم وليس
 صحيحا . من اجل هذا خالف التناسب بين الجملتين يؤمنون بما انزل اليك .
 وبين وبالآخره هم يوقنون وكان اصل التركيب (والذين يؤمنون بما انزل اليك ويوقنون
 بالآخره) واولئك على هدي من ربهم .

اشرنا فيما سبق الى ان هذه الجملة خبر لجملة الذين يؤمنون بالغيب على

اعتبار انها مستانفة لا صفة للمتقين . فلا تحتاج الى عاطف لانها جزؤ من جملة
 كبيرة مكونة من مبتدأ وخبر . وما بعد ها واولئك هم المفلحون معطوف عليها بالواو
 والتناسب واضح بين الاتحاد في اسم اللاشارة وكون الهدى والفلاح من المعاني الممكن
 احتمالها في شئ واحد وهناك اعتبار اخر في هذه الجملة وهو ان تكون مستانفة استئنافا
 بيانيا كما انه قيل : ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان
 اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يقوزوا دون الناس بالهدى عاجلا والفلاح اجلا . (١)

او يكون خبرها شبه الجملة (على هدي من رهم) اما السرفى عطف الجملة الثانية
 واولئك هم المفلحون بالواو على الجملة التى قبلها مع اعادة المبتدأ وهو اسم الاشارة
 فى كلتا الجملتين مع انه من الممكن للاستغناء عن احدهما فيرجع الى ان العطف
 بالواو يحمل معنى التغاير بين المتعاطفين وكان اولئك على هدي صفة خاصة غير
 اولئك هم المفلحون . منفصلة عنها كل واحدة منهما قائمة بذاتها كافيده فى الدلالة
 على مرتبة المتقين لذلك جاء بالعاطف لافادة هذا المعنى وفى هذا يقول الزمخشري
 وفى تكرير اولئك تشبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثر بالهدى منهما ثابتة لهم
 بالفلاح . فجعلت كل واحدة من الاثرين فى تمييزها بها عن غيرهم بالمثابة التى لو
 انفردت كدت مميزة على حياها . فان قلت : لم جاء مع العطف وما الفرق بينه وبين
 قوله - اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون قلت : قد اختلف الخبران
 هنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثم فانها متفقان لان التسجيل عليهم
 بالغفلة وتشبيهم بالبهائم شئ واحد فكانت الجملة الثانية مقرر لما فى الاولى فهى
 من العطف بمعزل — (١)

ولا مثل ان تكبر صفات المتقين واعتبار كل صفة من صفاتهم قائمة بذاتها
 بحيث لو وصفوا بها لكتبتهم فيه اغراء للسالكين ان يسلكوا ملك المتقين وان ينشئوا على
 منوالهم حتى يصبحوا فى مثل درجتهم العظيمة وينالوا ما نالوه من الفلاح والصلاح فى
 الدارين وقصر هاتين الصفتين على المتقين من خلال الابتداء باسم الاشارة وتعريف
 الطرفين فى الجملة الثانية مع ضمير الفصل دلالة واضحة على اختصاص اولئك فقط
 بهذه الصفات مع ما يدفع الانسان فى رغبة جامحة للعمل بمقتضى ما عملوا حتى يشمله

الوصف والقصر وهذه المعانى اقتضت ان يكون السياق كما هو عليه مع الاية حتى لا تخرج الى معانى اخرى غير مراده والله اعلم .

وفى نهاية هذا المقطع الاول من سورة البقرة الذي يتحدث عن الكتاب والمؤمنين والتعدي به نورد مثالا للتناسق العام بين الايات فى المقطع جميعه و ذلك مما قاله السيد قطب رحمه الله - قال (وهنا تساوق وتناسق بين هذه الصفات جميعا . هو الذي يؤلف منها وحدة متناسقة متكاملة فالتقوى شعور فى الضمير . وحاله فى الوجدان تتبثق منها اتجاهات واعمال وتتوحد بها المشاعر الباطنة والتصرفات الظاهرة وتصل الانسان بالله فى سره وجهره وتشتمعها الروح فتقل الحجب بينها وبين الكلي الذي يشمل عالمى الغيب والشهادة ويلتقى فيه المعلوم والمجهول . متى شفت الروح وانزاحت الحجب بين الظاهر والباطن فان الايمان بالغيب عندئذ يكون الثمرة الطبيعية لازالة الحجب السائرة واتصال الروح بالغيب والاطمئنان اليه ومع التقوى والايمان بالغيب عبادة الله فى الصورة التى اختارها وجعلها صلة بين العبد والرب ثم السخاء بجزء من الرزق اعترافا بجميل العطاء وشعورا بالاخاء ثم سعة الضمير لموكب الايمان العريق والشعور باصرة القرى لكل مؤمن ولكل نبي ولكل رساله ثم اليقين بالآخرة بلا نزدد ولا تراجع) . . . (١) فى هذا اليقين — ثم كان هذا التقرير واولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون .

قوله تعالى : (ان الذين كفروا ساء عليهم عانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

بما كانوا يكذبون) .

في هذا المقطع يتحدث القرآن الكريم عن الكافرين خالص الكفر مبينا اهم صفاتهم في صورتهم تلك التي تمثل مقومات الكفر . فالانذار وعدمه عندهم سواء والايمان منفي والقلوب مختومة والاسماع كذلك والابصار مغشاة والنتيجة استحقاق العذاب . والكفر مضاد للايمان ومقابل له بينما نجد في الصورة الاولى - المقطع الاول - المؤمنين نجد هنا ما يقابلها من صورة الكافرين وما هي مثل ان تقديم صورة المؤمنين فيه زيادة رعاية واهتمام واولوية وهو من باب تقديم الخير على الشر . قال النسفي : قدم ذكر اوليائه بهيئاتهم المقربة اليه وبين ان الكتاب هدي لهم قضى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى (١) والجامع بين الحديثين الحديث عن المؤمنين في المقطع الاول وهذا المقطع جامع وهمي بالتضاد . وحكمته التشويق والثبوت على الاول كما قيل وبصرها الاشياء تميز فان قيل هذا جامع بعيد لان كونه حديثا عن المؤمنين بالعرض لا بالذات - والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام - انما هو الحديث عن القرآن لانه مفتتح القول فيل : لا يشترط في الجامع ذكر بل يكفي التعلق على اي وجه كان ويكفي في وجه الربط ما ذكرنا لان القصد تأكيد امر القرآن والعمل به والحث على الايمان . ولهذا لما فرغ من ذلك قال (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا) فرجع الى الاول (٢)

اما عند عدم استخدام حرف العطف بين المقطعين فيحدثنا الزمخشري بقوله :

(١) النسفي تفسير النسفي ج ١ ص ١٥

(٢) السيوطي معترك الاقران ج ١ ص ٥٩

فان قلت : لم قطعن قصه الكفار عن قصه المؤمنين ولم تعطف كضحو قوله - ان الابرار
لن نعيم وان الفجار لنن جحيم - وغيره من الاي الكثيره - قلت : ليس وزان هاتين
القضيتين وزان ما ذكرت لانه الاولى فيما نحل في مسوقه لذكر الكتاب وانه هدي للمتقين
وسقط الثانية لانه الكفار من صفتهم كيت . كيت . فبين الجملتين تباين في الغرض
والاسلوب وهي على حد لا مجال فيه للعاطف . فان قلت : هذا اذا زعمت ان الذين
يوؤمنون جار على المتقين فانه ما اذا ابتداءته وبنيت الكلام لصفه المؤمنين ثم
عقبته بكلام اخر في صفه اعداءهم كان مثل تلك الاي المتلوه . قلت : قد مر لي ان
الكلام المبتدأ عقب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني على تقدير سؤال . فذلك
ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى . وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في
الحقيقه كالجاري عليه (١) فالكلام وان كانت صورته تبدو مستقلة على اعتبار
الابتداء في قوله تعالى الذين يؤمنون وخبره اولئك على هدي الا انه في الحقيقه متصل
بما قبله اتصال التابع بمتبوعه فلم يصح العطف وهناك اعتراض اخر يمكن ان ينشأ وهو لم
لا يكون العطف واقعا بين قوله تعالى : (والذين يؤمنون بما انزل اليك) وخبره اولئك
على هدي وبين ان الذين كفروا على اعتبار ان جمله (والذين يؤمنون) جمله
مستقلة بذاتها . فيعطف بين الجملتين بحرف العطف كما بين ان الابرار لنن نعيم
وان الفجار لنن جحيم . وقد رد هذا الوجه ايضا بقولهم :

بانه بنى الكلام ههنا على الوجه المرضي وما ذكرته وجه ضعيف بالاضافه الى ان
هذه الجملة محمولة على التعريض وان معناها يناسب وصف الكتاب بالكمال لذلك جاز
عطفها على سابقتها وانا جمله (ان الذين كفروا) فلا مدخل لها في ذلك فلا وجه

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٤٩ وانظر

للعطف فيها ٠٠٠ (١) وهناك سبب آخر يقوي ما مضى في عدم استخدام حرف العطف بين الجملتين : الذين يؤمنون ٠٠٠ وجمله (ان الذين كفروا) هو ان جمله (ال الذين يؤمنون بالغيب) استغاف وقع جوابا عن سوال وان الذين كفروا لا يصلح ان يكون جوابا عن ذلك السؤال فامتنع العطف لذلك .

وورد ايضا ان سبب ترك العطف هو كون الجملة استثنافا اخر كانه قبل ثانيا ما بال غيرهم لم يهتدوا به! فاجيب بانهم لا عرضهم وزوال استعدادهم لم تتجج فيهم دعوة الكتاب الى الايمان . وقبل ترك العطف لغاية الاتحاد والاتصال وهو مردود بان شرح ترمذ الكفار لا يؤكد كون الكتاب كاملا في الهداية ٠٠٠٠ (٢)

ما سبق تبين لنا ان هناك تناسب عام بين هذا المقطع والذي قبله هو كون الثاني مضادا للاول وعلى نقيضه ولا شك ان ذكر نقيض الشيء مظهر له وموضح فبعد ان انتهى من الحديث عن الكتاب والمؤمنين ابتداء الحديث عن الكافرين . وبعد هذا البيان لحال هذه الجملة مع ما قبلها تعود للحديث عن اقوالها الاعرابية فنقول ذكر المفسرون ان قوله تعالى (ان الذين كفروا ساء عليهم اذ انذرتهم ان لم تنذرهم لا يؤمنون) تتكون من عدة جمل متداخلة . والجمل هي : ان الذين كفروا ان واسمها وخبرها ساء عليهم . وانذرتهم ان لم تنذرهم المصدر المنسب من الهمز وما دخلت عليه فاعل لسواء والكلام اخبار خرج مخرج الاستفهام ٠٠٠ (٣)

(١) بتصرف انظر حاشية السيد شريف على الكشاف ج ١ ص ١٥٠

(٢) السابق

(٣) ابو عبيدة جواز القران ص ٣١

وانظر الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٥٠ - ١٥١

وقد نقل النسفي ايضا عن سيبويه قوله في مثل هذه الآية جري هذا على حرف الاستفهام كما جري على حرف النداء في قولك اللهم اغفر لنا ايها العصاة يعني ان هذا جري على صورة الاستفهام ولا استفهام كما جري ذلك على صورة النداء ولا نداء . . . (١)

او الذين كفروا اسم ان وانذرتهم ام لم تنذرهم مبتدأ مؤخر . سواء خبر مقدم والجملة سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم خبر ان او العكس ان الذين كفروا اسم ان وجملة سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم اعتراض لا يؤمنون خبر ان . . . (٢)

وبجئ جملة الاعتراض لتأكيد مضمون جملة ان وخبرها لا من اخبر الله عنه انه لا يؤمن استوي انذاره وعدم انذاره او تكون جملة لا يؤمنون خبر بعد خبر لجملة (ان الذين كفروا) او تكون لا محل لها من الاعراب جاء للتفسير لان عدم الايمان استواء الانذار وعدمه . . . (٣)

ويصح ان تكون لا يؤمنون جملة مستاندة لانها جواب عن سوال مقدر كانه قيل : هؤلاء الذين استوي حالهم مع الانذار وعدمه ما ذا يكون منهم فقيل لا يؤمنون اي : هم لا يؤمنون وهذا هو الاولى عند الشوكاني وعلل ذلك بقوله : لان المقصود الاخبار عن عدم اليقين بانذارهم وانه لا يجدي شيئا بل بمنزلة العدم . فهذه الجملة هي التي وقعت خبرا لان وما بعدها من عدم الايمان فتسبب عنها لا انه المقصود . . . (٤)

(١) النسفي تفسير النسفي ج ١ ص ١٧

(٢) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٥٥ وانظر الفخر الرازيه التفسير الكبير ج ١ ص ٤٠

(٣) ابوحيان اشهر العارذ من البحر ج ١ ص ٤٠-٤٦

(٤) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٣٩

اما قوله تعالى (ختم على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) فتحتمل الاستتاف اي كونها جواب عن سوال مقدر ناتج عن قوله تعالى لا يؤمنون وكأن سائل يسأل ما سبب عدم الايمان فيكون الجواب (ختم الله على قلوبهم) لذلك لم يستخدم حرف العطف الواو ويحتمل ان تكون جملة تفسيرية لجملة لا يؤمنون اي لا يدخل في قلوبهم الايمان وخسر ذلك بالختم على القلوب وهناك احتمال اخر هو ان الجملة دعائية . بمعنى اللهم اختم على قلوبهم وعلى سمعهم — وفصلت عن سابقتها للاختلاف بين الانشاء والخبر قال ابو حيان : و ظاهر قوله ختم الله اذ اخبر من الله تعالى بختمه وحمله بعضهم على انه دعاء عليهم . . . (١) ولا شك ان ختم القلوب والاسماع ووضع الغشاوة على الابصار معناه سد مناخذ دخول الاخبار و كلام الهدي . والنتيجة الحتمية لهذا الفعل هو عدم الايمان وبالتالي استحقاق العذاب العظيم في الآخرة .

اما قوله تعالى : (وعلى سمعهم) فقد استخدم الواو في هذه الجملة للتشريك بين السمع والقلوب في الختم والقلب والسمع من الامور التي يمكن جمعها اذ هي من حواس الانسان وكذلك قوله تعالى : (وعلى ابصارهم غشاوة) فقد استخدم الواو لاشراكها في حكم الختم المتضمن ^{من الستر والتغشية} هذا اذا كانت غشاوة منصوبة كما قرأ بعضهم . فيكون المعنى ستر وغشى الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم . بمعنى اخر يكون من عطف المفردات على بعضها البعض . القلوب . السمع . الابصار ويحتمل ان يكون من عطف الجمل على معنى : ختم الله على قلوبهم ، وجعل على ابصارهم غشاوة . من باب علفتها تبنا وماء باردا اي واسقيتها ماء باردا . فتكون جملة وجعل على ابصارهم غشاوة معطوفة على جملة ختم الله على قلوبهم ويظهر التناسب من

اعتبار هذا العطف واقعا بين حمتين فعليتين فعل كل منها ماض والجعل فيه معنى الختم . كما ان القلوب والابصار من حواس الانسان وتبرزها قضيه هي قوله تعالى : وعلى سمعهم ، هل هذه الجملة مشتركة مع جملة الختم ام مع جملة الابصار . بمعنى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم . او جعل الله على سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة قال ابو حيان : وقد وقع وعلى سمعهم بين شيئين يمكن ان يكون السمع محكوما عليه مع كل واحد منهما ان يحتمل ان يكون اشرك في الختم بينه وبين القلوب . ويحتمل ان يكون اشرك في الغشاوة بينه وبين الابصار . لكن حمله على الاول اولى للتصريح بذلك في قوله تعالى : وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة . (١) وتكرر حرف الجر يدل على ان الختم ختمان او على التوكيد ان كان الختم واحد فيكون اول على شدة الختم . (٢) ولا شك انه قد ورد عطف الجملة المضمر عاملها على اخري عاملها مذكور كما في قوله تعالى : والخيل والبغال والحمير بالنصب، اما بالرد على خلق وهذا وجه والاخر ما نحن بصدده ، وهو اضحار فعل كما قال الفراء : وان شئن جعلته منصوبا على اضهار سخر فيكون في جواز اضهاره مثل قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة . (٣)

ويحتمل ان تكون الواو في وعلى ابصارهم للاستئناف وكونها للعطف ارجح بدليل اية الجائيه السابقه فيكون الختم على القلوب والاسماع والغشاوة على خصوص الابصار . (٤)

(١) سورة الجائيه ايه

(٢) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ٤٨ - ٤٩

(٣) انفراء معاني القران ج ٢ ص ١٧

(٤) الشنقيطي اضواء البيان ج ١ ص ٩

وهناك قراءة اخرى لغشاوة بالرفع، وعلى هذا الاساس تكون جملة: وعلى ابصارهم
 غشاوة / جملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر، معطوفة على جملة فعلية هي: ختم الله
 على قلوبهم، وعلى سمعهم. ويؤيد ابو علي الجبائي . قراءة الرفع كما نقل عنه ابو
 حيان بقوله: قال ابو علي: وقراءة الرفع اولى؛ اولى لان النصب اما ان يحمله على
 ختم الظاهر فيعرض في ذلك انك حلت بين حرف العطف والمعطوف به وهذا عندنا انما
 يجوز في الشعر واما ان تحمله على فعل يدل عليه ختم تقديره وجعل على ابصارهم
 فيجوز الكلام من باب ٠٠٠ علفتها تبنا وماء باردا . ولا يكاد تجد هذا الاستعمال
 في حالة سعة واختيار، فقراءة الرفع احسن، وتكون الواو عاطفة جملة على جملة ٠٠٠
 (١)

ولا شك ان قراءة الرفع هي قراءة الجمهور قال ابو حيان: وقراءة الجمهور
 غشاوة بكسر الغين ورفع التاء وكانت هذه الجملة ابتدائية ليشمل الكلام الاسنادين
 اسناد الجملة الفعلية واسناد الجملة الابتدائية (اي الاسمية) فتكون ذلك اكد لان
 الفعلية تدل على التجدد والحدوث والاسمية تدل على الثبوت وكان تقديم الفعلية
 اولى لان فيها ان ذلك قد وقع وفرغ منه ٠٠٠٠ (٢)

كما ان هناك نكبة اخرى في تقديم الجملة الفعلية وهو تضمنها كلمة القلب و
 هو اشرف من السمع والبصر قال ابو حيان: تقديم القلوب على السمع من باب التقديم
 بالشرف تقديم الجملة التي انتظمتها على الجملة التي تضمنت الابصار من هذا الباب
 ايضا ٠٠٠ (٣)

(١) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ٤٨ - ٤٩

(٢) السابق ج ١ ص ٤٩

(٣) السابق ج ١ ص ٤٩ - ٥٠

وقد ورد شبيه لهذه الاية وهو قوله تعالى : طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة ، على ان الوقف على قوله تعالى وعلى سمعهم ، ثم قراءة و
على ابصارهم ، على معنى عدم دخول الابصار في معمولية الطبع ٠٠٠٠ (١) ويختل
في الاية السابقة ان تكون الواو في : وعلى ابصارهم للاستثناف ايضا .
قوله تعالى (ولهم عذاب عظيم) وهذه ايضا جملة اسمية معطوفة على ما
قبلها بالواو . وهناك تناسب كبير بينها وبين قوله تعالى وعلى ابصارهم غشاوة حيث
صدرت الجملتين بالجار والمجرور لاجل التسويغ للابتداء بالنكرة (غشاوة عظيم) هذا
هذا من جهة ، ومن جهة اخرى تحمل هذه الجملة معنى النتيجة والجزاء ، وما يؤول
اليه امر الذين ختم على قلوبهم وعلى سمعهم ، ومن جعل على ابصارهم غشاوة . فلما
ذكر - سبحانه - احوال الكفار في الدنيا بين ما يؤول اليه امرهم في الآخرة من العذاب
العظيم ٠٠٠٠٠ (٢)

قوله (ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) بعد ان
ذكرت الايات السابقة صنفين من الناس اقتضت القسمة العقلية ان يكون هناك نوع
ثالث . فالناس اما خالص الايمان او كافر او ظاهر الايمان باطن الكفر وهم المنافقون .
قال الفخر الرازي : اعلم ان المفسرين اجمعوا على ان ذلك في وصف المنافقين قالوا :
وصف الله الاصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين والمنافقين فبدأ بالمؤمنين المخلصين
الذين صحت سرائرهم وسلمت ضمائرهم ثم اتبعهم بالكافرين الذين من صفتهم الاقامة
على الجحود والعناد ثم وصف حال من يقول بلسانه انه مؤمن وضميره يخالف ذلك . .
٠٠ (٣)

(١) المبرد الكامل ج ٢ ص ٢٣

(٢) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ٥٠

(٣) الفخر الرازي التفسير الكبير ج ١ ص ٥٨

وهذا هو النوع الثالث من الناس الذي ينفصل عن النوع الاول ويتغاير كما انفصل

النوع الثاني عن الاول وتغاير . فالنوع الاول وهم المؤمنون ، مغاير تماما للكافرين

ومغاير للمنافقين، لذلك فصل بينه وبين الكافرين، ولم يعطف بحرف العطف على سبيل

الاستئناف وكان سائل يسأل: فما بال الناس لا يؤمنون كلهم اذا كان هذا القران كله

هداية ؟ فيكون الجواب ان الذين كفروا... اما تصدير، ومن الناس... وبالواو عطفًا

على الكافرين، فلان هناك اشتراك في المصير من جهة والكفر من جهة اخرى يبين

هذه الطائفة المناقضة/قبلهم من الكفار فهم في الدرك الاسفل من النار. والكافرون

نهايتهم ايضا الى النار لهم عذاب اليم فصح العطف بينهما بالواو. قال محمد

عبدالله دراز : وجرى الحديث عن هؤلاء - اي المنافقين - الى نهايته، فانضم

الشكل الى شكله ، وعطف الطائفة الثالثة - اي المنافقين - على اختها -

اي الكافرين - لانهم في التجاني عن الهدى مشتركون تتشابه قلوبهم وان اختلفت

النتهم (١)

وهذا العطف من باب عطف القصة على القصة كما يقول الزمخشري : وقصة

المنافقين عن اخرها، معطوفة على قصة الذين كفروا، كما تعطف الجملة على الجملة

. (٢)

والعلاقة المصححة للتاسب بين السياقين واضحة في اشتراك الكفر والنفاق

في نهاية واحدة، هي العذاب ومنافضة كل منهما للايمان الصحيح، واعتبارهما نوعي

جنس واحد هو الكفر (٣)

(١) محمد عبدالله دراز النبا العظيم ص ١٦٦

(٢) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٦٥

(٣) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ٥٣

اما الواو في قوله تعالى (وما هم بمؤمنين) فنلاحظ انها عطفت جملة
على جملة امنا ، التي هي مقول القول، وفاعل الفعل، اي المسند اليه في كلا الجملتين
واحد، فالضمير هم في قوله تعالى وما هم يعود على الضمير المتصل (نا) في قوله
امنا، فهناك اتحاد في المسند اليه، وكذلك المسند من جهة : فمادة الايمان واحدة
وان اختلفت بينهما بين الاسمية في مؤمنين والفعلية في امنا. اما عن سر عدم نفي
الجملة بمثلها، بمعنى انه سبحانه وتعالى لم يقل : وما امنوا ، ليتناسب الفعل في
الجملة الثانية مع الفعل في الجملة الاولى من جهة المضي، وفعلية الجملة فيقول
المفسرون: انه اراد ان يبالغ في نفي ايمانهم، لذلك جاءت الجملة الثانية جملة
اسمية، بالاضافة الى تسليط النفي على اسم الفاعل غير المفيد بزمان (مؤمنين) ليشمل
جميع الازمنة، لا الماضي فحسب، كما في الجملة الفعلية وزاد في توكيد ذلك باء
ادخل الباء في الخبر (مؤمنين) (١)

قال الزمخشري فان قلت كيف طابق قوله — وما هم بمؤمنين — قولهم
— امنا بالله وباليوم الآخر — والاول في ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني في
ذكر شان الفاعل لا الفعل قلت : القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك
طريق ادى الى الغرض المطلوب . وقية من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره، وهو
اخراج ذواتهم وانفسهم من ان تكون طائفة من طوائف المؤمنين، لما علم من حالهم
المنافية لحال الداخلين في الايمان . واذ شهد عليهم بانهم في انفسهم على
هذه الصفة، فقد انطوي تحت الشهادتهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم
على سبيل البت والقطع . ونحو قوله تعالى — يريدون ان يخرجوا من النار — وما هم

(١) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١٠١

بخارجين منها - هو ابلغ من قولك ما يخرجون منها . . . (١)

- قوله : (يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون)
 قال الزمخشري : يخادعون جملة بيانية ليقول ! اي يقول ذلك مخادعا، ويجوز
 ان تكون جملة استثنائية، والسؤال الناجح ولكنها جملة تفسيرية او بيانية لجملة
 يقول . . . فانها لم تتصل بحرف عطف وكذلك على القول بانها استثنائية فانها لم
 لم تتصل بحرف عطف كما يفصل الجواب عن السؤال . اما قوله تعالى : وما يخادعون .
 وما يخدعون الا انفسهم ، فاننا نجد ان هذه الجملة عطف على من قبلها بالواو
 من باب عطف جملة مضارعية منفية على جملة مضارعية مثبتة ، والمخادعة في
 الجهتين معناها واحد والفاعل واحد .

وكذلك جملة وما يشعرون، فانها تحتل العطف على يخادعون الله على معنى
 يخادعون وما يشعرون اطلاق الله نبيه على خداعهم، او وما يشعرون من اي قاع انفسهم
 في الشقاء بكفرهم وخفاقهم . . . (٢)

وتحتل ان تكون الواو واو الحال، والجملة الحالية على معنى، وما يخدعون الا
 انفسهم غير شاعرين بذلك؛ اذ لو شعروا بذرك ما قاعدوا الله . . . (٣)

وعلى الجهتين ربطت الجملة بالواو، سواء كانت على معنى العطف او على اساس
 انها جملة حالية، جئ بالواو لان الجملة الحالية مضارعية لانفاذ حصول صفة
 غير ثابتة مع الدلالة على المقارنة، الا ان الجملة منفية، وفقدان الا يجاب او الثبوت

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٦٩

(٢) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ٥٢-٥٣

(٣) السابق ج ١ ص ٥٣

يجعل الجملة تنصدر بالواو كما هو مقرر ٠٠٠٠ (١)

(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون) ملاحظ

ان بداية هذه الجملة منفصلة عن سابقتها وذلك لكونها جملة استثنائية لبيان

موجب خداعهم وما هم فيه من النفاق ٠٠٠٠ (٢)

اما قوله تعالى : فزادهم الله مرضا ، فتحتمل الدعاء عليهم منه - سبحانه وتعالى -

وتحتمل الاخبار او وجه الاخبار واضح حيث الربط بالفاء التي تفيد معنى الترتيب والتعقيب

المباشر . والاخبار في فزادهم الله مرضا لما يتجدد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم

من النعم ويتكرر له من منن الله الدينوية والدينية ٠٠٠٠ (٣)

اما عطف ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون على سابقتها، فهو واضح من باب عطف

جملة خبرية على اخري مثلها مع الاختلاف في الفعلية والاسمية والحديث متاسق في

كونه عن المنافقين سواء كانوا يكذبون النبي على قراءه من قراءه بالتشديد يكذبون او

كذبهم في قولهم انهم مؤمنون على قراءه من قراءه بالتخفيف ٠٠٠٠ (٤)

واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون

ولكن لا يشعرون . هذه الجملة مصدره بالواو واو العطف والعطف جائز على كل

من قوله تعالى (ومن الناس من يقول امنا) لصحة المعنى في قولك ; ومن الناس من

(١) الخطيب القزويني الايضاح ج ١ ص ١٦٦ - ١٦٧

(٢) السيد شريف حاشية على الكشاف ج ١ ص ١٧٧

(٣) انظر الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٤٢

(٤) الزجاج معاني القران ج ١ ص ٥٢

إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا (١)

ويصح أن تعطف على ما قبلها يكذبون وهو الأولى كما يقول الزمخشري . . .

(٢) . . . وذلك للقرب مع صحة العطف على معنى ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون و

بسبب إذا قيل لهم لا تفسدوا قالوا كذا وكذا، وفي حالة العطف على يكذبون، يكون محل

الجملة (وإذا قيل) النصب لأن جملة يكذبون في محل نصب خبر كان بما كانوا

يكذبون ، والمعطوف على الخبر خبر (٣)

أما عطفها على جملة : يقول أمنا ، فلا موضع لها من الأعراب لأن جملة يقول

أمنا - صلة من الموصولة .

ومن الأسرار في الفصل لهذه الآية أنه - سبحانه وتعالى - لم يعطف إلا

أنهم هم المفسدون ، لا على جملة : قالوا إنما نحن مصلحون ، ولا على جملة : إنما

نحن مصلحون ، وذلك للأسباب التالية : إن جملة قالوا إنما نحن مصلحون ، جملة مقيدة بالظرف

السابق وإذا قيل لهم . . . فلو عطف إلا أنهم هم المفسدون على تلك الجملة المقيدة

بالظرف لأن أخذت حكمها في التقييد ، فيصح المعنى إذا قيل لهم . . . قالوا إنما نحن

مصلحون وعندئذ يقول الله لهم أنهم هم المفسدون وهذا المعنى غير مراد ، ولا مطلوب

لأن الفساد من طبيعتهم الدائمة المستمرة والرد عليهم بوصفهم المفسدين في كل

وقت لا وقتان يقال لهم لا تفسدوا . وقد رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين

(١) النسخة تفسير لنسخة ج ١ ص ٢٠

(٢) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٢٩

(٣) حاشية للامام تاج الدين الحنفي على تفسير إحيان ج ١ ص ٦٣

البلغرد، والدله على سخط عظيم، والمبالغ فيه من جهة الاستئناف (عدم العطف) وما

في (ألا) و(إن) من التأكيد وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله لا يشعرون ٠٠٠ (١)

فانهم مفسدون في جميع الاحيان قيل لهم لا تفسدوا أولا ٠٠٠ (٢)

فالجمله قالوا انما نحن — جمله لها حكم اعرابي لم يقصد اعطاؤه للثانية

لذلك تعين الفصل ٠ اما من جهة عدم العطف على جمله مقول القول انما نحن

مصلحون فانه لو عطف عليها لكان قوله تعالى الا انهم هم المفسدون من مقوله

المنافقين والامر ليس كذلك ؛ لذلك صح الفصل والاستئناف من جهتين .

اما الجملة الاستدراكية - ولكن لا يشعرون - فانها جاءت لبيان حال هؤلاء

المنافقين اي يقولون ذلك ويدعون انهم هم المصلحون من خلال حصر الاصلاح بهم بانما -

مع علمهم انهم على فساد عظيم الا انهم يفعلون ذلك وهم يظنون ان ذلك الخبث

ينطلى على سيد المرسلين وينفق عنده - صلى الله عليه وسلم - فهم يفعلون ذلك غير

شاعرين ان النبي صلى الله عليه وسلم - عالم بحالتهم تلك وعالم بكذبهم . فكانت جملة

الحال نافية للشعور عنهم من هذه الخبيثية لامن جهة انهم لا يشعرون بانهم على

الفساد ٠٠٠ مع احتمال ان فسادهم - في نظرهم - صلاح لما استقر في عقولهم من

محبة الكفر وعداوة الاسلام ٠٠٠٠ (٣)

وقد زيدت هذه الاية بقوله تعالى : لا يشعرون ؛ للتدليل على شدة غباوه

المنافقين وذلك ان الافساد يدرك بادنى تأمل لانه من المحسوسات التي لا تحتاج الى

فكر كثير فنفي عنهم ما يدرك بالمشاعر وهي مبالغ في تجهيلهم اذ الشعور الثابت لليهاثم

(١) النسخي تفسير النسخي ج ١ ص ٢٠

(٢) القزويني الايضاح ج ١ ص ١٤٩

(٣) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٤٢-٤٣

فنفي عنهم ٠٠٠٠ (١)

(واذ قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) . اما هذه الاية فانه يمكن ان يقال فيها كما قيل في الاية التي قبلها في انه سبحانه وتعالى وصل الجملة المصدره باداة التبيهه الا انهم هم السفهاء . عن جمله قالوا — حتى لا تتقيد بالظرف فتشترك في الحكم الاعرابي وهو الشرط . وفصلت ايضا عن جمله مقول القول لثلا يظن ان الكلام تابع للمناققين مع انه من الله سبحانه وتعالى . وهذه الجملة واذ قيل معطوفه على جمله واذ قيل السابقة وكلها تتحدث عن المناققين . وقد زيدت هذه الاية بقوله ولكن لا يعلمون لان الامر بالايان يحتاج الى امعان فكر واستدلال ونظر تام يفضي الى الايمان والتصديق ولم يقع منهم الامور فناسب ذلك نفي العلم عنهم ولان السفه هو خفة العقل والجهل بالامور والعلم نقيض الجهل فقابله بقوله لا يعلمون ٠٠٠ (٢)

(واذ لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذ خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) . وبلاحظ ان هذه الجملة معطوفه على الجملة السابقة واذ قيل ، ولا زال الحديث عن المناققين، وكذلك عطفت جمله: واذ خلوا الى شياطينهم، عليها للتناسب التام بين الجملتين فالتصدير بالظرف والمسند اليه هم المناققون واللقيا مع المؤمنين والخلوه الى الشياطين من الاعمال التي يقومون بها كذلك يمكن القول ان سرفصل قوله تعالى (الله يستهزئ بهم) عن جمله جواب الشرط قالوا انا معكم حتى لا تتقيد به وهو الاختصاص بالظرف المقدم وهو قوله واذ خلوا الى شياطينهم فان استهزاء الله تعالى بهم — وهو ان خذلهم فخلاهم

(١) ابوحبان النهر المازني من البحر ص ٦٨

(٢) السابق

وما سولت لهم انفسهم مستدرجا اياهم من حيث لا يشعرون - متصل لا ينقطع بكل حال
خلوا الى شياطينهم ام لم يخلوا اليهم ٠٠٠ (١)

وهو استهزاء متجدد حيث عبر بـ يستهزئ بدلا من مستهزئ لافادة التجدد
والحدوث وهذا اشد على المنافقين وانه لقلوبهم وارجع لهم من الاستهزاء الدائم الثابت
٠٠٠٠ لما هو محسوس من ان العقوبة الحادثة وقتا بعد وقت ٠٠٠ اشد على من وقعت
عليه من العذاب الدائم المستمر - (٢) والله اعلم .

وعند السكاكي ان قطع : الله يستهزي بهم ، عن جملة الشرط للوجوب وعند غيره
للاحتياط كما نقل ذلك صاحب المطول ؛ لانه لم يبين امتناع عطفه على الجملة الشرطية
ووجود جهة جامعة وفهراً صاحب المطول ذلك بقوله : لا يقال انه تركه - اي ترك العطف
لظهور امتناع عطف غير الشرطية على الشرطية وظهور انه لا جامع بينهما . لانه نقول
الاول ممنوع فان عطف الشرطية على غيرها وبالعكس كثير من الكلام مثل قوله تعالى (فاذا
جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وكذا الثاني لظهور المناسبة بين
المسندين اعني استهزاء الله بهم وتناولهم بهذه المقالات اوقات الخلوات بل لا تحادها
في التحقيق وكذا بين المسند اليهما لكونهما متقابلين يستهزئ كل واحد منهما بالآخر .
٠٠٠ (٣)

وفصلها عن جملة مقول القول انا معكم حتى لا يكون قوله تعالى الله يستهزي
بهم من مقول المنافقين اما قوله تعالى : انما نحن مستهزؤن فان هذه الجملة ايضا

(١) القزويني الايضاح ج ١ ص ١٤٩

(٢) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٤٤

(٣) سعد الدين التفتازاني المطول ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ وانظر المطول ايضا

فصلت عن قوله انا معكم : مع ان الجملتين من مقول المنافقين والسبب هو ان هذه

الجملة الثانية انما نحن مستهزؤن بينها وبين الاولى كمال اتصال لدفع توهم

التجوز او الغلط . منهم يريدون ان ياكذوا استمرارهم على الغى ودفع توهم

رجوعهم الى الحق باجتماعهم مع المؤمنين لا ان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية

وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لا ان المستهزي بالشئ المستخف

به منكر له ودافع له لكونه غير معتد به ودفع نقيض الشئ تاكيد لثباته (١)

هذا من جهة ومن جهة اخرى فان هذا الفصل يمكن ان يكون بسبب الاستئناف

والسؤال المقدر - الناتج هو : فما بالكم - ان صح انكم معنا - توافقون اصحاب محمد

فيكون الجواب انما نحن مستهزؤن (٢)

واعبر سعد الدين التفتازاني فصل انما نحن مستهزؤن لانها بيان لجملة انا

معكم (٣)

اما جملة ومدهم ، فهي معطوفة على خبر الجملة الاسمية ، الله يستهزي للتناسب

التام في المضارعية من جهة والفاعل من جهة اخرى والمفعول به فالاستهزي بهم هم

المدود لهم بالطغيان المنافقون .

اما يعمهون : فهي جملة حالية من المنافقين جاءت بدون الواو لكونها جملة

فعلية مضارعية مثبتة دالة على حصول صفة متجددة ودالاتها على المقارنة وفي مثل هذه

(١) الخطيب الايضاح ج ١ ص ١٥١ - ١٥٢

(٢) السابق وانظر الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٤٤

وانظر الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٨٦

(٣) التفتازاني المطول ص ٢٤٨

الحال يتمتع تصدير الجملة الحالية بالواو (اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما
رحبت تجارتهم وما كانوا مهتدين) .

اولئك اشارة الى الذين تقدم ذكرهم الجامعين للاوصاف الذميمة كما تقدم

في المتقين بقوله : (اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) (١)

ويمكن ان يكون المراد المنافقين فقط ويمكن ان يكون المراد سائر الكفار بما

فيهم المنافقون كما قال ابن مسعود وابن عباس (٢)

وما من شك ان فصل هذه الجملة: اولئك عما قبلها لبيان حال الفريقين السابقين

الكفار والمنافقين فهي جملة بيانية . ولما كان شراء الضلالة بالهدى معناه الخسارة

عقب ذلك بجملة فما رحبت تجارتهم المربوطة بما قبلها بالفاء التي تحمل في طياتها معنى

السبب وعطف عليها ، وما كانوا مهتدين ، بفعلتهم تلك فتم المعنى على اكمل وجه والذي

يعني اكثر في هذه الاية انها جمعت الفريقين بعد تفصيل فاصح الناس فريقين فقط

فريق الهدى وهم المؤمنون وفريق الضلالة وهم الكفار والمنافقون . فما سرت هذه الاية

لتقابل (اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون) وبعد هذا الجمع المسمى

باللف نجد القران مره اخرى يفصل بين تلكم الطائفتين ويضرب لهما امثلة محسوسة

يناسب كلا منهما ولا شك ان تمثل المعنى اوقع في النفس واكثر طمأنينة للقلب (٣)

(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في

ظلمات لا يبصرون صم بكم عى فعم لا يعقلون) .

(١) ابوحيان النهر الماد ج ١ ص ٧٢

(٢) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ٧٢

(٣) انظر محمد دراز النبا العظيم ص ١٦٨ وما بعدها

وهذه الآية بما تحويه من جمل ايضاً تفسير وبيان لحال الكافرين السابقين
الذكر والمجموعتين من المنافقين في جملة واحد بواسطة اسم الاشارة (اولئك الذين
اشترؤا) فلما جاء سبحانه بحقيقته صفتهم عقبها بذكر ضرب المثل زياده في الكشف
وتتيمماً للبيان (١)

وهذا المثل كما يقول محمد عبدالله دراز مضروب للمصرين المختوم على قلوبهم
بقوم كانوا يسيرون في ظلال الليل فقام فيهم رجل استوقد لهم ناراً يهتدون بضوئها .
فلما اضاءت ما حوله لم يفتح بعض القوم اعينهم لهذا الضوء الباهر . بل لا مرمياً
سلبوا نور ابصارهم وتعطلت سائر حواسهم عند هذه المفاجأة . فذلك مثل النور الذي
طلع به محمد - صلى الله عليه وسلم - في تلك الامة الائمة على فترة من الرسل
فتفتحت له البصائر المستيرة هنا وهناك لكنه لم يوافق اهل هواء المستكبرين الذين افوا
العيش في ظلام الجاهلية فلم يرفعوا له راياً بل نكسوا له راياً بل نكسوا على رؤوسهم
ولم يفتحوا له عيناً بل خروا عليه صهاً وعمياناً (٢)

قل هو للذين امنوا هدي وشفاء والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم
عسى (٣)

وهذه الآية تتكون من عدة جمل. مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ما
حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عسى فهم لا يرجعون .
اما اتصال جملة فلما بجمله استوقد فهو واضح بالفاء التي تفيد التعقيب و
الترتيب اذ الاضاءة مترتبة على الايقاظ ومتسببه عنها (٤)

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٩٥

(٢) محمد عبدالله دراز النيا العظيم ص ١٦٩ - ١٧١

(٣) سورة النساء آية ٤٤

(٤) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٩٨ - ١٩٩

اما جملة ذهب الله بنورهم فهي جملة جواب إما وتشكل معها جملة واحدة متضمنة معنى الشرط . وقيل ان الجواب محذوف وان جملة ذهب الله بنورهم كلام مستأنف كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئن ناره اعترض سائل فقال : ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل ذهب الله بنورهم . . . (١)

وتحتمل عنده ايضا : الزمخشري : البدلية من جملة التمثيل على سبيل البيان . . .

(٢) . .

ومعنى قوله على سبيل البيان ان الاول (مثلهم كمثل الذي استوقد ليس في حكم الساقط الذي صرف عنه القصد) . . . (٣)

ان البدل يقتضى ان يكون المبدل منه في حكم المضروب عنه الملقى وهنا ليس كذلك . وقد رد صاحب المحيط ما ذهب اليه الزمخشري من كون الجملة (ذهب الله بنورهم) مستأنفة وان جوابها محذوف تقديره فحدث وقال : (وهذا الذي ذكره) - اي الزمخشري - نوع من الخطابة لاطائل تحتها لانه كان يمكن له ذلك لو لم يكن تلا قوله فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم واما باقى كلامه بعد تقديره: خمدت الخ فهو ما يحمل اللفظ ما لا يحتمله ويقدر تقادير وجملا محذوفه لم يدل عليها الكلام .

وبعقب ايضا على قول الزمخشري ان الجملة (ذهب الله بنورهم) تحتمل ان تكون بدلا من جملة التمثيل فيقول : لا يظهر لي صحته لانه جملة التمثيل هي قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فجعله ذهب الله بنورهم بدلا من هذه الجملة على سبيل البيان لا يصح لانه البدل لا يكون في الجمل الا اذا كانت فعلية تبدل من جملة فعلية

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ١٩٩

(٢) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ٧٨

(٣) حاشية سيد شريف على الكشاف ج ١ ص ١٩٩

فقد ذكروا جواز ذلك واما ان تبدل جملة فعلية من جملة اسمية فلا اعلم احدا اجاز ذلك البديل، والبديل على نية تكرار العامل والجملة الاولى لا موضع لها من الاعراب لانها لم تقع موقع المفرد فلا يمكن ان تكون الثانية على نية تكرار العامل ان لا عامل في الاولى فيتكرر في الثانية فبطلت جهة البديل فيها ٠٠٠ (١)

وما لا يحتاج الى تقدير اولى مما يحتاج الى تقدير والرائي عندي ان جملة فذهب جواب الشرط اما جملة: وتركهم في ظلمات لا يبصرون، فهي معطوفة على جملة جواب الشرط ولا يبصرون، حال من المفعول به، وهو الضمير هم في تركهم .

صم بكم عسى : اما قوله صم بكم عسى فقد قراها الجمهور بالرفع اي هم صم بكم . . . وهي اخبار متباينة في اللفظ والمعنى لكنها جميعا خبر واحد . معناه عدم قبول الحق (٢)

وقرن ايضا بالنصب صما بكما عميا . على اعتبارات مختلفة اما مفعولا ثانيا لترك اي تركهم صما بكما عميا في ظلمات لا يبصرون واما منصوبة على الحال من المفعول به في تركهم على ان تكون لا تتعدي الى مفعولين او تعدت اليهما واخذت هما . واما ان يكون منصوبا بفعل محذوف تقديره اعنى واما ان يكون منصوب على الحال من الضمير في يبصرون واما ان يكون منصوبا على الذم (٣)

وواضح مما سبق ان حالة الرفع تفيد ان (صم بكم عسى) جملة منفصلة تتحدث عن بعض صفات المنافقين السالفي الذكر . والفصل هنا للاستئناف كما يقول الفراء في اية مشابهة * صم بكم عسى فهم لا يعقلون! قال رفع وهو وجه الكلام لانه مستأنف خبر يدل

(١) ابوحيان النهر الماد ج ١ ص ٧٥

(٢) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ٨١

(٣) السابق ج ١ ص ٨٧

عليه قوله (فهم لا يعقلون) ٠٠٠ (١)

تقدير جملة منفصلة عن سابقتها جملة توضيحية او جملة دعائية وكما قال

الزجاج كانه قيل (هؤلاء الذين قصتهم هذه القصة صم بكم عن فهم لا يرجعون ٠٠ (٢)

اما قوله تعالى (فهم لا يرجعون) فهي جملة خبرية معطوفة على سابقتها

بحرف العطف الفاء لانها الترتيب والتعقيب لان من كانت فيه هذه الاوصاف الثلاثة

التي هي كناية عن عدم قبول الحق جديد ان لا يرجع الى الايمان ٠٠٠ (٣)

(او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من

الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين)

هذه الاية معطوفة على سابقتها بحرف العطف (او) الذي يفيد عدم معاني

منها كما هو في هذه الاية التفصيل فحال الكفار التي مر التمثيل لهم بالذي استوقد ناراً

عطف عليها حال المنافقين الذي مثل لهم بقوله تعالى او كصيب من السماء ٠٠٠ على معنى

او كمثل ذوي صيب ٠٠٠٠ (٤)

وقد اختار الشوكاني ان يكون حرف العطف ، او ، الذي يفيد معنى الشك لفقهم

التسوية بين المثلين : اي مثلهم بهذا او هذا ٠٠٠٠ (٥)

على ان المثلين لواحد هم المنافقون ونقل عن الفراء انها بمعنى الواو ٠٠٠ (٦)

(١) الفراء معاني القران ج ١ ص ١٠٠

(٢) الزجاج معاني القران ج ١ ص ٥٩

(٣) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ٨٢

(٤) السابق ج ١ ص ٨٥

(٥) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٤٧

(٦) السابق ج ١ ص ٤٨

المثلين لواحد هم المنافقون ونقل عن الفراء انها بمعنى الواو ٠٠٠ (١)

وعند الزجاج انها للاباحه قال : وهذه يسميها الحذاق باللغة واو

الاباحه فتقول جالس من القراء او الفقهاء ٠٠٠ فالمعنى ان التمثيل مباح لكم في

المنافقين ان مثلتموهم بالذي استوقد ناراً فذاك مثلهم وان مثلتموهم باصحاب الصيب

فهذا مثلهم او مثلتموهم بها جميعاً مهما مثلام ٠٠٠ (٢)

وقيل بمعنى الواو كما انه قال : وكصيب من السماء نظيره قوله تعالى : (ان

تاكلوا من بيوتكم او بيوت اباؤكم او بيوت امهاتكم ٠٠٠٠ (٣)

اما جمله يجعلون اصابعهم في اذانهم ٠٠٠ فانها لم تعطف على سابقتها

او كصيب ٠٠٠ للاستئناف البياني كما نثائلا قال : فكيف حالهم عند ذلك الرعد؟ فقول

يجعلون اصابعهم في اذانهم ٠٠٠ (٤)

اما قوله تعالى : (والله محيط بالكافرين) فقد عدها الزمخشري جمله

اعتراضية لا محل لها من الاعراب ٠٠٠ (٥)

وعد جمله يكاد البرق يخطف ابصارهم ايضاً جمله استئنافية ٠٠٠ (٦)

وهذا يعني ان جمله الاعتراض - والله محيط بالكافرين - قد وقعت بين

(١) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٤٨

(٢) الزجاج معاني القران واعرابه ج ١ ص ٦٢

(٣) وانظر الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢١٣ - ٢١٤

(٣) الفخر الرازي التفسير الكبير ج ١ ص ٧٨

(٤)

(٥)

(٦)

استثنائين وبين نكتة هذه الجملة الاعتراضية بين الاستثنائين السيد الشريف في حاشيته على الكشاف فيقول : ونكتة هذه الجملة للاعتراضية التبيهية على ان الحذر من الموت لا يفيد . . . (١)

اما الواو في والله محيط . . . فقد سماها السيد الشريف واو اعتراضية . . . (٢)

(يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوفيه واذا اظلم عليهم قالوا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير) اما جملة يكاد البرق فهي جملة استثنائية كأن سائلا يسأل : فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق . . . فقول يكاد البرق يخطف ابصارهم . . . (٣)

وكذلك قوله تعالى : (كلما اضاء لهم) جواب لمن يقول : كيف يصنعون في مثل هذا البرق وخفيت ؟ . . . (٤)

وجملة مشوفيه جواب الشرط في كلما فهي جزء من جملة الشرط لذلك لم تعطف على فعل الشرط اصناء . لعدم جواز عطف جزء الشيء على نفسه اما جملة واذا اظلم عليهم قاموا . فهي جملة شرطية معطوفة على جملة شرطية قبلها . اما قوله تعالى : (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم) فهذه الجملة ايضا على تقدير لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب . وهذه الجملة معطوفة على مجموع الجمل الاستثنائية كما يقول السيد الشريف ومعني يجعلون

(١) حاشية السيد الشريف على الكشاف ج ١ ص ٢١٩

(٢) السابق

(٣) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢١٦

(٤) السابق ج ١ ص ٢١٩

— — — يكاد البرق كلما اضاء لهم وذلك نظرا الى محصول معناها
 فان الاول — اي يجعلون — متعلق بالرعد وشدته وضوئه والآخرين اي يكاد، كلما . .
 متعلق بالبرق وقوته وضوئه و"ما عطفها فعلى قوله كلما اضاء لهم مشوئته . . . (١)
 اما قوله تعالى : (ان الله على كل شئ قدير) فهو اخبار عن قدرته
 تعالى و"انها محيطه بكل شئ" انفصلت عن الكلام السابق لانه في حق المنافقين و
 "حوالهم" . وقد جاءت هذه الجملة في ذلك الايه ووقعت موقعها المناسب حيث
 عقب سبحانه وتعالى ما علقه على المشيئة بالقدره لان بالمشيئة والقدره تمام الافعال
 (٢)

(يا ايها الناس ^اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) .
 من الملاحظ ان بدايه هذا السياق يختلف عما قبله من الكلام فقد كان
 الحديث في السابق حديثا مفصلا عن فرق ثلاث هم المؤمنون وما سينا لهم من الثواب
 والكفار وما سببهم من العقاب والمنافقين وما توعدهم الله به اما هذا المقطع فيبدا
 بتعميم الخطاب لكل الناس (يا ايها الناس) فهو من باب الاجمال في المخاطبين
 بعد التفصيل قال الزمخشري لما عدد الله فرق المكلفين من المؤمنين والكفار و
 المنافقين وذكر صفاتهم و"حوالهم" وما اخصت به كل فرق مما يسعدها ويشقيها و
 يحظيها عند الله ويرويها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور فقال يا ايها
 الناس (٣)

ومن الملاحظ ان قوله : (والذين من قبلهم) معطوف على الكاف في
 خلقكم وهو من باب عطف المفرد على المفرد وهذا من الامر السهله ان موقع الكاف

- (١) حاشية السيد الشريف على الكشاف ج ١ ص ٢٢٢
 (٢) ابوحيان النهرالماد ج ١ ص ٩١
 (٣) الزمخشري الكشاف وانظر ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ٩٣ وانظر
 الشوكاني فتح القدر ج ١ ص ٥٠

من الاعراب واضح في انه مفعول به . واشراك الذين من قبلكم في نفس الحكم تم
 من خلال حرف العطف (الواو) وكان الاصل والترتيب الزمني يقتضى تقديم (الذين من
 قبلكم) الا انها اخرت لسر بلاغى يقول ابو حيان في النهر الماد من البحر (قدم خلق
 المخاطبين وان كان من قبلهم تقدم على زمان خلقهم لان علم الانسان بحال نفسه اظهر
 من علمه باحوال غيره ولانهم المواجهون بالامر بالعبادة فتبييهم اولاً على احوال
 انفسهم اهم واكد) (١) . ٠٠٠

اما ذكر قوله تعالى : (والذين من قبلكم) فان هذا التعبير جاء لتذكير
 الناس بانهم ليسوا ليسوا اصولاً وانما هم جزؤ من سلسلة سبقهم في الخلق اخرون وهم
 فروع لاصول سالفهم وفي هذا من التذكير لعود الانسان الى طريق الحق والافتتاع
 الشئ الكثير (٢) . ٠٠٠

اما جملة (لعلمكم تتقون) فقد فصلت عن سابقتها لانها انشاء وما قبلها
 خبر . وهي متعلقة بقوله تعالى : (اعبدوا ربكم) ومن الملاحظ ان جملة (خلقكم)
 لا محل لها من الاعراب صلة الموصول .

(الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به
 من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون)

صدرت هذه الاية بالاسم الموصول وهو من جهة اعرابيه يمكن اعتباره وصفاً

اخر لقوله تعالى : (ربكم) فهو من اوصاف الرب سبحانه وتعالى اي اعبدوا من

(١) ابو حيان النهر الماد ص ٩٣ (حاشية البحر)

(٢) السابق ص ٩٤

خلقكم وجعل لكم (١)

وإذا اعتبرنا ان (الذي جعل —) نعنا للرب متصل غير مقطوع فان هذا
يعنى اعتباره من عطف المفردات دون واسطة حرف من حروف العطف لتكون هذه الصفة
وما قبلها راجعتين الى موصوف واحد؛ ان لو كانت بالواو لاهم ذلك موصوفا اخر لان
العطف اصله المغايرة (٢)

ولما نعوت مصدره بـ"سما" موصولة متوافقة في المعانى غير مضادة وهذا
الاعتبار اولى من جعله نعنا مقطوعا مرفوعا على الابتداء لان ذلك يحتاج الى تقدير
الخبر وما لا يحتاج الى تقدير اولى مما يحتاج الى تقدير في مثل هذا المقام .
ومن الوجوه الجائزة في (الذي جعل لكم الارض) نصب الذي بفعل محذوف
تقديره امدح او اخص والرفع باظهار (هو) او الرفع على الابتداء وخبره (فلا تجعلوا)
وهذا الوجه الاخير في نهاية الضعف وذلك لان صلة الموصول ماضية (جعل) فلا
يناسب ذلك دخول حرف الفاء في الخبر (فلا تجعلوا) وكذلك للربط بالاسم الظاهر و
هولله . بدلا من فلا تجعلوا له (٣)

اما جملة جعل فهي لا محل لها من الاعراب صلة الموصول وجملة
انزل من السماء ، معطوفة على جملة جعل لكم ، بحرف العطف الواو لما بينهما
من التناسب حيث ان الفاعل في الجملتين واحد . ويجعل يدخل في مفهومه الانزال .
ناهيك عن ان احدي مفعولات جعل، وهى السماء ، هي ايضا احدي مفعولات انزل

(١) ابوحيان النهر العامد ص ٩٤

(٢) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ٧٩

(٣) انظر النسخة ج ١ ص ٢٩ وانظر ابوحيان النهر العامد ص ٩٥-٩٧

على اعتبار ان الجار والمجرور يقوم مقام المفعول به والسياق كله في الحديث عن قدره
الله عزوجل - ونعمه على الانسان .

اما جملة (فاخرج به من الثمرات رزقا لكم) فهي معطوفة على جملة انزل

وكلاهما فعل ماضى والاخراج متسبب عن الانزال اى انزال الماء والفاعل واحد في كل
وهناك عطف المفردات المتمثل في عطف (السماء بناء) (على الارض فراشا) وهما من
اشباه التضاد فالسما في العلو والارض في الاسفل وكلاهما مفعولا به اول للفعل (جعل)
ويظهر التناسب عجيبا بين اجزاء هذه الاية سواء كانت من جهة جملة او مفرداتها وفي
تقديم البعض و تاخيرها سر عجيب يرانى دال على وجوده وقدرته — سبحانه وتعالى —
قال صاحب البحر في هذه الاية وتناسب اجزائها . ذكر خمسة انواع من الدلائل
اثبت من الانفس خلقهم وخلق من قبلهم وثلاثة من غير الانفس كون الارض فراشا وكون السماء
بناء والحاصل من مجموعها تقدم خلق الانسان لانه اقرب الى معرفته . وتى بخلق
الاباء وثبت بالارض لانها اقرب اليه من السماء وقدم السماء على نزول المطر واخراج
الثمار لان هذا كالأمر المتولد بين السماء والارض والامر متأخر عن المؤثر . وقيل
قدم المكلفين لان خلقهم احياء قادرين اصل لجميع النعم . واما خلق السماء والارض
والماء والشم فانما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحياء والقدر والشهوه والعقل . . . (١)
وقال بعض المفسرين في بيان التناسب بين اجزاء هذه الاية مبينا بعض اسرار
الربط والتقديم والتأخير وقدم الخلق البشرية وان كانت العالم الاصغر لما فيها
من بدائع الصنعة مالا يعبر عنه وصف لسان ولا يحيط بكنهه فكر جنان وظهور حسن
الصنعة في الاشياء اللطيفة الجرم اعظم منه في الاجرام العظام ولان اعتبار الانسان بنفسه

في قلب احواله اقرب الى ذهنه قال تعالى : (وفي انفسكم افلا تبصرون) اولاً في
العرب عاداتها تقديم الالهة عندها والمعنى به قال وهو تعالى باصلاح حال البنية
البشرية اكثر اهتماما من غيرها من المخلوقات لانه اشرف مخلوقاته وكرمها عليه قال
تعالى (ولقد كرمتنا بنى ادم) ولانه تعالى خلق هذه الاشياء منافع لبنى ادم واعدتها
نعما يمتن بها عليهم وذكر المنعم عليه بتقديم ذكر النعمة ثم انه تعالى لما عرضهم
انه خالقهم اخبرهم انه جعل لهم مكانا يستقرون عليه ان كانت حكمته اقتضت ذلك
فيستقرون فيه جلوسا ونوما وتصرفا في معاشهم وجعل منه سهلا للقرار والزرع ووعرا
للاعتصام وجبالا لسكون الارض من الاضطراب ثم لما من عليهم بالمستقر اخبرهم يجعل
ما يقيمهم ويظلمهم وجعله كالخيمة المضروبة عليهم واشهدهم فيها من غرائب الحكمة
بأن امسكتها فوقهم بلا عمد ولا طناب ثم نبههم الى النعمة العظمى وهي انزال
المطر الذي هو مادة الحياة وقدم ذكر الارض على السماء وان كانت اعظم في
القدرة وامكن في الحكمة واتم في النعمة واكبر في المقدار لان السقف والبنيان فيما
يعهد لا بد له من اساس وعمد مستقر على الارض فبدأ بذكرها ان على متها يوضع
الاساس وتستقر القواعد ان لا ينبغي ذكر السقف اولا قبل ذكر الارض التي تستقر عليها
قواعده اولاً لان الارض خلقها متقدما على خلق السماء اولان ذلك من باب الترتي
بذكر الاعدنى الى ذكر الالعى (١)

ولا شك ان ذكر هذه النعم الجليلق يستدعى من المنعم عليه اجلال المنعم
والشعور بالضعف والحاجة امامه وبالتالي الطاعة فيما باءه به والانتها عما نهاه عنه
فكانت بداية هذه الالء امرا بالطاعة (اعبدا وركم) وفي نهايتها نهيا عن اتخاذ

الانداد والشركاء معه - سبحانه وتعالى - (فلا تجعلوا لله اندادا) وهذه الجملة
 الطليقة معطوفة بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب والتي تحمل معنى السببية اي
 اذا كانت هذه النعم خلقت لكم من اجل ان تفرده - سبحانه وتعالى - بالعبادة فلا
 تجعلوا له اندادا . قال النسفي دخول الفاء في الجواب لان الكلام يتضمن الجزاء
 اي الذي ختمكم بهذه الايات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا
 له شركاء (١)

اما قوله تعالى (وانتم تعلمون) فهي جملة اسمية حالية مصدره بالواو و
 سرجميها بعد النهى مرتبطه به ان الناهي لم يرد ان يكون النهى محضا غير ملتفت الى
 علم المخاطبين وكانه يقول ان جعل الانداد لا يليق بكم وانتم من اهل العلم . قال
 ابو حيان . . . وفيها من التحريك الى ترك الانداد وافراد الله بالوحدانية ما لا
 يخفى اي انتم من ذوي العلم والتمييز بين الحقائق والادراك لطائف الاشياء والاستخراج
 لغوامض الدلائل في الرتبة التي لا تليق لمن تحلى بها ان يجعل لله ندا وهو خلقه
 اذ ذاك فعل من كان اجهل العالم وابعدهم عن الفطنة واكثرهم تجوزا للمستحيلات
 (٢)

(وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاوتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم

من دون الله ان كنتم صادقين) .

واضح ان هذه الاية تبين اثبات ان القران من عند الله - سبحانه وتعالى -
 فيعد ان اثبت - سبحانه وتعالى - وحدانيته وقدرته وتصرفه المطلق بالموجودات .
 عرج على اثبات كون القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم - من عنده - سبحانه -

(١) تفسير النسفي ج ١ ص ٢٩ وانظر ابو حيان - البحر المحيط ج ١ ص ٩٩

(٢) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ١٠٠

ووجه الاثبات قائم من جهة التحدي في ان يا^١توا بمثله فان لم يستطيعوا فهذا اثبات
 انه ليس بمقدور البشر اذا هو من عند الله وهذا الاثبات يستلزم ايضا كون المنزل عليه
 نبيا مرسلا من عند الله . سبحانه وتعالى — وهذا هو وجه التناسب بين هذه الاية
 وما قبلها وهو من التناسب العام الذي يبين شدة ترابط آيات القران الكريم ويذكر ابو
 حيان وجه التناسب فيقول : مناسبة هذه الاية لما قبلها انه لما احتج — تعالى عليهم
 بما يثبت الوجدانية ويبطل الاشتراك وعرفهم ان من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم
 والتمييز اخذ يحتج على من شك في النبوة بما ينزل شبهته وهو كون القران معجزه و
 بين لهم كيف يعلمون انه من عند الله ام من عند^٢مؤبا^٣ن يا^٤توا هم ومن يستعينون به بسورة
 هذا وهم الفصحاء البلغاء المجيدون قول الكلام من النثر والنظم . . . (١)

والواو في بدايه هذه الايه هي واو الاستئناف لانه ليس هناك شيء يمكن ان
 نعطف عليه الجملة التي تليها وجملة ان كنتم جملة شرطية تحتاج الى جواب و
 جوابها جملة فاء^٥توا بسورة من مثله اما جملة وادعوا شهداءكم : فهي معطوفة على
 جواب الشرط فاء^٦توا لذلك كانت في محل جزم . ومسبقه بحرف العطف الواو
 ومن الملاحظ ايضا ان الجملة المعطوفة على جواب الشرط تترفق مع جواب الشرط في
 الفعلية والانشائية والاسناد الى الضمير واو الجماعة وان المخاطبين في الجهتين
 هم هم . والاثيان . والدعوة مفهومان لا يختلفان اما قوله تعالى . ان كنتم صادقين
 فهي جملة شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ما قبله اي ان كنتم صادقين في دعوكم
 فاء^٧توا بمثله . واستعينوا بالهتكم . وقد فصلت جملة الشرط وجوابها المحذوف عن
 جملة الشرط وجوابها الاولى لانه الثانية بمثابة التاكيد للاولى لان المرتاب في
 دعواه غير مصدق وهذا نفسه معنى ان كنتم صادقين والله اعلم . وحذف الجواب

لمعنى بلاغى يدرك من خلال فن الحذف فى العربية .

(فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجاره اعدت

للكافرين)

مناسبة هذه الايه لما قبلها هو : لما كان امره تعالى اياهم بالاتيان

بسوره من مثله امرتهم وتعجيز لا نعم غير قادرين على ذلك انتقل الى ارشادهم اذ

ليسوا بقادرين على المعارضه وامرهم باتقاء النار التى اعدت لمن كذب . . . (١)

وملاحظ ان هذه الجملة (فان لم تفعلوا) جمله شرطيه مبدوءه بالفاء

العاطفه وهى معطوفه على جمله الشرط السابقه لما بينهما من تجانس فى الشرطيه

بالاضافه الى انها تخاطب نفس من تخاطبهم جمله السابقه . وجواب الشرط هنا

مقترن بالفاء (فاتقوا النار . . .) اما جمله (ولن تفعلوا) فهذه جمله اعتراضيه

لا محل لها من الاعراب جاءت لتأكيد المعنى الاول (فان لم تفعلوا) قال صاحب

البحر وفيها جمله ولن تفعلوا من تأكيد المعنى مالا يخفى لانه لما قال

فان لم تفعلوا وكان معناه نفى فى المستقبل مخرجا ذلك مخرج الممكن اخبر ان ذلك

لا يقع وهو اخبار صدق فكان فى ذلك تأكيد انهم لا يعارضون . . . (٢)

وقوله تعالى (اعدت للكافرين) جمله اما استثنائية . او وصف للنار

لذلك جاءت بدون عاطف . على تقدير المعده للكافرين والله اعلم ، أحوال من

النار، والعامل فيها قوله فاتقوا عند ابن البقاء . . . (٣)

(١) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١٠٦

(٢) السابق ص ١٠٧

(٣) السابق ص ١٠٩

والاولى عند ابي حيان ان تكون جملة اعتراضية لا موضع لها من الاعراب وكا'نها جواب
سؤال مقدر كا'نه لما وصفت بان وقودها الناس والحجارة قيل : لمن اعدت فقيل
اعدت للكافرين ٠٠٠ (١)

(وشرالذين امنوا وعملوا الصالحات) مناسبة هذه الاية لما قبلها من الاي
تتمثل في ا'نه - سبحانه وتعالى - ذكر في ما تو'ول اليه حال الكفار في الاخرة اذا
ا'صروا على كفرهم وما تواوهم على ذلك. ذكرنا حال المؤمنين وما تو'ول اليه حالهم
في الاخرة من نعيم مقيم ويشوي سارة والخذ بالخذ يذكر حتى يتبين المعنى ويتضح اكثر
في الاذهان يقول ابو حيان : مناسبة قوله تعالى وشر لما قبله ظاهره، وذلك ا'نه لما
ذكر ما تضمن ذكر الكفار وما تو'ول اليه حالهم في الاخرة وكان ذلك من ابلغ التخوف
والانذار اعقب ما تضمن ذكر ما ييلهم واحوالهم وما اعد الله لهم في الاخرة من النعيم
السرمدى . وهكذا جرت العادة في القران غالبا متى جرى ذكر الكفار وما لهم اعقب بالمؤمنين
وما لهم وبالعكس لتكون الموعظة جامعة بين الوعيد والوعد واللفظ والعنف لا'ن من
الناس من لا يجذ به التخوف ويجذ به اللطف ومنهم من هو بالعكس ٠٠٠ (٢)

ومن الملاحظ ان هذه الاية قد صدرت بالواو العاطفة فلنبحث عن المعطوف
عليه خاصة اذا علمنا ان هذه الجملة امرية (بشر) وما قبلها (فاتقوا النار) جملة امرية
الا انها جواب شرط مجزوم والمخاطب في الجملة الاولى محمد صلى الله عليه وسلم -
او كل من تصح منه البشارة وجملة فاتقوا المخاطب بها هم الكفار . وقد ا'جاز
الزمخشري هذا العطف في الكشاف ٠٠٠ (٣)

(١) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ١٠٩

(٢) السابق ص ١١٠

(٣) الزمخشري الكشاف ج ١ ص

قال : (هو معطوف على قوله (فاتقوا) كما تقول : يا بني تميم احذروا

عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بنى اسد باحسانى اليهم) ٠٠٠ (١)

وقد اجاز ذلك ايضا ابو البقاء كما يقول ابو حيان واعتبر ابو حيان ما ذهب

اليه ابو البقاء خطأ غير صواب وعلل ذلك بقوله : (فاتقوا) جواب للشرط وموضعه جزم

والمعطوف على الجواب جواب ٠ ولا يمكن فى قوله (وبشر) ان يكون جوابا لانه امر

بالبشارة ومطلقا لا على تقدير ان تفعلوا بل امر ان يبشر الذين امنوا امر ليس مترتبا على

شئ قبله وليس قوله (وبشر) على اعرابه مثل ما مثل به من قوله يا بنى تميم ٠٠٠ الخ

لان قوله (احذروا) لا موضع له من الاعراب بخلاف قوله (فاتقوا) فلذلك امكن فيما

مثل به العطف ولم يمكن فى (وبشر) وقد اجاز الزمخشري فى هذه الاية اعرابا اخر

حين اعتبر الجملة من قوله تعالى (وبشر) معطوفة على ما قبلها من السياق وسماء

عطف القصة على القصة قال فان قلت : علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهى يصح

عطفه عليه ٠ قلت : ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له من امر او نهى يعطف

عليه انما المعتد بالعطف هو جمله وصف ثواب المؤمنين فى معطوفه على جملة

وصف عقاب الكافرين ٠ كما يقول : زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشرعرا بالعفو و

الاطلاق ٠٠٠٠ (٢)

وهناك وجه ثالث متأتى من قراءة زيد بن على (وبشر) لا على سبيل انها

فعل امر بل على سبيل انها فعل ماض مبني للمجهول ٠ وفى هذه الحالة ايضا اختلف

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٥٤

وانظر النسفى ج ١ ص ٣٢

(٢) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٥٤ وانظر النسفى ج ١ ص ٣٢

فيما عطف عليه فاجاز الزمخشري ان يعطف على قوله تعالى : (اعدت) ٠٠٠ (١)
 وخالف ابوحيان في ذلك رافضا ما ذهب اليه الزمخشري حيث قال في اعراب
 ما سبق (من جعل بشر معطوفة على اعدت وهذا الاعراب لايتأتى على قول من جعل
 (اعدت) جملة في موضع الحال لانه المعطوف على الحال حال ٠ ولا تياتى ان يكون
 (وبشر) في موضع الحال فالصاحح ان تكون جملة معطوفة على ما قبلها - وان لم تتفق
 معانى الجمل - كما ذهب اليه سيبويه وهو الصحيح - (٢)

ويقصد صاحب البحر بهذه العبارة الاخيرة جواز عطف الانشاء على الخبر
 والعكس اما قوله تعالى (امنوا) وعملوا الصالحات فهما جملتان الاولى منها لا محل
 لها من الاعراب صلة الموصول والثانية مثلها لانه عطف عليها وقوله تعالى ان لهم
 جنات ٠ جملة تتكون من ان واسمها وخبرها وموضعها من الاعراب كما هو واضح انها في
 محل نصب مفعول به ثان للفعل (بشر) والمفعول الاول هو الاسم الموصول (الذين)
 ويجوز ان تكون في محل جر على تقدير دخول حرف الجر على ان (بان لهم جنات)
 حيث يطرد حذف حرف الجر مع ان كما هو معلوم في النحو ٠٠٠ (٣)
 وجملة (تجري من تحتها الانهار) واضح انها صفة (جنات) فالجمل بعد
 النكرات صفات وجاءت كلمة (جنات) نكرة فهذه الجملة صفة لها كلما رزقوا منها من
 ثمره رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) ٠

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٥٤

(٢) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١١١

(٣) السابق ص ١١٢

وهذه الجملة ايضا وصف اخر للجنة على احدى التقديرات فهي تعد وصفا
 بعد وصف لذلك فصلت عن سابقتها من باب تعدد الصفات لموصوف واحد . وما هو
 معلوم في علم العربية (النحو) ان الصفات المتعدده يمكن ان تقطع عن موصوفها
 فتخالفه في الاعراب او تخالفه في التقدير وانا اردنا تطبيق هذه القاعدة هنا يمكننا
 القول ان جمله كلما رزقوا جمله نعت مقطوع في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف هذا
 المبتدأ المحذوف لا يجوز تقديره الا على وجهين : ا) أحدهما ضمير عائد الى الجنان على
 تقدير هي كلما رزقوا منها — او عائد على المرزوقين ان هم كلما رزقوا منها
 وذلك لسلامة المعنى على التقديرين . ويمكن ان نعتبرها مستأنفة لا محل لها من
 الاعراب جواب عن سوال مقدر ناسج عما قبلها من السياق قدره ابو حيان بقوله
 وانه لما ذكر ان من امن وعمل الصالحات لهم جنات صفتها كذا هجس في النفوس حيث
 ذكرت الجنة الحديث عن ثمار الجنات وتشوقت الى ذكر كيفية احوالها فقبل كلما
 رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا (١)

والتقدير للاول وهو جعل الجملة صفة بعد صفة اقوى عندي وذلك لعدم
 الحاجة الى تقدير من جهة ومن جهة اخرى لاتصال النصب بعضه ببعض وقد رد ابو حيان
 بعض الوجوه الاخرى الى ما ذكره ابو البقاء من اعتبار الجملة (حال) من الذين امنوا
 تقديره (مرزوقين على الدوام) وقال ذلك لا يتم الا على تقدير ان يكون الحال مقدره
 لانهم وقت التبشير لم يكونوا مرزوقين على الدوام .
 ورد وجها اخر قاله ابو البقاء وهو ان تكون الجملة حالا من (جنان) لانها
 نكرة قد وصفت بقوله تجري فقريت من المعرفة . قال (وتوهم ايضا الى الحال المقدره

والاصل في الحال ان تكون مصاحبه ٠٠٠ (١)

والجملة كما هو واضح ايضا اشبه ما تكون بالشرط والجزاء فهي متضمنه معنى الشرط والشرط كما رزقوا منها من ثمره رزقا والجواب قولهم قالوا هذا الذي رزقنا من قبل . ولهذا الاعتبار وهو تضمن الجملة معنى الشرط يمكن الحكم على الجملة انها انشائية طلبية . وفصلت عن سابقتها لاجل هذا السبب والله اعلم . اما قوله تعالى (واتوا به متشابها) فهي جملة معترضة للتقرير عند الزمخشري حيث قال : فان قلت كيف موقع قوله (واتوا به متشابها) من نظم الكلام قلت : هو كقولك فلان احسن بفلان ونعم ما فعل وراي من الراي كذا وكان صوابا . ومنه قوله تعالى (وجعلوا اعزاهلها اذله وكذلك يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير) .

٠٠٠ (٦)

اما عند ابن حيان فالجملة تعتبر حالا ان يصير التقدير قالوا هذا مثل الذي رزقنا من قبل وقد اتوا به متشابها . اي قالوا ذلك في هذه الحالة وكان الحامل على القول المذكور كونه اتوا به متشابها ومجيب الجملة المصدره بماض حالا ومعها الواو وعلى اضجار (قد) جائز في فصيح الكلام . اما اعتبار الواو عاطفه في هذه الجملة فان لا يمكن لعدم استقامة المعنى ان لا يستقيم عود الضمير (به) على المرزوق في الدارين اذا كانت الجملة معطوفة على قوله تعالى - قالوا هذا الذي رزقنا من قبل لان اللاتيان ان ذاك يستحيل ان يكون ماضيا معنى لازما في حين كلمنا . والعامل فيها بتعيين هنا ان يكون مستقبل المعنى وان كان ماضى اللفظ لانه لا تخلو من معنى الشرط ٠٠٠ (٣)

(١) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ١١٤

(٢) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢١٢

(٣) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ١١٦

وهناك وجه آخر هو ان تكون الجملة مستأنفة والواو للاستئناف (ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون) . يمكن حمل هذه الجملة على انها صفة للجنات او حملها على الاستئناف واعتبار الجملة مستأنفة هنا دليل على زياده الاعتناء بالخبر اذا سبقت بحيث لا تحتاج الى رابط يربطها بما قبلها . اما جملة وهم فيها خالدون فهي جملة حالية تبين حالة بقاء المؤمنين في الجنة او معطوفة على ما قبلها فتأخذ حكمها .

ومن الملاحظ في هذه الاية ابتداء من قوله (وبشر الذين امنوا ان لهم جنات انما قد اصابتم فصل البلاغة في حسن ترتيبها لمقومات الحياة الراقية الرغيدة التي يرنوا اليها الانسان . فالجنات هي المسكن البهي والثمرات الياضعة المختلفة هي المطعم الشهي والنساء المطهرات . ثم الدوام والخلود والاستمرار على هذه الاشياء لا يعكس صفو الحياة هرم ولا مرض ولا خوف من موت . قال ابو حيان في مناسبة ترتيب هذه الجملة (ولما كانت مجامع اللذات في المسكن اليها والطعم الشهي والمنكح الوضي ذكرها الله تعالى فيما يبشر به المؤمنون وقد بدأ بالمسكن لان به الاستقرار في دار العقام وتنى بالمطعم لان به قوام الاجسام ثم ذكر ثالثا الازواج لان بها تمام اللتام (١)

(ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها فاما الذين امنوا

(. . .)

ابتداء جديد مدعوم بالتاكيد وسياتي - يبدو عليه الاختلاف الكلي عما مضى من الايات ولاول وهله لا يجد الانسان تناسبا حقيقيا بين ما مضى وما هوآت .

ولكن بالنظر الدقيق وتتبع اقوال العلماء نجد هناك تناسبا عاما قال الفخر الرازي :
 (اعلم انه تعالى لما بين بالدليل كون القرآن معجزا اورد ههنا شبه اورد ها الكفار
 قدحا في ذلك واجاب عنها وتقرير الشبهه انه جاء في القرآن ذكر النحل والذباب و
 العنكبوت والنحل وهذه الاشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء فاشتمال القرآن عليها
 يقدح في فصاحته فضلا عن كونه معجزا فاجاب الله تعالى عنه باءن صغر هذه الاشياء
 لا يقدح في الفصاحة اذا كان ذكرها مشتملا على حكم بالغه ٠٠٠ (١)

وردت عدد اقاويل في مناسبة هذه الاية منها عن ابن عباس انه لما نزل

(يا ايها الناس ضرب مثلا فاستمعوا له فظعن في اصنامهم ثم شبه عبادتهم ببيت العنكبوت
 قالت اليهود : اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله المثل بهما فنزلت هذه الاية
 ومنها ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق في قوله
 مثلهم كمثل الذي استوقد نارا (٠٠٠) (٢)

وقد يجوز ان ينزل ذلك ابتداء من غير سبب لانه معناه في نفسه مقيد (٣)٠٠

والذي اختاره من هذه الاقوال هو ما ذكره ابو حيان في مناسبة هذه الاية

لما قبلها حيث قال : (ومناسبة هذه الاية ظاهرة ان قد جري قبل ذكر المثل

بالمستوقد والصيب ونزل التمثيل بالعنكبوت والذباب فانكر ذلك الجهلي واهل العناد

واستغربوا ما ليس بمستغرب ولا منكر ان التمثيل يكشف المعنى ويوضح المطلوب (٤)٠٠٠

وهذا الاختيار يجعل من الايات سياقاً متصلاً متكاملًا وهو اولى من غيره خاصة وأدلة

(١) الفخر الرازي التفسير الكبير ج ٢ ص ١٣٢

(٢) السابق ج ٢ ص ١٣٢

(٣) السابق ص ١٣٢

(٤) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ١٢٠

تأييد من السنة النبوية و'حوال الصحابة كما ذكر سابقا عن ابن عباس -رضى الله عنه - ويمكن للمرء ان يستخلص اشارة مناسبة في ذكر هذه الاية وتكمن الاشارة في ازه - سبحانه وتعالى - لما ذكرنا للمتقين المصدقين من بشارات من دخول الجنة والتمتع بثمارها بالاضافة الى التمتع بالنساء والازواج ربما يظن ظانا ان هذه الاشياء مما لا يليق بكلام الله وكتابه . وان هذه الامور مما يستحق من ذكرها لمسها المباشر بقضية الجنس والمراد فجاء . قوله تعالى : ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا ما . . . بمعنى انه لاجزاء في ذكر الامثال كبرت او صغرت عظمت او هانت جليها وحقيرها وبين ان ذكر مثل هذه الامثال تجعل الناس على قسمين مؤمنون وكافرون المؤمنون الذين يصدقون بهذه الامثال ويحاولون بيان ما فيها من حكمة ربانية وكافرون يستهزؤون من خلال تساويات ليس في مكانها . والناظر من جهة علاقة هذه الجملة ان الله لا يستحي ان يضرب مثلا بجملة وهم فيها خالدون لا يجد علاقة خاصة ولا جامع يجمعها فهي اجنبية عنها الاولى منها اسمية تتحدث عن المؤمنين والثانية اسمية تتحدث عن الله سبحانه وتعالى - والاول مضمونها الخالدون في الجنة والثانية عدم حياء الله من ضرب الامثال ولو صغرت . فكان الانفصال التام وملاحظ ان جملة يستحي في محل رفع خبر ان وان جملة ان يضرب مثلا في محل نصب مفعول به والجملة الكبيرة جملة اسمية ابتدائية . فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق ، واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا ، هاتان جملتان مصدرتان ب'اما التي من معناها التفصيل والشرط بمعنى ان الجملتين شرطتان عطفت الثانية منها على الاولى لما بينهما من التضاد فمعنى الاولى المؤمنون يصدقون ومعنى الثانية الكافرون ينكرون ويستهزؤون وتصدير الجملتين ب'اما التي معناها الشرط - كما يقول ابو حيان - مشعر بالتوكيد . اذ هي ابلغ من (فالذين امنوا يعلمون والذي كفروا يقولون ان قد تقرر ان ما يبرز في حيز اما من الخبر

كان واقعا لا محالة ٠٠٠ (١)

وقوله تعالى ايضا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا (عطف الثانية لجامع

بينهما هو التضاد بين المسند في الجملتين والاتحاد في المسند اليه وفعلت يضل

به كثيرا ٠ قوله ماذا اراد الله بهذا مثلا ٠ لآن هذه الجملة استفهامية وجملة

(يضل) خبرية ٠ وجملة يضل به ٠٠ كالجواب لهذا السؤال ٠ او يمكن القول ان

هاتين الجملتين (يضل به ويهدي به) مستانفتان جارتان مجري البيان والتفسير

للجملتين السابقتين المصدرتين (باما) ٠٠٠ (٢)

والمتكلم في قوله تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) اما الله سبحانه

وتعالى يجيب الكفار أو الكافرون يجيبون انفسهم ، اما ان يكون نصف الخطاب لفاعل

مغاير الاخر فلا يتم، وفيه الباس للنصر وقد نقل ابوحيان عن ابن عطية انه جوز ان يكون

قوله يضل به كثيرا من كلام الكفار ويكون قوله ويهدي به كثيرا الى اخر الاية من كلام

الله تعالى ، وقد رد هذا القول لما فيه من الباس في التركيب قائلا (لان الكلام اما

ان يجري على انه من كلام الكفار او يجري على انه من كلام الله ٠ واما ان يجري بعضه

على انه من كلام الكفار وبعضه من كلام الله تعالى من غير دليل على ذلك فان يكون

الباس في التركيب وكتاب الله منزه عنه ٠٠٠ (٣)

وعودا الى جملة ماذا اراد الله بهذا مثلا نرى ان هذه الجملة لها محل

من الاعراب هو اونها في محل نصب مقول القول ٠ وقد اعتبر بعض المفسرين ان قوله

تعالى (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) في موضع صفة لمثل لآن كلمة ومثل نكرة

(١) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١٢٤

(٢)

(٣) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١٢٦

وتحتاج الى وصف على هذا يكون المعنى ماذا اراد الله بهذا مثلا يفرق به الناس الى ضلال والى هدايه وتكون هذه الجملة (يضل به ويهدي به) من كلام الكفار يقول ابوحيان وهذا الوجه ليس بظاهر لان الذي ذكر ان الله لا يستحي منه هو ضرب مثل ما اي مثل كانه بعوضه او ما فوقها . والذين كفروا انما ساءلوا استهزاء وليسوا معترفين بان هذا المثل يضل الله به كثيرا ويهدي به كثيرا الا اذا ضمن معنى الكلام ان ذلك على حسب اعتقادكم وزعمكم ايها المؤمنون فيمكن ذلك ولكن كونه اخبارا من الله تعالى هو الظاهر ٠٠٠ (١)

وقوله تعالى (وما يضل به الا الفاسقون) معطوفه على ما سبقها يضل به كثيرا . وهما في نفس المعنى وقد قرئ الفعل مبينا للمعلوم واخرى للمجهول وما يضل به الا الفاسقون .

الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل

هاتان الجملتان ينقضون و (يقطعون) الاولى منها صلة الموصول لا جعل لها من الاعراب عطف الثانيه عليها فهي ايضا صلة للموصول .

اما جمله (الذين ٠٠٠) فهي على اوجه كما مر معنا سابقا في مثلاتها

القطع على الذم . او الابتداء وخبرها (اولئك هم الفاسقون) او انها في محل نصب صفة للفاسقين وهو الاعلى المبين لاتصال الكلام ويكون الفصل لكامل الاتصال بينهما وبين موصوفها وهم (الفاسقون) وتكون جمله (اولئك هم الفاسقون) جمله اسمية مستأنفة بيانية فاتجه عن سوال مقدر من الجملة السابقه .

ومن الملاحظ ان هذه الايه قد تضمنت تنسيقا داخليا جميلا في المفردات

والجمل فالبعوضه تعبر عن الاشياء الصغيرة والحقيرة و (فما فوقها) يعبر عن الكبير . وفي جملة يضل ويهدي طباق وكذلك في قوله يقطعون . وان يوصل . وينقضون . (من بعد ميثاقه) ونلاحظ حسن الترتيب في جمل الصلة حيث البدء بنقض العهد وهو اخص من قطع ما امر الله به ان يوصل وهو اعم من نقض العهد ثم الانسداد في الارض وهو اعم منها ٠٠٠ (١)

(كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون)
واضح ان بداية هذه الاية جملة استفهامية انكارية والجملة الاخيرة من الاية السابقة كانت اسمية خبرية . مع اختلاف الجملتين في الغرض والمعنى فكان الفصل تمام الانقطاع . وجملة (وكنتم امواتا) جملة حالية اي كيف تكفرون بالله وهذه حالكم وهي جملة ماضوية لم تصدر (بقدر) فنقدرها كما ذهب اليه ابوحيان اي (وقد كنتم امواتا) ٠٠٠ (٢)

ومثله قوله تعالى : في سورة يوسف وقال الذي نجا منها وادكر بعد امه وقوله (ونادي نوح ابنه وكان في معزل) وذهب الزمخشري الى ان الواو لم تدخل على (كنتم امواتا) بل على كل السياق حتى قوله تعالى (..... ترجعون) وجعل الحال الداخلة عليه الواو قصة وشاونا على تقدير كيف تكفرون بالله وقصتم هذه قال : فان قلت : فكيف صح ان يكون حالا وهو ماضٍ ولا يقال : جئت و قام الامير ولكن وقد قام الامير الا ان يضر قد . قلت : لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله (كنتم امواتا الى ترجعون) كما انه قيل كيف تكفرون بالله

(١) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١٢٩

(٢) السابق ص ١٣٠

وقصتكم هذه وحالكم انكم كتم امواتا ٠٠٠ (١)

وقد ذهب ابو حيان الى ان كون الواو داخله على جميع النص (لا يتعين
اذ يحتمل ان يكون الحال قوله (وكتم امواتا فاحياكم) ويكون المعنى كيف تكفرون
بالله وقد خلقكم فعبر عن الخلق بقوله تعالى : وكتم امواتا فاحياكم ٠٠٠ (٢)

والظاهر ان السياق يدل على اثبات قدرة الله - عزوجل - وتذكير الناس
بعبدا* وجودهم لذلك فصل في ذلك وجعل الجمل مرتبطه بعضها ببعض على معاني
حروف العطف وكلها مرتبطه بواو الحال فحال الانسان انه كان ميتا لم يخلق ثم احيى
ثم يموت وهكذا ٠٠٠٠ ولما كان الزمن بين كون الانسان لا شئ ميت ثم احيى في المرة
الاولى كان الربط بين امواتا فاحياكم بالفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب اما بقية
الجمل، فقد كان ارتباطها (بم) المفيدة للترتيب والتراخي، وهذا ما يقتضيه المعنى
الواقعي في الحياة. وقال الزمخشري فان قلت : لم كان العطف الاول بالفاء والاعقاب
بثم قلت : لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ واما الموت فقد تراخى عن
الاحياء، والاحياء الثاني كذلك مترخ عن الموت ان اراد به النشور، تراخيا ظاهرا، وان
اراد به احياء القبر فمعه يكتب العلم تراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا تراخ عن النشور.

٠٠٠ (٣)

وعند ابن حيان تعتبر الجمل ثم يميتكم ثم يحييكم ٠٠٠٠ جملا اخبر الله بها

(١) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٦٩

وانظر الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٦٠

(٢) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ١٣٠

(٣) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٧٠

مستأنفة لا داخله تحت الحال فلذلك غير فيها بحروف العطف وصيغة الفعل عما قبلها من الحروف والصيغة قال : ولما كان مركزاً في الطباع ومخلوقاً في العقول ان لا خالق الا الله (ولكن ساءلتهم من خلقهم ليقولن الله) كانت حالاً تقتضى ان لا تجامع الكفر فلا يحتاج الى تكلف انه الحال هو العلم بهذه الجملة . وعلى هذا الذي شرحناه يكون قوله تعالى : (ثم يهتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون جملاً اخبر الله تعالى بها مستأنفة لا داخله تحت الحال لذلك غير فيها بحروف العطف وصيغة الفعل عما قبلها من الحروف والصيغة) (١) ٠٠٠٠

(هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعاً) مناسبة هذه الاية لما قبلها ظاهره وهو انه لما ذكر ان من كان منشئاً لكم بعد العدم ومغيثاً لكم بعد الوجود وموجداً لكم ثانية اما في الجنة واما الى النار كان جديراً ان يعبد ويشكروا يكفروا ثم اخذ يذكرهم عظيم احسانه وجزيل امتثانه من خلق جميع ما في الارض لهم وعظيم قدرته وتصرفه في العالم العلوي . وان العالم العلوي والعالم السفلي بالنسبة الى قدرته على السوء وانه علم بكل شئ ٠٠٠ (٢)

قال الرازي في ترتيب هذه الاية هو الذي خلق لكم : اعلم ان هذا هو النعمة الثانية التي عمت المكلفين باسرها وما احسن ما رعى الله - سبحانه وتعالى - هذا الترتيب فان الانتفاع بالارض والسماء انما يكون بعد حصول الحياة فلهذا ذكر امر الحياة اولاً ثم اتبعه بذكر السماء والارض ٠٠٠ (٣)

(١) ابو حيان البحر المحيط ج ١ ص ١٣٠

(٢) السابق ص ١٢٢

(٣) الفخر الرازي التفسير الكبير ج ٢ ص ١٥٣

وجمله ثم استوي الى السماء معطوفة على جملة خلق لكم ما في الارض يحرف العطف ثم، الذي يفيد ان خلق الارض سبق من خلق السماء، لاقتضاء ثم التراخي في الزمن، او اشارة الى التفاوت بين السماء والارض في القدر وقيل : لما كان بين خلق الارض والسماء اعمال من جعل الرواسي والبركة فيها وتقدير الاقوات عطف بهم، ان بين خلق الارض والاستواء تراخ يدل على ذلك (قل ائتكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين) ٠٠٠ (١)

وهذا التراخي بالنسبة لاهل الارض وقياسا على عقولهم، والا فانه الله - سبحانه وتعالى - قدرته فوق الزمان والمكان ١٩ مرة بين الكاف والنون. ويؤكد الزمخشري ان ثم، في هذا الموضع، لا تفيد التراخي الزمني، بل لفضل خلق السماوات على الارض قال : ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت، وفضل خلق السموات على خلق الارض، لا للتراخي في الوقت كقوله - ثم كان من الذين امنوا - على انه لو كان المعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به - هذا وقد اعترض على الزمخشري - كما ذكر في تفسيره تفسيره معنى الاستواء بالقصد الى السماء بعد خلقه الارض لان المعنى انه حيث قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك ٠ اي في تضاعيف القصد اليها خلقا اخر ٠٠ (٢) ٠٠٠

وهو بكل شيء عليم تذييل للاية معطوف على هو الذي خلق لكم وهو مناسب تماما لما ذكر من نعم الله على بني ادم وكمال قدرته - سبحانه وتعالى - وخلق الخلائق لانه هذه الامور لا تتم الا من قبل علم الغيوب وهو وحده سبحانه القادر على ذلك

(١) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١٣٦

(٢) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٧٠ - ٢٧١

انظر تفسير ثم استوي الى السماء في ص ٢٧٠

لذلك كان قوله: وهو بكل شيء عليم ، ختام العظام وأرجاع الشئ الى من يستحقه
 وعلمه. اما ختم الاية بالجملة الدالة على العلم، وجعلها فاصلة لما قبلها فقد ذكر
 السيوطي السرفى ذلك تحت عنوان مشكلات الفواصل قال : ومن خفى ذلك ايضا :
 قوله تعالى: هو الذي خلق ٠٠٠ لما تتضمنت الاخبار عن خلق الارض وما فيها على
 حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم . وخلق السموات خلقا مستويا محكما من
 غير تفاوت والخالق الوصف المذكور يجب ان يكون عالما بما فعله كليا وجزئيا مجملا و
 مفصلا ناسب فتحها بصفة العلم ٠٠٠ (١)

وقد ذكر ابوحيان كلاما عن تناسب معانى الايات والجمال السابقه من قوله
 تعالى (ان الله لا يستحي) حتى (وهو بكل شيء عليم) فقال : وتضمن قوله
 تعالى ان الله لا يستحي الى اخر قوله وهو بكل شيء عليم ، ان ما ضرب به المثل فى
 كفاية من مستوقد النار والصيب والذباب والعنكبوت وما يجري مجرى ذلك فيه عجائب
 من الحكم الخفية والجلية وبدائع الفصاحة العربية وموافقه المثل لما ضرب به وانه لا
 يحسن فى مثله الامثلة ، وانه تعالى لا يترك ذلك لما فيه من الحكم ومدح من عرف
 ان ذلك حق ، وذنم من انكره وعابه وان فى ضربه هدى لمن آمن وضلال لمن صد عنه
 وذنم من نقض عهد الله وقطع ما يجب ان يوصل وانسد فى الارض واعلامه بان ذلك سبب
 خسارته ٠٠٠ وفى ذلك اشد التخويف والتهديد . ثم التخويف ذكرهم ببعض نعمه
 التى انعمها عليهم من خلق الارض المقلد والسماء المظلمة والمخلوقات المتعدده التى
 ينتفعون بها ويعتبرون بها ليجمع بذلك بين الترهيب والترغيب وهذه هى الموعظة التى
 يتعرض بها ذو العقل السليم والذهن المستقيم، ثم ختم ذلك بالاصل الاكبر من اعلامهم
 باحاطة علمه بجميع الاشياء من الابتداء الى الانتهاء ٠٠٠ (٢)

(١) السيوطى معترك الاقران ج ١ ص ٤٦ - ٤٧

(٢) ابوحيان البحر المحيط ج ١ ص ١٣٧

(واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفه) ٢٩ - ٣٩

وظاهر من هذه الاية انها تتحدث عن مبدأ خلق ادم الذي يعتبر ابا الخليقة البشرية وهذا من باب تأكيد ما ذهب اليه فى الايات السابقة من قدرته على خلق كل شئ. وبيان قصته الخلق وبدايته دليل على تفرد سبحانه وتعالى فى ذلك . هذا من وجه ، ومن جهة اخرى نرى ان ترتيب ذكر خلق ادم جاء بعد تسوية السماوات والارض بمعنى بعد ان اعد الله سبحانه وتعالى المكان والزمان المناسب لهذا المخلوق المشرف بدأً بخلقه موجها الخطاب للملائكة . (واذ قال ربك للملائكة ...) وهذا المقطع الذي يبين مبدأ الخلق ودخول ادم وزوجه الجنة ثم بدايه العداوة مع ابليس الى نهايه المطاف من النزول الى الارض وقبول التوبة ، نرى من خلاله انه يسير على طريقه الجوار الاستفسار ثم الاجابة وهكذا تفصل الجمل عن بعضها البعض من باب فصل الجواب عن السؤال لاختلاف السائل والمجيب وهى شريحة طيبة للتمثيل لشبه كمال الاتصال بين الجمل . وبداً المقطع بتخلص ممتاز واستئنافا حسن (واذ قال ربك للملائكة ...) . اما سر هذا الحوار بين الله سبحانه وتعالى وملائكته فليبين اهمية ما يترتب عليه وهو خلق البشر ممثلا فى خلق ادم عليه السلام بالاضافة الى الاشارة الدقيقة الى ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس اول رسول بل قد سبقه الكثير من الرسل وعلى راسهم ابو البشر ادم عليه السلام .

ويظهر ايضا ان نهايه هذا المقطع القرانى الكريم يبين نهايه المهتدين وما لهم من حسن عاقبة ونهايه الكافرين وما لهم من سوء عاقبة ومن خلال الايات يبين قصة عداوة ابليس الذي لا ياءلوا جهدا فى اضلال الناس فكان الهدى هو التمسك بهذا الكتاب وبهذا النبى وقد ذكر فيما سبق ان هذا الكتاب من تمسك به فهو الهادي الى صراط مستقيم .

٩ الواو في بداية هذا السياق استثنائية، وما بعدها مستأنفة فن فصل عما قبله

ويمكن اعتبارها عاطفة سياق على سياق للتناسب العام بين خلق ما في الارض تكريما لبني ادم ثم ذكر قصة خلق ادم عليه السلام ونلاحظ في هذه الاية ما يلي .

١- فصل جملة (قالوا) عن جملة (قال ريك) لتنزيل الثانية منزلة الجواب من السؤال الناتج عن الجملة الاولى ناهيك عن اختلاف الفاعلين فالاول (ريك) والثاني واو الجماعة العائد الى الملائكة فهو من الاستئناف البياني وكذلك فصل جملة (قال اني اعلم) عن جملة (قالوا) للاستئناف البياني على تقدير ماذا قال ريك .

٢- وصل جملة (يسفك الدماء) بجملة (يفسد فيها) بالواو لان جملة (يفسد) لا محل لها من الاعراب عطف عليها يسفك بالواو وبجامع بينهما ان الفاعل واحد في الجملتين يعود على بني ادم والافساد سفك الدماء نوع منه .

٣- وصل جملة نقد سرك بجملة نسج بجمدك الواقعة في محل رفع خبر بالواو للاتحاد في الفاعل وهم الملائكة والمسند ان في الجملة نوعان من العباد متفقان في المعنى مختلفان في اللفظ التسييح والتقديس وهما بمعنى التنزيه .

٤- ارتباط جملة الحال ونحن . . . بصاحبها وهم الملائكة بالواو والضمير معا . (وعلم ادم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باء اسماء هؤلاء ان كنتم صادقين) ٣١

الواو في بداية السياق تحتل العطف والاستئناف فالعطف على

- (١) ان جملة علم معطوفة على جملة (قال ريك) التي هي في محل جر بالاضافة الى (ان) والفاعل واحد والتعليم والقول اجتماعهما سهل. ولما كانت الجملة الاولى مقيدة بالظرف ان، فان هذه الجملة ايضا مقيدة بالظرف نفسه على تقدير واذكر (ان . .) والاستئناف على اساس الانفصال بين السياقين (١)

(٢) جملة (عرضهم) عطف بحرف الترتيب والتراخي على جملة علم لافاده

ان التعليل قبل العرض بجملة ما .

(٣) جملة قال عطف ايضا على ما سبقها بالفاء لافاده معنى الترتيب والتعقيب

المباشر اي ان القول صدر بعد العرض مباشرة .

(٤) جملة الشرط وجوابه المتقدم عليه (ان كنتم صادقين انبئوني) في محل

نصب مقول القول اي قال هذا القول عقب العرض مباشرة. ويمكن اعتبار ان جملة (ان

كنتم صادقين) مستأنفة منقطعة عن السابق وجوابها محذوف دل عليه ما تقدم .

(قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم) (٣٢)

(١) فصلت جملة قالوا عن سابقتها للاستئناف البياني كما مر .

(٢) (سبحانك) على معنى نسبحك تسيحا وقعت معترضة بين القول ومقول

القول فصلت عن اللاتين معا جاءت لتقوية المعنى وهي انشائية لفظا ومعنى

وما بعدها خبرية لفظا ومعنى .

(٣) فصلت جملة (انك انت) (.....) عن (لا علم لنا الا) مع ان

كليهما من مقول القول لان الثانية جملة تعليلية لما سبقتها والفصل

بينهما كالفصل بين العلة والمعلول .

(قال يا ادم انبئهم باسماعهم فلما انبئهم باسماعهم قال الم اقل لكم اني

اعلم غيب السماوات والارض واعلم ما تبون وما كنتم تكتمون) (٣٣)

جملة قال — فصلت عن السياق السابق للاستئناف البياني جواب عن سوال مقدر وماذا

قال ربك عندئذ :

جملة النداء (يا ادم) وجوابها (انبئهم) في محل نصب مقول القول وقد فصل جواب

النداء عن النداء كفصل الجواب عن السؤال. جملة الشرط غير الجازم (فلما)

وجوابه (قال ٠٠٠) استثنائية لم يقصد عطفها على جملة قال السابق ولا جملة
مقول القول (يا ادم ٠٠٠)

ونلاحظ ان جملة جواب النداء انشائية امرية، وجملة فلما انبئهم خبرية

مقيدة بالظرف (لما) وهذا مسوغ آخر للفصل بين الجملتين .

ونلاحظ ان جملة (اعلم غيب السماوات ٠٠٠) وهى فى محل رفع خبر ان

قد عطف عليها جملة (واعلم ما تبذرون ٠٠٠) للاتحاد بين المسند والمسند اليه

فى كلا الجملتين كما ان جملة الموصول وصلته (ما تبذرون) عطف عليها (ما كنتم

تكتُمون) بالواو للاتحاد بالفاعل والتضاد بين الابداء بمعنى الاظهار والكتمان .

(وان قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من

الكافرين) (٣٤)

الواو تحتمل الاستئناف أو من باب عطف القصة على القصة اى السياق اللاحق

على السياق السابق لما بينهما من التناسب العام وجملة فسجدوا لم تعطف على ما

قبلها وجاءت مستأنفة الا انها مرتبطة فيما قبلها برباط السببية والمطابفة كالجواب

بالنسبة لجملة الامر اسجدوا لادم لذلك فصلت عنها ووجه اخر للفصل هو كونها خبرية

وجملة اسجدوا انشائية لفظا ومعنى ولا عطف للخبر على الانشاء .

والاستثناء الا ابليس معناه (لم يسجد ابليس) فجاءت جملة ابى وهى

بمعنى الاستثناء السابق لتأكيد الرفض فنصبت عنها كالفصل بين المؤكد والمؤكد .

ويحتمل الفصل هنا للاستئناف البيانى فكأن سائلا يسأل ما بال ابليس

فيكون الجواب ابى واستكبر .

اما جملة (استكبر) فقد عطف على ما قبلها (ابى) للاتحاد فى الفاعلية

وامكانية الجمع بين المسند فى كل فالاستكبار والاباء بمعنى واحد ولكن اللفظ مؤنث

فاختلاف اللفظ هنا نزل منزله اختلاف المعنى اما جملة وكان من الكافرين . فهى
 مفصولة عما سبقها للاستئناف لان العطف على ما سبقها يبين ان عدم السجود هو
 سبب الكفر مع انه سبق فى علم الله ان ابليس من الكافرين فصدرت الجملة بالفعل الماضى
 (كان) وتحتل الواو لانه تكون بتقدير قد . . . (١)

(وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلامها رغدا حيث شئتما ولا تقربا

هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) - (٣٥)

الواو عاطفة عطفت جملة (قلنا) على جملة (قلنا) فى بدايتها لاية

السابقة والتي هى فى محل جر بالاضافة الى الظرف (ان) فاختذت نفس الحكم ونفس
 التقييد .

وجملة النداء وجوابه (اسكن) فى محل نصب مقول القول وقد فصل جواب

النداء عن النداء كفصل الجواب عن السؤال .

اما جملة (وكلامها . . .) فهى معطوفة على جواب النداء اسكن و

الجملتان انشائيتان والسكن والاكل يجتمعان فى العرف بالاضافة الى الاتحاد فى الفاعل

(ادم وزوجه) . كذلك عطفت جملة (لا تقربا) على جملة (كلا . . .) والمسوغ

للعطف كونهما انشائيتين الاولى امرية والثانية (نهى) وهناك اتحاد فى الفاعل

بالاضافة الى ان عدم قرب الشجرة معناه عدم الاكل منها فالمعنى واحد واللفظ

مختلف اما جملة (فتكون . . .) فقد فصلت عن سابقها لانهما جواب لها اى جواب

النهى على تقدير ان تاكلنا تكونا من الظالمين .

(فاز لهما الشيطان عنها فاحرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم

لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين) - (٣٦)

جملة فازلها : استثنائية لم تعطف على سابقتها لعدم التشريك جملة

اخرجهما : عطفت على جملة ازلها بالفاء لافادة معنى التعقيب والترتيب اي حملها
الشیطان على الزلّة فكان سببا في اخراجهما من الجنة .

جملة (قلنا) عطفت على جملة فازلها السابقة مع ان الفعلين مختلفان

من جهة المعنى كذلك المسند اليه فالاول هو الشيطان والثاني هو الرحمن ولكن سوغ

الجمع بين هذه الجمل انها من باب الاخبار عن شيء ماض قدیم فكأنه يقول حصل كذا

وكذا . جملة : اهبطوا في محل نصب مقول القول لم تعطف عليها جملة ، بعضكم لبعض

عدو ، لانها حال من الواو في (اهبطوا) والعطف يفيد المغايرة فلا يصح هنا اولاً

جملة اهبطوا انشائية امرية وجملة (بعضكم) خبرية او للاستئناف اي لم يقصد

التشريك لا في العطف على جملة القول ولا على جملة مقول القول . جملة (ولكم في

الارض مستقر) يمكن اعتبارها معطوفة على (بعضكم لبعض عدو) فتأخذ حكمها السابق

في كونها حالا من واو الجماعه في اهبطوا او الاستئناف اي اعطاء جديد بعد خبر .

(فتلقى ادم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)

الفاء عطفت هذه الجملة المستأنفة على المستأنفة السابقة (فاز لها

.....) لافادة الترتيب والتعقيب فكأن ادم طلب التوبة فقبلت وكان الجواب فتلقى

ادم) جملة (فتاب عليه) ايضا معطوفة على تلقى ادم اما جملة (انه هو

.....) فقد فصلت عن فتاب لانها كالعلة بالنسبة لسابقها اي ان سبب التوبة

والتلقى هو كونه سبحانه وتعالى تواب رحيم .

(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يا تينكم منى هدي فمن تبع هداي فلا خوف

عليهم ولا هم يحزنون) (٣٨)

جملة قلنا استثنائية ، وجملة اهبطوا في محل نصب مقول القول ، وجملة يا تينكم

مستأنفة لم تعطف على القول ولا مقوله لعدم التشريك وهي جملة فعل شرط مسبوقة
 بـأما فمن تبع هواي جملة جواب الشرط متصلة بـفعل الشرط بالفاء وهو شرط جازم
 وهذه الجملة (من تبع) هي أيضا جملة شرطية جوابها جملة: فلا خوف، وجملة ولا
 هم يحزنون، معطوفة على جملة (لا خوف عليهم) والمخاطب في كلا الجملتين واحد، هم
 المتبعين الهدى، والخوف والحزن من الأمور التي يكرها الإنسان وغالبا يجتمعان في
 دافع الأمور ونفى أحدهم يبادر إلى الذهن نفي الآخر. وقد ورد مثل هذا أيضا في
 قوله تعالى (لا تخافوا ولا تحزنوا) وقوله: (ولا تخافوا ولا تحزنوا) فلما أراد
 سبحانه وتعالى أن يجمع لتابع الهدى أكثر من فضيلة عطف (ولا هم يحزنون) على
 جواب الشرط لياخذ حكمه في كونه خاصا فيمن اتبع الهدى لا مطلقا
 (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . . .

(٣٩) . .

الواو عاطفة عطف جملة الذين كفروا . . . على جملة فمن تبع هداي بمعنى
 الذين اهتدوا ولا شك أن الجامع بين الجملتين هو التضاد وكأن الجملتين بمعنى:
 الذين اتبع الهدى له الجنة والذي اتبع الكفر له النار .
 وجملة كذبوا معطوفة على جملة كفروا التي لا محل لها من الأعراب لأنها
 صلة الموصول فآخذت حكمها والجامع بين الكفر والتكذيب أن كليهما من صفات
 أهل النار وليس يعد الكفر ذنبا ما جملة (وهم فيها خالدون) فهي حالية من
 أصحاب النار جاءت مربوطه بالضمير وحده .

(يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليهم —) (٤٠)

لقد اختتم المقطع السابق بقوله تعالى (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك
 أصحاب النار هم فيها خالدون) وفي هذه الآية تعرض واضح ببني إسرائيل باعتبارهم

من الذين كذبوا فناسب ذلك ذكرهم مباشرة بعد هذه الآية . هذا من وجه ومن جهة اخرى نرى ان بنى اسرائيل هم جزء من بنى ادم السابق الذكري الخلقه تناسب ان يفرد هم هنا في خطاب خاص بل هم جزؤ من المخالفين الذين ستحدث عنهم الايات ونلاحظ ايضا التناسب التام في الجمل الداخلة في هذه الآية من كونها جملا انشائية تتوع بين الالهي والنهي ، اذكروا نعمتي ، اوفوا بعهدي ، اياي فارهبون ، امنوا بما انزلت لا تكونوا اول كافرينه ، ولا تشتروا باياتي ثمنا اياي فاتقون ، لا تلبسوا الحق بالباطل ، اقيموا الصلاة ، واتوا الزكاة ، اركعوا مع الراكعين ، اتا مرون ، استعينوا بالصبر ، اذكروا نعمتي ، ايقوا يوما . ومن اجل التناسب بين هذه الجمل كانت مرتبطة فيما بينها بالواو وهي من باب التوسط بين الكمالين لاتفاق الجمل انشاء لفظا ومعنى . وهذه الجملة الندائية مستأنفة منقطعة عما قبلها فالاولى كان الحديث من خلالها عن الكفار وهذه الحديث فيها عن بنى اسرائيل والتناسب العام بينهما واضح . جملة اذكروا فصلت عما سبقها لانها جواب لها اي جواب النداء اما جملة اوفوا بعهدي ، فقد عطفت على اذكروا بالواو لتأخذ حكمها من كونها جواب نداء لا محل له من الاعراب والمسوغ للعطف هو كون الجملتين امريتين وكون المأمور واحداً هم بنو اسرائيل وذكر النعمة يستدعي الوفاء بالعهد . وكذلك جملة فارهبون فانها عطفت على جملة اذكروا لان الوفاء بالعهد لا يتم الا من خلال الرهبة والرغبة بذكر النعم والرهبه من زوالها .

اما جملة اوفى بعهدكم ، فقد فصلت عن سابقتها لانها كالجواب بالنسبة لها فاقوا ، مضمته معنى الشرط واوفى جواب ذلك الشرط ويجمع بين الجمل الثلاثه المتعاطفة (اذكروا اوفوا وارهبوا) انها جميعا جواب نداء واحد . وان المخاطبين

فيها واحد وان الامر واحد هو سبحانه وتعالى بالاضافة الى امكانية الجمع بين الوفاء
والذكر والرهبة فالذكر يستدعي الوفاء والوفاء يستدعي الرهبة .

(وامنوا بما نزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافرينه ٠٠٠) (٤١)

ايضا هذه مجموعة من الجمل الانشائية المعطوفة على سابقتها في الاية
السابقة امنوا ولا تكونوا ولا تشتروا واتقون وكلها او امر ونواهي لبني اسرائيل وجواب
للنداء يا بني اسرائيل والجمع بين الايمان بالتنزيل لا الكفر به وعدم استغلاله الاغراض
دنيوية التي عبر عنها بالشراء مع ارتقاء الله ، امر ممكن سهل خاصة اذا علمنا ان
الشراء ليس مطلقا وانما مقيد بايات الكتاب .

(ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون) (٤٢)

القول فيها كسا يقتها . اما جملة ، وانتم تعلمون ، فهي حالية من بني اسرائيل
اتصلت بما قبلها بالواو والضمير معا .

(واقبموا الصلاة واتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) ٠٠٠ (٤٣)

مثل السابقة وعلينا ان نلاحظ ما يلي : ان هذه الايات عطفت الجمل
الداخلة فيها حسب القرب بين المتعاطفات فاقامة الصلاة ، والركوع مرتبطان بايتاء الزكاة ،
وكتمان الحق قريب من تشويهه والباسه ، والايمان وعدم الكفر وعدم التفریط في الكتاب
متقارب كذلك ذكر النعمة والوفاء بالعهد متقاربان .

(اتاءمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افا تعقلون) ٠٠ (٤٤)

جملة اتاءمرون استثنائية عطفت عليها جملة تنسون لان الاول مقيد
بالاستفهام التوبيخي فاحذت الثانية نفس الحكم وهو التوبيخ . اما جملة وانتم تتلون
الكتاب فهي حالية متصلة بما قبلها بالواو والضمير . جملة افا تعقلون ، معطوفة على
التوبيخية السابقة اتاءمرون ، ولا شك ان امر الناس بالبر ونسيان حظ النفس من البر

معناه قلة التعقل والجهل . ويجوز عطفها على جملة مقدر كما هو الحال عند

الزمخشري أي تغفلون فلا تعقلون — (١)

(واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الال على الخاشعين) — (٤٥)

هذه الجملة معطوفة على اقيموا في الاية رقم (٤٣) فيكون جملة انا مروون

وما بعدها في الاية (٤٤) جمل اعتراضية جاءت لتقوية المعنى وهو عدم قيام بني

اسرائيل بما طلب منهم من امر وعدم اجتنابهم للنواهي . والجمع بين الاستعانة

بالصلاة واقامتها ممكن، اما جملة: وانها لكبيرة فهي حالية من الجملة التي قبلها .

(الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون) (٤٦)

جملة انهم ملاقوا — عطف عليها جملة: انهم اليه راجعون بالواو الاولى

منها في محل نصب معمولي ظن، والجامع بينهما، المسند اليه واحد وملاقاة الله و

الرجوع اليه بنفس المعنى وان اختلف اللفظ . (يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت

عليكم واني فضلتكم على العالمين) (٤٧)

جملة النداء مستأنفة، قطعت عنها جملة: اذكروا لانها جواب لها

وقد مر مثلها .

(وارتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ

منها عدل ولا هم ينصرون) (٤٨)

جملة التقوا معطوفة على اذكروا في الاية السابقة والذكر والتقوى وذكر

النعمه يؤدي الى التقوى والخوف من العذاب ناهيك عن .

ان المخاطبين واحد في كلا الامرين والجملة (اتقوا) لا محل لها من

للغرباء جواب النداء السابق (يا بني اسرائيل) والجمل: ولا يقبل، ولا يؤخذ (ولا هم ينصرون) كلها معطوفة على جملة لا تجزي نفس الواقعة في محل نصب صفة ليوم، فكلها تأخذ نفس الحكم في كونها صفات لذلك اليوم (يوم القيامة) . وعدم الاجزاء عن الآخرين وعدم قبول الشفاعة، وكذلك عدم اخذ العدل، وعدم النصر لهذه النفس كلها دلائل تفيد هول ذلك اليوم، مع عدم نفع ابي نافع عدا العمل كما ذكر في آيات اخرى. والمسند اليه في جميع هذه الجمل واحد يعود على النفس وتشارك جميعها في كونها خبرية ايضا لفظا ومعنى .

(واذ نجينكم من آل فرعون ٠٠٠) (٤٩)

ولا يقتصر هذا السياق على التذكير بالنعمة من جهة الايجاب بل يتعدى ذلك الى التذكير بالممارسات الخاطئة مقابل هذه النعمة والعفو من الله عما ارتكبه من جرائم بحق الناس وبحق انفسهم يقول د . محمد دراز عن هذا المقطع القرآني : استهل الخطاب في هذا القسم بثمانى آيات ٠٠٠ استهل الخطاب في هذا القسم بثمانى آيات يعرف فيها بني اسرائيل بتفاصيل المنن التى امتن بها عليهم مرة بعد مرة . وهى تلك النعمة التاريخية القديمة التى اتصل اثرها وسرى نفعها من الاصول الى الفروع فجعل يذكرهم بايام الله فيهم يوم انجاهم من آل فرعون ويوم انجاهم من اليم واغرق اعداءهم فيه ، ويوم واعدهم بانزال الكتاب عليهم ، ويوم حقق وعده بانزاله ، ويوم قبل توبتهم عن الرد والشرك بالله، ويوم قبل توبتهم عن التمرد على نبيهم، و اقتراح العظام عليه وانها لنعم جليلة (سابقه للذنب ولا حقه) تلين ذكراها القلوب وتحرك لهم لشكر المنعم وامثال امره .

وقبل ان ينتقل من تذكيرهم بتلك النعمة الجليلة المطعمة للشاكرين في المزيد الى تذكيرهم بجرائمهم، وما حاق بهم من ضروب النكال الموجبة للامثال والاعتبار

جعل بين الحديثين برزخا مزج فيه ذكر بعض النعم بذكر ما قابلوها به . بعد ان
اعد النفس للسيز على هذا البرزخ بالتفاته يسيره فيها رمز لا عرض وعدم الرضا فيبين
انه تعالى متهم فوق هذا كله متاعا حسنا ان ظلل عليهم الغمام وزرقهم من الطعام
والشراب رزقا هنيئا من حيث لا يحتسبون . ومن حيث لا كاد ولا نصب . فظلموا انفسهم
ويظنوا تلك النعمة وحرفوا كلمة الشكر بتبديلها هزوا ولعبا واقترحوا بدل ذلك الرزق
الناعم عيشة الكدح والعناء فالزمهم الله ما التزموا وضرب عليه الذلة والمسكدة .

وهنا محضر الحديث لذكر المخالفات والعقوبات فذكر انهم باعوا بغضب من

الله لانهم كفروا بايات الله وقتلوا النبيين (غير انه استثنى المؤمنين منهم من هذا
الغضب) وتمردوا على اوامر التوراه جمله حتى ارغموا عليها، ثم تولوا عنها بعد ذلك
حتى صاروا جد يرين باءن ينزل بهم ما نزل باهل السب لولا فضل الله عليهم وانهم
تباطثوا في تنفيذ امر نبيهم وبلغ بهم الجهل بمقام نبوته ان ظنوا في بعض تبليغه عن
ربه انه هازل فيه غير جاد (١)

وتلاحظ في هذا المقطع ان الجمل في الايات تتخذ شكل الماضي، وان نجينكم،

وان فرقنا فانجيناكم واغرقنا...، وان واعدنا، ثم اتخذتم ثم عفونا، وان اتينا موسى الكتاب
وان قال موسى لقومه، فتاب عليكم، وان قلتم فآخذتكم، ثم بعثتكم، وظللنا، وانزلنا وما
ظلمونا، وان قلنا، فبدل الذين ظلموا، وان استسقى . . . الخ .

وهي في مجموعها جمل ما ضويبه خبريه ، مبتداه بالظرف (ان) من

اجل ذلك يمكن ان نعد هذه الايات شريحه لعطف الجمل الخبرية الماضيه بحرف
العطف الواو للتاسب التام في هذه الجمل حيث انها جميعا تتحدث عن بني اسرائيل

وهذا الارتباط بين هذه الجمل من باب التوسط بين الكمالين .

وتستوقفتي الآية الاولى في هذا النص واذا انجينكم من ال فرعون يسومونكم

سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم (

لورود اية مشابهة لها في سورة ابراهيم هي قوله تعالى : (واذا قال موسى لقومه

اذكروا نعمه الله عليكم اذ انجاكم من ال فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم

٠٠٠) ونلاحظ ان سورة البقرة وردت الجملة (يذبحون) بدون الواو العاطفة وفي

سورة ابراهيم بالواو العاطفة وعن سر الحذف واللاتيان في الواو في اليتين قال صاحب

دره التنزيل وغيره التاء ويل ٠٠٠ فادخل الواو في قوله يذبحون ابناءكم في سورة

ابراهيم وحذفها منه في سورة البقرة جعل يذبحون بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب

فالقول في ذلك : انه اذا جعل (يذبحون) بدلا من قوله يسومونكم سوء العذاب

لم يحتاج الى الواو واذا جعل يسومونكم سوء العذاب عبارة عن ضرب من المكروه هي غير

ذبح الابناء لم يكن الثاني الا بالواو وفي الموضعين يحتمل الوجهين الا ان الفائدة

التي يجوز ان تكون خصصت لها الآية في سورة ابراهيم بالعطف بالواو وهي انها

وقعت هنا في خبر قد ضمن خبرا متعلقا به لانه قال قبله (ولقد ارسلنا موسى باياتنا

ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بالله ان في ذلك لايات لكل صبار شكور .

ثم قال : (واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمه الله عليكم) فضمن اخباره عن ارسال موسى

باياته اخباره عن تشبيهه قومه على نعمه الله ودعائهم الى شكرها فكان قوله (يذبحون)

في هذه السورة في قصة مضمنة قصة يتعلق بها هي قوله تعالى : ولقد ارسلنا

موسى باياتنا . والقصة المعطوفة على مثلها تقوي معنى العطف فيها فنجتاز فيما كان

يجوز فيه العطف على سبيل الايثار لاعلى سبيل الجواز وليس كذلك موقع (يذبحون)

في الآية التي في سورة البقرة لانه تعالى اخبر عن نفسه بانجائه بني اسرائيل و

هناك اخبر عن موسى عليه السلام انه قال لقومه كذا ٠٠٠ بعد ان اخبر عنه انه ارسله اليهم باياته فافترق الوصفان من هذا الوجه ٠٠٠ (١)

ويقول السيوطي : الفرق في استخدام الواو في الجملتين قوله تعالى في سورة البقرة (يذبحون ابناكم) وفي ابراهيم (يذبحون) بالواو لان الاولى من كلامه تعالى لهم فلم يعدد عليهم الحن تكريما في الخطاب والثانية من كلام موسى فعدها ٠٠٠ (٢)

وعند الزمخشري ايضا (ان) يذبحون في البقرة عطف بيان لقوله (يسومونكم) لذلك جاء بدون الواو وترك العطف ٠٠٠ (٣)

وفي سورة الاعراف جاء اية مشابهه (يقتلون ابناكم) والكلام على لسان موسى وهو من باب تعدد انواع العذاب قال الزمخشري : فان قلت في سورة البقرة (يذبحون) وفي الاعراف (يقتلون) وهنا يذبحون مع الواو في الفرق قلت : الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبيانا له وحيث اثبتت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زياده ظاهره كانه جنس اخر ٠٠٠ (٤)
كما يتضمن هذا المقطع مجموعة من الجمل الحوارية بين موسى عليه السلام

(١) لامام ابو عبد الله البايع دره التنزيل وغيره التاء ويل ص ٨

(٢) السيوطي معترك الاقران ج ١ ص ٨٧

(٣) الزمخشري الكشاف ج ١ ص ٢٧٩

(٤) السابق ج ٢ ص ٧٣٢

وبنى اسرائيل في قصة متكاملة هي قصة البقرة التي اخذت منها تسمية السورة (واذ قال موسى لقومه ان الله يا مريم ان تذبخوا بقره) وهذا الحوار يعد ايضا شرحه لشبه كمال الاتصال الذي من ضمنه حصل الجواب عن السؤال. ويختتم هذا المقطع ببيان تساوه اليهود وقلوبهم، وان لافائدهم من ان يكونوا مؤمنين معللا ذلك بما سبق من الانعام وجحدهم لها وقيامها بما يخالفها من جرائم مختلفه ثم يوجه الخطاب من جديد الى المؤمنين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم - بقوله (افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريقا منهم) فبينما كان الخطاب والحديث في السابق عن بنى اسرائيل توجه في الخطاب في هذه الايه للفئمة المؤمنة على سبيل الاستفهام الانكاري فانفصل الكلام للاختلاف بين جهتي الخطاب خيرا وانشاء. وهذه الايه تشكل فاصلا بين ذكر اليهود في الماضى وذكرهم في الايات القادمة التي تتحدث عن حاجزهم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكانت الايات القادمة عبارة عن تعليل وتفسير لهذه الايه (افتطمعون) التي تحمل معنى ان اليهود لن يؤمنوا والسبب في ذلك اعمالهم في الماضى وهذه الاعمال التي سيقصها علينا رب العزة والجلال فكانت الايه فاصل بين ، في قوم في الماضى والحاضر، وتدق حلقة الاتصال بين السياق السابق بشأن اليهود والسياق اللاحق ويدخل الى ذلك بعدد رتيق قادم من خلال اسلوب الايه (افتطمعون) يقول د . محمد دراز (واراد القران ان يصل حاضرهم بماضيهم فانظر كيف وضع بينهما حلقة الاتصال في هذه الايه التي ختم بها القسم الاول) ثم تستقلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة) فقوله : من بعد ذلك كلمة حددت مبداء تاريخ القسوة ولم تحدد نهايته كما انها بذلك وضعت عليه طابع الاستمرار وتركته يتخطى العصور والاعمال في خيال المسامع حتى يظن ان الحديث قد اشرف على العصر الحاضر ثم لم يلبث هذا الظن ان ازداد قوفا بصيغة الجملة الاسمية في قوله (فهي كالحجارة

دون ان يقول : فكانت كالحجارة ثم انظر كيف كان انتهاؤه الى وصف قلوبهم بهذا الوصف توطئة لتغيير الاسلوب منهم فان من يبلغ قلبه هذا الحد من القسوة التي لا لين فيها تصيح استمرار الخطاب معه نايبا عن الحكمة، ويصير جديراً بصرف الخطاب عنه الى غيره فمن له قلب سليم وهكذا سينتقل الكلام من الحديث معهم في شأن سلعم الى الحديث معنا في شأنهم انفسهم (٠٠٠) (١)

وينتقل الاسلوب في هذا المقطع الذي يشمل (٤٦) آية ص ٧٥ - ١٢١ ما بين الخبر والانشاء والخطاب المباشر وغير المباشر موضعاً اهم اعمال اليهود في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم وحيانا قبله وتبدأ هذه النقاط بذكر تحريف كلام الله صيغت من خلال جملة حاله عطف عليها اخري (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) .

ثم الاخبار عن نفاقهم امام المؤمنين واتخذ الاسلوب شكل الشرط ثم فصل الكلام دحضا لحجتهم . اولاً يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ثم يؤكد مبدأ التحريف بالترهيب والدعاء على من كتب وحرف بيده (فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم . . .) وينتقل الى الاخبار عنهم وادعائهم عدم دخول النار الا اياماً معدودة ووحض الله لقلوبهم (بلى من كسب سيئة —)

قال مكي بن ابي طالب (واذ نجيناكم من ال فرعون واذ اتينا واذ قال موسى واذ فرقنا (اذ) في موضع نصب في ذلك كله عطف على (نعمتى) اي : واذكروا اذ نجيناكم من ال فرعون واذكروا اذ فرقنا معدود سبحانه عليهم نعمه المتقدمة على

ابائهم (٠٠٠) (١)

في هذه الآية جملة نجيناكم في محل جر بالاضافة فصلت عنها جملة
يسومونكم الواقعة حالا من الضمير في نجيناكم وذلك لكونها حالية مضارعية لا تحتاج
الى الواو .

اما جملة يذبحون ايضا حالية مما سبق وقد فصلت عن الجملة الحالية
الاولى لكمال الاتصال وهي محتملة للبدلية لكون (يسومونكم) غير واقية بتمام المراد
بخلاف (يذبحون) ويستحيون فانها وضحت السوم وبينته . ولا شك ان ذكر التذبيح
واستحياء النساء فيه بيان للفظاعة . وتحتمل عطف البيان لما في الاولى من نوع خفاء
وضحته الجملة الثانية لان المقام يقتضى ذلك البيان والتوضيح حتى تكون النعم على
بنى اسرائيل واقية الدلالة عظيمة .

(اما جملة وفي ذلكم بلاء ٠٠٠) فهي استثنائية معترضة وقعت بين جمل
الحديث عن بنى اسرائيل وتفيد تقوية المعنى الاول وهو مسالة سوم العذاب فهو
فعلا بلاء عظيم . واي بلاء اعظم منه سوم العذاب بتذبيح الابناء واستحياء النساء
فهي استثنائية تاكد المعنى السابق وترسخه في الذهن .

(واذ فرقنا بكم البحر فانا نجيناكم واغرقنا ال فرعون وانتم تنظرون)
جملة (اذ فرقنا) معطوفة على (اذكروا نعمتى) في الايات السابقة وهي
من باب تعداد هذه النعم وانجيناكم ، واغرقنا، ايضا معطوفتان على فرقنا بالفاء السببية

(١) مكى بن ابى طالب القيسى . مشكل اعراب القرآن ج ١ ص ٤٥

وانظر العكبري . احلاء ما من به الرحمن ج ١ ص ٣٥

وانظر الجدول في اعراب القرآن ج ١ ص ١٤

لأفاده معنى السبب لأن الألف جاءت نتيجة ومسبب عن فرق البحر . عطفت (اغرقنا)
 على (انجيناكم) بالواو والجامع التضاد بين المسند في الجملتين لأن الأول يحمل
 معنى الحياة النجاة والثاني معنى الموت (الغرق) والمسند واحد هو الله تعالى
 وهنا شيء زائد هو التضاد بين المفعول به في الجملتين فالانجاء لبني اسرائيل و
 الاغراق لاعدائهم ال فرعون والجملة الحالية (وانتم) جاءت لتقوية هذا المعنى كأنه
 مشاهد الآن .

(واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون)

... (٥١)

جملة (واذ واعدنا) معطوفة على (اذكروا نعمتي) عطفت عليها جملة

اتخذتم بحرف العطف ثم لافاده معنى التراخي في الفومن والترتيب .

(ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) ... (٥٢)

هذه معطوفة ايضاً بحرف ثم على جملة (اتخذتم) السابقة وقد فصلت

عن جملة (لعلكم) لأنها لا محل لها من الاعراب جملة تعليلية بين سبب العفو السابق

ويمكن اعتبارها حالة الضمير في عنكم أي (مرتجيبين تقديم الشكر ... (١)

(واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون) ... (٥٣)

معطوفة على (اذكروا) نعمتي) — في اول السياق . وجملة لعلكم تعليلية

منصولة عنها كقصر العلة عن المعلول لأن اتيان موسى الكتاب علة في الهداية والهداية مشببة

عن ذلك الايتان . فلا جمع بين العلة والمعلول بحرف من حروف العطف .

(واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باخذكم العجل فتوبوا الى

بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خيرالكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو

التواب الرحيم (٥٤) . ٠٠٠

جملة ان قال ٠٠٠ معطوفة على (وان اتينا) في الاية السابقة . جملة

انكم ظلمتم : فصلت عن جملة (يا قوم) لانها جواب لها جواب النداء جملة فتوبوا :

يجوز ان تكون معطوفة على جواب النداء بقاء السببية العاطفة لان الظلم يستدعي

من المؤمن التوبة والتوافق بين الانشاء والخبر انما يشترط في العطف بالواو (١) . ٠٠٠

ويحتمل ان تكون جواب شرط مقدر اي ان اردتم عفو الله وغفرانه فتوبوا (٢) . ٠٠

وفي هذه الحالة تكون منفصلة عما سبقها مستأنفة .

جملة فاقتلوا : معطوفة على جملة جواب الشرط بالفاء ، اي توبة فقتل ، و

يحتمل ان تكون الفاء تفسيرية فتكون جملة (فاقتلوا) بيانا وتفسيرا (للتوبة) والعلاقة

بينهما كمال الاتصال .

قال اللؤلؤسى : وقد يقال : ان التوبة جعلت لهو لاءعين (القتل) ولا

حاجة الى تاويل (وتوبوا) باعزموا . بل تجعل - الفاء - للتفسير كما تجعل الواو

له (٣) . ٠٠٠

اما جملة (ذلكم خير لكم) فقد فصلت عما قبلها لانها جملة تعليلية

اي تعليل للقتل في انه خير لكم . ويحتمل ان تكون اعتراضية بين (فاقتلوا) (فتاب عليكم)

وجيء بها للتعريض على اتمام التوبة بالقتل والقيام به جملة (فتاب عليكم) جملة معطوفة

(١) اللؤلؤسى روح المعاني ج ١ ص ٢٤٩

(٢) الجدول في اعراب القرآن ص ١٠٠

(٣) اللؤلؤسى روح المعاني ج ١ ص ٢٦٠

على جملة مقدرة أي فعلتم ذلك فتأب عليكم . هذه الجملة يصح ان تكون من كلام موسى عليه السلام فهي واقعة كجزء من مقول القول ويصح ان تكون من كلام الله عز وجل فتتصل عما سبقها لتعطف على جملة مقدرة هي فعلتم ذلك فتأب الله عليكم . وان كانت من كلام موسى عليه السلام فهي على تقدير جواب شرط محذوف تقديره ان فعلتم ما امرتم به فقد تأب الله عليكم (١)

جملة انه هو التواب الرحيم تعليلية منفصلة عما سبقها كفصل العلة عن المعلول والسبب عن المسبب .

(واذ قلت يا موسى لن نؤمن لك حتى نري الله جهره فآخذتكم الصاعقة و
انتم تنظرون) (٥٥) ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٥٦)

جملة واذ قلت : معطوفة على بدايه الايات السابقة .

لن نؤمن : جواب النداء (يا موسى) مفصولة عنها .

فآخذتكم : معطوفة على جواب النداء بفاء السببية .

بعثناكم : معطوفة على السابقة بثم لافادة معنى التراخي والترتيب .

لعلكم تشكرون : تعليلية مفصولة عما سبقها .

(وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم العن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم و

ما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون) (٥٧)

جملة ظللنا معطوفة على بعثنا للاشتراك بالمسند اليه وهو الله سبحانه و

تعالى والبعث والتضليل من النعم على بني اسرائيل ويصح عطفها على واذ قلت اي واذكروا اذ ظللنا وفي هذه الحالة يكون التضليل من باب ذكر النعم اما في حالة العطف على (بعثناكم) فهو من باب ذكر النعم المختصة بالعفو بعد طلب رؤيه الله واخذ

الصاعقة عقابا لهم وعطفها على (بعثنا) ظن بدليل ترك الاضافة الى الظرف (اذ)

التي ذكرت في الايات السابقة من بدايه ذكر النعم ايه (٤٧) وما بعدها .

جملة : وانزلنا : معطوفة على ظللنا ولا نزال والتضليل من النعم والمسند

اليه واحد جملة كلوا . . . فصلت عن سابقها لانه امره انشائية وما قبلها جملة

خبرية .

وما ظلمونا : تحتل العطف على محذوف اي فعصوا وما ظلمونا — (١)

وتحتل الاستئناف على معنى ان ما سبق من اعمالهم السيئة لم يضرنا بشئ

. . . (٢)

لكن كانوا . . . معطوفة على الاستئنافية السابقة والجامع التضاد بالنفي

والاثبات اي ظلموا انفسهم وما ظلمونا .

(وان قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب

سجدا وقولوا حظك نجفركم خطاياكم وسنزيد المحسنين) — (٥٨)

جملة : (ان قلنا) معطوفة على الجمل المصدره بان السابقة .

جملة ادخلوا : مقول القول عطف عليها كلوا بالفاء وجملة ادخلوا بالواو

وجمله قولوا . وجميعها امرية انشائية والمخاطب بها واحد هم بنو اسرائيل .

اما جملة (نجفركم) فهي مفصلة عن الجمل الامرية السابقة لانه جواب

شرط مقدر اي ان فعلتم ذلك نجفركم (٢)

وجملة (سنزيد) معطوفة على الجواب بالواو والغفران والزيادة فيه متناسبان

ناهيك عن ان المسند اليه واحد هو الله .

ولم تنجزم جملة (سنزيد) لان السين تمنع الجزاء عن قبول

(١) اللوس روح المعاني ج ١ ص ٢٦٣

(٢) الجدول ج ١ ص ١٠٣

الجزء (١)

ويحتمل ان تكون الواو للاستئناف والجملة مستأنفة منقطعة عما قبلها — (٢)

(فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم فانزلنا على الذين ظلموا رجساً من

السماء بما كانوا يفسقون) (٥٩)

جملة فبدل : معطوفة على جملة القول السابقة قلنا فهي مقيدة مثلها

بالظرف والجامع بينها ان التبديل هنا بمعنى عدم الطاعة قلنا ولم يفعلوا، وجملة انزلنا

معطوفة على جملة يدل بالفاء للاشعار بمعنى السببية اي ان انزال العذاب بسبب

التبديل ، وافادت هنا ايضاً ان انزال العذاب كان بمجرد التبديل لانها تفيد الترتيب

مع التعقيب .

(واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة

عينا قد علم كل انسان مشربهم . كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الارض مفسدين) . .

..... (٦٠)

جملة (واذا استسقى) القول فيها كسابقاتها جملة فقلنا معطوفة بالفاء على

جملة استسقى الواقعة في محل جر بالاضافة والمقيدة بالظرف غير الجازم (اذا) وجملة

فانفجرت معطوفة على جملة جوابية مقدرة اي فاضرب فانفجرت .

جملة : (قد علم —) استئنافية منقطعة عما قبلها ويمكن اعتبارها حالية

من (اثنتا عشرة عينا) والرابطة محذوف تقديره (منها) . جملة (كلوا) : استئنافية

منقطعة عما قبلها .

واشربوا : معطوفة على (كلوا)

(١) اللوس روح المعاني ج ١ ص ٢٦٦

(٢) الجدول في اعراب القرآن ج ١ ص ١٠٥

ولا تعثوا : معطوفة على (كلوا)

ونلاحظ ان جملة كلوا فصلت عما قبلها (قد علم) للاختلاف بين الانشاء

والخبر كما ان جملة اشربوا عطفت على جملة كلوا للاتفاق في انها انشائيتان لفظا ومعنى
وامرئتان والمخاطب فيها واحد هم اليهود ناهيك عن اقتران المسند في كل فالاكل يقترن
مع الشرب في الذهن ولما كان الشيع مظنه الافساد في الارض عقب بعطف جديد بقوله
(ولا تعثوا) وهو ايضا انشاء بصيغة النهى والمخاطبين ايضا هم اليهود . والانسان
اذا اكل وشرب ابتلت عرفه الله وازدادت طاقته وقوي صلبه وكانت هذه القوى الناتجة عن
الاكل والشرب مظنه الصرف في غير الاصلاح فنبه بهذا العطف الجديد (ولا تعثوا في
الارض مفسدين .

(وانذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت
الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وصلحها قال اتستبدلون الذي هو اذني بالذي هو
خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك
بأنهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .
..... (٦١)

الجميل الوارده في هذه الايه كثيره : فجملة لن نصبر فصلت عن سابقتها يا

موسى الندائيه لانها جواب لها .

اما جملة فادع : وهي جملة انشائيه فتحتمل ان تكون جواب شرط هقدر على

تقدير ان كنا بحاجة الى اكثر من نوع من الطعام فادع وعلى هذا التقدير جملة الشرط
المقدر وجوابه مفصوله عن جملة النداء منقطعه عنها وتحتمل العطف بالفاء السببيه عند
من يجوز العطف بين الخبر والانشاء فتكون عندئذ من جواب النداء .

وجمله يخرج : منفصله عما قبلها لانها كالجواب بالنسبه لها ادع وجمله

قال : مفصوله عما سبقها من السياق لانهما استئناف بياني اي ماذا كان الجواب .

اما جملة استبدلون : في محل نصب مقول القول وكذلك جملة اهبطوا مصر

فانها في محل نصب مقول القول والمتكلم هو الله على تقدير او موسى عليه السلام ولكنها جاءت

منقطعة مستأنفة وقد فصل بين الجملتين اما لانهما الاولى من كلام موسى والثانية من

كلام الله فاختلف القائل فتم الفصل . واما لانهما الاولى استفهام انكاري وهي بمعنى الخبر

معنى والثانية انشائية لفظا ومعنى، واما الفصل لكون الثانية بمنزلة البيان بالنسبة

للاولى لانهما النزول الهبوط الى مصر معناه وجود البديل للطعام الذي عليه المن و

السلوي . فالهبوط مبين للاستبدال . . . (١)

اما جملة فان لكم ما سألتم فقد فصلت عما قبلها لانهما تعليل وجواب للهبوط

اي جواب الامر او جواب شرط مقدر .

اما جملة (وضرت عليهم . . .) فهي مستأنفة منقطعة عما قبلها للاختلاف

بين المسندين فالهبوط غير الضرب اما جملة (وباعوا بغضب) فقد عطف على ما قبلها

لانهما ضرب الذلة عليهم هو نوع من بوائهم بالغضب والمسند اليه واحد هم اليهود وضرب

الذلة والبوء بالغضب نوعان من العذاب. اما جملة ذلك بائهم . . . فقد انفصلت عن

الجملة السابقة لانهما استئنافية بيانية ناتجة عن سؤال مقدر هو : ولم ذلك .

اما جملة (يكفرون بايات الله) فهي في محل نصب خبر كان وقد عطف ما

بعدها عليها بالواو (ويقتلون النبيين) والجامع كونهما خبريتين والاتحاد في المسند

اليه وهم اليهود هنا بالاضافة الى ان قتل الانبياء نوع من الكفر بايات الله .

وبجوز ان تكون الجملة ذلك بائهم جملة تعليلية تبين سبب البوء بالذلة

والمسكفة ففصلت لهذا السبب . كما ان جملة (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) فقد

فصلت عما قبلها وترك العطف فيها للدلالة على ان كل واحد منهما اي من الجملتين

مستقل في استحقاق الضرب فكيف اذا اجتمعا ٠٠٠ (١)

وهناك احتمال اخر هو ان هذه الجملة (ذلك بما عصوا) هي بمنزلة التأكيد للجملة السابقة لأن عصيان الله معناه الكفر به وقتل الانبياء هو اعتداء عليهم فهي جملة مؤكدة لمضمون الجملة الاولى ففصلت عنها وتحتل البدلية ايضا . فالعصيان بدلا من الكفر والاعتداء بدلا من قتل الانبياء اما جملة يعتدون فقد عطفت على جملة عصوا التي لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول للاتحاد في المسند اليه وهم اليهود بالاضافة الى الجامع المشترك بين العصيان والاعتداء باعتبارهما من اعمال الشغب والسوء .

(ان الذين امنوا والذين هادوا والنجاري والصبئين من امن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٠٠٠ (٦٢)
قال اللوسى : لما انجز الكلام الى ذكر وعيد اهل الكتاب قرن به ما يتضمن
الوعد جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب والترهيب وهذا يتضح وجه توسيط هذه
الاية وما قبلها بين تعداد النعم ٠٠٠ (٢)

اما من جهة الوصل فان جملة ان الذين ٠٠٠ منفصلة عما قبلها للاستئناف
اول للاستئناف البياني حين يتبادر الى الذهن من الاية السابقة ان العتاب بالضرب
بالذلة ٠٠٠ عام لكل بنى اسرائيل وانه لا سبيل الى دخولهم الجنة والتوبة فجاءت
هذه الاية . ونلاحظ ان جملة (امنا بالله) وجملة (عمل صالحا) عطفتا على بعضها
بحرف العطف الواو واقتران الايمان بالعمل امر ذهني عقلي . وكذلك (لا هم يحزنون)

(١) اللوسى روح المعاني ج ١ ص ٢٧٨

(٢) السابق ج ١ ص ٢٧٨

فقد عطفت على (لا خوف عليهم) والمسند اليه واحد وعدم الخوف وعدم الحزن من النعم
 الربانية على الانسان والجملتان قد عطفتا ايضا على قوله (لهم اجرهم) واعطاء الجار
 ورفع الحزن والخوف كلاهما عن النعم الربانية والمسند اليه في الجمل الثلاثة واحد يعود
 الى المبتدأ (من امن) الذي تضمن معنى الشرط والاية كما هو ملاحظ منقسمه الى جملة
 كبرى هي ان واسمها وخبرها على ان خبر ان هنا جملة الشرط والجواب من امن . . .
 فلهم . . . او يمكن اعتبار ان (من) بدل من اسم ان وقوله (فلهم) خبر ان .
 (وان اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتينكم بقوله وانكروا ما فيه
 لعلمك تتقون) . . . (٦٣)

في هذه الاية عطفت جملة رفعنا على جملة اخذنا المقيدة بالظرف بالواو و
 كلاهما خبرية والمسند اليه واحد (الله) وتحتمل الواو في (ورفعنا) ان تكون حالية
 اي اخذنا ميثاقكم وقد رفعنا . . .

اما جملة خذوا ما اتينكم فقد انفصلت عما سبقها لانهما انشائية وما قبلها
 خبرية والمسند اليه مختلف ايضا ففي اخذنا ورفعنا والمسند اليه هو الله . وفي (خذوا)
 المسند اليه هم اليهود . جملة انكروا ، جملة امرية انشائية عطفت على جملة (خذوا)
 للاتفاق وكذلك للاخذ والذكر كلاهما متم للآخر فاءخذ الكتاب والاهتمام به هو معنى
 ذكره والمحافظة عليه . وفصلت جملة لعلمك تتقون سابقا .
 (ثم توليت من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين)

. . . (٦٤)

جملة (توليت) في هذه الاية معروفة بحرف التراخي على وان اخذنا في
 الاية السابقة والتولى لا يكون الا بعد اخذ الميثاق اما قبول واما تولى فجاء حرف العطف
 ثم لفافة التراخي والترتيب اما جملة فلولا — فالفاء استثنائية والجملة بعدها منقطعة
 عما قبلها وجملة لكنتم من الخاسرين فصلت عن جملة فلولا — لانهما جواب لها بمعنى ان جملة

(لولا) و(وكنتم) في الحقيقة جملة واحدة .

(ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين . . .

٠٠٠ (٦٥)

جملة (ولقد وما بعدها جملة قسم وقد عطفت هذه الجملة بالواو على السياقات

السابقة من باب عطف القصة على القصة .

اما جملة اعتدوا فلا محل لها من الاعراب جواب للقسم عطفت عليها جملة قلنا

لهم . . . بحرف العطف الفاعل فاد و الترتيب مع التعقيب اي بمجرد ان اعتديتم في

السبت كان العقاب مباشرة دون مهلة وهو تحويلكم الى قردة خاسئة .

(فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين) . . . (٦٦)

هذه الجملة جعلناها مستأنفة بفاء الاستئناف منقطعة عما قبلها وضل ان

الفاء هنا جاء لترتيب جعل العقوبة نكالا . على القول وتسيبه عنه . . . (١)

اي قلنا فجعلنا المقولة عقابا فالعقاب مترتب على المقولة .

(وان قال موسى لقومه ان الله يا مريم ان تدبحوا بقرة . قالوا اتخذنا

هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين) . . . (٦٧)

الجملة المقيدة بالظرف معطوفة على سياق سابق كما مر جملة قالوا

الثانية مفصلة عن الاولى كذلك جملة قال اعوذ مفصلة عما قبلها من باب الاستئناف

البياني وقد مر مثله على تقدير ماذا قال . ماذا قالوا .

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارضولا بكر

عوان بين ذلك) . . . (٦٨)

(فانفعلو ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها

بقرة صرنا فاقع لونها تسرا الناظرين (٦٩) ٠٠٠

جملة قالوا : استثنائية بيانية وجملة قال ؛ مثلها، اما جملة ما هي، فانها

اما في محل نصب مفعول به ليبين، أو استثنائية بيانية على تقدير حذف المفعول به . .

(١)

وجملة لا فاضري محل نصب صفة لبقرة على تقدير (لا هي فاضر) وقد عطفت

عليها جملة (لا هي بكر) للاتحاد بين المسند اليه في الجملتين وفاضر . وبكر من

صفات البقر فالفاضر اسم للبقرة المسند المنقطعة الولاد والبكر التي لم تلد من الصغر

فيها تضاد والبقرة العوان اي التي لا فاضر ولا بكر . . . (٢)

وتحتمل الاستئناف جواب عن سوال مقدر اي اذا لم تكن فاضرا ولا بكرا فما هي

فيكون الجواب عوان. اما جملة فافعلوا ما توأمرون فهي منفصلة عما قبلها لكمال الانقطاع

قالا ولي خبرية وهذه انشائية جواب شرط مقدر .

(قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله

لمهتدون) ٠٠٠ (٧٠)

جملة قالوا استئناف بياني وجملة ان البقر — فصلت عما قبلها جملة ادع ؛

لانها تعليلية او استثنائية بيانية ، فهي لبيان العلة من دعوة الله مرة اخرى ،

واما على تقدير سوال، لما ذا ادعوا وقد دعوت من قبل . اما جملة انا ان شاء الله . . .

فهي معطوفة على الجملة السابقة، ان البقر، استكمالاً للتعليل والاستئناف . بحسب

اعتبار الجملة السابقة . ولا شك ان هذا التعليل يحمل في طياته الاعتذار عن كثرة

السؤال .

(١) الجدول في اعراب القرآن ج ١ ص ١٢٥

(٢) اللوسى روح المعاني ج ١ ص ٢٨٧

(قال انه يقول انها بقره لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمه لا شيء فيها قالوا

الان جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون) ٠٠٠ (٧١)

جملة لا ذلول، وقعت صفة للنكرة بقره، على تقدير (لا هي ذلول) . اما جملة

لا تسقى الحرث فقد عطف بالواو على جملة تثير الارض لان المسند اليه واحد، هو البقره،

واثاره الارض وسقايتها، من اعمال الفلاحه، وقد فصلت الجملتان هاتان عن جملة (لا ذلول)

لانها بيان لها، او تأكيد فمعنى ذلك فيه نوع خفاء فجملة لا تثير الارض ولا تسقى الحرث

مبينه عدم ذلك، ويحتمل الفصل للتأكيد، اذ عدم ذلك، معناه عدم الوقوع تحت الاستخدام

للسقايه والحراثه فجاءت الجملتان التاليتان لتأكيد هذا المعنى الاول، وقد صرح بعض

العلماء كما بين حاتم ان جملة تثير الارض مستأنفه ٠٠٠٠ (١)

وعلى هذا المعنى يكون من صفات البقر انها تثير الارض وهذا مخالف لمعنى لا

ذلول ومناقضه .

وتحتمل ان تكون تثير الارض صفة للصفه (ذلول) اذ يجوز وصف الصفه على ما

ارتضاه بعض النحاه وصرح به السمين ٠٠٠ (٢)

فتكون جملة تسقى الحرث صفة معطوفه على صفة بحرف العطف الواو والجامع

بينهما واضح وهو اتحاد المسند اليه، وتوافق المسند، وتكون جملة مسلمه لا شيء فيها،

ايضا صفة معطوفه على سابقاتها دون حرف عطف .

٣٠١ جملة: قالوا لان ٠٠٠٠ فهي استثنائية بيانية ناتجه عن سوال مقدر، وما ذا

قالوا بعد ذلك ؟

(١) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٢٨٩

(٢) السابق ج ١ ص ٢٨٩

(واذ قتلتم نفسا فاداراهم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون فقلنا اضربوه

ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويرىكم آياته لعلمكم تتقون) (٧٣-٧٢)

جملة واذ قتلتم كما سبق شرحه، وجملة (فاداراهم) : معطوفة على

جملة قتلتم بالفاء لافادة معنى ان الخلافة نشأ عقب القتل مباشرة، وجملة (والله

مخرج) جملة استثنائية وقعت معترضة بين جملتين متعاطفتين فاداراهم وجملة

فقلنا اضربوه، التي عطفت ايضا بالفاء لافادة الترتيب .

وقد جاء الاعتراض بين الجملتين لافادة ان مفهوم الجملة السابقة عليه هي

لن ينفعكم اى لن ينفعكم ان اختلفتم وكنتم القتلة لان الله سيخرجه . وجملة (يحيى

الله الموتى) مستأنفة منقطعة عن جملة مقول القول السابقة (اضربوه) للاختلاف

في الخبر والانشاء . اما جملة (يرىكم آياته) فهي معطوفة على المستأنفة لان

احياء الموتى جزء من ابراء والايات والمسند اليه واحد هو الله .

(ثم تستقلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة

لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما من خشية الله

وما الله بغافل عما تعملون) (٧٤)

هذه الجملة التي تصدرها حرف العطف ثم، معطوفة على جملة مقدرة اى

فضربوها فحييت ثم قست واستخدام حرف العطف ثم، لبيان ان القسوة، قسوة القلوب لم

تكن مباشرة بعد زمن ما من احياء جثة القليل ؛ لان القسوة للتم مباشرة، خاصة

اذا حدث ما يزيلها من مثل مشاهدة احياء الموتى . وجملة (فهي كالحجارة) ، جملة

تعليلية منقطعة عن جملة (قست) ؛ لعدم الرباط على تقدير قلوبكم كالحجارة، وجملة

(اشد قسوة) على تقدير اوهى اشد قسوة معطوفة على السابقة بحرف العطف او

المعنى لمعنى الاياحة في الوصف او غيرهما كما ذكر

الرازي ٠٠٠ (١)

وجملها ان من الحجاره (حالیه مستأنفة وقعت اعتراضا بين ثم تست
قلوبكم وجملته (وما الله بغافل) .

قال اللوسى (وان من الحجاره) تذييل لبيان تفضيل قلوبهم على
الحجاره (فى القسوه) او اعتراضيين قوله تعالى : ثم تست وبين الحال عنها وهو
(وما الله بغافل) لبيان سبب ذلك فانه لغرابته يحتاج الى بيان السبب ٠٠٠ وجعله
جملة حالیه مشعره بالتعليل، ياءه الذوق ان لا معنى للتفتيد، وكونه بيانا وتقريراً من
جهد المعنى لما تقدم - مع كونه بحسب اللفظ معطوفاً على جملة هي كالحجاره او اشد
كما قال العلامة - مما لا يظهر وجهه لانه اذا كان بيانا فى المعنى كيف يصح عطفه
ويترك جملة بيانا - (٢)

(افتطمعون ان يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه
من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) ٠٠٠ (٧٥)

الفاء فى بدايه هذه الجملة استثنائية او عاطفة على مقدر اى اتسمعون
اخبارهم فتطمعون ٠٠٠ (٣)

جملة (وقد كان فريق) حالیه مرتبطه بصاحبها بالواو، جملة يسمعون فى
محل نصب خبر كان .

جملة يحرفونه معطوفة على جملة خبر كان بحرف العطف ثم لافاد التراخي

(١) الفخر الرازي ج ٢ ص ١٢٩

(٢) اللوسى ج ١ ص ٢٩٦

(٣) الجدول فى اعراب القرآن ج ١ ص ١٣٤

في التحريف مع ترتب التحريف على السمع .

(واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا اتحدثونهم

بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم افلا تعقلون) ٠٠٠ (٧٦)

الواو هنا، الظاهر عندي، انها عاطفة هذه الجملة، على جملة الحال السابقة

(وقد كان فريق ٠٠٠). اما جملة، واذا الثانية، فهي معطوفة على (واذا لقوا) الاولى،

ولقيا الذين امنوا، معاكس لخلوهم بعضهم ببعض على معنى اذا اجتمعوا مع المؤمنين اذا
انفردوا ببعضهم، وهناك اتحاد في المسند اليه في الجملتين، بالاضافة الى تقيدها بالظرف
اذا. وخبرية الجملتين لقوا وخلا والخلوة واللقاء من معاني التضاد .

اما جملة: لا تعقلون، فقد عطفت بالفاء على جملة اتحدثونهم، فهي جزء من مقول

القول واخلة فيه، والعطف بالفاء هنا، يفيد الترتيب والتعقيب بالاضافة الى معنى السببية؛

اي عدم تعقلكم بسبب تحديث المؤمنين بما فتح الله عليكم .

(اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) ٠٠٠ (٧٧)

جملة لا يعلمون مستأنفة او معطوفة على استئناف سابق مقدر اي ايلومونهم

ولا يعلمون ٠٠٠ (١)

جملة الصلة والموصول: بما يعلنون، عطفت على مثلها، والاولى واقعة في محل

نصب مفعول به، وكذلك الثانية، والاعلان ضد الاسرار والمسند اليه واحد هو ضمير الواو .

(ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون) ٠٠٠ (٧٨)

ان اعتبرنا الواو استئنافية، تكون جملة مفهم اميون مستأنفة لا محل لها من

الاعراب منفصلة عما سبقها جاء لبيان احوال بعض اليهود ويحتمل العطف على، وقد كان

في قوله تعالى (وقد كان فريق منهم ٠٠٠) (١)

على تقدير انتظمتهم ان يؤمنوا لكم والحال ان فريقا يفعل كذا وفريقا امي

لا يعلم ٠٠٠ اما جملة وان هم الا يظنون، معطوفة على، منهم اميون، والظن والامية

لا عدم العلم ، يجتمعان، والمتحدث عنه واحد هم اليهود .

(فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به

ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون) ٠٠٠ (٧٩)

جملة فويل ٠٠٠ دعائية مستأنفة، جملة الصلة، يكتبون عطف عليها جملة

(يقولون) ثم لانفاذ التراخي في الزمن والترتيب ، وجملة: وويل لهم مما يكسبون ،

معطوفة، على جملة فويل لهم مما كتبت، وقد جاءت الجملتان مقررتان مؤكدتان لما سبق

من الجملة السابقة، الا انها اشتملت على نفس المعنى واللفظ تقريبا؛ فويل بسبب

الكتابة ثم الشراء اي الكسب المادي هذا مضمون الجملة الاولى، والجملتان التاليتان

نفس هذا المضمون فهما تأكيديتان، ويزداد التأكيد هنا من خلال التفصيل فالكتابة

والشراء في الاية الاولى وقعا في سياق دعاء واحد اما في الجملتين التاليتين فقد عطف

وقصلاً بجعل الويل على الكتابة، وويل اخر على الكسب والشراء ، وتعدد العقوبة بعد

تأكيدها ابلغ في الزجر والوعيد .

(وقالوا لن تمسنا النار الا ايما معدود قل اتخذتم عند الله عهدا فلن

يخلف الله عهدا ام تقولون على الله ما لا تعلمون) ٠٠٠ (٨٠)

قال اللوسي : وقالوا جملة حالية، معطوفة على قوله تعالى (وقد كان فريق

منهم) عند فريق منهم، وعند اخرين، على (واذ قتلتم) عطف قصة على قصة، واختار

بعض المحققين انها اعتراض لرد ما قالوا حين اوعدوا - على ما تقدم - بالويل - بل

جميع الجمل عنده من قوله تعالى . (افتطمعون) الى قوله تعالى : (واذ اخذنا
ميثاق) الخ (ذكر استطرادا بين القصتين المعطوفتين فالضمير في قالوا) عائد على
(الذين يكتبون الكتاب ٠٠٠) (١)

رواضح سبب انفصال (قل اتخذتم ٠٠٠) وهو استئناف بياني . جملة فلن يخلف
جواب شرط مقدر وقع اعتراضا بين جملة الاستفهام (اتخذتم ٠٠٠) ومعادلتها
(ام تقولون) ٠٠٠ لذلك فصلت عنها لانها اجنبية . جاءت لدحض مقولة اليهود لن
تمسنا النار — اذ لا عهد لهم عند الله يعتمد ولا عليه في مقولتهم السابقة فبقى شيء
واحد هو انهم (يقولون على الله ما لا يعلمون) ويمكن اعتبار لن يخلف جملة معطوفة
على جملة اتخذتم الاستفهامية بالفار السببية فتدخل في معنى الاستفهام الانكاري
أي لا عهد لكم عند الله فيخلفه جملة ٠٠٠ (٢)

ام تقولون استئنافية جديدة مؤكدة لمضمون ما سبق على معنى (بل تقولون
على الله الكذب) وهذا تركيد معنوي لمعنى لا عهد لكم عند الله والله اعلم .
وجملة الاستفهام الانكاري التوبيخي ، والجملة الاستفهامية المنقطعة (ام
تقولون) ، مؤكدة ثان لنفي الحكم السابق وهو قولهم (لن تمسنا النار) .
(بل من كسب سيئه واخطأت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها
خالدون) ٠٠٠ (٨١)

قال اللوسى : (جواب عن قولهم المحكى وابطال له على وجه اعم شامل لهم
ولسائر الكفرة كما انه قال : بل تمسكم وغيركم دهرآ طويلا وزمانا مریدا لا كما تزعمون ٠ (٣)

(١) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣٠٤

(٢) السابق ج ١ ص ٣٠٥

(٣) السابق ج ١ ص ٣٠٥

وهذه الجملة مفصلة كفضل الجواب عن قول محكى سابق عليه وقد وقعنا
ايضا تاكيدا للاستفهام السابق (اتخذتم) والاضراب ام تقولون لان مضمون هذه
الجملة نفى مقولتهم السابقه قالوا لن تمسنا النار والجملتان السابقتان الاضرييه
والاستفهاميه ايضا نفى لمقولتهم من هنا جاء التاكيد فى الحكم -

(والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون) . .

(٨٢) . .

الواو عطفت هذه الجملة على الجملة السابقه بجامع التضاد بين الايمان
والكفر والجنة والنار اي الذين احاطت بهم الخطيئه وكسبوا السيئات لهم النار و
المؤمنون لهم الجنة، وادناف الوعيد بالوعد كثير فى القران الكرم لفتح باب التوبه و
احسان العمل ترغيبا بعد الترهيب من النار .

(واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا و

ذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا واتيتموا الصلاة وادتوا الزكاه ثم
توليتم الا قليلا منكم وانتم معرضون) . . . (٨٣)

جملة وان اخذنا معطوفه على سياقات سابقه مثلها . جملة لا تعبدون

الا الله . . . فصلت عن جملة اخذنا ميثاق، اما لانها خبريه لفظا انشائية معنى، اي

لا تعبدوا، والاولى خبريه معنى ولفظا فبيها كمال انقطاع والاختبار هنا ابلغ من صرح

النهى؛ للدلالة على المسارعة فى الامثال؛ قيل لهم لا تعبدوا واهم مثلوا فاصح لا تعبدون

خبرا عنهم . واما لكون جملة لا تعبدون وما بعدها عطف بيان وتفسير للميثاق او بدل

منه لان الميثاق هو النواهي التالية لا غيرها اوهى جزء منه واما لان الميثاق فيه معنى

القسم فجاءت جمل لا تعبدون وما بعدها كالجواب فصلت عنه . اي حلفنا لا تعبدون

(١) . . .

اما جملة وبالوالدين احسانا فهي معطوفة على: لا تعبدون الا الله؛ على تقدير وتحسنون بالوالدين او احسنوا بالوالدين والجمع بين الاحسان الى الوالدين وعبادة الله عزوجل تشريف للوالدين ايما تشريف ودليل اهتمام خاص بهما بحيث امرنا بعبادة الله وحده، كذلك جملة: وقولوا للناس فهي معطوفة على لا تعبدون، وهي انشائية في المعنى، عطف عليها جملة انشائية لفظا ومعنى، كذلك اقيموا الصلاة واتوا الزكاة، كلاهما جملة انشائية معطوفة على بعضها البعض، والتناسب واضح في ان المسند اليه في كل هذه الجمل واحد، والمسند للعبادة والاحسان وقول الحسنين واقامة الصلاة وابتداء الزكاة كلها من اعمال البر النافعة .

اما جملة توليتم، فهي معطوفة على جملة مقدره؛ اي قبلتكم ثم توليتم ، للاستبعاد بين قبول الميثاق ثم مخالفته ، وجملة: وانتم معرضون حال مؤكدة لمضمون الجملة السابقة؛ لان الاعراض هو نفسه التولى، وتحتل ان تكون اعتراضية؛ اما انتم: قوم عاد تم اللوازم . . . (١)

(وان اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم ثم

اقررتم وانتم تشهدون) . . . (٨٤)

جملة (لا تسفكون) القول فيها كالقول في (لا يعتدون السابقه) والطرده

من الديار وسفك الدم من الاعمال السيئة المسببة عن الحروب لذلك يجتمعان في

الذهن والجملة انشائيتان والمسند اليه هنيئا واحدا. جملة اقررتم معطوفة بتم على

جملة مقدره ففهمتم ثم اقررتم . . . (٢)

وجملة (وانتم تشهدون) حال مؤكدة من جملة اقررتم لان الشهادة

(١) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣١٠

(٢) الجدول ج ١ ص ١٤٩

نوع من الاقرار أو هي الاقرار فهي جملة مؤكدة لمضمون ما سبقها منفصلة عنها لكمال الاتصال. اما الواو فهي واو الحال الرابطة بين الجملتين .

(ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فرقا منكم من ديارهم تظاهرون) . . .

(٨٥) . . .

جملة انتم هؤلاء معطوفة على اقررت في الاية السابقة وجملة تقتلون خبر ثان ،

ويحتمل ان تكون جملة حالية منفصلة عما سبقها أو استئنافية كما أنه قبل بعد قوله تعالى

(ثم انتم هؤلاء) قيل كيف نحن ؟ فجئنا تقتلون تفسيراً له او عطف بيانى مفسرة دون

تقدير سوال . . . (١)

ويمكن القول ان هؤلاء اسم الاشارة فصل، وتقتلون خبر (انتم وجملة

تظاهرون حالية ، وان يا توكم : معطوفة على تقتلون والقتل والاتيان اسرى يجتمعان وقد

وقعت هذه الجملة اعتراضيين (تخرجون والحال منها ؛ جملة وهو محرم عليكم . . .) ، قال

اللوسى : (وهو محرم عليكم اخراجهم حال من فاعل تخرجون فرقا . . .) او مفعول له

بعد اعتبار التقييد بالحال السابقة وقوله تعالى (وان يا توكم) اعتراضيينها لا معطوف

على (تظاهرون) لأن الاتيان لم يكن عن استحقاق معصية موجبة له ، وتخصيصه بالتقييد

دون القتل للاهتمام بشأنه لكونه اشد منه (والفتنة اشد من القتل) وقيل : لا بل لكونه

اقل خطراً بالنسبة الى القتل فكأن فطنة التساهل ولأن مساق الكلام لزمهم وتوبيخهم

على جنایاتهم وتاخر افعالهم وذلك مختصر بصورة الاخراج اذ لم ينقل عنهم تدارك القتل

بشيء من ديه او قصاص وهو السر في تخصيص التظاهر فيما سبق وقيل : النكتة في اعاده

تحريم الاخراج بالاعادة دون القتل انهم لقتلوا حكماً في باب المخرج وهو الغداء وخالفوا

حكماً وهو الاخراج فجمع مع الغداء حرمة الاخراج ليتصل به . . . (٢)

(١) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣١١ - ٣١٢

(٢) السابق ج ١ ص ٣١٣

جملة افتؤمنون ٠٠٠٠ منقطعة عما سبقها لأنها انشائية وما فيها خبرية

وتكفرون : معطوفة على تؤمنون انشائية، مثلها ٩ الاستفهام توبيخي تقرعي والكفر

ضد الايمان والمسند اليه واحد ٥ اليهود وجملة فما جزاء ٠٠٠ استثنائية منقطعة

عما قبلها فلا جامع بينها، وجملة يردون، معطوفة على جملة (خزي) على تقدير جزاء

من يفعل ذلك خزي في الدنيا والرد الى سوء العذاب في الآخرة فهي معطوفة على

جملة في محل رفع خبر ٠ والخزي في الدنيا عذاب والرد الى العذاب في الآخرة

عذاب ايضا ٠

جملة وبالله بغافل ٠٠٠ استثنائية منقطعة عما قبلها جاءت تذيلا لتأكيد

الوعيد السابق حيث اطلع الله كائن وكل مخالفة صغيرة او كبيرة ٠٠٠ ويصح ان تكون

اعتراضيين فما جزاء وجملة اولئك الذين في الآية التالية لمجيئها استثنائية بيانية ٠

(اولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم

ينصرون) ٠٠٠ (٨٦)

جملة اولئك الذين استثنائية منقطعة او استثنائية بيانية لانها سبب دخول

النار من قبل السابقين في قوله فما جزاء من يفعل فهي تعليلية ٦ او تعليلية لمجمل ما ورد

من سقطات اليهود في النصوص السابقة. جملة فلا يخفف عنهم ٦ جملة معطوفة على

جملة فلا يخفف لأنها عدم تخفيف العذاب وعدم النصر من انواع العقاب ٠

ولقد اتينا موسى الكتاب وبقينا من بعده الرسل واتينا عيسى ابن مريم البين

وايدناه برح القدس انكلما جاءكم رسول بما لا تهوي انفسكم استكبرتم ففرقنا كفريقا وفرقا

تقتلون) ٠٠٠ (٨٧)

الواو استثنائية جملة اتينا لا محل لها من الاعراب جواب قسم مقدر والله لقد

اتينا، جملة بقينا واتينا و (ايدناه) ٠ جملة معطوفة على اتينا الاولى وكلها خبرية

لفظا ومعنى والمسند اليه فيها هو الله والتأييد والتفقيه بالرسول والالتيان معان ممكنة
الاجتماع .

ففرقا كذبت معطوفة بالفاعل على الجمل السابقه والاستفهام (١) فكلما جاءكم (
 جملة اعتراضية للتوبيخ والانكار .

فريقا تقتلون : معطوفة على فريقا كذبت . والقتل والتكذيب من صفات السوء
والمسند اليه واحد .

جملة افكلما جاءكم ، قال اللوسى فى هذه الجملة (افكلما — استكبرتم)
مسبب عن قوله تعالى : (ولقد اتينا) بحيث لا يتم الكلام السابق بدونه كالشرط بدون
الجزاء وقد ادخلت الهمزة بين السبب والمسبب للتوبيخ على تعقيبهم ذلك بهذا ما و
التعجب من شأنهم على معنى (ولقد اتينا موسى الكتاب) وانعمنا عليكم بكذا وكذا
لتشكروا بالتلقى بالقبول فعكستم باء كذبت . . . ويحتمل ان يكون ابتداء كلام — والفاء —
للعطف على مقدر كأنه قيل افعلتم — فكلما جاءكم — ثم المقدر يجوز ان يكون عبارة
عما وقع بعد الفاء — فيكون العطف للتفسير وان يكون غيره مثل (اكرتم النعمة واتبعتم
الهوى) فيكون لحقيقته التعقيب . . . (١)

وجوز فى فريقا كذبت (. . .) العطف على استكبرتم والفاء للمسيبة ان كان

التكذيب والقتل مرتبين على الاستغبار وللتفصيل ان كانا نوعين منه . . . (٢)

(وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكثرهم قلوبا ما يؤمنون) (٨٨) . . .

جملة قالوا استثنائية او معطوفة على ما قبلها من باب عطف القصه اي اذكر

(١) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣١٧

(٢) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣١٨

قصة كذا وقصة كذا، او يجوز عطفها على استكبرتم في الآية السابقة، او كذبتم اي استكبرتم وكذبتم وقلتم قلوبنا غلف الا ان الخطاب انتقل الى الغيب . جملة (لعنهم الله) مصدرته بحرف الاضراب فهي جملة مستأنفة منقطعة عما قبلها لانها كالجواب اي قولهم السابق ليس صحيحا والحق ان الله لعنهم . اما جملة فقليل ما يؤمنون فيصح عطفها على لعنهم الله بالفاء ويصح عطفها على (قالوا قلوبنا غلف) وجملة (بل لعنهم الله اعتراض عندئذ لابطال معنى الجملة الاولى لتأكيد كذب الخبر فيها) . وجملة (ما يؤمنون قليلا) معطوفة بتاء السببية التي تبين ان عدم ايمانهم . على اعتبار ان ما نأبىه لا مصدره سبب اللعنة ان عطف على بل لعنهم الله او كون قلوبهم مغلوقة ان عطف على (قالوا قلوبنا غلف) وهذا على تاء ويل قليلا ما يؤمنون بمعنى لا يؤمنون اصلا لا قليلا ولا كثيرا . (١) . . .

(ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنهم الله على الكافرين) (٨٩) . . .

جملة لما جاءهم معطوفة على (وقالوا قلوبنا غلف في الآية السابقة اي قالوا ذلك ولما جاءهم الكتاب كفروا) وجملة (كفروا به) جواب جملة لما جاءهم الاولى اما جملة لما جاءهم ما عرفوا الثانية فهي تأكيد للاولى تأكيدا لفظيا لان ما عرفه اليهود هو الكتاب ومن نزل عليه و سبب هذا التأكيد هو طول العهد بين لما جاءهم الاولى والثانية حيث انقطع الخطاب بالجملة المعترضة (وكانوا يستفتحون) وقد جاءت هذه الاعتراضية لتزيد في اضعاف اللوم على المخاطبين وهم بنو اسرائيل لانهم كفروا لما جاءهم الكتاب مع كونهم كانوا يتمنون قدومه بل يهددوا به كفار العرب من الاوس والخزرج فما دتم ايها اليهود تهددون وتتوعدون الناس بنزول هذا النبي اخر الزمان فقد كان من الاولى ان تكونوا اول

المؤمنين لكنكم كفرتم عن علم ومعرفه وفي هذا من التبهيت لهم الشيء الكثير . اما جملة
(فلعنن الله على الكافرين) فهي جواب شرط مقدر او جملة دعائية عليهم تصدرت بالفاء
الدالة على سبب الدعاء عليهم وهو الكفر .

(بئسما اشتروا به اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله
من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين) ٠٠٠ (٩٠)

تقدير الجملة بالكفر بغيا بئسما اشتروا انفسهم وهي لا محل لها من الاعراب

مستأنفة وجملة فباءوا بغضب : معطوفة على الجملة الاسمية السابقة بالفاء المقيدة

للسببية . جملة للكاشرين عذاب استثنائية منقطعة عما سبقها فهي خبر بعد خبر . اما

اذا اعتبرنا ان (ال) في الكافرين للعهد الذكري السابق اي اليهود فتكون من باب

العطف اي باءا بغضب ولهم عذاب مهين) وعندئذ يكونون هم المقصودون بالكفرون

غيرهم . وعندئذ يكون المسند اليه واحد هم اليهود والعذاب والبوء بالغضب يجتمعان في

عاقبة السوء . قال اللوسى (اللام في الكافرين للعهد والظاهر في موضع الاضمار

للايدان بعليهم كفرهم لما حاف بهم ويحتمل ان تكون للعموم فيدخل اليهودون فيه ٠٠٠ (١)

(واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نؤمن بما انزل علينا ويكفرون بما وراءه

وهو الحق مصداقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) ٠٠٠ (٩١)

هذه الجملة (واذا قيل) معطوفة على جملة سابقة مثل (وقالوا قلونا

غلف) ونائب الفاعل الفاعل مقدر للفعل المبني للمجهول (قيل قول) وجملة امنوا تفسيرية

بيانية لجملة (قيل قول) مفصولة عنها لذات السبب التفسير بعدد الجمع بين المفسر و

المفسر . جملة قالوا نؤمن ٠٠٠ جواب واذا قيل . اما جملة ويكفرون بما وراءه فتحتمل

الحالية من فاعل قالوا اي قالوا ذلك وهم يكفرون والتقيد بالحال هنا لانفاذ بيان شناعة

حالهم وانهم متناقضون لان كفرهم بما وراءه حال الايمان بالتوراة يستلزم عدم الايمان به

وهذا^١ دخل في رد مقالتهم ويحتمل العطف على جملة الجواب (قالوا) والتعبير بالمضارع لحكاية الحال استغراباً للكفر بالشيء بعد العلم بحقيقته والتبويه على ان كفرهم مستمر الى زمن الاخبار وتحتمل الاستئناف اي غير داخله في جواب اذا ولا في شرطها ولا في مقول قول الجواب جاءت لبيان حال اليهود من كونهم غير متوقفين بالنسبة لرسالة محمد كما يفهم جوابهم بل هم كافرون به مستمرين بالكفر. اما جملة وهو الحق مصداقاً ٠٠٠ فهو حاليه لزيادة التهييت على اليهود باءنهم لم يؤمنوا بالحق .

اما جملة (قل فلم ٠٠٠) فقد فصلت عن جملة قالوا نؤمن لآءن المسند اليه في الاول هم اليهود وفي الثانية هو محمد صلى الله عليه وسلم .^١ اي قل يا محمد ان كنتم مؤمنين فلم تقتلون انبياء الله . والشرط جوابه في محل نصب مقول القول .

(لقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون) . .

٠٠٠ (٩٢)

جملة ولقد جاءكم معطوفة على الشرط وجوابه السابق اي في محل نصب مقول

قول^١ اي قل يا محمد هذا وهذا وتحتمل الاستئناف جملة جاءكم موسى لا محل لها من الاعراب جواب قسم وجملة اتخذتم العجل معطوفة عليها بثم للتراخي بين مجيء موسى بالبينات واتخاذ العجل اي جملة وانتم ظالمون فحاليه مؤكدة لآءن اتخاذ العجل الها ظلم للنفس بالكفر .

(وان اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوه واسمعوا قالوا سمعنا

وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يا مرمك به ايمنكم ان كنتم مؤمنين) . .

٠٠٠ (٩٣)

قوله (واشربوا في قلوبهم العجل) يحتمل العطف على قالوا سمعنا ويحتمل

الاستئناف او الحال بتقدير قد لبيان سبب عدم الطاعة والقبول وهو حسبهم للعجل . قوله

تعالى، قالوا سمعنا وعصينا ان العصيان معطوف على السمع التي بمعنى الطاعة بالواو
لمطلق الجمع لانه من المعلوم ان العصيان لا يكون مع السمع مباشرة بل بعده بعده
(١) . . .

(قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت

ان كنتم صادقين) (٩٤) . . .

جملة الشرط والجواب في محل نصب مقول القول ، اما جملة القول قل فهي

مستأنفة منقطعة عما تبعها من السياق لانهما قبلها في شأن وهذه في شأن آخر، الاولى
رد لايمانهم وهنا رد دعاء آخر .

(ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليهم بالظلمين) (٩٥) . . .

جملة مستأنفة منقطعة عما قبلها (جملة قل) لاختلاف القائمين اي

العسند اليه فالاولى قل يا محمد والثانية قول مباشر من الله تعالى جاء لبيان حالهم
الحقيقية في عدم تمنى الموت . جملة والله عليهم ، استثنائية جاءت تبيلاً للاية وفي معناها
التهديد والتوعيد لهنى اسرائيل بسبب كفرهم اي وانا عليهم بالعالمين وواضح اختلاف
العسند اليه في كل مع اختلاف العسند التمنى والعلم .

(ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر

الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون) (٩٦) . . .

ولتجدنهم معطوفة على ولن يتمنوه . . . خبر بعد خبر والمخبر عنه هم

اليهود وتحتمل الاستئناف ، وجملة يود احدهم ، جملة استثنائية بيانية منفصلة عما قبلها
لكمال الاتصال، والسؤال المقدر هو (ما شدة حرصهم) فيكون الجواب يود احدهم . . .
وتحتمل الحالية تأكيدية للجملة السابقة في الحرص على الحياة ، وجملة وما هو . . .

حالية من احدثهم او استئناف جملة (والله بصير . .) استئنافية جاء بيله (قل من
كان عدوا لجبريل فانه نزل على قلبك يا ان الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين)
... (٩٧)

(من كان عدوا لله وملائكته ورسوله وجبريل فكيال فان الله عدو للكافرين)

... (٩٨)

(من كان عدوا . . .) جملة شرطية مع جوابها . الاية السابقة ، كانت الجملة

الشرطية وجوابها في محل نصب مقول القول ، اما الجملة الشرطية وجوابها في هذه الاية
فهي قابلة للعطف على السابقة فالمعاني قريبة متشابهة لكنها لم تعطف ولم يقل ومن كان
عدوا . والنكتة في عدم التشريك هو كون الاولى من مقول محمد وعلى لسانه اما الثانية فقد
اراد الله تعالى ان يكون مقوله مباشرة منه سبحانه وتعالى ليزيد تأكيد الجملة السابقة
من وجه ، وحتى تكون العداوة فيها تهديد اكثر ، ان الخطاب موجه من القادر على ان يعذب
دون السيد المتصرف مباشرة دون واسطة ولا شك ان الخطاب المباشر في حيز التهديد
والوعيد ابلغ من الطريقة غير المباشرة عن طريق النبي صلى الله عليه وسلم او غيره ويزداد
هذا المعنى عند قوله فان الله عدو للكافرين حيث وضع الكافرين موضع (لهم) اي اليهود
ليبين ان العداوة معناها الكفر وليس بعد الكفر ذنب اما اية رقم (٩٧) جملة قل استئناف
جديد فتفصل عما قبلها وجملة الشرط والجواب في محل نصب مقول القول اي من كان عدوا فان
سبب العداوة هو انه نزل الكتاب على قلبك . . . ويمكن ان يكون جواب الشرط محذوفا اي
فلا وجه لعداوته . . . (١)

وتكون جملة فانه تعليلية تبين انه لا داعي للعداوة لان سببها ليس صحيحا

بل الواجب الايمان والحب .

(ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) . . . (٩٩)

الواو استثنائية او عاطفة قصه هذه الايه على السابقه جمله انزلنا لا محل

لها جواب قسم . جمله وما يكفر بها معطوفه على جواب القسم بالواو والمعنى انزلنا

ايات وكفر بها الفاسقون فالجملتان خبرتان .

(او كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون) (١٠٠)

الواو عاطفة على محذوف . جمله عاهدوا وجمله نبذوا فعل شرط وجواب

شرط غير جازم (كلما) ، (اكثرهم لا يؤمنون) : معطوفه بحرف العطف بل على معنى

واكثرهم لا يؤمنون ويحتمل بل الاضرايبه وما بعدها جمله مستأنفه فصلت عما سبقها

(جمله او كلما) لانهما كالتوكيد فنبذ العهد وتركه لا يصدر الا عن عدم ايمان به و

جمله اكثرهم لا يؤمنون حكمت مفهوم الجملة الاولى فهي تأكيد لها .

(ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين

اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون) (١٠١)

الواو عاطفة عطفت لما جاءهم على (كلما عاهدوا) لاناداه دخول هذه

الجملة في معنى الانكار حيث صدرت جمله كلما بالهمزة المفيدة لمعنى الانكار فكأنه

قال اولما جاءهم جمله [كأنهم لا يعلمون] جمله حالية قال اللوسى :

(كأنهم لا يعلمون) جمله حالية اي نبذوه مشبهين بمن لا يعلم انه كتاب الله تعالى

اولا يعلمه اصلا اولما يعلمونه على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه من دلائل نبوته صلى

الله عليه وسلم وهذا على تقدير ان يراد الاخبار . وفيه ايدان بان علمهم به رصين

لكم يتجاهلون وفي الوجهين الاولين زيادة مبالغه في اعراضهم عما في التوراه من

دلائل النبوه . ومن فسر بحجاب الله تعالى بالقران جعل متعلق العلم انه كتاب الله

اي كأنهم لا يعلمون ان القران كتاب الله تعالى مع ثبوت ذلك عندهم وتحققه لربهم و

فيه اشارة الى انهم نبذوه لاعن شبهه ولكن بغيا و

حسدا ٠٠٠ (١)

(واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من
احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه و
ما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن
اشتراه ماله في الاخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون) (١٠٢)٠٠
الواوعظت اتباعوا على جملة (نبذ فريق) السابقة وهما خبريتان والمسند
اليه واحد والنبذ معناه الترك والاتباع معناه الاخذ وهذا تضاد بين المسندين ، و
يجوز من باب عطف القصة على القصة . قصة نبذ الكتاب وتركه على قصة اتباع الشياطين
٠٠٠ الخ .

وقيل العطف اشربوا في قلوبهم العجل واتبعوا ٠٠٠ وفي هذا غاية البعد

كما قال اللوسى ٠٠٠ (٢)

جملة (وما كفر سليمان) جملة اعتراض جاء لتبرئه سيدنا سليمان من السحر
والكفر وجملة (لكن الشياطين) معطوفة على الجملة الاعتراضية بجامع الضدية فسليمان
مؤمن لم يكفر والشياطين كفار هذا على اعتبار ان جملة (يعلمون) حالا من الضمير في
اتبعوا اي اتبعوا معلمين الناس ويحتمل ان تكون جملة (يعلمون) استثنائية والضمير
عائد على الذين اتبعوا ما تتلوا الشياطين على سبيل البيان اي لمانا اتبعوا فيكون
الجواب يعلمون الناس . او تحتمل ان تكون خبرا ثانيا (لكن) ولكن الشياطين كفروا

(١) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣٣٧

(٢) السابق

يعلمون . ولم تعطف على كفروا الواقعة في محل رفع خبر اول من باب عدم عطف
 الاخبار وتحتل ان تكون بدلا من كفروا والمقتضى للابدال رفع خفاء عليه الكفر وهو
 تعليم الناس السحر وحمل المخاطبين على ترك السحر والعمل به (١)

(وقد قيل ان تعلم السحر كفر لهذه الاية ان فيها ترتيب الحكم على الوصف
 المناسب وهو مشعر بالعبية (٢)

وعلى القول انها خبر بعد خبر من باب عدم عطف الاخبار بالواو لتناسبها
 وعدم تعارضها فان المعنى عندئذ يكون (انهم كفروا وهم مع ذلك يعلمون السحر)
 (٣)

قوله تعالى (وما انزل على الملكين) فجملة الصلة والموصول توصل الى
 المفرد اي النازل على الملكين . وهو ايضا سحر الا انه عطف هنا من باب التغاير في
 اللفظ لا المعنى فانزل تغاير اللفظ منزلة تغاير المعنى اما فائدة العطف هنا مع ان
 الاصل للعطف فهو الاشعار بارتكاب اليهود اكثر من ذنب تعليم السحر وتعليم ما انزل
 على الملكين وربما كان ما نزل على الملكين نوعا اخر من السحر والله اعلم .

قوله تعالى (وما انزل على الملكين) تحتتمل هذه الجملة ان تكون
 اعتراضية وما نافية وليس اسما موصولا اي ان الملكين لم ينزل عليها السحر كما تدعى
 اليهود . وناسب قدوم هذا الاعتراض في هذا الموضع ذكر السحر فكان ذكره مستديعا

(١) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣٣٨

وانظر الجدول ص ١٨٠

(٢) اللوسى روح المعانى ج ١ ص ٣٣٩

(٣) السابق ص ٣٤٣

لبعض الادعاءات الكاذبة من انه نزل على بعض الملائكة والله تعالى اعلم . قال
 اللوسى : والمراد من الملكين جبرائيل وميكائيل لانه اليهود زعموا ان الله تعالى
 انزلها بالسحر (١)

وعندئذ تكون جملة الاعتراض هذه معطوفة على جملة الاعتراض السابقة و
 التقدير (وما كفر سليمان) وما انزل على الملكين . والملائكة وسليمان مسند اليه في
 كل مجتمعان نبوة وملائكة . والكفر والسحر يجتمعان ايضا . قال اللوسى (وفي
 الكلام تقديم وتأخير والتقدير) (وما كفر سليمان) (وما انزل على الملكين)
 (ولكن الشياطين) (هاروت وماروت) (كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت)
 وعلى المعنى الاول (ان هاروت وماروت هما الملكان تكون جملة (وما يعلمان من احد)
 استثنائية . جملة فيتعلمون ما يضرهم . . . معطوفة بالفاء على الاستثنائية وجملة
 ويتعلمون ما يضرهم . معطوفة على فيتعلمون السابقة بالواو من باب عطف العلم على
 الخاص لان تعلم التفريق بين الزوجين اخص وداخل في تعليم الضرر وعدم النفع و
 تحتل (فيتعلمون) ان تكون معطوفة على (يعلمون الناس السحر) بالفاء والفعل
 فيه معنى المطاوعة وعلم متعلم وجملة (وما يعلمان) عندئذ اعتراض وجملة (وما هم
 بضارين من احد) معترضة بين (فيتعلمون) (ويتعلمون) لافادة نفي اثر الحكم
 وهو التعلم الا باذن الله ولافادة ان في هذا التعلم ضرر متعلق بالمشيئة الالهية
 ان شاء احدته وان شاء وقفه . جملة الصلة لا ينفعهم معطوفة على جملة الصلة
 يضرهم وعدم النفع هو نفسه الاضرار تقريبا ونزل الاختلاف في اللفظ منزلة التغيرات بالمعنى
 فوقع العطف بالواو ويمكن القول ان عدم النفع ليس شرطا ان يكون بمعنى الضرر .

جملة ولقد علموا : فيصح عطفها على الآية السابقة (ولما جاءهم) .

وقصة السحر والسحرة استطراد بين المتعاطفين . اي لما جاءهم نبذوا الكتاب .

ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق) جملة وليبس معطوفة على ولقد

علموا . جملتان قسيمان موضوعهما ذم السحر وترك الكتاب المنزل .

(ولوا انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون) (١٠٣)

جملة (لو انهم امنوا ٠٠٠ لمثوبة) استثنائية منقطعة عما قبلها لا فائدة

خبر جديد بعد خبر. جملة اتقوا معطوفة على جملة امنوا التي في محل رفع خبر ان

وهما ماضويتان والمسند اليه فيهما واحد والمسند مجتمع فالايمان والتقوي يجتمعان .

اما جملة (لو كانوا يعلمون) فهي استثنائية منقطعة عما قبلها جملة (لو) الاولى

لعدم التناسب الخاص على تقدير لو كان تقوى وايمان والجملة الثانية لو كان منهم

علم . فالموضوعات مختلفة لذلك جاء الفصل وجواب الجملة الشرطية الثانية المنفصلة

عن الشرطية الاولى محذوف .

(يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب

اليم) (١٠٤)

جملة النداء منقطعة عما قبلها استئناف وموضوعها مختلف لا رابط خاص

بينهما . لا تقولوا : جواب النداء لا محل لها من الاعراب منفصلة عن النداء كفصل

الجواب عن السؤال . قولوا انظرنا جملة معطوفة على جملة جواب النداء وهما

انشائيتان في اللفظ والمعنى فالاولى جملة نهى والثانية امر والمسند اليه واحد و

المسند فيهما متضادان قولوا لا تقولوا، كذلك جملة واسمعوا عطفت على من قبلها من

جواب النداء للاتحاد في المسند اليه والتناسب في المسند فالسمع والقول يجتمعان

وهذا من التوسط بين الكمالين لذلك جاء العطف بالواو. جملة وللكافرين عذاب .

استثنائية منقطعة عما قبلها لانها كالتهديد والوعيد .

(ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير

من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (١٠٥) ٠٠٠

جملة ما يود استثنائية منقطعة عما قبلها لاختلاف الموضوع جملة (والله

يختص) استثنائية منقطعة عما قبلها لعدم التناسب والله ذو الفضل جملة استثنائية

معطوفة على الاستثنائية التي قبلها وهي من باب التوسط بين الكمالين فالمسند اليه

واحد متحد هو الله والاختصاص بالرحمة من صفاته سبحانه وتعالى كذلك الفضل والعلم

ومما من شك ان الاختصاص بالرحمة لمن يشاء نوع من الفضل والعلم .

(ما ننسخ من آية او ننسخها نأت بخير منها او مثلها لم تعلم ان الله على

كل شيء قدير) ٠٠٠ (١٠٦)

جملة ما ننسخ استثنائية منقطعة عما قبلها ولا رابط بينها لاختلاف الغرض

جملة ننسخها معطوفة على (ننسخ) باء والعقيدة لمعنى التخيير وغيره جملة نأت

جواب الشرط الجازم . جملة (الم تعلم) مستأنفة منقطعة عما قبلها كتمام

الانقطاع فالأولى خبرية وهذه انشائية . وجاءت كالتعليل للحكم السابق وهو النسخ

او الانساع لأن هذا ناتج عن قدرته وعلمه لا عن جهل كما يتوهم من احوال البشر .

(الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض وما لكم من دون الله من ولى

ولا نصير) ٠٠٠ (١٠٧)

جملة (الم تعلم) ٠٠٠ منفصلة عما قبلها ولم تعطف بحرف العطف لأنها

كالبيان والتفسير فقد جاءت قدرته الله في الاولى عامة وهنا بيان بعض مفردات هذه

القدرة من ملكية السماء والارض وعدم وجود النصير من دونه ولا الولى .

قال اللوسى عن هاتين الآيتين (الم تعلم ان الله) ٠٠٠ الاستفهام قيل

للتقرير وقيل : للانكار والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠٠ والمراد الاستشهاد

بعلم المخاطب بما ذكر على قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خيرا ومماثل
 لأن ذلك من جملة الاشياء المقهورة تحت قدرته سبحانه وتعالى فمن علم شعول قدرته
 عزوجل على جميع الاشياء علم قدرته على ذلك قطعاً والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع
 الضمير لتربيبة المهابة ولأنه الاسم العلم الجامع لسائر الصفات في ضمنه صفة القدرة
 فهو ابلغ في نسبة القدرة اليه من ضمير المتكلم المعظم وكذا الحال في قوله عز شانه
 شاءه (الم تعلم ان الله له ملك السماوات والارض) اي قد علمت ايها المخاطب ان الله
 تعالى له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف
 الكلي ايجاداً واعداً وامراً ونهياً حسبما تقتضيه مشيئته لا معارضاً له ولا معقب
 لحكمه فمن هذا شاءه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشياء . فيكون الكلام على هذا
 كالدليل لما قبله في افادة البيان فيكون منزلاً منزلة عطف البيان من متبوعه في افادة
 الايضاح فلذا ترك العطف . . . (١)

وقد اورد اللوسى اراء اخرى في سر الفصل بقوله (وجوز ان يكون تكريراً)
 للاول واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم تعطف (ان) مع ما في حيزها على ما
 سبق من مثلها وما لزيادة التأكيد واشعاراً باستقلال العلم بكل منها وكفاية في
 الوقوف على ما هو المقصود (٢)

اما جملة (وما لكم) . . . فهي معطوفة على خبر (ان) اي له ملك
 السماوات وليس لكم ولي ولا نصير . وتحتمل الاستئناف ايضاً .

(ام تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر

بالايمان فقد ضل سواء السبيل) . . . (١٠٨)

(١) اللوسى روح المعاني ج ١ ص ٣٥٤

(٢) السابق ص ٣٥٤

قال اللوسى : (جوزفى ام) هذه ان تكون متصلة وان تكون منقطعة
 فان قدر (تعلمون) قبل تريدون بناء على دلالة السياق وهو (الم تعلم) والسياق
 وهو الاقتراح فانه لا يكون الا عند التعنت - والعلم - بخلافه كانت متصلة كانه قيل :
 اي الامر من عدم العلم بما تقدم او العلم مع الاقتراح واقع والاستفهام حينئذ للانكار
 بمعنى لا ينبغى ان يكون شئ منهما . وان لم يقدر كانت منقطعة للاضراب عن عدم
 علمهم بالسابق الى الاستفهام عن اقتراحهم كاقتراح اليهود انكارا عليهم بانه لا ينبغى
 ان يقع ايضا . . . (١)

فجملة تريدون : تعتبر معطوفة على (تعلمون) مفهومة من السياق
 السابق والمسند اليه واحد متحد والارادة والعلم متناسبان ناهيك ان العطف (بام)
 وعلى اعتبار الانقطاع تكون جملة (تريدون) استثنائية منقطعة عما سبقها من الكلام .
 وجملة (ومن يتبدل) جملة استثنائية مع جوابها منقطعة عن الجملة التي
 قبلها (تريدون) فالجملة الاولى (ام تريدون) وقعت في حيز الاستفهام الانكاري
 اي لا ينبغى ان يكون وجملة (ومن يتبدل مع جوابها جاءت كالتهديد لتأكيد انه لا
 ينبغى ان يكون مثل تلك الاسئلة والاقتراحات لانه في النهاية تؤدي الى الكفر و
 لذلك يمكن القول ان بين الجملتين اتصال الى الغاية وقعت الثانية تأكيداً لمفهوم
 الاولى باعتبار ان الشاك مندرج في طريق الضلال والكفر .

(ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند
 انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى ياتى الله بامره ان الله على
 كل شئ قدير) . . . (١٠٩)

جملة (ود كثير) هذه جملة مستأنفة لم يقصد تشريكها بما قبلها لاناد خبر جديد بعد خبر اما جملة فاعفوا فهي ايضاً منفصلة عن جملة (ود كثير) لانها انشائية وما قبلها خبرية فبينها كمال انقطاع اما جملة (اصفحوا) فهي معطوفة على جملة (اعفوا) للتناسب بين الجملتين بكونهما انشائيتين من جهة والاتحاد في المسند اليه والصفح من معاني العفو فالعفو ترك عقوبة المذنب . والصفح ترك التأديب والتأنيب وهو ابلغ من العفو ان قد يعفو الانسان ولا يصفح . (١) .

جملة (ان الله . . .) استئناف منقطع عما قبله لانها تحمل معنى التعليل للصفح والعفو الناتج عن القوة هو الصبح والعفو الحقيقي ذم المعنى العالى وقد جاء هذا التعليل معترض بين الجمل الامرية المتعاطفة في هذه الاية والاية اللاحقة . وهو قوله تعالى (واقموا الصلاة واتوا الزكاة) فهما جملتان معطوفتان على ما سبق من الجمل الامرية للاتحاد في المسند اليه في كل والتناسب بين المسندات اقامة الصلاة ايتاء الزكاة العفو والصفح وكلها من المعاني الاسلامية الطيبة .

اما جملة (وما تقدموا لانفسكم وجوابها فهي جملة مرقطة عما قبلها لكمال اتصالها حيث جاءت مؤكدة لمعاني الخير السابقة فاقامة الصلاة والعفو والصفح و ايتاء الزكاة اعمال خير لها جزاؤها عند الله فجاءت هذه الاية لتؤكد جزاء هذه الاعمال وجزاء كل خير صغراً كبيراً .

ولما كانت بعض انواع الخير ربما تدق وبخشي عدم ملاحظتها قياساً على فهم البشر فقد اكد سبحانه وتعالى ان كل عمل يتم فانه تحت بصر الله لا يفوته وفي هذا من معاني التشجيع للعمل الصالح واجتباب النواهي ما فيه فالجملة (ان الله . . .) اذاً تأكيد لما سبق من طلب فعل الخير مثل اقامة الصلاة وايتاء الزكاة والعفو والصفح .

(وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى تلك امانيم قل

هاثوا برهانكم ان كنتم صادقين) ٠٠٠ (١١١)

جملة (قالوا لن ٠٠٠) تحتل ان تكون استثنائية منقطعة عما قبلها .

خبر بعد خبر وتحتل العطف على جملة (ود كثير) في الاية (١٠٩) وعندئذ

يكون ما بين الجملتين اعتراضا وعطف ايضا على جملة (ود) عند من يجيز عطف

الانشاء على الخبر بغير الواو فتكون جملة (فاعفوا ٠٠٠) عطف على ود بالفاء .

واذا اعتبرنا ان الجملة معطوفة على جملة (ود كثير) السابقة فان الجامع بينهما

هو الاتحاد في المسند اليه وهم اليهود في الايتين اما المسند فهي معنى الجملة

اذ الرغبة في كفر المؤمنين معناه اخراجهم من دينهم الى اليهودية وقول اليهود

لن يدخل الجنة تاكيد مناسب لتلك الرغبة وتحفيز لها فاذا كان الامر ان لا دخول

للجنة الا لليهود معنى ذلك على المؤمنين ان يتحولوا الى اليهودية وهذا

تحقيق رغبة اليهود في اخراج المؤمنين عن دينهم حسدا . اما جملة (تلك امانيم)

فهي منفصلة عما سبقها لانهما اعتراضا جاعدا حضما قالوه وان هذا القول خاص بهم

لا صحة له . اما جملة (هاثوا برهانكم) فهي منفصلة عن جملة (قالوا الاولى)

لانها كالجواب والقول الاول من اليهود والقول الثاني من الله يا مر به الرسول و

المؤمنين فالانقطاع تام للاختلاف المسند اليه في كل هذا من جهة ومن جهة ان هذه

الجملة ردا على قولهم السابق فهي كالجواب لما قالوه لذلك انفصلت هذه الجملة عن

جملة قالوا لن يدخل ٠٠٠ السابقة

(بلى من سلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا

هم يحزنون) ٠٠٠ (١١٢)

جملة (بلى من سلم ٠٠٠) تحتل التاكيد لانها ردا اخر ونفي لما اثبتته

اليهود من ان دخول الجنة خاص بهم وقوله تعالى تلك امانيم اما قصر الادعاء السابق وعدم خروجه عن كونه مجرد امانى من خلال اسمية الجملة . يعتبر ردا اول على ما ادعوا ثم جاء قوله تعالى (قل هاتوا برهانكم) ولا برهان لديهم وهذا دليل اخر وردا اخر على ما اثبتوه ثم جاءت جملة (بلى من اسلم) تأكيد للردود السابقة ولذا نرى ان هذه الجملة كلها قد انفصلت عن بعضها البعض لكمال الاتصال وتحتل هذه الجملة ايضا (بلى من اسلم) الاستئناف كانه قيل اذا بطل ما زعموه فما الحق في ذلك . . . (١)

اما جملة (ولا هم يحزنون) فهي معطوفة على جواب الشرط فلا خوف عليهم للتشريك في الحكم بالاضافة الى الاتحاد في المسند اليه والتناسب بين المسندين . (وقالت اليهود ليست النصارى على شئ) وقالت النصارى ليست اليهود على شئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١١٣) . . .

هذه الجملة (وقالت اليهود . . .) تحتل العطف على ما سبق من الآية (١٧) (وقالوا لن يدخل الجنة) والمسند اليه في الجملة الاولى (وقالوا) هم اليهود والنصارى اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا اليهود وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا النصارى . (فاول) في هذه الجملة للتقسيم لا للتخيير كما هو معلوم من حال اليهود والنصارى وخلافتهم عبر التاريخ وهذه الآية عطف على تلك السابقة اي قالت اليهود لن يدخل الجنة الا هم وقالت ايضا ليست النصارى على شئ والمسند اليه واحد هم اليهود والمسند الاول دخول اليهود في الجنة وحمدهم والمسند الثاني كون النصارى ليسوا من اهل الجنة اي ليسوا على شئ فالتناسب بين المعنيين واضح لذلك

جاز العطف من باب التوسط بين الكمالين وتحتمل الاستئناف على اساسها معنى

جديد وخبر جديد عن هؤلاء القوم ومقولاتهم .

وجملة (وقالت النصارى ٠٠٠) معطوفة على (قالت اليهود) والتناسب

واضح بين المسند اليه في الجمليتين وهم من اصحاب الاديان السماوية اليهود والنصارى

كذلك كون المسند اليه في الجمليتين بنفس المعنى وجملة الحال (وهم يتلون الكتاب)

جاءت لتأكيد كذب ما يدعون اي يقولون ذلك مع انهم لديهم الكتب الناطقة بخلاف

ذلك وفي هذا من التوبيخ والتقريع الكفاية للردع من جهة وفيه ايضا اشارة الى عدم

فعل ذلك من قبل المؤمنين اي لا يقول المؤمنون خلاف ما في كتاب الله .

اما جملة (كذلك قال الذين لا يعلمون ٠٠٠) فانها جاءت مستأنفة

منقطعة عما قبلها مع امكانية الوصل بالواو اما سبب الاستئناف فاما ان يكون لان هذه

الجملة موضوعها المشركون وهم ليسوا من اهل الكتب لذلك فصل او اظهارا لتعظيم ما

قاله هؤلاء الجهلة وذلك من خلال الفصل والاتيان بكلمة (كذلك) المفيدة لمعنى

التشبيه . وكما هو معلوم ان الجاهل المقلد اعظم فريده من العالم المخطئ . اما جملة

(فاله يحكم ٠٠٠) فهي استئناف جواب عن شرط مقدر جاءت كالنتيجة للاقوال السابقة .

(ومن اظلم من منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها اولئك

ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الاخرة عذاب

عظيم) ٠٠٠ (١١٤)

جملة (ومن اظلم) تحتمل الواو فيها العطف على سابق من السياقات العطف

على (وقالت النصارى) عطفت قصة على قصة ذلك ان الاية (ومن اظلم) نزلت فيمن

خرب بيت المقدس من النصارى امثال طيطوس بن اسيانوس الروم . فيكون السياق

متصل بالنصارى السابقين اتصال القصة . وعلى القول بان الاية نزلت في مشركى العرب

الذين منعوا المسلمين من ذكر الله تكون الجملة معترضة مع غيرها بين المعطوف
وهو قوله تعالى (قالوا اتخذ الله ولدا) . والمعطوف عليه قوله تعالى (قالت اليهود
(٠٠٠) (١١٣)

ليبان حال المشركين الذين جرى ذكرهم بيانا لكمال شناعة اهل الكتاب

فان المشركين الذين كانوا يضاھونهم اذا كانوا اظلم الكفرة) (٠٠٠) (١)

فتكون الجملة عندئذ مستأنفة . وجملة (منع مساجد الله) لا محل لها من

الاعراب صلة الموصول (من) وقد عطف عليها جملة (سعى في خرابها) والمسند

اليه واحد متحد في الجملتين والسعى في خراب المساجد مثل المنع من ذكر الله فيها

فتناسبان اما جملة (اولئك ما كان) فهي استئناف يحتمل البيان كان يقال

فما اللائق بمثل هو لاء المانعين الساعين في الخراب فيجاء (اولئك ما كان) (٠٠٠)

اي سؤال ناتج عن جملة (وسعى في خرابها) او سؤال ناتج عن جملة (ومن اظلم

من منع) كما انه قيل فما كان حقهم! ويجوز ان تكون مستأنفة معترضة ^{بين} ومن اظلم . و

جملة لهم في الدنيا خزي .

ويمكن القول ان جملة (لهم في الدنيا خزي) وقعت موقع التأكيد من جملة

(اولئك ما كان لهم ان يدخلوها) لان الدخول متخفيا خائفا هو نوع من الخزي

في الدنيا بل هو خزي لان الانسان يخاف حتى كأن قد فعل ما يخزيه ويدل على نقاسته

اما جملة (ولهم في الآخرة) فقد عطف على ما قبلها بالواو للاتحاد في المسند اليه

فيها والتناسب بين الدنيا والآخرة والعلاقة ضدية .

(ولله المشرق والمغرب فما ينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) (٠٠) (١١٥)

واضح وجه الارتباط بين هذه الآية وما قبلها فما دام ان المساجد تمنع فيها الصلاة حاله سيطرة الكفار فان هذا لن يضير المسلمين فالعبادة يمكن ان تتم في اي مكان ظاهر وعلى اي جهة كانت جملة (ولله المشرق) استثنائية منقطعة عما قبلها لم تعطف عليها بالواو ولا بغيره والواو هنا للاستئناف . وهذه الآية اعترض كما قلنا بين قوله تعالى (وقالت اليهود (١١٣) وقوله تعالى القادم (وقالوا اتخذ الله) (١١٦) وجاءت لتسليق قلوب المؤمنين بسبب منعهم من قبل المشركين من الصلاة في الحرم فالآية تحل لهم الذكر والصلاة في أي بقعة ظاهرة وجملة فإينما وجوابها معطوفة على ولله المشرق بالفاء الرابطة للمسبب بالسبب . اما جملة (ان الله واسع عليهم) فقد فصلت عما قبلها لعدم التشريك في جواب الشرط هذا من جهة وجاءت مؤكدة للجملة الاولى لأن امتلاك المشرق والمغرب هو سعة في حد ذاته فجاءت ان الله واسع عليهم .

(وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون)

..... (١١٦)

الواو تحتل العطف على (وقالت اليهود) اي قالوا كذا . وقالوا كذا وتحتل العطف على (ومن اظلم) لأن معناها الخبر اي ظلموا ظلما شديدا بالمنع وتحتل الاستئناف البياني كأنه قيل : هل انقطع خيط العاهم في الافتراء على الله ام امتد فأنهم قالوا ما هو أشنع وانقطع (١)

اما جملة سبحانه فقد فصلت عن السابقة لانها انشائية دعائية وقعت اعتراض لنقض المقولة اليهودية وجاءت جملة (بل له ما في) مؤكدة لهذا الاعتراض وجوابا عن مقولة اليهود داحضة لها فهي مفصلة عن الجملتين المقولة اليهودية من جهة

كونها كالجواب عنها وعن الاعتراضية من جهة كونها مؤكدة لمعناها ناهيك عن
الاختلاف في كون الاعتراض انشائية وجملية الجواب خبرية . اما جملة (كل له
قانتون) فقد فصلت عما سبقها من جملة (له ما في السماوات) ولم تعطف عليها
للتبنيه على استقلالية كل من الجملتين في الاولى اي (بل له ما في السماوات) .
حجة والثانية (الزام) مقرر لما قبلها فهي كالتأكيد بالنسبة لها فامتلاك ما في
السماوات والارض يعني الايضاح والسيطرة عليهم وكونهم قانتون مطيعون بنفس المعنى
السابق لذلك كان الفصل (١)

(بديع السماوات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون) . . (١١٧)
و هذه الآية ايضا فصلت عما سبقها لانها كالتقرير لعدم اتخاذ الولد سبحانه
وتعالى والجمل السابقة هي صفات له سبحانه وتعالى متصلة بعضها ببعض دون الرابط
الواو . فكونه سبحانه وتعالى منزه مالك السماوات والارض . كل شيء مطيع له . مبدع
السماوات والارض كلها صفات من صفاته الدالة على قدرته سبحانه وتعالى . اما جملة
(اذا قضى امرا) فهي معطوفة على جملة بديع السماوات بالواو لان مفهومها
بديع السماوات والارض . وغيرها من المخلوقات وعبر عن هذا المعنى ببيان قدرته .
اذا قضى امرا

وقد سبقت هذه الجملة لبيان كيفيات الابداع . اي بديع السماوات وقاضى
الامور بقوله (كن) وهذه الصفة ايضا نزلت منزلة التغاير في المعنى فعطفت بالواو .
(وقال الذين لا يعلمون لو لا يكلمنا الله او تايننا اي كذلك قال الذين من
قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الايات لقوم يوقنون) (١١٨)
هذه الواو في بداية الجملة عاطفة حيث عطفت هذه الجملة على قوله تعالى

(قالوا اتخذ الله ولدا ٠٠٠) ووجه الارتباط ان المسند اليه واحد فالذين لا يعلمون
 فواو الجماعة في (قالوا) يعود الى اليهود والنصارى والتناسب بين الاشارك والقبح
 في التوحيد في الاية الاولى وهنا الاشارك والقبح في النبوة .

وان كان الخطاب في هذه الاية خاصا بالمشركين اي الذين لا يعلمون هم
 المشركون يكون العطف للتناسب بين الفاعلين المسند اليه في كل حين يشترك المشركون
 مع اليهود والنصارى في الضلال والكفر . اما جملة (كذلك قال الذين من قبلهم ٠٠
 ٠٠) فقد فصلت عما قبلها للاشعار باستقلال كل من العقولتين مع التشابه بينهما وقوله
 تعالى (تشابهت قلوبهم) فصلت عن جملة (كذلك ٠٠٠) لانها تأكيد لها فمعنى
 قوله تعالى (كذلك قال الذين ٠٠٠) هو نفسه معنى تشابه القلوب لان تشابه القلوب
 يؤدي الى نفس القول والعقول . اما جملة (قد بينا الايات) فقد فصلت عن قوله تعالى
 (كذلك قال الذين) لانها معللة لها وتحتمل ان تكون ردا وجوابا لطلبهم (لولا
 يكلمنا الله او تايننا اية) ومجمل هذه الايات انكار النبوة والشك فيها فجاء قوله
 تعالى في الاية اللاحقة . تاكيدا لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم .

(انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسئل عن اصحاب الجحيم) ٠٠ (١١٩)
 وهذه الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب اما جملة ولا تسئل عن اصحاب
 الجحيم وتحتمل العطف على (انا ارسلناك) والمسند اليه في الاولى هو الله وفي الثانية
 الرسول صلى الله عليه وسلم . وقصر الارسال على التبشير والانذار يتناسب مع عدم
 السؤال عن ما لا يقبل البشري ويستحق العقاب بالرفض والاية بجملتها يحتمل ان تكون
 اعتراضا بين اية (١١٨) - (١٢٠) جاءت لتسليط الرسول صلى الله عليه وسلم و
 رفع المضيق عن صدره بسبب اصرار الكفار على تكذيبه .

(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو

الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا
نصير (٠٠٠ (١٢٠)

يحتمل العطف على (وقال الذين لا يعلمون ٠٠٠) او الاستئناف وجمله

قل ان هدي الله ٠٠٠ جمله استثنائية منصلة عما قبلها للاختلاف بين الخبر و
الانشاء . كما فصلت جملة (لئن اتبعت اهواءهم) عن جملة قل ان الله لعدم قصد
التشريك واستقلالية كل جملة في معنى خاص بها .

(الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ومن يكفر به فاولئك

هم الخاسرون) ٠٠٠ (١٢١)

قال اللوسى (الذين اتيناهم الكتاب ٠٠) اعتراض لبيان حال مؤمنى

اهل الكتاب بعد ذكر احوال كفرتهم ولم يعطف تبييها على كمال التباين بين الفريقين
والاية نازله فيهم ٠٠٠ (١)

فالجملة مستأنفة منفصلة عما قبلها اما قوله تعالى (يتلونه حق تلاوته)

فتحتمل الحالية من ضمير المفعول فى (اتيناهم) اُ ومن الكتاب مصدره بالفعل
المضارع وتحتمل ان تكون جملة فى محل رفع خبر الموصول وصلته . اما جملة (اولئك
يؤمنون به) فهى اما ان تكون خبرا للموصول وصلته . او جملة مستأنفة جاءت
منفصلة عما قبلها بدون واو والفصل فيها لكمال الاتصال لانه الذين يتلون الكتاب
حق تلاوته هم المؤمنون لا غيرهم اما الجملة الشرطية (من يكفر به) وجوابها فقد
عطف على الجملة الاولى (الذين اتيناهم —) لما فيها من معنى التضاد فالذي
يتلو الكتاب مؤمن والذي لا يتلو هو الكافر الخاسر .

(يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على

(العالمين) ٠٠٠ (١٢٢)

(واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها

شفاعه ولا هم ينصرون) ٠٠٠ (١٢٣)

قد مر ذكر مثل هذه الاية وجملته النداء ابتدائية لا محل لها من الاعراب

فصلت عنها جوابها وهى جملة امرية (اذكروا ٠٠٠) وقد عطف عليها قوله تعالى

(واني فضلتكم) اي اذكروا نعمتي وتفضيلي اما قوله (واتقوا ٠٠٠) فهى ايضا جواب

للنداء معطوف على الجواب الاول (اذكروا) للتناسب بينها في الامرية والمسند اليه في

الجملتين واحد هم بنو اسرائيل . والتقوى والذكر متناسبان .

اما جملة (لا تجزي نفس) فهى فى محل نصب صفة (ليوم) عطفت

عليها جملة (ولا يقبل) وجمله (لا هم ينصرون) والتناسب واضح فى هذه

الصفات التى جاءت لبيان عدم نفع اي شئ فى ذلك اليوم فلا جزاء ولا قبول عدل ولا

نفع شفاعه ولا نصر وقد قيل ان الايات التى سبق ذكرها بنفس المعنى كانت للامر

بالقيام بحقوق النعم السابقة اما هذه الايات فهى لتذكيرهم بنعمه بها فضلهم على

العالمين . وهى نعمه الايمان بنبي زمانهم وانقيادهم لاهكامه ليغتنموها ويؤمنوا و

يكونوا من الفاضلين لا المفضولين وليتقوا بمتابعه عن احوال القيامة وخوفها كما اتقوا

بمتابعه موسى ٠٠٠ (١)

(واذا ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاقتمهن قال اي جاعلك للناس اماما قال ومن

ذريتى قال لا ينال عهدي الظالمين) ٠٠٠ (١٢٤)

إذا اعتبرنا ان الواو عاطفة وان الظرف (ان) معمول لمحدوف تقديره

وإذ تكون الجملة معطوفة على سابقتها عطف القصد على القصد والجامع للاتحاد في المقصد فان المقصد من تذكيرهم وتخويفهم - تحريضهم على قبول دينه صلى الله عليه وسلم واتباع الحق وترك التعصب وحب الرياسة كذلك المقصد من قصة ابراهيم عليه السلام وشرح احوال الدعوة الى ملته الاسلام وترك التعصب في الدين ؛ و ذلك لانه اذا علم انه نال - الامامة بالانقياد لحكمه تعالى وانه لم يستجب دعاءه في الظالمين وان الكعبة كانت مطافا ومعبدا في وقته مأمورا هو بتطهيره وانه كان يحج البيت داعيا مبهتلا كما هو دين النبي صلى الله عليه وسلم وان نبينا عليه الصلاة والسلام من دعوته وانه دعا في حق نفسه وذريته بملته الاسلام كان الواجب على من يعترف بفضله وانه من اولاده ويزم اتباع ملته وبياهى بانه من ساكن حرمه وحامى بيته ان يكون حاله مثل ذلك . . . (١)

ويحتمل العطف على قوله تعالى السابق نعمتى (اي اذكروا نعمتى) ووقت ابتلاء ابراهيم فان فيه ما ينفعكم ويرد اعتقادكم الفاسد . . . واعتراض على هذا الاحتمال بانه خروج عن طريق البلاغة مع لزوم تخصيص الخطاب بأهل الكتاب وتخلل (اتقوا) بين المعطوفين . . . (٢)

اما قوله تعالى (قال انى جاعلك . . .) فهى منضوطة عما قبلها (واذا ابتلى) لكمال الاتصال حيث نزلت هذه الجملة (قال انى . . .) منزلة عطف البيان فهى تفسير وبيان جزئى للكلمات التى ابتلى بها الله ابراهيم عليه السلام كما جاء فى احدي

(١) اللوسى ج ١ ص ٢٧٣

(٢) السابق ج ١ ص ٢٧٣

الاقوال فقد ورد ان الكلمات هي ما تضمنه الايات بعد من الامامة وتطهير البيت
ورفع قواعده والاسلام ٠٠٠ (١)

وتحتل الجملة الاستئناف البياني على اضحار ناصب (ان) كانه قيل
فما ذا كان بعد . فاجيب بذلك ٠٠٠ (٢)

وقيل هذه الجملة — او معترضه ليقع قوله تعالى (ام كنتم شهداء)
وهي الاية رقم (١٣٣) القادمة — ان جعل خطايا لليهود موقعه ويلائم قوله سبحانه
(وقالوا كونوا هودا او نصاري) ٠٠٠ (٣)

اما جملة (قال ومن ذريتي) فهي استئناف بياني كانه قيل ماذا قال
ابراهيم عند ذلك . وقوله تعالى (قال لا ينال) ٠٠٠ ايضا استئناف بياني .
(وان جعلنا البيت مثابة للناس وامنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا
الى ابراهيم واسماعيل ان طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) ٠٠ (١٢٥)
هذه الجملة (وان جعلنا) معطوفة على وان ابتلى فحكهما واحد .
اما جملة (واتخذوا من مقام ابراهيم) فقد وردت بصيغة الفعل العاض في قراءة
نافع وابن عامر وفي هذه الحالة تكون الجملة معطوفة على جعلنا مشتركة معها في
التقيد بالظرف (ان) اما على قراءة (واتخذوا) جملة امرية فتحتل العطف
على فعل الامر المحذوف الناصب للظرف وان ذكر ان جعلنا ٠٠٠ واتخذوا ومحتل العطف
على جعلنا على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا او معطوفة على مضمرة تقديره توبوا اليه

(١) اللوسى روح المعاني ج ١ ص ٣٧٢ - ٣٧٥

(٢) السابق ج ١ ص ٣٧٥

(٣) السابق ج ١ ص ٣٧٥

واتخذوا . اما جملة وعهدنا فهي معطوفة على جعلنا مشتركة معها في التقيد
 بالظرف وتكون جملة (واتخذوا) عندئذ اعتراضا وقع بين العاضويتين جاء لبيان اهمية
 المقام من البيت ٠٠٠ (١)

اما جملة (طهرا بيتي ٠٠٠) فهي عطف بيان وتفسير للعهد السابق
 وعهدنا الى ابراهيم موضحة ابهام العهد ٠٠٠

(واذ قال ابراهيم ربا اجعل هذا بلدا امنيا وارزق اهله من الثمرات من امن
 منهم بالله واليوم الاخر قال ومن كفر فاقمته قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس
 المصير) ٠٠٠ (١٢٦)

قوله تعالى اجعل هذا البلد ٠٠٠ جملة انشائية امرية دعائية عطفت
 عليها جملة مثلها (وارزق اهله ٠٠٠) والمدعو واحد هو الله سبحانه وتعالى و
 طلب الرزق والامن يجتمعان اذ لا معنى للرزق دون الامن ولا للامن دون الرزق
 كما ان الرزق ياتي حاله الاستقرار وبذل الجهد في طلب المعيشة في جو آمن
 وقد خص ابراهيم عليه السلام طلب الرزق لعن امن فقط فكان جواب الحق سبحانه
 (قال ومن كفر) حيث عطفت من كفر على من امن في طلب الرزق فيكون السياق ارزق
 المؤمنين وارزق الكافرين وفي هذا تبينه من الحق سبحانه وتعالى على ان الرزق
 الدنيوي ليس خاصا بالمؤمنين وانه رحمة للجميع وجملة (فاقمته) وردت في احدي
 القراءات بصيغة الامر (فاقمته) وعلى هذه القراءة يتعين ان يكون الضمير في
 (قال) عائدا الى ابراهيم وحسن اعاده (قال) طول الكلام وانه انتقل من الدعاء
 لقوم الى الدعاء على اخرين فكانه اخذ في كلام اخر ٠٠٠ (٢)

(١) اللوسى روح المعاني ج ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠

(٢) السابق ج ١ ص ٣٨٢

اما جملة اضطره فقد عطف على ما قبلها ثم لما فيها من معنى التراخي

بين الدنيا والاخرة .

(وان يرفع ابراهيم القواعد من البين واسماعيل رينا تقبل منا انك انت

السميع العليم) ٠٠٠ (١٢٧)

الجملة (وان يرفع) معطوفة على السابقة (وان قال ابراهيم الخ) جملة

(تقبل منا) جملة دعائية فصلت عن سابقتها للاختلاف بين الخبر والانشاء وجملة

(انك انت) ايضا فصلت عما قبلها لانها خبرية وما قبلها انشاء جاء تعليلا

لاستدعاء التقبل وتحمل ان تكون جملة (رينا تقبل منا) حالية على تقدير (قائلين

رينا ٠٠٠)

(رينا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكا وتب

علينا انك انت التواب الرحيم) ٠٠٠ (١٢٨)

جملة النداء رينا جاعة لتأكيد النداء السابق واستحضار الذات الالهية في

الموقف تبركا وامتالا للطاعة من المخلوق اما جملة (اجعلنا مسلمين) فهي ايضا

دعائية معطوفة على جملة دعائية سابقة هي (رينا تقبل منا ٠٠٠) كذلك (ارنا

مناسكا) (وتبعلينا) وجاءت (انك انت التواب) تعليلا لما قبلها مفصلة

عنها لتلخيص للتوبة .

(رينا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة

ويذكهم انك انت العزيز الحكيم) ٠٠٠ (١٢٩)

(كذلك القول في رينا وابعث ٠٠٠) وهي مشتركة مع الجمل الدعائية السابقة

في كونها مطلب من مطالب ابراهيم واسماعيل عليهما السلام اما جملة (يتلوا عليهم ٠٠)

فهي في موقع الصفة (لرسول) او حال منها وجاءت جملة (يعلمهم) معطوفة

عليها لتأخذ حكمها السابق والتلاوة والتعليم يجتمعان كذلك التذكير فهي مشتركة

مع ما سبقها في الحكم . اما التذييل وانك انت العزيز . فقد جاء تعليلا للطلب السابق فالقادر على بعث الرسول هو الحكيم العزيز ومن المعلوم ان زكاة النفوس وطهارتها من الدنائس ياتي نتيجة العلم والفهم للكتاب المقدس .

(ومن يرغب عن مله ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفينه في الدنيا

وانه في الاخره لمن الصالحين) ٠٠٠ (١٣٠)

هذا استفهام انكاري واستبعاد لا يقع من ذوي البصيرة فلا احد يرغب عن هذه المله السعده . والخطاب هنا من الله سبحانه وتعالى وفيه الجمل السابقه دعاء من ابراهيم عليه السلام فكان الفصل لاختلاف المسند اليه والمتحدث .

اما جمله (ولقد اصطفيناه ٠٠٠) فهي جواب قسم محذوف وقد فصلت

وجاءت عن قبلها لانه واقعه موقع التاكيد والتقرير فالجمله الاولى معناها لا احد

يرغب عن هذه المله لان نبيها عظيم مرسل اعماله وادعيه سبقت — وهذا رفع

لشأن ابراهيم ورفع لمله الحنيفيه . فجاءت الجمله الثانيه تاكيد مكانه ابراهيم

عليه السلام حيث الاصطفاء من قبل الله عزوجل فكانت تاكيدا لمفهوم الجمله الاولى .

وقد عطفت جمله (وانه في الاخره) على ما قبلها لان معنى الاولى

الاصطفاء في الدنيا ومعنى الثانيه الصلاح في الاخره فالتناسب بينها واضح

خصوصا ان المتحدث واحد هو سيدنا ابراهيم عليه السلام فهي بيان لحاله في الدنيا

والاخره .

(ان قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين) ٠٠٠ (١٣١)

هذه الجمله مفصولة عما سبقها لانهما تعليل لها فهي تعليل للاصطفاء

والصلاح وهو كونه استجاب لنداء الله في السلام .

اما جمله (قال اسلمت ٠٠٠) فقد فصلت عن جمله (ان قال له ربه اسلم)

لانها استثناف بياني جواب للاولى فكانه قيل وماذا كان جواب ابراهيم —

ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن

الا وانتم مسلمون (٠٠٠ (١٣٢)

هذا الخبر من الله سبحانه وتعالى عن ابراهيم ان اوصى بنيه بالله او بكلمة

الاسلام فهي جملة النداء وجوابها فهي منفصلة عن هذه الجملة لكمال اتصالها بها

من حيث كونها عطف بيان للوصية شارحة ومفسرة للجملة التي سبقتها فالوصية فيها

نوع خفاء ازهل بشرحها في الجمل التي تليها .

(ام كنتم شهداء ان حضر يعقوب الموت ان قال لبيه ما تعبدون من بعدي

قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون)

٠٠٠ (١٣٣)

في هذه الآية نرى ان جملة (ان قال لبيه) قد فصلت عن جملة (ان

حضر يعقوب الموت) ولم تتصل بالواو وذلك لكون الجملة الثانية (ان قال لبيه -)

منزلة بدل الاشتغال من الاولى (ان حضر -) فالجملة الاولى غير وافية بتمام المراد

وهو محل المخاطبين على اتباع التوحيد باعتبارهم ابناء ليعقوب عليه السلام (من ذريت

(١) ٠٠٠

(تلك امه قد خلعت لها ما كسبت ولكم ما كسبتن ولا تسئلون عما كانوا يعملون)

٠٠٠ (١٣٤)

جملة تلك امه مستأنفة فصلت عنها جملة (لها ما كسبت) لعدم التشريك

اولان الجملة الثانية بدل من قوله تعالى (خلعت) لانه بمعنى لا تشاركونهم وهي

كغير الوافية وهذه وافية بتمام المراد (٠٠٠) (٢)

(١) اللوس روح المعاني ج ١ ص ٣٩٠

(٢) السابق ج ١ ص ٣٩١

ويمكن اعتبار جملة (لها ما كسبت —) صفة لكلمة (اما) وهصلت عنها

كالنصل بين الصفة والموصوف لكمال الاتصال او يمكن اعتبارها حالا من الضمير في جملة

(خلت) . ونصلت عنها بهذا الاعتبار . اذ لا رابط فيها ولا مقارنة في الزمان .

اما جملة (ولا تسئلون) . فهي استثنائية منقطعة لعدم التشريك (وقالوا

كونوا هودا او نصاري تهتدوا قل بل ملق ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) .

٠٠ (١٣٥)

الجملة عطف على ما قبلها عطف القصد او جملة مستأنفة وقد فصلت عنها

جملة (قل بل ملق) . لانها كالجواب عنها .

جملة (وما كان من المشركين) . ايضا منضوطة عما قبلها لعدم الرغبة

في التشريك حيث اعتبرت كل جملة على حدة في الاخبار .

واذا اعتبرنا الواو للعطف يكون الجملة معطوفة على قوله (حنيفا) عطف

الجملة على المفرد .

(قولوا امنا بالله وما انزل اليه وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق و

يعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسى وما اوتى النبيون من ربه لا نفرق بين احد

منهم ونحن له مسلمون) . ٠٠٠ (١٣٦)

جملة (قولوا) . استثناف فتصل عما قبلها للاختلاف بين الخبر والانشاء

وجملة (لا نفرق بين احد —) وقعت حالا من قوله (امنا) . اي امنا غير

مفرقين فصلت عنها لانها منفية اما جملة (ونحن له مسلمون) معطوفة على الجملة

الحالية . من عطف الجملة الاسمية على الفعلية والجملتان حاليتان ويجوز ان تعطف

على جملة امنا فتكون مشتركة معها ف كنهها مقول القول اي قولوا هذا وذاك .

فان امنوا بمثل ما امنتم به فقد اهدوا وان تولوا فانما هم في شقاق

فسيكفيكم الله وهو السميع العليم (٠٠٠ (١٣٧)

جملة الشرط معطوفة بالفاء على ما قبلها اي قولوا انا فان امنوا ... اما

جملة (وان تولوا ٠٠٠) ايضا جملة شرطية مع جوابها معطوفة على الشرطية

السابقة وجمعها معنى الضدية (ان امنوا ان كفروا)

(صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون) (١٣٨)٠٠٠

كلمة صبغة منصوبة على انها مفعول مطلق لفعل محذوف اي صبغت الله

صبغة او على انها مصدر مؤكد لقوله تعالى (انا) او منصوبة بفعل اغراء محذوف

(٠٠٠) او النصب على البدلية من مله ابراهيم (٠٠٠) (١)

اما جملة (ومن احسن ٠٠٠) فهي جملة اعتراضية منفصلة عما قبلها

لتقرير معنى الاولى اي الزموا صبغة الله لا صبغة احسن منها .

اما جملة (ونحن له عابدون) فيصح عطفها على جملة مقول القول (انا)

في الاية (١٣٦) اذا اعتبرنا (صبغة الله) داخله في مفعول (قولوا) لثلا

يلتزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه باجني ويجوز ان تكون معطوفة على جملة

الاغراء المقدرة الزموا (وقولوا نحن له عابدون) .

(قل ٠٠٠ استثنائية منقطعة عما قبلها . جملة (وهورنا ٠٠٠)

حالية من الواو في اتحاجونا . جملة ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم ونحن له مخلصون)

جملة معطوفة بالواو على الجملة الحالية السابقة فهي مثلها في الحكم في كونها في

محل نصب احوال .

(١) اللوسى روح المعاني ج ١ ص ٣٩٧ - ٣٩٨

وانظر الجدول في اعراب القرآن ج ١ ص ٢٣٦

قال اللوسى ونحن له مخلصون : - والجملة هالیه كالتی قبلها ونذهب

بعض المحققين ان هذه الجملة كجملتی (ونحن له مسلمون) (ونحن له عابدون)
اعتراض وتذليل للكلام الذي عقب به مقول على السنة العباد بتعليم الله تعالى لا عطف .
وتحريره ان : ونحن له مسلمون ٦ مناسب - لامنا - اى نوؤمن بالله وبما انزل على
الانبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم وتستسلم له وتتقاد لا وامره ونواهيه وقوله تعالى
(ونحن له عابدون) ملائم لقوله تعالى (صبغة الله) لانها بمعنى دين الله فالمصدر
كالغذ لكذ لما سبق وهذه الایة موافقة لما قبلها ولعل الذوق السليم لا ياءه (١٠٠)
(ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او
نصارى قل ائتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادته عنده من الله وما الله بغافل عما
تعملون) (١٤٠) ٠٠٠

ام حرف عطف هنا وهى ام المتصلة المعادة له قل اتحاجوننا ٠٠٠ ام تقولون
ولا شك ان الهمزة فى الایة السابقة للاستفهام الانكاري وجملة تقولون، معطوفة على
اتحاجوننا داخله معها فى معنى الانكار بمعنى لا ينبغي ان يكون هذا منكم محاجد ولا
قول كذا كذا ٠٠٠ والجمع بين هاتين الجملتين لإفادة زيادة التقرير على اليهود
وزيادة فى الذم اما على قراءة من قرأ (ام يقولون) بالياء (فأم) عندئذ تكون
مقطعة وما بعدها استثناء غير داخل فى الاستفهام الانكاري .

جملة (قل ائتم اعلم ٠٠٠) منفصلة عما قبلها لانها كالجواب . وجملة
ومن اظلم ممن كتم ٠٠٠ جملة استثنائية منفصلة عما قبلها لانها تذليل يقرر ما انكر
عليهم من ادعاء اليهودية والنصرانية وتعليق الاظلمية بمطلق الكتمان للايماء الى ان
مرتبة من يردّها وشهد بخلافها فى الظلم فارقة عن دائرة البيان او لا احد - اظلم

منا لوكتفنا هذه - الشهادة - ولم ننتهنا في مقام الحاجة، والجملة حينئذ تذييل
مقرر ما اوقع في قوله تعالى (١٠١) انتم اعلم ام الله) من انهم شاهدون بما شهد الله
تعالى به ممدقونه بما اعلمهم . . . (١)

اما جملة (وما الله . . .) فهي استثنائية جاءت كالوعيد والتهديد لا هل
الكتاب حتى لا يكتفوا الشهادة . فهي مؤكدة لما قبلها لان وصف كاتم الشهادة
بالظلم معناه استحقاؤه النار وعدم غفلة الله عن عمل الناس معناه الاطلاع على هذا
الكتمان ومجازاة من يفعله وفي الجملتين تهديد ووعيد وحسب على عدم كتمان الشهادة .
(تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون)
. . . (١٤١)

هذه الاية تقرير مؤكدة للاية رقم (١٣٤) جاءت ايضا تاكيدا للوعيد وبيان
عدم الانتفاع بالافتخار بالسابقين فكل له عمله .

الفصل الثاني

تحليل نظام عقد المعاني في السورة



الفصل الثاني

تطبيقات على التناسب العام بين آيات السورة

وتحليل نظام عقد المعاني

السورة :

تعتبر سورة البقرة من أطول السور القرآنية فهي تشتمل على عدد من الآيات لا يوجد في غيرها حيث تبلغ عددها حوالي ٢٨٦ آية . وهذه السورة من أكثر السور جمعا للأحكام والآمال وتعد فسطاط القرآن لأجل هذا ناسب تقديمها وجعلها أول السور بعد الفاتحة ٠٠٠ (١)

ولاشك ان استخراج أسرار التناسب والالتحام بين الآيات والمقاطع في هذه السورة الطويلة بشكل نموذجي يحتذى به يمكن القياس عليه في بقية السور والآيات ، خاصة اذا علمنا ان هذه السورة تشتمل على فنون عدده من احكام ومعاملات وتوحيد وفقه وسيرة وعبادات واخلاق وسلم وحرب، ويزداد الأهمية اذا ما أدركنا ان هذه السورة لم تنزل في هذه واحدة بل في مدد ومناسبات شتى فهي تشتمل على اخر ما نزل من القرآن وهو قوله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله)

وعلى اول ما نزل في المدينة بعد الهجرة ٠٠٠ (٢)

يقول الاستاذ المودودي : على الرغم من ان هذه السورة نزلت في المدينة إلا أنها تلى سورة مكية هي سورة الفاتحة ٠٠٠ والجزء الأكبر من سورة البقرة نزل خلال العامين الأولين من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام في يثرب اما الجزء الأصغر والذي نزل في فترة اخرى فقد وضع في هذه السورة لأن ما يحويه يتصل تماما بما قد عولج فيها وعلى سبيل المثال الآيات التي تحرم الربا نزلت في الفترة المتأخرة من حياة

(١) الميوطى اسرار الترتيب القرآن ص ٨٢

(٢) القرطبي ج ١ تفسير قوله : (واتقوا يوما ٠٠٠)

الرسول لكنها ادرجت في سياق هذه السورة ولنفس السبب ايضا ضمنّت هذه السورة
الآيات الاخيرة (٢٨٤ - ٢٨٦) رغم نزولها على النبي في مكة قبل الهجرة
(١)

ومع هذا التباعد الزمني بين الآيات ومناسبات نزولها الا انها تعد مثلا
للسبب الواحد ومثالا لحسن الصياغة والنظم والتألف بين المعاني وهذا اول على ان
القران معجزه تنزل من لدن حكيم عليم .

فضائل السورة : لم يكن اهتمام الدارسين لهذه السورة من جوانبها المختلفة

الا تعبيراً عما لها من فضائل شرعية فقد وردت احاديث مختلفة تنوّه بهذه السورة من
ذلك ما اخرجهم مسلم والترمذي واهمدهم والبخاري في تاريخه ومحمد بن نصر عن النواس
بن سمعان قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول (يؤتى بالقران و
اهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وال عمران) وعن بريدة
قال : (قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تعلموا سورة البقرة فان اخذها بركة
وتركها حسرة ولا يستطيعها المبطل ثم سكت ساعة ثم قال : تعلموا سورة البقرة و
آل عمران فانهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة فانهما غمامتان او غيابتان او
فرقان من طير صوافس وعن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله - صلى الله
عليه وسلم - ان لكل شئ سنناما فسننام القرآن سورة البقرة من قراءتها في بيته نهارا
لم يدخله الشيطان ثلاثة ايام ومن قراءتها في بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال .
وعن معقل بن يسار ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (البقرة سننام
القران وذروته نزل مع كل اية منها ثمانون ملكا واستخرجت - الله لا اله الا هو الحي
القيوم - من تحت العرش فوصلت بها) وسئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

اي القرآن افضل . قال : (السورة التي يذكر فيها البقرة نزلت من تحت العرش

(١)

وروي ان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : اعطيت سورة البقرة
من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت فاتحة الكتاب وخواتيم
سورة البقرة من تحت العرش . . . (٢)

وقد وردت احاديث اخري كثيرة تبين فضائل هذه السورة منفصلة او مقترنة
مع غيرها من الطوال او مع ال عمران او بعضايات هذه السورة الاية الكرسي والخواتيم
لا داعي لذكرها - (٣)

تسمية السورة :-

اما اسباب التسمية بهذا الاسم (البقرة) على الرغم من ان موضوعاتها
كثيرة ومختلفة لان قصة البقرة تعتبر غريبة وايه من ايات الله التي نزلت على بني
اسرائيل وتشكل هذه القصة مجموعة من الايات ابتداء من اية ٦٧ حتى اية ٧٣
وخلاصتها قتل احد بني اسرائيل وعدم معرفة القاتل وطلب الناس من موسى ان يعرف
لهم القاتل وامر موسى لهم ان يذبحوا بقرة وتعنتهم بذلك حتى ذبحوها وماكادوا
يفعلون ثم ضرب الميت ببعض اجزائها حتى قام من موته ودل على من قتله . . . (٤)

-
- (١) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٢٧
(٢) الثعالبي تفسير الثعالبي جواهر الحسان في تفسير القرآن ج ١ ص ٢٨
(٣) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٢٨ - ٢٩
(٤) محمد الصابوني ايجاز البيان في سور القرآن ص ٨ - ١١

محور السورة :

تدور هذه السورة رغم طولها وتشعب موضوعاتها حول موضوع واحد يعد محورها الاساسي الذي لا تليث ان تلاحظ دوران الايات والمعاني حوله وهذا المحور يتمثل في الهداية الالهية لبني البشر بيانا ودعوة للتابع يقول الاستاذ المودودي : (هذه السورة دعوة لقبول الهداية الالهية وكل القصص والحوادث التي وردت بها تدور حول هذه الفكرة المركزية وفيها ذكر اليهود على وجه الخصوص بحوادث تاريخية متعددة مستوحاة من سيرتهم الخاصة كي يذكرهم الله وينصحهم بان فلاحهم وخيرهم يمكن في قبول هذه الهداية المنزلة على النبي - صلى الله عليه وسلم - ولذا فعليهم ان يكونوا اول من يؤمن بها لانها في اصلها واساسها هي نفس الهداية التي انزلت على نبيهم موسى عليه السلام (١)

علاقة السورة بما قبلها (الفاتحة) : يعتبر القران كله تفسيرا لمعنى سورة الفاتحة بمعنى ان الرباط وثيق بين كل السور والايات . اول ما يلي الفاتحة سورة البقرة التي تعد حسب اقوال العلماء جزءا من تفسير الفاتحة قال الالهام السيوطي : (افتتح سبحانه كتابه بهذه السورة لانهما جمعت مقاصد القران وكذلك كان من اسماها : ام القران ام الكتاب والاساس نصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال) (٢)

وينقل عن الحسن البصري قوله : ان الله اودع علوم الكتب السابقة في

القران ثم اودع علوم القران في المفصل ثم اودع علوم المفصل في الفاتحة ممن علم

تفسيرها كان كمن علم تفسير جمع الكتب المنزلة (٣)

(١) ابوالاعلى المودودي تفهيم القران ج ١ ص ٤٣

(٢) السيوطي اسرار ترتيب القران ص ٧٣

(٣) السابق ص ٧٢-٧٤

وقال الطيبي : وجميع القرآن كفصل لما أجملته الفاتحة فانها بينت على

اجمال ما يحويه القرآن مفصلا فانها واقعه في مطلع التنزيل والبلاغه فيه ان توضحت

ما سبقت الكلام لاجله ٠٠٠ (١)

وقد فصل العلماء ما جاء في هذا القول المجمل حيث قال بعضهم . افتتحت

البقره بقوله تعالى (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه) فانه اشاره الى الصراط المستقيم

في قوله تعالى في الفاتحة اهدنا الصراط المستقيم فانهم لما سألوا الله الهدايه

الى الصراط المستقيم قيل لهم : ذلك الصراط الذي سألتم الهدايه اليه ٠٠٠ قال

السيوطي وهذا معنى حسن يظهر فيه سر ارتباط البقره بالفاتحة ٠٠٠ (٢)

وبفضل الامام السيوطي في علاقات ارتباط وتناسب الفاتحة بالبقره وينطلق

من قاعده كليده ظهرت له حسب ما يقول مفادها : ان كل سورته تفصيل لاجمال ما قبلها

وشرح له واطناب لا يجازه ٠٠٠ وسورته البقره قد اشتملت على تفصيل جميع مجملان

الفاتحة فقوله (الحمد لله) تفصيله : ما وقع فيها من الامر بالذكر في عدده ايات

ومن الدعاء في قوله (اجيب دعوه الداع اذا دعان ٠٠٠) (٣)

وفي قوله (رب العالمين) تفصيله قوله : اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين

من قبلكم لعلمكم تتقون ٠٠٠ وانتم تعلمون) (٤) ٠٠٠

وقوله : هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ٠٠٠ بكل شيء عليم ٠٠ (٥)

(١) السيوطي اسرار ترتيب القرآن ص ٧٥

(٢) السابق ص ٧٧-٧٨

(٣) سورة البقره ١٨٦

(٤) السابق ايه ٢١-٢٢

(٥) السابق ايه ٢٩

ولذلك افتتحها بقصة خلق آدم الذي هو مبدأ البشر وهو اشرف الانواع من

العالمين وذلك شرح الاجمال (رب العالمين) . وقوله : (الرحمن الرحيم) قد

اوما اليه بقوله في قصة آدم (فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم) (١) .

ويذكر عدة مواضع اخرى . اما قوله تعالى : (مالك يوم الدين) تفصيله :

ما وقع من ذكر يوم القيامة في عدة مواضع ومنها قوله (ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه

يحاسبكم به الله) (٢) .

وقوله (اياك نعبد) مجمل شامل لجميع انواع الشريعة الفرعية وقد فصلت

في البقرة ابلغ تفصيل فذكر فيها الطهارة والحيز والصلاة والاستقبال وطهارة

العكان والجماعة وصلاة الخوف وصلاة الجمع ، والعيد والزكاة با انواعها كالنبات

والمعادن والاعتكاف والصوم وانواع الصدقات والبر والحج والعمرة . والبيع والجاره

والميراث والوصية والوديعة والنكاح والطلاق والخلع والرجعة والايلاء والعدة والرضاع

والنفقات والقصاص والديات وقتال البنات والردة والاشربة والجهاد والاطعمة

والذبايح والايمان والنذور والقضاء والشهادات والعتق فهذه ابواب الشريعة كلها

مذكورة في هذه السورة وقوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم) الى اخره تفصيله

ما وقع في البقرة من ذكر طريق الانبياء . وهذا عندها من النصارى ولهذا ذكر في

الكعبه انها قبله ابراهيم فهي من صراط الذين انعم عليهم وقد دعا دعنا اليهود و

النصارى معاً ولذلك قال في قصتها (يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (٣) .

تنبيهها على انها الصراط الذي ساءلوا الهداية اليه ثم ذكر : ولئن اتيت

الذين اتوا الكتاب بكل ايماء تبعوا قبلتك (٤) .

(١) سورة البقرة ايه ٥٤

(٢) السابق ايه ٢٨٤

(٣) السابق ايه ١٤٢

(٤) السابق ايه ١٤٥

وهم المغضوب عليهم والضالون الذين حادوا عن طريقهم ثم اخبر بهنا يه

الذين امنوا الى طريقهم ثم قال (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) (١) .٠٠

فكانت هاتان الايتان الايتان تفصيل اجمال (اهدنا الصراط المستقيم) و

ايضا قوله اول السوره (هدى للمتقين) اخبار باءن الصراط الذي سالوا الهدايه

اليه هو ما تضمنه الكتاب وانما يكون هدايه لمن اتصف بما ذكر من صفات المتقين . ثم

ذكر احوال الكفرة ثم احوال المنافقين وهم من اليهود وذلك تفصيل لمن حاد عن

الصراط المستقيم ولم يهتد بالكتاب .٠٠٠ (٢)

ومن خلال حديث الامام السيوطي السابق يظهر لنا عظمة هذا القران

وعظمة اسلوبه المبين الواضح الذي يجعل مره وينصل مره اخري وهذا دلالة على ان

هذا القران متناسب كله كالسيكه الواحد وان طالت مواضيعه وموضوعاته وان خفيت على

من لا يعرف .

(١) سوره ايه ٢١٣

(٢) السيوطي يتصرف اسرار ترتيب القران ص ٢٨ - ٨١

تناسب السورة بما بعدها ال عمران

هناك اشارات نبوية كثيرة تدل على وجود ترابط وثيق بين موضوعي تلك

السورتين البقرة وال عمران هذه الا اشارات نلمحها من خلال ربطه - صلى الله عليه وسلم - بين السورتين ففي الحديث اطلق عليها اسم واحد (الزهراوان) وفي حديث اخر اخبر ان البقرة وال عمران تاتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان تحاجان عن صاحبهما . . . (١)

وقوله تعلموا سورة البقرة وال عمران فانهما الزهراوان تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان وقوله : يؤتى بالقران واهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا تقدمهم سورة البقرة وال عمران . . . (٢)

وسيرا على قاعدة السيوطي السابقة من ان كل سورة شرح لاجمال ما في قبلها يوجد هناك تناسب بين ال عمران والبقرة حين تعد سورة ال عمران كالمكلمة لما جاء في سورة البقرة قال السيوطي (كما كانت هذه السورة قرينة سورة البقرة وكالمكلمة لها افتتحت بتقرير ما فتحت به تلك وصرح في منطوق مطلعها بما طوي في مفهوم تلك . . . (٣)

ومن المعلوم ان مطلع البقرة يشتمل على مفهوم الدعوة الى الهداية والايمان من قوله تعالى (الذين يؤمنون بالغيب) وكذلك ومن الغيب الله - سبحانه وتعالى - وقد صرحت به سورة ال عمران (الله لا اله الا هو الحي القيوم) ونلاحظ هذا التكميل في مواطن كثيرة فكما ان سورة البقرة تحدثت عن اليهود تحدثت سورة ال عمران عن النصاري

(١) محمد بن علوي المالكي الحسيني حول خصائص القران ص ٩٥

(٢) الشوكاني فتح القدير ج ١ ص ٢٧

(٣) السيوطي اسرار ترتيب القران ص ٨٣

وهم طرفي اهل الكتاب وذكرت وذكرت سورة البقرة التوراه وذكرت ال عمران الانجيل
 وهو نون التوراه وذكرت سورة البقرة قصه ادم عليه السلام اب البشر وذكرت ال عمران
 قصه عيسى عليه السلام احد ابنائه كما ان ادم خلقه معجزه من غير اب او ام كذلك خلق
 ابنه عيسى عليه السلام معجزه ابن من غير ا ب ، كما ان البقرة ردت على شبهات اليهود
 ردت ال عمران في موقعتي بدر واحد ومن الاشارات المجمله في البقرة والمنفصله في
 ال عمران نقتبس بعضا مما قاله السيوطي . فاول البقرة افتتح بوصف الكتاب بانه
 لا رب فيه وقال في ال عمران (تنزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه) (١٠٠)
 وذلك بسط واطناب لنفي الرب عنه . ومنها انه ذكر في البقرة انزال الكتاب
 مجعلا وقسمه هنا الى الايات محكمات ومتشابهات لا يعلم تا ويلها الا الله اي قوله تعالى
 (هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات) ومنها
 انه قال في البقرة (والله يوءتي ملكه من يشاء) ايه ٤٧ وقال في ال عمران (قل اللهم
 مالك الملك امن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك
 على كل شئ قدير) ايه ٢٦ ال عمران
 واجمل الحج في البقرة بقوله (واتعوا الحج) ايه ١٩٦ وهنا فصل وذكر
 بقوله (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن
 العالمين) ايه ٩٧ ال عمران .
 ومنها قوله في البقرة في اهل الكتاب (ثم توليتم الا قليل منكم) ايه ٨٣
 فاجمل القليل وفصله هنا بقوله (ليسو سواع من اهل الكتاب امه قائمه يتلون ايات الله
 اناء الليل وهم يسجدون) ايه ١١٣ ال عمران . . . (٢)

(١) سورة ال عمران ايه ١٣١

(٢) السيوطي بتصريف اسرار ترتيب القران ص ٨٣ - ٨٥

التناسب بين الايات فى سورة البقرة

نظام عقد المعانى

من خلال ما سبق يمكننا القول بان هناك تناسب حقيقي واقعى بين السورة وما بعدها والسورة وما قبلها . وان كان الامر كذلك فمن باب اولى ان التناسب بين اجزاء السورة الواحدة وبين اياتها يقع، وسنوضح من خلال تحليلنا لسورة البقرة هذا التناسب والربط بين اياتها ومعانيها خاصة ما يمكن ان يظهر انه مشكل لتباعد النسبة وعدم دورانها على الذهن، او خفا مصدرها على العقل ، وعند تحليل السورة نجد انها اشتطت على افكار رئيسة عدة اول هذه الافكار ، وصف القران بانه كامل فى الهداية " ١ - ٢ " ثم فكرة انقسام الناس الى ثلاثة اصناف بالنسبة للاعتقاد فى هدية " ٣ - ٢٠ " وهذا امر طبيعي ان يختلف الناس حول امر من الامور ولو كان واضحا كالشمس فهناك من تغلب عليهم المصالح الدنيوية مثل المنافقين وهناك من اصابهم العمى والصرم مثل الكافرين وهناك من فتح الله قلوبهم للهداية ولا رابع لهذه الاقسام وقد انتقل من الفكرة الاولى الدالة على كمال هدايتهم الى افتراق الناس الى الاقسام المذكورة بطريقة حسنة لا يشعر بها الانسان ومن خلال ربط محكم والناظر فى قوله تعالى " هدى للمتقين " يجد هداية الربط بين الفكرة الاولى والصف الاول وهم المهتدين . وقد فسره صينهم بقوله :

" الذين يؤمنون " الايمان بالغيب ، اقامة الصلاة ، الانفاق فى سبيل الله ، الايمان بالكتاب والكتب السابقة ، والاعتقاد بالآخرة وواضح ما لحرف الجر " اللام " فى " للمتقين " من اثر بالغ فى الربط وهو يعد المعبرة السرية التى انزلت عليها الكلام وانصب انصباها واحدا الى نهاية الحديث عن المؤمنين " (١)

ثم تحدث عن الصف الثانى وهم الكفار الذين لا يؤمنون وهو جنس مقابل تماما للمؤمنين

(١) محمد عبدالله دراز : النبأ العظيم ص ١٦٥ .

(٢) الدرر الكامنة الواردة قول على الايات ص ١٦٥ سورة البقرة .

الا ان الحديث عنهم جاء منقطعا دون رابط وذلك لاعتبار ان الهداية مختصة بالجنس الاول
 وان انتها الكلام عنهم يعد تاما منقطعا عما بعده وهذا ابلغ في اثبات و تخصيص الهداية
 باولئك النفر من المؤمنين . وهذا مظنة من القارىء بمسؤول ما بال المؤمنين وما موقفهم ولم لا
 يؤمنوا بهذا الكتاب الكامل في الهداية فياتي الجواب على طريق الاستئناف اليماني ان الذين
 كفروا * ٦ - ٧ * ثم يتوجه بالحديث الى المنافقين وهم جنس من اجناس الكفر وكلاهما ذو مصير
 مشترك وهو النار فبعطف ذكرهم على ذكر الكفار بحرف العطف الواو لا شراكتهم في النتيجة
 الحتمية والكفر وهكذا تسير الايات تتحدث عن المنافقين وخطرهم * ٨ - ١٦ *
 ثم يمثل لهؤلاء المنافقين بمثل حسي، كذلك للكفار بمثل حسي لتكون صورتهم اوضح في الذهن
 لان اخراج المعنويات مخرج المحسوسات ابلغ واوضح، واكثر التصاقا في الذهن فكان التمثيل
 لكليهما مثل الذي استوقد ناراً * ١٧ - ٢٠ *

يا ايها الناس اعبدوا ربكم : في هذا المقطع ينقل الحديث من الغيبه عن الاقسام

الثلاثة، المؤمنون، المنافقون، الكفار ليصبح من حديث الخطاب المباشر الجامع لكل تلك

الاصناف اي لجميع الناس كما ورد عن ابن عباس ٠٠٠ (١) ع

وهو المناسب للمقام لالهيود خاصة ولا للمنافقين واليهود ولا لكفار قريش ومشركي

العرب ، ولا شك ان الالتفات من اسلوب الغيبه الى اسلوب الخطاب يجعل من الذهن

مستيقظا وهذا الانتقال - والله اعلم - لا يتأتى الا لاهمية ما سيرد به النداء من

الامور واي شيء اهم من دعوة الناس الى التوحيد المفضى لدخول الجنة، لذا نرى ان هذا

المقطع من (٢١ - ٢٢) يشكل اهم دعوه في اصول الاعتقاد المتمثل في عباد الله ولما

احتاج الامر الى بيان حقيقته المعبود ذكر جزءا مما يتعلق بالربوبية من نعم انعمها

على بني ادم وهي متمثلة في الخلق وخلق الارض والسماء خدمة للانسان وانزال الماء و

اخراج الثمار والرزق ولا شك ان من يفعل ذلك يستحق ان يفرد في العبودية وان لا

يكون له ندا في التعقيب فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون .

وبعد الايمان بالله وتوحيده لا بد لا كتمال جوانبه، الايمان بالرسول المبلغ

وبالكتاب البرهان فجماع قوله : وان كنتم في ريب ٠٠٠ على طريقه التحدي التي تدل

في النهايه على عجز المخاطبين وبالتالي استلزام ايمانهم فكانت بدايه هذه الايه بالوار

وكانه يقول : اعبدوا الله وامنوا بالكتاب والرسول . والنتيجه معروفه لمن امن والنتيجه

معروفة لمن كفر فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار . . . وبشر الذين امنوا . . . الايات

(٢٤ - ٢٥) فهذا المقطع اشتمل في خلاصه على للايمان بالله والرسول والكتاب

واليوم الاخر بما فيه من ثواب المؤمنين وعقاب الكافرين (٢١ - ٢٥)

(ان الله لا يستحي) في نهاية المقطع السابق بيان ما للمؤمنين

من ثواب ولذات ومتعة ومن بين تلك المتع المتعة الجنسية باتخاذ اللاءزواج وهذه

المعاني كما يقول محمد دراز (قد يستحي المرء من ذكرها وقد يخالها الجاهل نايه

عن سنن الخطاب الالهى الاعظم غافلا عن انه الحق الذي لا يستحي من الحق وانه

الرحيم الذي ينتزل برحمته الى مستوي العقول البشرية فيبين لهم كل ما يحتاجون الى

بيانه مما يحبون او يكرهون وما يرجون او يحذرون . وهكذا اناسق الحديث من ذكر

هذه الفانج المتفاوتة الى استنباط القاعدة الكلية منها ببيان ان هذه طريقه القران

في هدايته فهو يضرب الامثال كلها ويبين الحقائق حلوها ومرها . واضعا كل شيء في

موضعه مسيلا له باسمه . لا يبالي ان تناول في بيانه جلائل الامور ونحواتها (ان الله

لا يستحي ان يضرب مثلا ما بعوضه فما فوقها . . .) (١)

وهذا وجه حسن جدا للربط بين هذه الاية وما قبلها من السياق والمعاني

وهناك وجه اخر ذكره المفسرون وهو : (ان المنافقين طعنوا في ضرب اللاءامثال بالنار

والظلمات والرعد والبرق في قوله (مثلهم كمثل الذي استوقد نارا) . . .) (٢)

فكان هذا الرد القراني ووجه اخر هو ان الله سبحانه وتعالى عند ما تحدي

الكفار في الايات بسوره مثله في الايات السابقه ومن المعلوم ان الايات القرانيه

اشتملت على ضرب امثال بالبعوض والذباب والعنكبوت وغيرها . مما جعل الكفار يعترضون

(١) محمد عبدالله دراز الينا العظيم ص ١٧٦

(٢) الفخر الرازي التفسير الكبير ج ٣ ص ١٣٢

كيف يأتون بكلام يذكر محذرات الأمور فكان هذا الرد على تلك الشبهة (ان الله لا يستحي ان يضرب) ويقوي هذا الوجه ماورد في التفسير ان الكفار قد حوا في القران بسبب ذكر النحل والذباب الخ ٠٠٠ واشتمال القران عليها يقدر في فصاحته فضلا عن كونه معجزاً، فاجاب الله تعالى : بان صغر هذه الاشياء لا يقدر في الفصاحة اذا كان ذكرها مشتقاً على حكم بالغه (١) ٠٠٠ (١)

(كيف تكفرون) استفهام تعجبي ٠٠٠ (٢)

يحمل معنى التوبيخ والتقريع للكافرين يؤنبهم على كفرهم وترك عبادته الله و أوامره ويحذره من مغبة الاستمرار بالكفر (ثم اليه ترجعون) فمعها فعلتم وائتما ذهبتم ستعودون الى الله وهذا المعنى تأكيد للايات السابقة (يا ايها الناس اعبدوا ربكم) امر بالعبادة وهنا تقريع على الكفر نقيض العبادته والايمان . وهذه الاية بداية استهلال رائع لذكر نعم الله سبحانه وتعالى الموجبه لافراده بالعباده والازمان الكامل له وقد عدد هذه النعم من خلال ٢٨ - ٢٩

١- الاحياء من العدم ثم الاحياء بعد الاماته

٢- خلق ما في الارض جميعاً للناس

٣- خلق السماوات

٤- خلق ادم ابو البشر وجعله خليفه وتشريفه بسجود الملائكة له وقد فصل القول في

قصة ادم عليه السلام باعتباره ابا البشر جميعاً واول نبي وقد ناسب الحديث عنه باعتبار

نعمه خلقه وتشريفه وسجود الملائكة له وقبول توحيته بعد النسيان والخطا* وتبشير

(١) الفخر الرازي التفسير الكبير ج ٣ ص ١٣٢

و انظر النسفي ج ١ ص ٣٥

(٢) الزجاج معاني القران واعرابه ج ١ ص ٧٤

بالجنه له ولذريته من اطاع منهم وتخريف من عصى منهم بالنار . هذا الحديث ناسب
 ذكره بعد ذكر صاحب الرساله الاخير محمد صلى الله عليه وسلم - وما انزل عليه
 فمحمد سيد البشر واخر الانبياء وادم ابو البشر واول الانبياء وهنا اشاره يمكن ان
 نلمحها وهي (ان هذا النبا المنزل عليه الكتاب ليس بدعا من الرسل وان امر التشريع
 والنبوات امر قديم يتصل بنشأه الانسان . . . (١)

ويختتم هذا السياق بذكر نهاية المخالفين من بنى ادم ووصيرهم المشركين
 (والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ولا شك ان ذكر
 بنى اسرائيل مباشرة بعد هذه الايه يدل على انهم جزء من خالف وكذب بالايات
 وحرف فهم ممن يستحق النار، وحتى تقام الحجج عليهم ابتداءً السياق بتذكيرهم بنعمه
 عليهم على وجه الاجمال لا التفصيل .

(يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم واوفوا بعهدى اوفى بعهدكم

واياي فارهبون) :

طلب منهم عدة امور محصلتها الوفاء بالعهد وقد هُسر في الايات التالية :

- ١- الرهبه منه سبحانه
- ٢- الايمان بالقران المصدق للتراث
- ٣- تقوى الله وعدم الاكل بايات الله
- ٤- عدم كتمان الحق والباسه بالباطل
- ٥- القيام بالعبادات
- ٦- اقامه الصلاه
- ٧- اتباع الزكاه

٨- الأمر بالبر وفعله

٩- الاستعانة بالصبر والصلاة

ويمكن القول ان هذه الامور هي التي عهد بها الله الى بني اسرائيل
القيام فيها فتكون هذه الايات تفسيرا للعهد في الاية السابقة وقد ضم هذا المقطع
الايات من ٤٠ - ٤٦

ويعتد الخطاب في ذكر بني اسرائيل مستخدما الترغيب والترهيب معهم بقوله
يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما
لا تجزي نفس عن نفس ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون
(٤٧ - ٤٨)

وفي هذا الخطاب اجمال للنعم والتفضيل قد فسرها بما بعد ها من الايات
٠٠٠ (٤٩ - ٧٣) وهذه النعم لا تتضمن الذكر فحسب بل مقدار التزام بني اسرائيل
لتلك النعم واستخدامهم اياها بشكل سلبى ومقابلتهم لها بالعناد والاستكبار وهذا
التفضيل يتمثل في :

- ١- الانجاء من ال فرعون ومن عذابهم
- ٢- فرق البحر واغراق ال فرعون وهم ينظرون
- ٣- وعد موسى اربعين ليلة للقاء ربه وانزال اللوح
- ٤- العفو عنهم بعد اتخاذهم العجل للعبادة
- ٥- انزال الكتاب والفرقان على موسى عليه السلام وتحقيق الوعد
- ٦- البعث بعد الموت عند ما تجنوا وطلبوا رؤية الله جهرة

٧ - انزال المن والسلوى وتظليل الغمام

٨ - اخراج الماء من الحجر ١٢ عينا .

٩ - اخذ السيثاق ورفع الطور فوقهم اية ودليلا

١٠ - اخراج القاتل بطريقة ضربه ببعض البقرة ردعا للخلاف والشقاق بين قبائل اليهود .

وقد تخلل هذه الامور التي فضل الله بها بنى اسرائيل وجعلها نعماء عليهم تخللها منغصات

كان يقوم بها اليهود نلحها من خلال عدم الاستفادة والتقدير لهذه النعم .

وهي كالتالى :

١ - اتخان العجل الهيا من دون الله

٢ - طلب رؤية الله شرطا للايمان بموسى

٣ - عدم الاستجابة فى دخول القرية والاستغفار بل بدلوا القول

٤ - طلب الغوم والبصل بدلا من المن والسلوى استبدال الذى هو اذننى بالذى هو خير .

٥ - الكفر بايات الله

٦ - قتل الانبياء بغير حق

٧ - العصيان مع الاعتداء

٨ - الاعتداء فى يوم السبت مع انه محرم عليهم ذلك

٩ - التلوى فى ذبح البقرة وجدال موسى عليه السلام .

هذه الاعمال جميعا مما فعله بنو اسرائيل فى الازمنة الغابرة نتيجتها الحتمية ان

قدت قلوبهم فلم تعد تصلح للايمان واصبحت كالحجارة الصماء . وقد بين الله سبحانه

وتعالى هذه النتيجة بقوله :

" ثم قدت قلوبهم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر

منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله

وما الله بغافل عما تعملون *

بعد الوصول الى النتيجة هذه في بنى اسرائيل يوجه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين والرسول صلى الله عليه وسلم - بصيغة الاستفهام التقريبي وسترسلا في ذكر اعمال اخرى لليهود اخطر من الاعمال السابقة زمن النبوة وغيرها ويوضح صفاتهم واعتقاداتهم الخاطئة رادا عليها احيانا وتاركا الرد مرات اخرى . وقد بدأ المقطع بهذا الاستفهام التعجبي الذي يحصل معنى الانكار ان مثل هو "اليهود ممن وصلوا هذه المرحلة لا يرجى شفاؤهم ولا ترجى عودتهم الى طريق الحق " افتطمعون --- " اية ٧٥

حيث قال : " افتطمعون ان يؤمنوا لكم " .

اما وصلة الدخول من جديد الى اعمال اليهود الاخرى فقد كان ربط هذا الاستفهام من خلال جملة حالبة في " وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون " اية : ٧٥

وتتمثل هذه الاعمال في :

- ١ - تحريف كلام الله مع علمهم بهفطاعة ذلك
 - ٢ - استخدام اسلوب النفاق مع المؤمنين واخفاء العلم عنهم
 - ٣ - كتابة التوراة وادعاء ان ذلك من عند الله من قبل علمهم وتصديق الجحلة منهم ما يقال لهم بل انهم يدعون على الله ما لا يعلمون .
 - ٤ - الادعاء بان النار لن تسهم الا اياما معدودة وهذا من اسباب تماردهم وارتكابهم للجرائم . وقد رد عليهم القرآن بقوله :
- " بلى من كسب سيئة واحاطت خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون " اية ٨١-٨٢
- ٥ - وعن التولي وعدم تطبيق الميثاق والاعراض عنه وقد فسره سبحانه وتعالى في اية :
- لا تعبدون الا الله ، الاحسان بالوالدين وذى القربى والساكين واليتامى ، الامر بالمعروف

إقامة الصلاة إيتاء الزكاة ، وعدم سفك الدماء فيما بينهم ولا الاخراج من الارض . اية ٨٣ - ٨٤

- ٦ - مفاداة الامرى والمظاهرة بالاثم والعدوان اية ٨٥
- ٧ - ايمانهم بما يلائم نفوسهم وتركهم باقى الاحكام اية ٨٥
- ٨ - قتل الانبياء وتكذيبهم اية ٨٧
- ٩ - عدم الايصاغ سماع الحق " وقالوا طوبىناظف " اية ٨٨
- ١٠ - الكفر بما انزل محمد - صلى الله عليه وسلم - اية ٩٠
- ١١ - ادعائهم للايمان بالتوراة فقط دون رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - اية ٩١
- ١٢ - عبادة العجل
- ١٣ - التصك بالحياة الدنيا مهما كانت اية ٩٤
- ١٤ - ادعاء ان الاخرة لهم وحدهم اية ٩٦
- ١٥ - العداوة لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال اية ٩٨
- ١٦ - عدم الوفاء بالعهد وتكرار قطعه واتباع ما يضرهم وما لا ينفعهم من اعمال الشياطين واشتغالهم بالشر ونهذ التوراة وتركها اية ١٠٢
- ١٧ - الاستهزاء بمقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بقولهم " راعنا " ليا بالسنتهم ومع ان الخطاب ظاهرة انه للمؤمنين " يا ايها الذين امنوا لا تقولوا " راعنا " الا ان هذه العبارة كما في اسباب النزول ان اليهود كانوا يستخدمونها على غير معناها الحقيقي لذلك نهى الله المؤمنين ان يقلدوا اليهود في هذه الكلمة مع ان قصد المؤمنين ليس الاستهزاء . وكان اليهود اذا حضروا للقاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - اظهروا له احتراماً جماً بينهم اجتمعوا في سرايرهم لاهانتهم والاستخفاف به فكانوا يستخدمون الفاظاً او يلوون نطق كلمات معينة فتصبح شتائم واهانات فكانوا اذا ارادوا مثلاً لفت انتباهه قالوا له " راعنا " وهى كلمة تعنى انتبه اليها كما ان هناك كلمة تماثلها في النطق في اللغة العبرية

تعنى " اتسمع ام انت اصم " كذلك فهي تعنى فى العربية الا الجاهل - من الرعونة -
وتعنى فى العامية " ان سمعة لنا فنسمع لك " ثم بحركة خفيفة فى النطق تصبح راعينا
" اى من يرضى لنا الغنم " . . . (١)

ومع بداية هذا المقطع نجد ان الايات اتخذت طريقا اخر هو تحذير المؤمنين من السير
على منوال اليهود والسماع لهم " يا ايها الذين اموالا تقولوا راعنا --- " اية : ١٠٤
احذروهم منهم لكم حسده " ما يود الذين كفروا --- " اية : ١٠٥
وقد حاول اليهود ان يفتن المؤمنين ايضا بقولهم : " ما دام الاله واحد فلماذا هذه
الافترايات فى الاحكام بين القران والتوراة فلو كان القران صحيحا فكيف يامر الله باشياء
تختلف عما جاء فى الكتب السابقة " --- (٢)

فجاء ايضا قوله تعالى : " ما ننسخ من اية او ننسخها نأت بخير منها " اية : ١٠٦
ومن التحذيرات للمؤمنين عدم اتباع طرق اليهود فى كثرة القا الاسئلة على النسبي
- صلى الله عليه وسلم - اية : ١٠٨

وتحذيرهم من ان هؤلاء اليهود يبتغون لو أتكم على طريقتهم فى الكفر حسدا لكم . ثم امر
باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والصدقات اى اتركوا اليهود واصرفوا اوقاتكم فى فعل الخير اية ١١٠
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى " اية : ١١١

هذا المقطع ايضا امتداد لما ذكره سبحانه وتعالى من صفات اليهود الحاقدة الا ان الجذ
فيه عما سبقه ان اليهود الا ان يشتركون مع غيرهم من اهل الكتب والمشركين فى صفات :-

١ - الادعاء بان دخول الجنة مختص باليهود والنصارى اية : ١١١ - ١١٢

٢ - طعن اليهود بكتب النصارى ونهية عيسى والعكس طعن النصارى باليهود اية : ١١٣

- ٣- الاشتراك في منع الناس من الايمان واعدار المساجد كما يفعل المشركون الان
(ومن اظلم ممن منع) ايه ١١٤ وبين ايضا سبحانه ان العباد لله لا
يحدد لها مكان لا مسجد ولا بين وله المشرق والمغرب ايه ١١٥
- ٤- اشتراك اليهود والنصارى بالقول بان لله ولد والرد عليهم وعدم الايمان حتى
يروا الله او يكلمهم. اية ١١٦ - ١١٨
- ٥- الاشتراك في عدم الايمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - حتى يكون على
شاكلتهم ١١٩ - ١٢٠ وينتهي هذا المقطع ببيان ان هناك قوم من اليهود
والنصارى مستثنون ٠٠٠ الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حتى تلاوته اولئك
يوؤمنون به ٠٠٠ ١٢١ ٠٠٠ (١)
- يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين

١٢٢ ٠٠٠

للمرة الثالثة تتكرر مثل هذه الاية وكا'نها تشعر ان ما بعدها قضية جديدة
ستثار حول مسائل من مسائل عناد اليهود واستكبارهم او مغالطاتهم ومن اكبر المغالطات
اليهودية - وهم ممن يمكن المدينة - ادعائهم ان ابراهيم - عليه السلام - يمثل
المسلمين الأول، ومن في عهد رسول الله هم المسلمون الآخر، فمن اجل احقاق الحق و
بيان حقيقة هذه الشخصية المختلف فيها من قبل اهل الكتاب هود ونصاري ومن قبل

(١) محمد عبدالله دراز النبأ العظيم ص ١٨٣

وانظر المودودي في تفهيم القران ص ٩٧

المسلمين جلت الايات القادمة صورتها باء وض مقال طالبه من اليهود اتباع هذه
 الملكة الحنيفة والسير على منوالها . ويبدأ الخطاب ببيان عظم البلوي القاصيات
 هذا النبي ابتلاء من الله وقد خسر ذلك بايات اخري كثيرة وان ابتلى ابراهيم ربه
 بكلمات ٠٠٠ ايه ١٢٤

ثم الحديث عن بناء الكعبة ودعوة ابراهيم للناس بالرزق والدعاء بجعلهم
 مسلمين وهذا فيه اشارة الى ان دين محمد - صلى الله عليه وسلم - هو دين الحق
 وامتداد لدين ابينا ابراهيم ثم دعوة بعث الرسول في مكة ٠٠٠ وابعث فيهم رسولا منهم
 ١٠٠٠ ايه ١٢٩

ثم وصاية ابراهيم لابنائه ومنهم يعقوب باتباع هذا الدين ووصية يعقوب
 لابنائه وهم بنو اسرائيل ايه ١٣٣

وتقرر الايات ايضا ان انتساب اليهود الى ابراهيم - عليه السلام - لا ينفعهم
 وهم ليسوا على طريقه وليس للنسب والقرابة اي اثر في دين وادب تلك امه قد خلت لها
 ما كسبت ٠٠٠ ايه ١٣٤

ويؤكد هذه الاية باية بعدها تحمل اشارة ان المؤمنين الحق بالانتساب
 الى ابراهيم عليه السلام لانهم على دينه وطريقه ٠٠٠ وان صبغته الله هو في الايمان
 بكل الرسل على طريقه الاسلام ٠٠٠ ايه ١٣٥ - ١٤١
 سيقول السفهاء من الناس ٠٠٠ ١٤٢ - ١٥٠

المعلوم ان ابراهيم واسماعيل هما اللذان بنيا الكعبة بيت الله وان الرسول
 صلى الله عليه وسلم - وصحبه من المسلمين هم اولى الناس بابراهيم - عليه السلام -
 وبالتالي اولى الناس باتباع ملقه وشريعته ونسكه، ومن تلك النسك الكعبة التي بناها -
 عليه السلام - ولها هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتحول عن قلبه الشام الى

مكة المكرمة تنفيذاً لأمراء الله وتأصيلاً لاتباع مله إبراهيم . وتدور الاسئلة وتطلق
 الاسئلة من اليهود السفهاء يطعنون بهذا الدين بسبب هذا التحول (سيقول السفهاء
 من الناصريين ولا هم عن قبلتهم) ويكون الجواب قل لله المشرق والمغرب) ايه ١٤٢
 ولا شك ان في تحول المسلمين عن قبله اليهود الى قبله خاصة بهم فيها ايدان
 بالمغارات بين الفئتين واشارة لسحب القيادة العالمية من بني اسرائيل الى المسلمين
 اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم (٠) (١)

بل تتعدى ذلك الى استازية الاديان والاقوام (وكذلك جعلناكم امة وسطا
 —) اما القبلة الاولى . قبله بين المقدس (فما كانت الا مسأله وقيمه واختيار
 ايمانى ربانى . وتستمر الايات ببيان اهمية هذه القبلة وتؤكد التحول اليها (قد نرى
 تقلب وجهك) وبين استحالة قبول اليهود لهذه القبلة مع علمهم انها قبله
 حق ويحذر من اتباع قبله اليهود او الناصري الذين يعتقدون بقبلتهم ايضا (ولكل وجه
 هو موليا) وتنتهي هذه الايات ببيان ان هذه القبلة هي من اتمام النعمة ورمزا
 للزعامة الجديدة من الامة الوسطى (٠) (٢)

وان هذا من اتمام النعمة على المؤمنين لا تقل عن نعمة ارسال الرسول
 محمد - صلى الله عليه وسلم - (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ونزكيبكم
 ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) ايه ١٥١ وهذا الارسال وهذه
 النعم تحتاج الى شكر وذكر (فاذكروني اذ كرم) ايه ١٥٢
 (يا ايها الذين امنوا استعينوا . . . هم المهتدون) ١٥٣ - ١٥٧

(١) المودودي تفهيم القرآن ص ١٠٨

(٢) السابق ص ١١٢

لأول وهله يظهر هذا المقطع من الآيات وكأنه لعلاقه له بما سبقه
 فالحديث كان عن القبلة وقصه تغيرها وموقف أهل الكتاب من هذا التغير وان
 تغيرها يعد نعمه عظيمه وتشريع رباني حكيم ويحتاج الى شكر وذكر اما طلب
 الاستعانه بالصبر والصلاه ثم مسأله القتال في سبيل الله وتسميه القتلى بالشهداء
 والاحياء وذكر البلوى بالخوف والنفوس والاموال والشمرات ونزول المصائب ١٥٣ - ١٥٧
 فان هذا السياق يبدو عليه الفصل مع ما سبقه. والمتمعن في الآيات يتضح
 له دقه الربط والتناسب ان الآيات التي تحدث بشأن الكعبه واثارت بذلك جدلا
 طويلا مع اليهود وغيرهم المحن الى ان كلاً له في النهايه وجهه يتجه اليها وان
 قتالارما يحدث بعد هذا الجدل اشارن اليه الايه (١٥٠) فلا تخشوهم واخشوني
 وهذا القتال يحتاج في الحقيقه الى امور عدة أهمها الاستعانه بالصبر والصلاه ثم
 التيقن بان الشهيد حى يرزق عند ربه وان الله لا بد ان يبتلى الناس باصناف
 البلوى ولمن صبر على ذلك فله الاجر والبشرى .

وقد اشار الى مثل هذا (د . محمد دراز) عند حديثه عن القبلة فقال
 . . . واخيرا هي القبلة التي لا يبقى لأحد من المنصفين حجه عليكم. اما الظالمون
 فلن ينقطع جدالهم في شأنها ما بقيت عداواتهم لكم : ولكن لا تخشوهم بل وطنوا
 انفسكم على التضحية في سبيل الله واصبروا ولا تحزنوا على من سيقتل منكم في هذه
 السبيل فان الموت فيها هو الحياه الباقيه (١٠٠) (١)

أما الشيخ ابو الاعلى المودودي رحمه الله - الذي اعتبر تحول القبلة
 رمز تغيير الزعامه والامامه من بنى اسرائيل الى المسلمين قال : (بعد ان عين الله

المؤمنين أئمة وزعماء بدأ سبحانه وتعالى يخاطبهم ويسدي اليهم النصائح والتعاليم والتوجيهات الهامة اللازمة لتدريبهم وتمكينهم من القيام بما يفرضه عليهم المنصب الجديد وأول أمر نبههم الله إليه هو أن الإمامة والزعامة ليست مقام نعيم قد فرسند سا ونثرو روبا بل هي منصب يحفه الشوك وتملؤه المصاعب والمخاطر وسوف تظهر لكم في هذا الطريق أقسى أنواع العوائق والصعوبات وأكثر ألوان القتن والمشيطات حيث تتجرعون المعانات وتذوقون الآلام والنائر الكبرى فإن تحملتم كل هاتيك المحن بصبر وثبات وواصلتم السير في طريق الله فسوف يمطركم الله نعمات وبركات ومننا وعظاوات لا تعد ولا تحصى . . . ان الصبر والصلاة سوف يخلق فيكم الطاقة المطلوبة لتحمل اعباء المسؤولية التي اسندت اليكم . . . (١)

(ان الصفا والمرود من شعائر الله . . . (١٥٨ - ١٧٧)

الجدال السابق في مسألة القبلة والوصول الى نتيجة التوجه الى مكة المكرمة جعلت بعض افراد الامة المسلمة يتخرجون كيف يلبون النداء ويقومون بالشعائر مثل العمرة المرتبطة ارتباطا وثيقا بالقبلة والحج مع وجود ما يعكس صفو التوحيد من الاصنام والحجارة التي استمر وجودها في الكعبة ومناطق النسك الصفا والمرود . . . ولى هذه الالية اى اخرى تحمل على اهل الكتاب الذين كثر جدا لهم في فضيحة الكعبة والقبلة وتحملهم مسؤولية اخفاء الحق وتدعوهم للتوبة وبيان الحق ثم نرى الخطاب يهيد الى كفار قريش الذين وضعوا تلك الاصنام في الكعبة مما جعل المسلمون يخرجون من اداء المناسك والعبادة . . . وشئت على كفار العذاب يوم القيامة على من مات منهم على كفره وفي هذا من التحذير والتخويف لمن بقى على كفره في مكة حتى يتراجع عن ذلك . . .

ثم يقرر سبحانه وتعالى وحدانيته (والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن

(١) الموسوي توفيق فهم القرآن ص ١١٣

(الرحيم) آية ١٦٣ دال على ذلك ببعض الدلائل الوجودية خلق السماوات
 اختلاف الليل والنهار ٠٠٠ الخ (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل
 والنهار ٠٠٠) ١٦٣

وتستمرس الايات باثبات الزحديّة وعدم الاشرار وتعد مظاهره بعد
 مظاهره مثل صرف الحب لغير الله (ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم
 كحب الله ٠٠٠ ثم يبين مظهر المحب والمحبوب في هذه الحالة) ان تبرأ الذين اتبعوا
 من الذين اتبعوا ١٦٧ ثم يبين مظهرا اخر يمتثل في التحليل والتحرّم (يا ايها
 الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)
 ١٦٨ ٠٠٠ ومن المعروف ان الشيطان اول ما يدخل على الانسان من باب الحلال
 والحرام فيحرم الانسان ما احل الله له كما فعلت بنو اسرائيل وكما فعلت العرب في
 الاشهر الحرم (انما يامركم بالسوء والفسخاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) ١٦٩
 وكما يقول السيد قطب : (وهكذا يرتبط التشريع بالعقيد بل افكاك) ٠٠٠ (١)
 ثم تندد الآية التي تليها بمن يرفض ان يكون الله هو المحلل المحرم (واذا
 قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباؤنا) آية ١٧٠ ثم يؤكد
 التفرج على هؤلاء المقلدين البيغاوات ويرسم لهم صورة رزية تليف بهذا التقليد وهذا
 الجمود صورة البهيمة السارحة التي لا تفقه ما يقال لها بل اذا صاح بها راعبها
 سمعت مجرد صوت لا تفقه ما اذا يعنى بل هم اضل من هذه البهيمه ٠٠٠ (٢)
 (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء ٠٠٠ (١٧١))

(١) سيد قطب الظلال ج ١ ص ٢١٨

(٢)

وبعد هذا التنديد نراه - سبحانه وتعالى - يقوم بالخطاب للمؤمنين خاصة هوذا لهم ما حرم عليهم وهي اشياء معدود مستثيا المضطربا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ٠٠٠ ١٧٢ - ١٧٣

وينتهي هذا المقطع بالتنديد العام على كل من كتم علما ربانيا او كل بالايات وان مصيرهم الى النار (ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتب ٠٠٠ (١٧٤ - ١٧٦) وما من شك ان ذكر مسائل خاصة في قضايا التوحيد في هذا المقطع بعد ذكر الجدل في الكعبة وذكر الصفا والمروة والشعائر لدليل اكيد على ما يجب ان يعيه الانسان المسلم من ان هذه الشعائر والشكليات ما هي الا مظاهر عبادة لا معبودة في حد ذاتها وان المعبود هو الله - سبحانه وتعالى - المتوحد صاحب القدرة الرب الخالق الرازق المحلل والمحرم الواجب الطاعة ، القادر على تعذيب المخالفين . وبعد ذلك كله نجد يختتم هذه الاحداث المتعلقة تبعا في تفهيمه القبلة بالقول ان البر ليس فقط في تلك الجزئيات والشكليات السهلة بل ان البر ذو مصادر متعددة ابلغ من تلك الشكليات . ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن (٠٠٠ ١٧٧

يقول محمد دراز : (ان مسألة تعيين الاماكن والجهات في مظاهر العبادات تلك المسألة التي شغلت بال المخالفين والمؤلفين نقدا وردا ليست هي كل ما يطلب الاشتغال به من امر البر بل هي شعبة واحدة من جملة الشعب التي تشتمل عليها خصله واحدة من جملة خصاله ، وانما البركلية جامعة لخصال الخير كلها نظرية وعملية في معاملة المخلوق وعبادة الخالق . وتركيبه الاخلاق في تلك الخصال جميعها فلتشغل المؤمنون الصادقون (٠٠٠ (١)

ويذكر الشيخ طنطاوي جوهرى ايضا : (لما ذكر الله - عزوجل - احوال الكافرين والمنافقين وخبائث اليهود ورجس العرب المشركين وما احلوا من المحرمات وحرموا ما احل الله طفق يذكر هيثم البر وتمام الايمان وجماع خصال الخير فقال : ليس البر . . . الخ . . . (١)

وقد ورد فى اسباب نزول هذه الايات ما يدل على صلتها بما قبلها من المعانى فقد ورد ان اليهود قد اکتروا الحديث واللہج فى بيت المقدس واكثر النصارى الحديث بالشرق واكثر المسلمون الكلام فى التوجه نحو الكعبة فاهتموا بهذه الشكليات فنزل قوله تعالى (ليس البر . . .) (٢)

ولما كان التشريع الاسلاہى واتباعه من اعظم ابواب البر نزاه فى الايات القادمة حتى نهاية السورة تقريبا يشرع فى بيان الاحكام التشريعية الخاصة بائمة محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن المعلوم بالضرورة ان الايمان بالله الخالق الرازق يسبق الايمان بالكتب والرسول - صلى الله عليه وسلم - ويسبق دحض شبهات المخالفين من امثال اليهود والنصارى . وبعد تقرير قاعدة واصل الايمان يبدأ التلقى للاحكام التى هى بمثابة الفرع لذلك الاصل الكبير فلذلك جاء ذكر الاحكام فى هذه السورة بعد تقرير مبدا اللوہية ودحض الشبهات حول العقائد والرسالة . وبعد توجيه الخطاب للاهتمام باء بواب الخير لا الشكليات فقط - وقد تضمنت اية البر الحديث عن الايمان بالله . واليوم الاخر والملائكة والكتاب والرسول والتصدق فى ابوابه ثم الصلاة والزكاة والوفاء بالعهد والصبر فى الباء ساء والضراء . . .) وهذه كلها جوامع الخير . اما اسباب نزول هذه الاية وفيمن فقد ذكر الراغب ان : الخطاب فى هذه الاية للكفار

(١) طنطاوي جوهرى الجواهر فى تفسير القرآن الكريم ج ١ ص ١٦٩

(٢) السابق ج ١ ص ١٦٩

والمناخين الذين انكروا تغيير القبلة وقيل بل لهم وللمؤمنين حيث قد يرون انهم نالوا
البركة بالتوجه اليها ٠٠٠ (١)

على ان الآية لم تحدد وجه الخطاب ويجوز ان يكون الخطاب لكل للوجه
معينه ٠ اما الاحكام التي شرعت الايات ببيانها فشمط على : احكام القصاص والوصية
والصوم والجهاد والحج والخمر والميسر واحكام تتعلق باليتامى والنكاح والمحيض والحلف
بالله والطلاق والرضاعة والعدو ثم احكام خاصة بالجهاد ثم بعض صفات الرسل وصفات
الله (الله لا اله الا هو الحي القيوم) ثم معاملات كالربا والرهن ثم الختام ٠

واول احكام شرعتها الايات ما يتعلق بمسألة الدماء التي تعد من اخطر
المسائل بين البشر فالجور فيها يؤدي الى مزيد من سفك الدماء ومزيد قتل للجنس
البشري فكان الحديث عنها في مقدمة الاحكام لاهلها من اهمية خاصة (يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى — ١٧٩)

والناظر في آية البريجه انما تحدثت عن ثلاثة انواع من الصبر: الصبر في
البأس والضراء وحين البأس والقصاص نوع من الصبر حين البأس فناسب ذكره بعد اختتام
آية البرقال محمد بن دراز : — وعن هذا الصبر (حين البأس) (لا تحسبه ففاصبرا
على الجروح والقروح في الحرب فذلك معنى سلبي استسلامي ولا تحسبه صبورا في البطش
والفتك بالاعداء فذلك جهد عملي ايجابي حقا ولكن مرده الى قوة العضل والعصب
لا الى قوة الخلق والادب (ليس الشديد بالصرعه ما ولكنه الذي يملك نفسه عند الغضب)
هكذا سيختار الله لنا من مثل الصبر امثلها ومن موازنه او زنها في معايير القيم : ذلك
هو ضبط النفس حين البأس كفا لها عن الاندفاع وراء الانتقام وردعا لها عن الاسراف

(١) محمد جمال الدين القاسمي تفسير القاسمي المسمى بحاسن الكرم

في القتل وقوما بها عند حد التعاثل والتكافؤ العادل . . . (١)

وبلى القصاص في الاحكام الشرعية حكم الوصية، والعلاقة واضحة في ان

القصاص من احكامه الموت والمعيت لابد ان يوص من بعده لما يراه مناسباً سواء كان

بالنسبة للمال او الولد قال العلامة طنطاوي : (ولما كان الانسان بالقتل او الموت

مفارقاً الديار وعليه ان لا يذر ورثته يتخبطون خبط عشواء ذكر الله حكماً عاماً لكل من

دنت وفاته وحضرت ميتته) . . . (٢)

(كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين)

١٨٠ - ١٨٢

ذكر صاحب روح المعاني فقال في هذه الآية قوله تعالى (كتب عليكم اذا

حضر احدكم الموت . . .) ببيان حكم اخر من الاحكام المذكورة منفصلة عما سبق

للدلالة على كونه حكماً مستقلاً - كما فصل اللاحق لذلك - ولم يصدره . . . (يا ايها

الذين امنوا) لقرب العهد بالتيينه مع ملابسته بالسابق في كون كل منهما متعلقاً

بالاموات، وانه لما لم يكن شاقاً لم يصدره كما صدر الشاق تنشيطاً لفعله) . . . (٣)

ويمكن القول ايضاً ان تداعى المعاني يسوقنا من الحديث عن القتل الى

الحديث عن هم بشرف الموت وقد ناسب تميم الكلام ببيان ما يجب على المحتضر من

الوصية لا قاره برأ بهم) . . . (٤)

(١) د محمد دراز النبا العظيم ص ١٩٧

(٢) طنطاوي جوهر الجواهر ص ١٧٠

(٣) السيد محمود اللوسى البغدادي روح المعاني ج ٢ ص ٥٢

(٤) محمد عبدالله دراز النبا العظيم ص ١٩٧

ثم تتوالى مباشرة احكام خاصة بالصيام (يا ايها الذين امنوا كتب عليكم

الصيام) (١٨٣-١٨٢) (ان الوصية احسان وتجاوز عن المعاصم وايتثار) فكانت

مما يطلبه علم الاخلاق من تعالى عن الاستخداع للشهوات فناسب ان يعقبها الصوم
واحكامه . والفديقه من الهاجز ، كالشيخ الحرم والمريض مرضا لا يرجى بروه . فالصوم
تهذيب وتاديب للقوى الشهويه وكذلك الوصيه والفديقه كلاهما ترك للحرص على المال
الذي هو من اكبر اللغات ووزائل الاخلاق فنظم الله عزوجل تبذ الحرص بعد الموت و
الحرص في الدنيا في سعط ولزهما في قرن (١٠٠٠) (١)

أو يمكن القول انه تفسير للصبر والضراء كما قال محمد عبد الله دراز (وليس

الصبر على الامراض والالام باطلاق ولكنه الصبر على الظلم والمخمصه في طاعة الله . .

١٠٠٠ (٢)

وفي خلال الحديث عن الصوم نجد هذه الايه (واذا سألك عبادي عنى

فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلمهم يرشدون)

١٨٦ . . .

والمناسبه بينها وبين الحديث عن الصيام ظاهرة لما فى الصيام من تقرب

الى الله سبحانه وتعالى وشعوره الانسان بالضعف من جراء الجوع والعطش وبالتالى

معرفة الانسان لمقدار النعم عليه من الله سبحانه وتعالى فيقوم بالواجب من شكر

النعم واللحج بالدعاء لحفظها ويقائها . والتناسب عند اللوسى يتمثل فى انه (لما

امرهم - سبحانه وتعالى - بصوم الشهر ومراعاة العده وحتمهم على القيام بوظائف

(١) طنطاوي جوهرى الجواهر ص ١٧١

(٢) محمد دراز النبأ العظيم ص ١٩٢

التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة على انه تعالى خبير باعمالهم سميع لاقوالهم
مجازيهم على اعمالهم تاكيدا له وحثا عليه او انه لما نسخ الاحكام في الصوم ذكر
هذه الآية الدالة على كمال علمه بحال العباد وكمال قدرته عليهم ونهايته لطفه بهم في
اشاء نسخ الاحكام تركينا لهم في الايمان وتقريراً لهم على الاستجابة لآن مقام النسخ
من رمضان الوسوسة والتزلزل فالجملة على تقدير اعتراضية بين كلامين متصلين، معنى
اُحدهما ما تقدم، والثاني قوله سبحانه وتعالى (احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم)
٠٠٠ (١٨٧)

وفي نهاية الحديث عن الصيام نجد هذه الآية (ولا تاكلوا اموالكم بينكم
الباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون) ١٨٨
ومضمونها النهي عن اكل اموال الناس بالباطل ومناسبة ذكره في نهاية
الحديث عن الصوم هو ان الصيام صوم مؤقت عن بعض الحلال فناسب في النهاية ان
يتحدث عن الصوم الدائم وهو صوم الانسان عن استباحة اموال الناس ظلما وعدوانا
واكلها باطلا وعبر بالاكل هنا لانفاة معنى الاخذ والاستيلاء لانه اهم الحوائج وبه
يحصل اتلاف المال غالبا ٠٠٠ (١)

وهناك وجه اخر هو انه لما كان الصيام والغدية والوصية تصرفا في حال و
قعا للقوة الشهوية ٠٠٠ ناسب ان يلحق به الاولياء اي الالتقاء بحكومات لاموال الى
الحكام ٠٠٠ (٢)

ثم ينتقل الحديث الى حكم اخر هو حكم الحج اما المعبر فكان الآية المشتركة

(١) السيد اللوس روح المعاني ج ٢ ص ٧٠ وانظر محمد عبد الله دراز

النبأ العظيم ص ١٩٧

(٢) طنطاوي جوهرى الجواهر ج ٢ ص ١٧٨

ذات الداليتين بين حكمي الحج والصوم فمن المعروف ان العرب تعتمد الاشهر الهجرية
 التي تسير حسب النظام القمري وهام الصحابة يسألون رسول الله - صلى الله عليه
 وسلم - عن الالهة (جمع هلال) عن الحكمة في اختلاف حالها وتبدل امرها فامرهم
 سبحانه وتعالى - ان يجيبهم باءن الحكمة الظاهرة في ذلك ان تكون معالم للناس
 في عبادتهم لا سيما الحج . . . (١)

فالْحج والصوم ركنان مرتبطان بالقرآن، فيما ارتباط وقد تحدث في السابق عن
 الصوم وهنا يبدأ الحديث عن الحج والعمرة بعد بيان عادات سيئة ترتبط في الحج .
 وهي عادة دخول الناس من كوات خلف البيوت فامضار الى ان هذا ليس من البر . . .
 . . . (٢)

(يسألونك عن الالهة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بان تأتوا البيوت
 من ظهورها ولكن البر من التقى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ١٨٦٠
 والمعنى بالابيات لا يجد بها ذكرت الحج مباشرة بل هناك ست آيات تتحدث
 عن الجهاد (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وتعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)
 . . . ١٩٠ - ١٩٥

ثم يبدأ الحديث عن الحج والعمرة واتوا الحج والعمرة لله فان احدرتم فما
 استيسر من الهدي ولا تحنقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله (١٩٦٠ . . .)
 والتناسب بين ذكرايات الجهاد هذه بعد الصيام هو : (لما كان الصوم
 والاعتكاف كفاً للنفس عن الشهوات والقتال وملاقاة الاعداء من اهم انواع الصبر تناسب
 ان يلزا في قرن وتنظم جوهره الصيام ولذلك الجهاد سمى واحدا فكلاهما صبر وكلاهما

(١) طنطاوي جوهري الجواهر ج ٥ ص ١٥٠

(٢) ابو السعود تفسير السعود ج ١ ص ٢٠٣

رفع للنفس عن حال البهيمه ؛ فالصوم تعالى النفس عن شهوة الطعام والذلة للحطام
والجهاد رفع لها عن ان تستحذي للظالمين وتذل للقاهرين فالصوم جهاد اللامنين
والقتال جهاد الخائفين على الاعراض والاموال والانسان في جهاد مستمر وعمل
دائم اللانسان في الحياة محوط بالاعداء من كل جانب فمنهم من هم في داخل جسمه
كالثهوات ومنهم من هم خارجه كالحيوان الكاسر والعدو المهاجم ، فليبدأ بقتال عدوه
الداخلي فاذا فرغ منه فما احراه ان يقهر الاعداء المهاجمين (١)

والاقوي من هذه الدلائل كما ذكره الدكتور بن دراز حيث اعتبر هذه الايات
الجهاد بشقيه جهاد الشوكه وهو القتال والجهاد بلا شوكه وهو الحج اعتبرهما بياناً
وللصبر في الماساة من قوله تعالى في اية البر (والصابرين في الباء ساء والضراء و
حين الباء س ١٧٧ (٢)

ويحدثنا عن سر الفصل بين الاية التي بدأت ذكر الحج وبين احكام الحج
بايات الجهاد يقول : (انه حين بدئي بذكر الحج لم تتصل به احكام ولا بل فصل
بين اصله وحكمه بست ايات في احكام الجهاد بالنفس والمال في قتال الاعداء
فاصله يحسبها الجاهل رقعة غريبة في ثوب المعنى الجديد

(١) طنطاوي جوهري الجواهر ج ١ - ٢ ص ١٨٠

(٢) محمد عبدالله دراز النبأ العظيم ص ١٩٦ - ١٩٧

ولكن الذى يعرف تاريخ الاسلام واسباب نزول القران يعرف ما لهذه الفاصلة من شرف الموقع ، واصابة المحزلا لمجرد الاقتران الزمانى بين تشريح الحج وبين غزوة الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة . ولكن لان اداء المناسك فى ذلك العام كان عزيمة لم ينفذ واملا لم يتحقق ، اذا احصر المسلمون يومئذ عن البيت واهلوا ان يبطشوا باعدائهم الذين صدوهم عنه ، لولا ان الله نهاهم عن البعد بالعدوان وامرهم الا يقاتلوا فى المسجد الحرام الا من قاتلهم فيه ، فانصرفوا راجعين مستسلمين لامر الله منتظرين تحقيق وعد الله فكذلك فليُنصَرَفِ القارى او المستمع ها هنا هو متعطر لا تمام حديث الحج على ان يعود اليه بعد فاصل . كما انصرف المسلمون ان ذاك عن طعة وهم اليها متعطشون على ان يعودوا اليها من عام قابل هكذا كانت هذه الايات الفاصلة تذكارا خالدا لتلك الاحداث الاولى . . . (١)

ثم تستمر الايات فى حديثها عن احكام الحج والعمرة : " واتموا الحج والعمرة (٢) " وهذه الاية تقر بعض احكام الحج وتستثني من الاتمام حالة الاحصار والمرض وتبين الكفارات فى ذلك والاية التى تليها تبين زمن الحج : " الحج اشهر معلومات اية ١٩٧ ثم تذكر التى تليها بعض الشعاعر : " فاذا افضتم من عرفات " -- " ثم افوضوا من حيث افاض الناس " ثم تفاد الناس والدعاء والذكر فى ايام معدودات هى ايام البقرتين ! فالآيات قد ذكرت الاحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة والتحليل وفى قوله تعالى : " لهن عليكم جناح ان تهتغوا فضلا من ربكم " -- اية ١٩٨

نرى ترتيب هذه الايات بعد قوله تعالى : " وتذودوا فان خير زاد التقوى " .
ومر ذلك انها نزلت فى اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتذودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس فامروا بالتزود

(١) محمد دراز : النبأ العظيم ص ١٩٨ ، ١٩٩ . (٢) سورة البقرة اية ١٩٩ ، ٢٠٣

وقد ناسب ان ياتي بعدها بما يناسبها من التكسب حيث كان للعرب ايام جاهليتهم

تجارات في سوق عكاظ وذى المجاز ومجنة فتاشوا ان يتجروا فيها فنزل قوله تعالى :

" ليس عليكم جناح ان تهتفوا فضلا من ربكم " --- (١)

ثم ارشد تهم الايات بعد قضا المناسك الى ذكر الله بدلا من ذكر الالهة التي كانوا

يفعلونها في الجاهلية وعلمتهم كيفية الدعاء والذكر : " ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا

حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " اية ٢٠١ --- (٢)

قال الامام الفخر الرازي : " اعلم ان الله تعالى بين اولا تفصيل مناسك الحج ثم امر

بعدها بالذكر فقال : " فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام " الخ . . .

ثم بين ان الاولى ان يترك ذكر غيره وان يقتصر على ذكره فقال : " فاذكروا الله كذا ذكركم

الاهل كم --- " ثم بين بعد ذلك كيفية الدعاء فقال : " فمن الناس من يقول -- " وما احسن

هذا الترتيب ! فانه لا بد من الاشتغال بذكر الله تعالى لتنوير القلب وتجلى نور جلاله

ثم بعد ذلك الذكر يشتغل الرجل بالدعاء فان الدعاء انما يكمل اذا كان سبوقا بالذكر^(٣)

ونلاحظ ايضا ان الايات القرآنية التالية تسترسل في تقسيم الناس الى قسمين مشيرة فسي

ذلك الى ان الاعمال انما هي بالنيات وان الناس منهم من جبل على الخير وطلب الآخرة

ويشتري نفسه ابتغاء مرضات الله واذا دعا طلب في دعائه الآخرة ومنهم جنس مقابل اذا

دعا طلب الدنيا فخاصم يسعى في الارض الفساد واذا قيل له اتق الله اخذت العزة

بالاثم " --- اية ٢٠٠ - ٢٠٧

(١) طنطاوى جوهرى : الجواهر ج ١ ص ١٨٨ . (٢) الجواهر لطنطاوى ج ١ ص ١٨٨

(٣) الفخر الرازي ج ٣ : وانظر القاسمي ج ٢ ص ١٦٤ .

ثم تتوجه الايات بالنصح والارشاد للمؤمنين خاصة للدخول في السلم كافة والتخلص من شوائب الهوى وتصحيح النيات وتحذيرهم من عاقبة الامور التي مرجعها الى الله سبحانه وتعالى : " يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة " اية ٢٠٧ - ٢١٠

ويضرب الله لهم الامثال في الامم السابقة من بنى اسرائيل وغيرهم من اهل الهدى والحق وكيف تبع اهل الحق الهدى وتبع اهل الباطل الضلال مهينا ان دخول الجنة لا يتم الا من خلال اختبارات رهيبة صعبة كالجهاد والقتال " ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب " اية ٢١١ - ٢١٤

ثم يتحدث عن الانفاق وهي مسألة ذات اهمية خاصة في سائل الجهاد فالجهاد ليس فقط بالنفس . وانما بالمال والجهاد يحتاج الى اموال طائفة فناسب ذكر الاية التالية (١)

" يسألونك ماذا ينفقون --- " اية ٢١٥

ثم تبين الاية الجهاد بطرق تامة تغور فيه الى اعماق النفس ،

" كتب عليكم القتال وهو كره لكم --- " اية ٢١٦

ويختتم الحديث عن الجهاد المتعلق بسائل الحج باية جامعة لهما معا وهو سئلة جواز القتال في الاشهر الحرم التي يتم الحج من خلال بعضها يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه --- وتبين اجر لجاهدين : " ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم " اية ٢١٧ - ٢١٨

ثم شرعت الايات الحديث عن احكام اخرى منها الخمر : " يسئلونك عن الخمر والميسر . . . " ثم السؤال عن الانفاق من مال اليتامى : " قل العفو " .

ثم السؤال عن احكام مخالطة اليتامى في المال ووجه التناسب بين هذين الحكمين .

انه سبحانه لما ذكر السئوال عن الخمر والميسر وكان في تركها مراعاة لتنمية المال ناسب
 ذلك النظر في مال اليتيم فالجامع بين الايتين ان في ترك الخمر والميسر اصلاح احوال
 انفسهم . وفي النظر في احوال اليتامى اصلاحا لغيرهم لمن هو عاجزان يصلح نفسه فمن
 ترك ذلك وفعل هذا فقد جمع بين النفع لنفسه ولغيره * --- (١)

وهنا وجه اخر قريب منه وهو " ولما كان في الخمار نوع من اطعام الفقراء لان تلك الاسهم
 كانوا يعطونها للفقراء ويفتخرون بها ويعدون من لم يتقدم لذلك برما اى بخيلا ستحبها
 اعقبها الله باية : " ويسئلونك ماذا ينفقون " الخ

فاجيب بان الذى ينفق فالعفو تفيض الجهد --- واما مسألة اليتامى فذلك انه لما نزل قوله
 تعالى : " ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما " (الاية) اعتزلوا اليتامى ومخالطتهم
 فانزل الله هذه الاية : ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير --- " وحاصل الامران
 السخالطة مرغوب فيها مطلوبة على شريطة ارادة اصلاحهم واجتناب الطمع فيما عندهم " (٢)
 ولا شك ان توفر المال مدعاة للمرء الى ان يتزوج لا ملاكه الباءة والمهر . ولما كانت رغبة النأ
 في الجمال الظاهرى كبيرة مهما كانت معتقدات المرأة ووطنها بين سبحانه وتعالى حكم
 نكاح الشركات بقوله :

" ولا تتكحوا الشركات حتى يؤمن --- اية ٢٢١

ثم تحدث عن احكام وطئ المرأة في الحيض :

" ويسئلونك عن المحيض --- اية ٢٢٢

ثم حكم الوطئ بشكل عام ومكانه :

" نساءكم حرث لكم --- اية ٢٢٣

ولما كانت العلاقات الزوجية مدعاة للمشاكل في كثير من الاحيان مما يؤدي الى كثرة الحلف

وذكر اسم الله جاء قوله تعالى :

" ولا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم " آية ٢٢٤

وقوله بعده : " لا يؤخذكم الله باللغو في إيمانكم " --- آية ٢٢٥

ثم يتعرض الحكم لإيلاء وهو مدخل السائل للطلاق وللفراق :

" للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر --- " آية ٢٢٦

ولا شك ان حلف الرجل الا يبطأ زوجته مع حاجة الرجل الى ارواء غريزته . يعبر عن مدى

تأزم العلاقة بين الزوجين فبعدها اما الملح واما الفراق والطلاق من هنا تبدأ الآيات

بالحديث عن الفراق والطلاق :

" وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم " آية ٢٢٧

وتفصل الآيات في احكام الطلاق من التربص ثلاثة طهور وعدم كتمان ما في الارحام ومحاولة

الرد خلال هذه الفترة الزمنية ثم يبين عدد الطلاقات الرجعية وحكم استرداد المهر

والصداق ثم حكم الطلاق البائن بينونه كبرى وقضية التحليل بعد الزواج الثاني ثم يتوجه

بالحديث الى الرجال حتى لا يعتدوا او يضرروا بالمرأة لان عقدة النكاح بيد الرجل وهو

الاقوى دائما . ثم يبين حكم الرضع وان الام احق بارضاع ولدها مقابل الرزق والكسوة :

" والوالدات يرضعن اولادهن --- " آية ٢٢٣

ثم يأتي لحكم الستون عنها زوجها وهي اشبه بالطلاق والجامع بينهما فقدان الرجل :

" والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا " آية ٢٣٤

ولما كان الفصل بين الرجل والمرأة يتم بالطلاق البائن او الموت وتتهيأ المرأة بعدها لكسوة

تكون عرضة الطلب من قبل الرجال ناسب ذكر احكام الخطبة :

" ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء " آية ٢٣٥

وبين اذابها من التعريض والكناية وعدم التصريح خلال العدة احتراما للشعور ورأفة في

المرأة حتى لا تتهبج للزواج :

" ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله " آية ٢٣٥

ثم بين حكمه اشبه ما يكون بالطلاق اي هو الصنف الثالث من انواع الترك . فالصنف الاول الطلاق الهائن ، والثاني ان يتوفى عنها زوجها ، اما الثالث فهو الطلاق قبل الدخول " لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تصوهن --- " آية ٢٣٦

ثم بين الاحكام المترتبة على هذا النوع من الطلاق وهو المتعة واسترداد المهر موضعا خلق السلم في التعامل :

" ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير " آية ٢٣٧

بعد هذه الاحكام المتعلقة بقضايا المرأة والطلاق والنكاح . وفي اختتام الايات لسألة الفراق والخلاف وذلك بتوجيه الناس للحل الا مثل وهو القادم عن طريق حكم الفضل بينكم " ان الله بما تعملون بصير " آية ٢٣٧

نجد الخطاب مباشرة يتوجه لذكر الصلاة :

" حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين "

ولاول وهلة يظهر الخطاب انه غير متناسب فيما قبله فالحديث عن الطلاق والمهر والشقاق غير الحديث عن الصلاة التي تعنها الحديث عن نوع اخر منها هو صلاة الخوف :

" فان خفتم فرجالا او ركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمتم ما لم تكونوا تعلمون " آية ٢٣٩

وقد حاول العلماء ان يتهينوا وجه التناسب بين هذين الغرضين الحديث لنا الصلاة وقبله الحديث عن الطلاق قبل الدخول . قال طنطاوى جوهرى :

" ولا يشغلنكم الا الطلاق والمتعة والمقاضاة واحوالكم المؤلمة بالمشاحنات والسماطلات والعداوات عن اجل الامور واعلاها وارفعها واواهاها وهما شيطان : المعروف بينكم

ورجوع الافئدة لله في الصلوات " -- (١)

(١) طنطاوى جوهرى : ج ١ - ص ٢١٩

فالإيـة توجيـه للناس لكي يهتـموا في سائل الصلاة حتى في ادق الامور واكثرها اشغالا للذهـن وهي اختلافات الزوجية التي يسترسل فيها الذهن وتطول بها المدد . وذلك ان الصلاة تذكر في العلاقات الربانية تحصل من الانسان بـلا س سائل روحية تجعله في النهاية يقدم الحل الا مثل تجاء الله سبحانه وتعالى . فالإيـة تذكر الناس ان لا ينسوا الصلة بالله في معـمان الامور الدينية . وتأتي الايات بعدها ايضاً تبين ضرورة المحافظة على هذه الصلاة حتى في اشد الاوقات واوقات الخلافات . واوقات الحروب والجهاد والقتال واوقات الخوف من العدو . اما الشيخ محمد عبد الله دراز فيقول في شأن هذه الاية وربطها بها قبلها :

" لقد طوت الايات السابقة صحيفة احكامها الخاصة بالطلاق بقوله : " ولا تنسوا الفضل بينكم لتتحول بنا الى ما هو اهم منها فقال لنا وهو يطوبها : " دعوا المشادة في هذه الشئون الجزئية الصغرى سووها فيما بينكم بقانون البر والفضل الذي هو اساس من قانون الحق و العدل وحولوا ايماركم معى الى شئون الكلية الكبرى التي هي احق بان يتوفر عليها العزم والقصد واخرى ان يشتغل بها العقل والقلب --- نعم ، نعم لقد كفاكم هذا حديثاً عن حقوق الزوج والولد فاستمعوا الان الى الحديث عن حقوق الله والوطن حافظوا على الصلاة --- انفقوا في سبيل الله --- جاهدوا في سبيل الله --- " (١)

اما السيد قطب فيعتبر ذكر حديث الصلاة في وسط هذه الاحكام دلالة توثيقية لها وكان الايات تقول لهم ان عبادته الله في سائل الزواج والطلاق والنفقة والمعاشرة والرضاعة وغيرها كعبادته في الصلاة تماماً بتمام فكلها عبادة قال : " ان هذه عبادات . وطاعة الله فيها من جنس طاعته في الصلاة . والحياة وحده والطاعات فيها جلة والامر كله من الله ، وهو منهج الله للحياة " --- (٢)

والذي أراه ان ورد اية " حافظوا على الصلاة " في هذا المكان بعد الحديث عن الطلاق

(١) تبصر محمد عبد الله دراز : النبأ العظيم ص ٢٠٣ (٢) السيد قطب : الظلال ج ١ ص ٦٤

قبل الساس ، الذى يشعروالى وجود خلاف واقع بين الزوجين قبل الدخول وبالتالى ظهور
هوى النفس وحب الانتقام من قبل كلى الطرفين ومحاولة كل من الزوج والزوجة كسب الوافق
واحرار اكبر قدر من النصر على الاخر وذلك بالتغريم المالى او محاولة التعنت الى قانون
الفضل والى التعامل كما كانت الهداية بالحسن ومرعاة الخلق والروية والفضل فقال تعالى
" ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير " اية ٢٣٧

ينظر الى ما قدمتم وفعلتم ويراقب ما تؤول اليه اموالكم فى مثل هذه الحالة . ثم وجههم
مباشرة دون اية مقدمة للقيام بواجبات الصلاة جميعها خاصة الوسطى لان الصلاة غذاء
روحى ينمى فى الانسان حب الاخرة ومراقبة الله فى الاعمال والابتعاد عن الشيطان وطرقه
فتكون الصلاة فى هذا الموطن سند قوى لحل الخلاف بالتى هى احسن وحرزان يتقع
كل من الطرفين فى حبال الشيطان وهوى النفس وغريزة حب الانتقام وقد ورد فى السنة
النبوية ما يؤيد هذا المعنى حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا حزم امر قام الى
الصلاة واى أمر أحزم للمرء من فقدان زوجته وللزوجة من فقدان زوجها وانفصالها عنه
بعد ان يمسى الله الطلاق بينهما بالميثاق الغليظ . ثم أكد ضرورة القيام بأمر الصلاة
وامحافظة عليها ليس فى مثل هذه الاوقات اوقات الخلاف والشقاق بل فيما هو اشد من
ذلك فى اوقات الحروب والخوف " فان خفتم فرجالا --- " اية ٢٣٩

وكان فى اتمام الحديث عن الصلاة بذكر نوع منها وهو صلاة الخوف اشارة الى ما سيأتى
فيما بعد عن الحديث عن القتال والجهاد . ثم نراه سبحانه وتعالى يستكمل الحديث
عن قضايا المرأة والطلاق بحكمين جديدين هو حكم اعتداد المرأة المتوفى عنها زوجها
حولاً فى بهيت الزوجية ثم نفقة العدة : وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين اية ٢٤١
وهذان الحكمان حكم المتوفى عنها زوجها والمطلقة لهما ارتباط وثيق ايضا فى مسائل
الجهاد والقتال الذى يعد من اكبر واعى الموت والهلاك فناسب تاخير هذين الحكمين
الى نهاية الحديث عن الاحكام المتعلقة بالطلاق ودخل اليها من مدخل خفى يتعلق

بالصلاة والجهاد هو حكم صلاة الخوف " فان خفتم فرجالا او ركباناً " اية ٢٣٩ . والجندي
 - كما يقول محمد دراز - في الحرب تشغله على الاقل مخافتان : مخافة على نفسه وعلى
 المجاهدين معه ، من اخطار الموت او الهزيمة ، ومخافة على اهله من الضياع والعييلة
 لو قتل --- لذلك انساق البهائم الكريمة يطرد عن قلبه كلتا المخافتين . اما اهله فقد
 وصى الله لزوجها اذا مات زوجها بان تمتع حولا كاملا في بيته وكذلك مطلقة سيقرر لها
 حق في المتعة لا ينسى . فليقرعينا من هذه الناحية " --- (١)

ويختم الحديث العام عن احكام الطلاق بقوله تعالى :

" كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون " اية ٢٤٢

اي مثل ذلك البهائم الواضح للاحكام السابقة " بين الله لكم آياته " الدالة على ما تحتاجون
 اليه معاشا ومعادا لكي تكمل عقولكم ولكي تصرفوا عقولكم اليها " --- (٢)

ثم تبدأ الآيات ببيان احكام في الجهاد محاولة في بدايتها اخراج صور الخوف من
 النفس لان الذي خلق الموت هو الذي وهب الحياة ولن ينفع الفرار منه اذا قدر وكتب
 وهذا المعنى بيته الآية " ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت
 فقال لهم الله موتوا ثم احياهم --- " ٢٤٣ (اية)

وموضع العبارة كما يقول السيد : " ان الفزع والجزع والخروج والحذر لم تغير مصير هؤلاء
 ولم تدفع عنهم الموت ولم ترد عنهم قضاة الله . وكان الشبات والصبر والتحمل اولى لسو
 رجعوا الى الله --- وان الحياة هبة منه بلا جهد من الاحياء --- اذا فلا نامت
 اعين الجبنا " --- (٣)

(١) محمد دراز : النبأ العظيم ص ٢٠٦ . (٢) الالوس : روح المعاني ج ٢ ص ١٦٠

(٣) السيد قطب : الظلال ج ١ - ص ٣٨٦ - ٣٨٧

وبعد هذه الآية يأتي صريح النص في القتال بعد ان اخرج الهلع والخوف من قلوب
الرجال باسناد الموت لله والحياة لله .

" وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم " آية ٢٤٤

ثم تأتي دعوة غير مباشرة للانفاق في سبيل الله الذي يقترن غالبا في الجهاد في سبيل
الله كما هو معلوم من حاجة المعمارك الى العدة والسلاح .

والرجال والمؤمن الخ ٠٠٠ فقال تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ٠٠٠
 (٠٠٠) ٢٤٥ وكما ان الجهاد لا يذهب النفوس لآمن الموت والحياة بيد الله
 كذلك الانفاق في سبيل الله لن يذهب المال (والله يقيض ويبسط واليه ترجعون)
 ٢٤٥،٠٠

ثم تستطرد الايات بالحديث عن الجهاد مع الانبياء ذكروه قصه طالوت نبي
 من بنى اسرائيل الذي قتل جالوت وفي هذه الايات المتتالية عن قتال طالوت عليه السلام
 تعليم وارشاد للمؤمنين الى كيفية القتال مع الانبياء وطلب غير مباشر لمخالفة اعمال
 اليهود واموالهم وترشدهم الى الدعاء عند لقاء العدو (ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا
 ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) وتختتم بالنصر للمؤمنين
 في السابق كما انها تشير الى انتصار المؤمنين في اللاحق مبينه ايضا ان قانون الجهاد
 قانون رباني لصالح البشر (ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله
 ذو فضل على العالمين) ٢٥١ ٠٠٠

تلك ايات الله نتلوها عليه بالحق وانك لمن المرسلين ٢٥٢ وفي هذا
 التاكيد (انك لمن المرسلين) اشارة الى ضرورة الطاعة والاهتتار بامر النبي صلى الله
 عليه وسلم .

وستمر الحديث عن مسائل الجهاد حيث يوضح القران في الايات اللاحقة
 أسباب الاقتتال بين الجماعة الواحدة بعد موت النبي (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من
 بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا ٠٠٠) ٢٥٣
 وكعادته الحديث عن الجهاد يستلزم الحديث عن البذل العالي لذلك
 جاءت اية الانفاق صريحة في عباراتها (يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل
 ان ياتى يوم لا يبيع فيه ولا خلد ٠٠٠) ٢٥٤

قال الاصم : المراد به الانفاق في الجهاد والدليل عليه انه مذكور بعد

الامر بالجهاد معنى ٠٠٠ (١)

وبعد ذكر الجهاد والقتال الذي به تكثفان النفوس ولاء من الجهاد في
سبيل الله مظنه دخول وسواس الشيطان لكي يبخل الانسان بنفسه وكذلك لاءن المال
شقيق الروح والانسان ايضا ربما يداخله الشيطان من هذا الباب باب الانفاق فيبخل
جاءت الايات التالية تقرر حقيقة مطلقة ثابتة هي حقيقة الالهية والتوحيد لكي
ترسخ الايمان في قلوب الناس وبالتالي يبذلوا العطاء في سبيله سبحانه وتعالى فجاءت
هذه الايات العظيمة كواسطه عقد بين اعظم مسألتين يمر بهما النفس البشرية وهما
الانفاق والجهاد او البخل بالنفس والضم بالمال وما من شك ان اقرار التوحيد في
النفوس مدعاة للقيام بكل الجانبيين بذل النفس واستمخاضها في سبيل الله وبذل المال
وانفاقه في وجوه الخير .

وتبدأ ايات التوحيد وبيان القدرة الالهية باية الكرسي وهي اعظم اية في

القران (الله لا اله الا هو ٠٠٠) ٢٠٠

ثم يعقبها بيان عدم الكراه في الدين خاصة بعد ظهور البراهين الساطعة
الدالة على الوجدان والقدرة الالهية ثم بين مصائر الناس اولياء الطاغوت اصحاب النار
(الله ولي الذين امنوا) ثم تشرع الايات بذكر الاحداث الدالة على قدرته سبحانه
وتعالى وتفرد به باحياء الموتى . وهذا مناسب جدا لمسائل الجهاد السابقة حتى يتيقن
المؤمن انه لا بد ان يحيا بعد الموت . فذكر قصة ابراهيم مع النمرود (الم ترالى الذي
حاج ابراهيم في ربه ٠٠٠) ٢٥٨

ثم قصة العزيز (او كالذي مر على قرية وهي خاوية ٠٠٠) ٢٥٩ .

ثم قصة ابراهيم (ان قال رب ارض كيف يحبب الموتى ٠٠٠) ٢٦٠
 وبعد هذه الايات يشرع في الحديث عن الانفاق في سبيل الله (مثل الذين
 ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل جنه) . ولما كانت الصدقة والانفاق مظهره ان
 يؤذي بها المتصدق عليه، بين ان الصدقة الخالية من المن والاذي هي المطلوبه و
 ان القول المعروف خبير من الصدقة التي يتبعها الاذي (قول معروف ومخفره) وبين
 نوعية الصدقة التي تضاعف (ولا تيسموا الخبيث منه تنفقون ولستم باخديه ٠٠٠) ٢٦٧
 ثم الحديث عن اظهار الصدقات (ان تبدوا الصدقات فنعما هي ثم وجوه

الانفاق : للفقراء) ٢٧٣

ويختتم الحديث عن الصدقات بهذه الاية (الذين ينفقون اموالهم بالليل
 والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ٢٧٤
 ولما كانت قضية العطاء الناتجة عن رفع المال قضية عظيمة تتم عن تضحيه
 ناسب ان يذكر بعدها صورته مناقضه تماما ومضاده لها هي صورته الجشع والبخل والابتزاز
 المتمثل في الربا واكله .

فكانت الاية الاخيريه من ايات الصدقات الذين ينفقون ٠٠٠ متابعه لهداية

الحديث على الربا (الذين ياكلون الربا —) ٢٧٥

وتبدأ الايات بالنهي عن اكل الربا ثم بيان ان الربا لا فائدة له يوم القيامة
 بل يحق الله في الدنيا ثم دعوه جديده لترك الربا (يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا
 ما بقى من الربا ان كنتم مؤمنين) ٠٠٠ ٢٧٨

ثم اعطاء صاحب راء من المال حقه (فان تبتم فلکم رؤوس اموالکم ٠٠٠) ٢٧٩

ولا شك ان استعادة رؤوس الاموال من آخذها دون الفائدة ربما لا يستطيع الاخذ
 السداد الفوري، بل يحتاج الى مدة زمنييه للسداد والدفع فجاء الحديث تلقائيا مباشره

عن الدين .

فان كان ذوعسره فنظره الى ميسره (٠٠٠) ٢٨٠

ثم الامر بالتقوي من كلا الطرفين لئلا يعاقل العدين في سداد دينه ولئلا

ياخذ صاحب المال زياده ديونه (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله (٠٠٠) ٢٨١

حيث ترد الحقوق الى اهلها ويستمر الحديث عن احكام الدين من كتابه وشهوده وكتاب

عدل والاملاء وعدم البخس (٠٠٠) ٢٨٢

ثم احكام الرهان وهو نوع من الدين ايضا (وان كنتم على سفر ولم تجدوا كتابا

فرهان مقبوضه) (٠٠٠) ٢٨٣

وهكذا تنقضي آيات تشريع الاحكام ببيان حكم الدين وما للدائن وما للعدين

وتختتم السوره بايات (لله ما في السماوات وما في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او

تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شئ قدير) (٠٠٠)

٢٨٤ . . .

هذه الايه التي تشعر بختام ما مر من الاحكام وان الانسان المسلم محاسب

على كل تلك الاحكام صغيرها وكبيرها بل محاسب على ما في صدره من خلجات محاسين

على تفكيرهم وارادتهم ماذا عسى المؤمنين ان يفعلوا! ايرفضوا وقد سمعوا مقالتي بنى

اسرائيل وما حل بهم (وقالوا سمعنا وعضينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) ام

يسلموا! مرهم الى الله بالامثال التام فهاهم يهرعون الى رسول الله شاكين هذا

العنت . . . لكنهم راضين بهذه الاحكام طائعين مؤمنين بكل ما انزل .

(امن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل امن بالله وملائكته وكتبه

ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)

ومقابل هذا الايمان والطاعة نجد الايات تنزل رافعه عنهم الاصم والغلغل .

(لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ثم نرى المؤمنين

يدعون الله سبحانه وتعالى طالبين الفرار مما وقعت به بنو اسرائيل والنصر على الاعداء)

٢٨٦ ٠٠٠

ومن جهة اخرى نرى ان قوله تعالى (الله ما فى السماوات وما فى الارض —

٠٠٠) ٢٨٣ تدل على مرتبة الاحسان بعد ذكر حقائق الايمان وحقائق الاسلام

والشرائع يقول عبد الله بن دراز (وهكذا تناول البيان البيان حتى الان — ١ — حقائق

الايمان — ٢ — شرائع الاسلام ٠٠٠ هل بقى من بيان الدين شئ فوق هذه الاركان

نعم لقد بقيت ذروته العليا وحليته الكبرى ٠٠ بعد الايمان و ٠٠٠ والاسلام ٠٠٠

بهي الاحسان وهو كما هسهه صاحب الرساله صلوات الله وسلامه عليه ان تراقب الله

فى كل شئك وان تستشعر مشاهدته لك فى سرى واعلانك وان تستعد لمحاسبته لك حتى

على ذات صدرك ودخيلك نفسك ٠٠٠ مطلب عزيز لا يطبق الوفاء به كل مؤمن ولا كل

مسلم ٠ وانما يحوم حول حماه صفوه الصفوه من المتقين ٠٠ وكانه لعزه هذا المطلب

ونفاسته صان الله دونه النفيسة فى هذه الاية الواحدة التى تعرج بها هامة السورة

(وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله ٠٠٠ ٢٨٤) ٠٠٠ (١)

امن الرسول ٠٠٠) والناظر فى مطلع السورة يجد انها تشتمل على وعد كريم

لمن سيؤمن بها ويطيع امرها بائهم اهل الهدى واهل الفلاح ٠ وكان صدى هذا

الوعد باستجابة المؤمنين للدعوة (امن الرسول ٠٠٠) ورضاء بوعدها لكل نفس

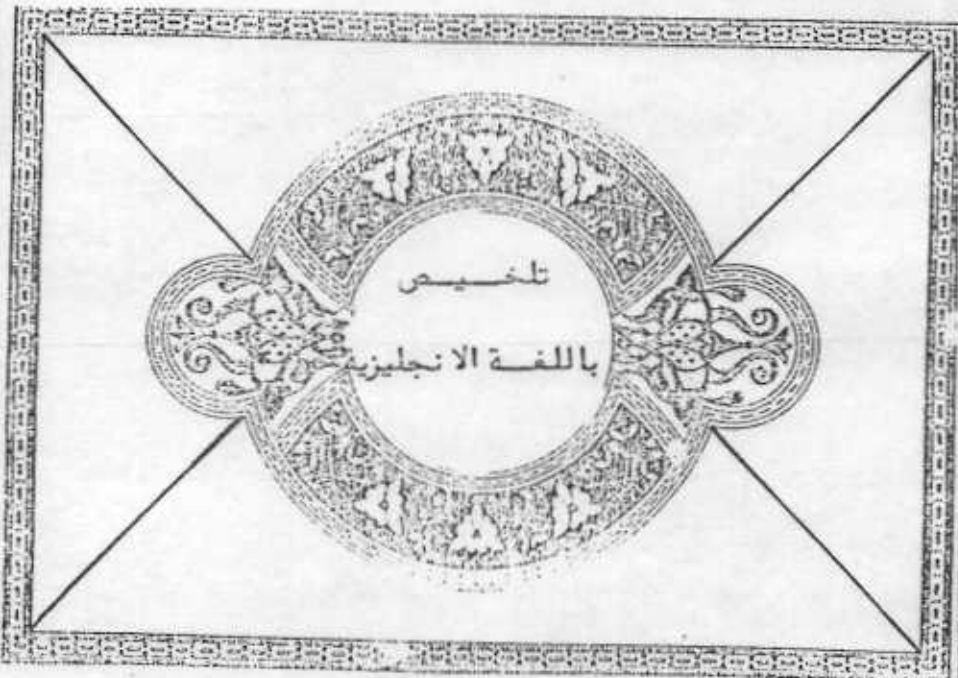
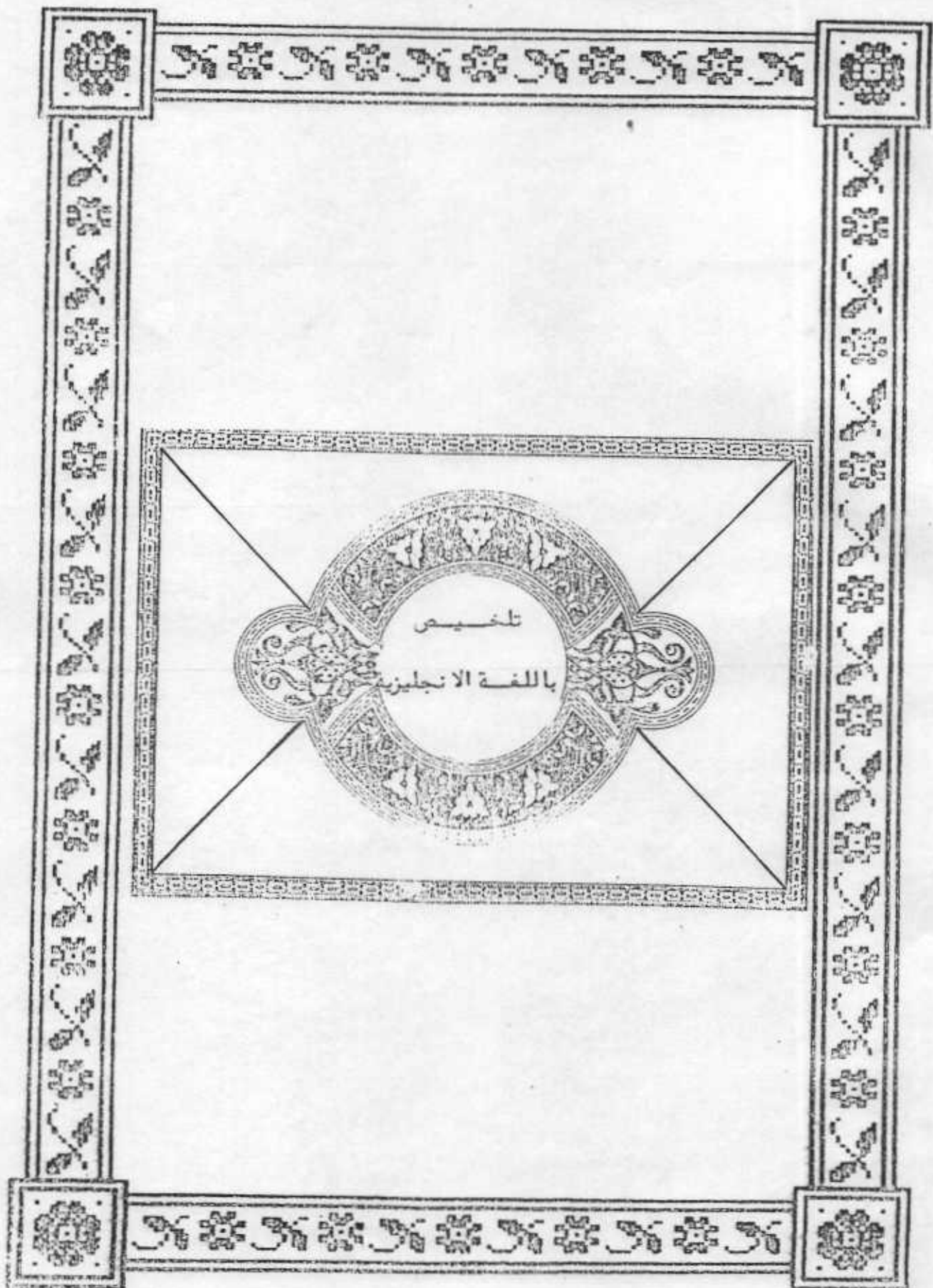
بذلت وسعها فى اتباعها (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) وفتحها لباب الامل على مصراعيه

امام هؤلاء المهتدين ولييسطوا اكفهم مبتهلين (ربنا ٠٠٠ انت مولانا فانصرنا على القوم

الكافرين) ٢٨٦ ٠٠٠ (٢)

(١) النبأ العظيم محمد دراز ص ٢٠٩

(٢) يتصرف محمد دراز النبأ العظيم ص ٢١٠



تأليف

باللغة الانجليزية

S Y N O P S I S

Praise be to Allah, the Lord of the worlds. The regards^d and Salutations be upon our leader MuHammad, the trustworthy^h.

In the following few lines, I am going to summarize my Ph.D. thesis, namely : RHETORICAL POINTS IN RESPECT OF FASL (DISTINCTIVE) AND WASL (CONJUNCTIVE) CONTAINED IN SURAH AL-BAQARAH.

I have begun the work on the following way:

1) INTRODUCTION.

I have stated in this introduction, the motives and reason for choosing this topic. The aim of which is basically to try to add something new to the existing Arabic Islamic Library, particularly in the field of Arabic Rhetoric in a small way, which might help one understand the 'I'Jazul-Qur'an in respect of its linguistics. And this, of course, is, one amongst its vast application in the field of conjunctions. I have stated too the uses of Fasl and Wasl between sentences and words and also tried to bring out their real meanings in the various ways in which it has been used.

2) PREFACE.

And, here in too I have elucidated the Terms on which the circle of my research centres. I have attempted to explain the roots of the subject "Fasl" and "Wasl", that is, through searching (for them) in the different Arabic Linguistic Dictionaries, thereafter the research moves on to the terminological meanings for both of the two subjects, along with the explanation to the connective relation between their terminological meaning.

3) Chapter One : HISTORY OF FASL AND WASL.

This chapter represents the starting point of the main topic of this Thesis and contains Sub-Chapters in which the Historical base for the advance of this Art are given along with a description of its gradual development in the various periods passed through by Arabic literature from the Pre-Islamic period to the Abbasid period.

And I have tackled it as under :

- Sub-Chapter 1 -- History of Fasl and Wasl in the literatures of the Pre-Islamic Period.
- 2 -- History of Fasl and Wasl in the literatures of the Islamic and Umma Periods.
- 3 -- History of Fasl and Wasl in the literatures of the Abbasid Period.

This periodic and logical continuation helps us without doubt in drawing a line of the development of this art historically, where it is possible for us to put our hands on its actual beginnings. And through this the originality of this art and the correctness of its development among the Islamic Arabic Bloc, can be cleared.

4) Chapter Two : TERMINOLOGY OF FASL AND WASL IN THE OPINION OF SCHOLARS

For logical continuation, after the explanation of this art in the periods covered in Arabic Literature, it becomes necessary for us to talk about the struggles of the scholars who specialized in this field; to bring out the differences amongs them and to attribute this Artistic Edifice to the most deserving of them without any bias and without diminishing the claims of each one of them. Beside this, I have explained too in this chapter the gradual development of the minor terminologies of this art from the primary books to its present state.

To facilitate benefiting from this chapter, I have divided it into three sections in the following manner :

Section 1 ; Terminology of Fasl and Wasl by NuHat.

I have pursued the specifications in respect of this art from some standard books. I have chosen the work of Sibawayh, Imam of An-NaHw of Basra; Al-Farra, a scholar of Kufa; and Al-Mubarrad, the representative of the opinion of the Baghdadian School in NaHw.

It appears to me that, there exists a strong connection between 'Ilmun-NaHw (Syntax) and Rhetoric, one of its connections is Fasl and Wasl. But there is also the possibility that this art is a reflection for the order of contacts and ways of joining sentences in Arabic Syntax (NaHw).

Section 2 : Terminology of Fasl and Wasl by Critics.

In this (section) I have analysed the struggles of the critics in building-up this art, by studying over the books of these critics and for this I have chosen scholars representing various periods. I discuss the struggles of Amr Bin Bahr Al-Jahiz, then the struggles of Ibni Qutayba Ad-Dainuri, and Ibn Tabataba and Qudama Ja'far.

And, in following their specific indications in respect of this art, it becomes clear to me that this art like other arts of Rhetoric, grew up in the lap of literary criticism.

Section 3 : Terminology of Fasl and Wasl used by Rhetoricians.

This section is the most important in this chapter, because Fasl and Wasl is a rhetorical art, and it is natural that the indications and terminologies should be from the books of the Rhetoricians and we bring out its originality from their sayings.

In this section, I have also discussed on a precious collection of Rhetoricians, and have explained in detail the share and extent of the contribution of each to this branch, qualitatively and quantitatively.

The closest to clear literary taste, and the most important among them, is the prominent Shaikh Abdul Qahir Jurjani. He has explained this art in his two books 'Asrarul Balaghah and Dala'ilu 'I'jaz. And of whom I have mentioned and searched in their books are Al-Imam Aba 'Ubaidah in his Majazul Qur'an, and Abu Hilal Al Askari in his As-Sana'atayn. I have shown too the application of this art by those mentioned by the author of Kash-shaf, Jarullah Az-Zamakhshari and likewise Imam Al-Fakhrur Razi in his great Tafsir, namely Nihayatul 'Ijaz wad Dirayatul 'I'jaz. Then I have also cited the final shape of the rules of this art from the book Miftah 'Ulum of Imam As-Sak-ka-ki and the summary of it by Imam al-Khatib al-Qazwini, in his book Talkhis-ul-Miftah, then Al-'Idah, and its explanation. And likewise I have explained the struggle of Imam Ibnu Athir in this respect in his book Al-Mathal as-Sa'ir.

It is clear to us without any doubt that this art deserves to be attributed to Imam Abdul Qahir Al-Jurjani, and that Imam Sak-ka-ki and those came after him explaining At-Talkhis, adopted in respect of this art, the way of moulding word and Artistic logic thereby avoiding the slandering literary taste and feeling of Rhetoric.

On the other hand, it appears to me that, there are deficiencies in the field of application of rules pertaining to this art. Therefore the applications mentioned in the books of these scholars are insufficient, lack vastness and comprehensiveness.

5) Chapter Three : FASL AND WASL IN THE THEORETICAL AND APPLICATIONAL STANDARD.

I have devoted this chapter for discussing Fasl and Wasl in respect of their theoretical and applicational standard so that discussion comprehends the occurrence of this art Fasl and Wasl between singular words and I have made clear as to when should we connect the Singulars with each other; with the meaning of Conjunctive Particle and where should we separate them; and whether these singular words are Nouns or Adjectives. And likewise, is the case in respect of sentences. I have explained as to where should we connect a sentence with another; on the meaning of a word from the words of Conjunction and when should we separate these sentences, their kinds and the cause of Fasl and Wasl alongwith mentioning the secrets of Rhetoric resulting out of the states of both Ittisal (Conjunction) and Infisal (Distinction). I have also explained these kinds in Surah al-Baqarah through the following three sections:

- Section 1 : Fasl and Wasl in Singular words.
- 2 : Fasl and Wasl in sentences having place for 'I'rab (Inflection).
- 3 : Fasl and Wasl in sentences having rule of 'I'rab (Inflection).

Through the application of the above-mentioned kinds, it is clear to me that, the contact between the singulars or sentences which have place for the occurrence of 'I'rab or the rule of 'I'rab is essential to understand its secrets. Because, in the state of the conjunction the intention of the speaker is on the Generals (العموم), whereby the meaning of the first sentence is given to the second by way of Conjunctive Particles.

Whereas in the case of Fasl, the speaker does not intend to transfer the rule or the place of inflection of the first sentence to the second one, therefore he separates the first sentence from the other one so that they may not be mutually connected. In addition to the explanation of the kinds of sentences which have the place 'I'rab, I have also mentioned them in this Surah.

6) Chapter Four : FASL AND WASL IN SENTENCES WHICH HAVE NO PLACE FOR 'I'RAB.

In this long chapter, I have made efforts to bring out the theoretical side of this kind of sentences, from books of Arabic grammar along with explanation of the reasons of differences in respect of these, like the Explanatory Sentence (الجملة التفسيرية), for example. Then the discussion is about the relation of a sentence of this kind with what comes after it, and I have explained how it connects and how it disconnects and then the secrets of such connection or disconnection. I have also explained the places for every kind, which are explained in three main sections. They are :

Section 1 -- Place of Fasl

I have mentioned herein, when the sentence which has no place for 'I'rab, separates from the later part of the sentence, and I have explained the causes and secrets for that Fasl which consists of the following points:

a) Fasl, by reason of close contact between sentences, which is called complete contact, whereby the conjunctive word is left between the two sentences because of their extreme close connection, and of the difficulty of placing it between the two sentences.

And when the second sentence describes the first, it has a complete contact with the first, which is when the second comes in the rule of Inflection, which is the place for corroboration of the first sentence, and whether that stress is wordly or mean corroboration.

And, therefore, the second sentence becomes complete contact with what is before it whenever it falls in the place of Badal (Substitution), either it be Complete Substitution (بدل الكل) or Partial Substitution (بدل البعض) or Substitution of Implication (بدل الاشتغال).

As for the Substitute of Blunder (الغلط), is concerned, it is counted as Fasl, because of complete discontinuity and non-attachment with the first sentence, in order to prove the second sentence, because of the occurrence of forgetfulness or misinterpretation or fixation of state and its specification, so that the speech could not agree with the occurrence.

And likewise the second sentence is considered to have a complete contact with the first then the Fasl must be in a state. Because, the second one is Explanatory Apposition (عطف بيان) to the first one. And I have mentioned the differences between the place which demands Badal and which needs Atfi Bayan. And I have explained too the place in which the sentence is to be separated from the first sentence on the ground that the second sentence is produced from a hidden question that is to be understood from the first sentence.

this is called terminologically Explanatory Inception(

Section 2 -- Places of Wasl

In this section I have mentioned when will second sentence be connected with the first one by using connective conjunctions. These are the Particles of Conjunctions with their various meanings such as Waw, Thumma, Fa', Aw, and so on.

I have also pointed out the meanings derived during the usage of every particles through the applied examples from Surah al-Baqarah.

Likewise I have demonstrated that which is called *عطف السياق* (a conjunction between two groups of sentences), or a conjunction of a story with another story — what is intended by it is the conjunction of the collective sentence, bearing a thought with another collective sentence bearing another thought, so that there exists a connection with the first, through some reason.

In addition to the discussion on the beautiful Al-'Ittisal, I have also discussed about Wasl by the use of Conjunction Particles between the two given sentences, so that the intention of the speaker may not be misunderstood.

And this chapter ends with a discussion on (*الجملة الحالية*) Circumstantial Clause, as it is considered to be in the state between the places of Fasl and Wasl. Therefore, at times it comes connected with that which precedes it, through the particle *عند* and sometimes does come without it. Therefore, it is counted as Distinct. And we have, in order to ascertain the veracity of the saying in respect of these two conditions and to distinguish the two sides, have pointed out the places where it will be in the state of Fasl and Wasl, illustrated by the examples from Surah al-Baqarah along with various types of Jumlatul Haliy-yah; Nominal and Verbal; attached and detached.

Section 3 -- Al-Jam' and its kinds

The discussion about the place for the occurrence of conjunction depends on the discussion of the coupling (*عطف*) between two sentences, and its kinds, because a sentence may not be connected to another sentence unless there is coupling between them. Likewise, the case in respect of Singular (words).

I have elucidated the kinds of this coupling while also retracing some of their applications which are used in explaining this thought. I have also explained its occurrence in various kinds such as intellectual (Aqliyyah), suppositional (Wahmiyyah), and Conceptual (Khiyaliyyah). I have focused on the later for its increasing usages.

7) Chapter Five : VAST APPLICATION IN SURAH AL-BAQARAH

This chapter consists of two long sections. I have devoted the first one for its vast application in respect of this art, i.e. Wasl and Fasl in Surah al-Baqarah, explaining therein its secrets and rhetorical fine points for Wasl and Fasl in their respective places by analysing this art and its application in this Surah till the end of the first part of the Surah.

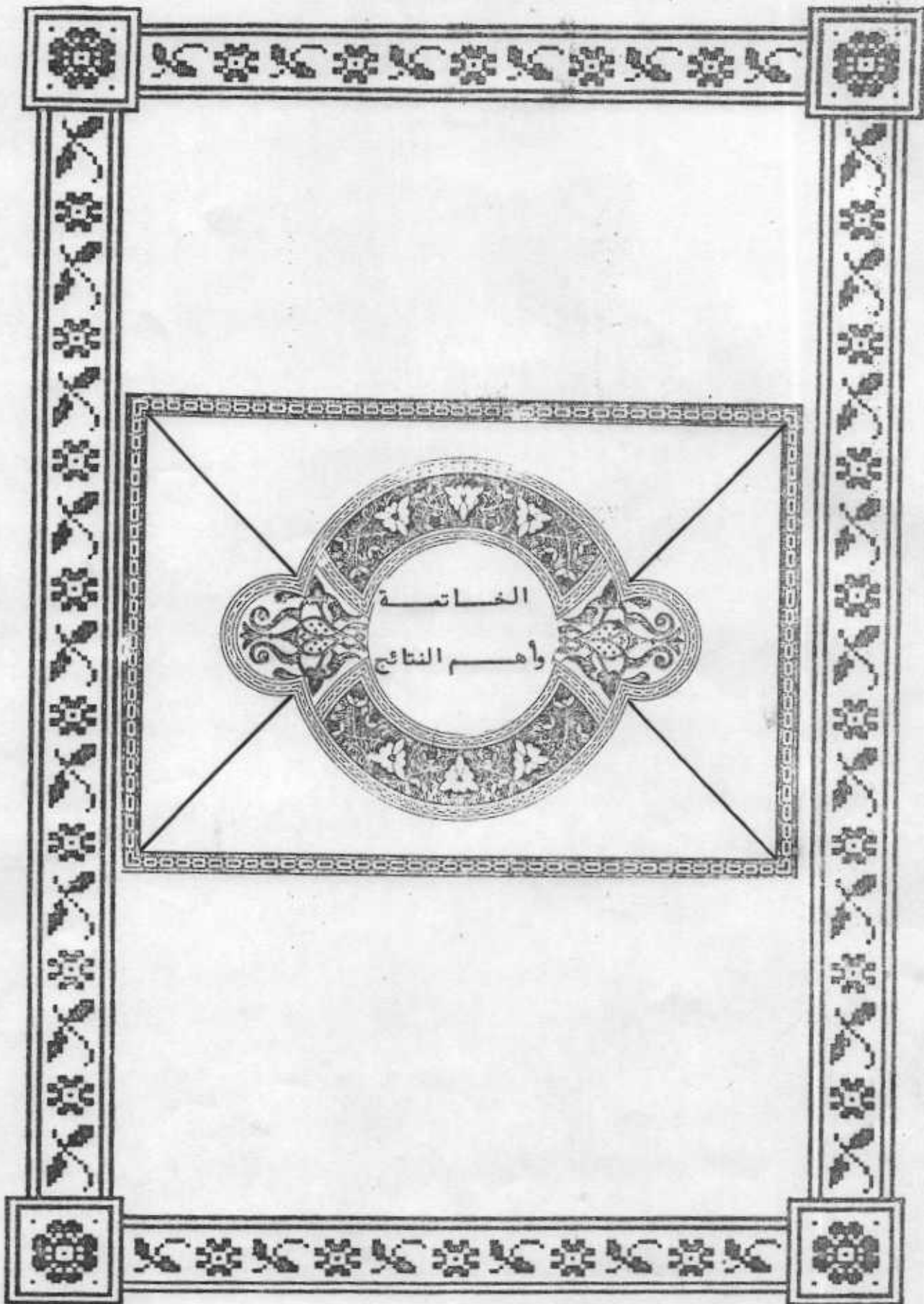
The second section concerns with analysing the order of joining the meanings. I have specified for discussing their general comparative relations, for it is an issue which is firmly linked with Wasl and Fasl. And I have explained too how meanings of this Surah are interconnected with one another firmly and systematically. Thus the relation among the meanings of various words has made the whole a brilliant ingot. This application and analysis has been applied to the Surah from its beginning to its end, so that the secrets of its connection and comparative relation can be brought out.

8) ENDING OF THE THESIS

I have cited through it, the importance of what I have achieved from my research work and I have explained that the practical side of the Rhetorical study is particularly concerned with Fasl and Wasl, which requires a lot of exertations so that the secrets or hidden side of the Holy Qur'an may become clear. I have also explained the importance of this research work through which the small but important issue of the Linguistic Miracle (اعجاز اللغوى) of the Holy Qur'an is made known.

9) BIBLIOGRAPHY

I have arranged a list of books used in the preparation of this Thesis.



الغاية
وأهم النتائج

الغـــــــــــــــــاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة وأجل التسليم على سيد المرسلين والخلق

أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فقد ظهر لي من خلال هذا البحث المتواضع أن مبحث الفصل والوصل

وأبرز أسرار البلاغية هو جزء لا يتجزأ من الموضوعات التي تخدم كتاب الله عز وجل

والتي تبرز على أسلوبه وبلاغته من جهة أخرى .

وظهر دون شك - أن هذا الفن عربي النشأة والاصل عرف منذ العهد

الجاهلية وجلاء العلماء فيما بعد من خلال كتاباتهم البلاغية الأدبية وأرسى قواعده

مجموعة من الأئمة وعلى رأسهم الامام عبد القاهر الجرجاني .

وظهر لي أيضا من خلال هذه الدراسة أن هناك أسرار عميقة كلما أمعن

الانسان النظر في كتاب الله ، تظهر لك من خلال الربط بين موضوعاته من جهة وهو

ما يسمى بالتناسب العام ، وبين جملة من جهة أخرى مما يجعل القارئ المتبصر

يضرب بعرض الحائط تلك الأقوال المفروضة التي تحاول الطعن في القرآن الكريم

والتي تزعم أنه مفكك في بعض أجزائه ولو أعاد مثل هؤلاء النظر ودققوا الفحص لمشروا

على كوز من الأسرار التي تشير إلى الربط أحيانا بين مفرداته وجملة وآياته والتي

الفصل أحيانا أخرى .

ولعل ما في هذا البحث كان للاطلاع على مثل تلك الفكات ، وظهر لي من خلال تطبيقات في سورة البقرة أن هذه السورة تعد - على اختلاف موضوعاتها - وعلى الامور التي ذكرت من خلال تأليفاتها سبيكة متعادلة متجانسة وبناء رصين متكامل لا يقدر على الاتيان بمثله أحد من البشر مهما علت منزلته وسهما قويت حجته وبلاغته .
وبالتالي القول أن هذا القرآن معجز ليس في مقدور البشر أن يأتوا ولو بسورة من مثله مهما قصرت ، وقد صدق الله العظيم حيث يقول سبحانه :

(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) .

وقد تبين لي أيضا أن الاطلاع على أسرار التنزيل من جهة نظمه وابرار علاقات الاتصال بين أجزائه جانب عظيم الاهمية في ابراز اعجاز الكلام وسمو اسلوبه .
وقد تبين لي من خلال هذا البحث أيضا أن هناك أهمية بالغة تتصل بالحروف العربية العاطفه فليس عبثا استخدام حرف د ون الاخر بل اسرار ايضا تكمن في طريقة استخدام هذه الحروف للوصول احيانا والفصل احيانا اخرى .

وان اختلافات كبيرة في المعاني تظهر احيانا عند اعتبار الحرف عاطفا او

غير عاطف في كثير من السياقات .

وظن لي ايضا انه كلما اشتد الارباط بين الجملتين كلما كان عدم استخدام

حروف الربط أولى وانسب للمقام ونفس المعنى أيضا كلما اشتد الفصل بين الجملتين كلما كان عدم استخدام الحروف اولى وقد بان ايضا ان معرفة مواطن الفصل من الوصل في الجمل الكلام اكثر تأثيرا في نفس الملتقى من جهة وتجعله اكثر دقة في مطابقة مقتضيات الاحوال .

والقارى في هذا البحث سيجد ان مسألة الفصل والوصل بين الجمل مسأله ليست قيمه على وجه واحد من وجوه الربط بل يمكن الوضع الواحد بين جملتين ان يتخذ عدة اشكال حسب الموقع الاعرابي للجمله من جهة وحسب ارادة العطف على قريب او بعيد او عدم العطف ويتخلل ذلك معان كثيرة مفاده تكثر المعنى في السياق الواحد وذلك نتيجة لتعدد الاغبارات الاعرابيه في السياق الواحد .

وخلاصة القول ان ادراك مواقع الفصل والوصل ومعرفة توجيه تلك المواقع معناه ادراك لا سرار التركيب القراني ووضع اصابع اليد على مواطن من مواطن البلاغه العربيه عظيم لا يدرك كنهه وعظيم أريحته الا موغل في هذا الفن محترس فيه غير شك ان هذا القرآن كلام الله الذي لا يضا هيه كلام وانه المنزل المتحدى به أقوال البشرء ولا يزال هذا الكتاب الخالد منارة هدى واشعاع نور رباني ودرب هداية لكل الطالبين والسائرين الى يوم الدين وفوق كل ذي علم عليم وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

شبهت المراجع

- ١- الاتقان في علوم القرآن . جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، ط: المكتبة الثقافية ، بيروت لبنان - ١٩٧٣م .
- ٢- أثر النحاة في البحث البلاغي . د . عبدالقادر حسين ، ط: دار النهضة المصرية - القاهرة .
- ٣- ارشاد العقل السليم ، المشهور بتفسير محمد بن محمد بن لطف الطحاوي ط: المكتبة العلمية - لبنان .
- ٤- أسرار ترتيب القرآن . جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، دراسة وتحقيق عبدالقادر أحمد عطا ط: الثانية دار الاعتصام - ١٩٧٨م .
- ٥- أساس البلاغة . الامام جار الله الزمخشري ، دار صادر بيروت - ١٩٦٠م .
- ٦- الاشياء والنظائر . جلال الدين السيوطي ، تحقيق عبدالرؤف سعد مكتبة الكليات الأزهرية - ١٩٧٥ - ١٣٩٥ هـ .
- ٧- الاصابة في تمييز الصحابة . ابن حجر بن علي العسقلاني ط: الاولى دار السعادة - ١٩١٠م .
- ٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي مطبعة المدني المؤسسة السعودية / مصر .
- ٩- اعراب القرآن . أحمد بن محمد النحاس ط: وزارة الاوقاف / مطبعة العاني - بغداد - العراق .
- ١٠- الاعلام . خير الدين محمد بن محمد الزركلي ط: الرابعة بيروت - دار العلم .

- ١١- الاغــــــــــــــــاني .
 علي بن الحسين أبو الفرج الاصفهاني ، تحقيق
 باشراف د . محمد أبو الفضل ، مؤسسة جمال
 للطباعة والنشر .
- ١٢- املاء ما من به الرحمن من وجوه
 الاعراب والقرآن .
 أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري ،
 تحقيق ابراهيم عطوة عوض . ط : الثانية
 مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر
 ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٩ م .
- ١٣- انباء الرواة .
- ١٤- الانصاف فيما تضمنه الكشاف من
 الاعتزال .
 الامام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير
 الاسكندري المالكي . ملحق بكتاب الكشاف
 ط : دار المعرفة - بيروت .
- ١٥- ايجاز البيان في سور القرآن .
 محمد علي الصابوني . ط : الثانية ١٩٧٩
 مكتبة الفزالي .
- ١٦- بحوث المطابقة على مقتضى الحال . د . علي البدوي / مصر .
- ١٧- البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن . ابن عبد الكريم الزملكاني ، تحقيق : خديجة
 الحديثي وأحمد مطلوب - ط : الاولى
 مطبعة العاني - بغداد ، ١٩٧٤ م .
- ١٨- البرهان في علوم القرآن .
 بدالدين محمد بن عبدالله الزركشي
 تحقيق محمد أبو الفضل . ط : دار المعرفة
 - بيروت .

- ١٩- بغية الايضاح .
عبدالمتعال الصعيدي ط: الثانية مكتبة
محمد علي صبيح - مصر.
- ٢٠- البلاغة تطور وتاريخ .
د . شوقي ضيف ط: الرابعة دارالمعارف
- مصر .
- ٢١- البلاغة القرآنية في تفسير
محمد أبو موسى .
الزمخشري .
- ٢٢- البيان والتبين .
عمر بن بحر الجاحظ. تحقيق :عبدالسلام
هارون ط: الاولى .
- ٢٣- البيان العربي .
بدوي طبانه ط: السادسة مكتبة الانجلو-
مصرية .
- ٢٤- التأويل النحوي في القرآن الكريم
د . عبدالفتاح أحمد الحموز ط: الاولى مكتبة
الرشد ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- ٢٥- تأويل مشكل القرآن .
ابن قتيبة الدينوري / شرح أحمد صقر ط:
الثالثة - المكتبة العلمية .
- ٢٦- التصريح على التوضيح .
ابن مالك .
- ٢٧- تفسير ابن عباس .

- ٢٨- تفسير البحر المحيط
أبو حيان محمد بن يوسف ط: الثانية دار
الفكر بيروت ١٩٨٣م.
- ٢٩- تفسير النسفي
أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمد
النسفي ط: دار الكتاب العربي / بيروت.
- ٣٠- تفسير ابن كثير
الحافظ أبو الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي
ط: الثانية ، دار المعرفة - بيروت لبنان
١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.
- ٣١- تفهيم القرآن
أبو الأعلى المودودي / تعريب أحمد ادريس
ط: الاولى ، دار القلم - الكويت - ١٩٧٨م.
- ٣٢- تقرير الشمس الانبارى على شرح
السعد التفتازاني لتلخيص المفتاح
وحاشيته الشهيرة بالتجريد في علم
المعاني والبيان والبدع .
- ٣٣- التلخيص في علوم البلاغة .
جلال الدين محمد بن عبد الرحمن المعروف
بالخطيب القزويني / شرح عبد الرحمن البرقوقي
ط: دار الكتاب اليومي - بيروت .
- ٣٤- تهذيب اللغاة .
أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى تحقيق
أحمد عبد العليم البردوني ط: الدار المصرية
للتأليف .

٣٥- تيسير الوصول الى أحاديث الرسول عبد الرحمن بن الربيع الزبيدي .

٣٦- الجامع لاحكام القرآن
 أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرظمي
 تحقيق عبد العليم البرزوني وآخرون ط: الثانية
 دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٥٤م -
 ١٣٣٧هـ .

٣٧- جمهرة البلاغة .
 الملمم الغراهي ط: الدائرة الحميدية
 - الهند .

٣٨- جمهرة رشائل العرب في عصر العربية أحمد زكي صفوت ط: مصطفى الباهي الحلبي
 الزاهر .
 مصر .

٣٩- الجواهر في تفسير القرآن الكريم . طنطاوى جوهرى / مصر .

٤٠- جواهر الحسان في تفسير القرآن . عبد الرحمن بن محمد مخلوف الشعالبي ط:
 مؤسسة الاعلمي . لبنان - بيروت .

٤١- حاشية الدسوقي على مختصر السعد ملحق بشروح التلخيص ط: يولاى الاولى /
 على تلخيص المفتاح .
 مصر .

٤٢- حاشية السيد شريف على تفسير دار المعرفة - بيروت .
 الزمخشري .

٤٣- حاشية سيد شريف على المطول ط: أحمد كامل - ١٣٣٠هـ .
 لسعد الدين التفتازاني .

٤٤- حاشية الصبان على شرح الاشموني الصبان ط: ١٣٨٠ هـ مع شرح الشواهد للعيني ، دار احياء الكتب ، عيسى البابي الحلبي / مصر .

٤٥- الحديث النبوي من الوجهة البلاغية د . عز الدين علي السيد .

٤٦- حول خصائص القرآن محمد بن علوى المالكي الحسني ط: الاولى مطبعة سحر - جدة - (١٤٠١ هـ).

٤٧- دراسات في أسلوب القرآن الكريم عبد الخالق عظيمة ط: الاولى مطبعة السعادة

٤٨- درة التنزيل و فرة التأويل في بيان أبو عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب الآيات المتشابهات من كتاب الله الاسكافي تحقيق عبد المعطي السقا ط: الاولى العزيز . مطبعة السعادة .

٤٩- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ابن حجر العسقلاني ، حيدرآباد - الهند دار المعارف العشمانية ط: الاولى ١٣٤٩ .

٥٠- الدرر اللقيط من البحر المحيط تاج الدين الحنفي النحوى ط: الثانية ١٩٨٣ م دار الفكر .

٥١- دلائل الاعجاز الامام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي ط: مكتبة القاهرة .

٥٢- دلائل التراكيب محمد أبو موسى ط: الاولى مكتبة وهبه

أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود
الالوسي البغدادي ط: مكتبة امداد يسة
- ملتان - مغربي باكستان .

٥٣- روح المعاني في تفسير القرآن
العظيم والسبع المثاني .

الامام النووي أبو زكريا يحيى بن شرف النووي
تحقيق شعيب الازناوي وط . مؤسسة الرسالة
ط: السابعة ، ١٩٨٩م - ١٤٠٩هـ .

٥٤- رياض الصالحين

ابن سنان الخفاجي .

٥٥- سر الفصاحة

السيرافي . تحقيق : د . محمد علي سلطاني

٥٦- شرح أبيات سيبويه

عبد المتعال الصعيدي ط: المحمودية
التجارية / القاهرة .

٥٧- شرح الايضاح

خالد بن عبد الله الازهرى على ألفية
ابن مالك .

٥٨- شرح التصريح على التوضيح

٥٩- شرح الاشعوري على المسمى منهاج
السالك الى ألفية ابن مالك .

بهاء الدين عبد الله بن عقيل . تحقيق
محمد محي الدين عبد الحميد . ط: العشرون
١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م . مكتبة دار التراث

٦٠- شرح ابن عقيل

مصر .

- ٦١- شرح القوائد السبع الطوال
الجاهليات .
الانبارى ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون .
ط : الثانية .
- ٦٢- شرح المختصر على تلخيص المفتاح
سعد الدين التفتازاني انتشارات كتيبى نجفي
رقم كدرخان .
- ٦٣- شرح النووى على صحيح مسلم
أبوزكريا يحيى بن شرف النووى ، مؤسسة
الرسالة ، بيروت-لبنان .
- ٦٤- الشعر والشعراء
ابن قتيبة الدينورى ، تحقيق : أحمد محمد
شاكر ط : الثالثة ١٩٧٧ م .
- ٦٥- الصحاح
اسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد
عبد الغفور ، ط : الثانية ، دار العلم للملايين
بيروت - ١٩٧٦ م .
- ٦٦- الصناعتان
أبو هلال العسكري ، تحقيق : عيسى الحلبي
ومحمد البيجاوى ومحمد أبو الفضل ط : الثانية
دار احياء الكتب - ١٩٥٢ م .
- ٦٧- صور من تطور البيان العربي
كامل الخولي ، ط : الحلبي - مصر .
- ٦٨- الطراز
الامام يحيى بن حمزة بن علي العلوى التميمي
دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٠ هـ -
١٩٨٠ م .

- ٦٩- عروس الافراح في شرح تلخيص
السبكي ملحق بشروح التلخيص طبعة
عيس الحلبي مصر ط: الاولى الاميرية
ببلاق ١٣١٨ هـ .
- ٧٠- علوم البلاغة
أحمد مصطفى المراغي . ط: الاولى دار
الكتب العلمية بيروت - ١٩٨٣ م .
- ٧١- العمدة
ابن رشيق القيرواني . تحقيق محي الدين
عبد الحميد ط: الرابعة . دار الجيل -
بيروت .
- ٧٢- عيار الشعر
محمد أحمد بن طبا طبيا العلوي شرح عباس
عبدالدار ، مراجعة نعيم زرزور ، ط: دار
الكتب العلمية - بيروت .
- ٧٣- غرائب القرآن وغرائب الفرقان
نظام الدين الحسن النيسابوري .
- ٧٤- الفاصلة في القرآن
محمد الحسناوي ط: دار الجيل - بيروت .
- ٧٥- الفتاوى الكبرى
شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية
الحراني ، ط: دار الافتاء - الرياض .
- ٧٦- فتح القدير
محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار
المعرفة للطباعة والنشر . بيروت لبنان .
- ٧٧- فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في
القرآن .
د . فتحي أحمد عامر . اشراف محمد توفيق
عويضة ، ط: المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية
لجنة القرآن والسنة . القاهرة ١٩٧٥-١٣٩٥ .

٧٨- الفلك الدائر على المثل السائر ابن أبي حديد . تحقيق أحمد الحوفي وبدوى طبانه مكتبة النهضة - مصر .

٧٩- الفهرست لابن النديم محمد بن اسحاق أبو الفرج تحقيق : رضا ، ط : الاولى . نشر رضا طهران ١٩٧١ م دار وطبعة دار المعرفة بيروت .

٨٠- الفوائد المشوق ابن القيم . دار المكتبة العلمية - بيروت .

٨١- في ظلال القرآن سيد قطب ، ط : السابعة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ١٩٧١ م . ٥٠١٣٩١ .

٨٢- القاموس المحيط الفيروز آبادي .

٨٣- القاموس الجديد للطلاب علي بن هادية ط : الاولى الشركة التونسية - تونس .

٨٤- القطع والاستئناف أحمد بن محمد أبو جعفر ابن النحاس . تحقيق : أحمد خطاب العمر ، ط : الاولى وزارة الاوقاف . مطبعة العاني - بغداد ١٩٧٧ م .

٨٥- الكامل في اللغة والادب المبرد .

٨٦- الكتاب

سيبويه . تحقيق : عبدالسلام هارون ط :
عالم الكتب - بيروت ، ط : مطبعة المشي
بغداد - بيروت .

٨٧- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون
الاقاويل في وجوه التأويل .

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري
الخوارزمي ، ط : دار المعرفة . بيروت - لبنان

٨٨- لسان العرب

أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور
ط : دار صادر - بيروت .

٨٩- المثل السائر

ابن الاثير . تحقيق : أحمد الحوفي ودوى
طبانة ، ط : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها .

٩٠- مجاز القرآن

أبو عبيدة معمر المشي التميمي . تحقيق :
محمد فؤاد سزكين . القاهرة - مكتبة الخانجي
ط : الثانية ١٩٧٠ - ١٣٩٠ هـ .

٩١- محاسن التأويل المسمى بتفسير
القاسمي .

محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق محمد
فؤاد عبد الباقي ، احياها الكتب العربية
عيسى الباي الحلبي وشركاه .

٩٢- مختصر السعد على تلخيص المفتاح

سعد الدين التفنازاني .

٩٣- مشكل اعراب القرآن

مكي أبو طالب القيسي . تحقيق ياسين
محمد السواس ، مقدمة وشرح علي رضا

ميرزا أحمد . طبع ونشر وانتشارات نور ١٣٦٢ .

- ٩٤- المطـول
سعد الدين التفتازاني ، مطبعة أحمد
كامل - ١٣٣٠ هـ .
- ٩٥- معترك الاقران في اعجاز القرآن
جلال الدين السيوطي ، تحقيق علي محمد
البيجاوي ، ط: دار الفكر العربي .
- ٩٦- معاني القرآن
الفراء* ، تحقيق محمد علي النجار وأحمد
يوسف نجاتي ومحمد أبو الفضل ، ط: عالم
الكتب والدار المصرية للتأليف والنشر .
- ٩٧- معجم الابد بـا*
ياقوت الحمـوي .
- ٩٨- معاني القرآن وعرابه
الزجاج أبو اسحاق ابراهيم بن السري بن
سهل ، شرح وتحقيق د . عبد الجليل عبده
شليبي ، منشورات المكتبة .
- ٩٩- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن
محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر بيروت
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- ١٠٠- معجم شواهد العربية
عبد السلام هارون ، ط: الاولى ١٩٧٢ م
مكتبة الخاتمي مصر .
- ١٠١- مفني اللببيـب عن كتب الـاعراب
أبو محمد عبدالله جمال الدين بن محمد
بن يوسف ابن هشام الانصاري ، تحقيق :
محمد محي الدين عبد الحميد ، ط: مكتبة
ومطبعة محمد صبح / مصر .

١٠٢- مفتاح العلوم . السكاكي ، ط: دارالباز / مكة المكرمة .

١٠٣- مغني اللبيب لابن هشام - أبو محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن هشام الانصاري دار النشر الاسلامية .

١٠٤- المقتصد في شرح الايضاح عبد القاهر الجرجاني ، ط: الشؤون الاسلامية

١٠٥- المقتضب للمبرد ، تحقيق عبد الخالق عظمة المجلس

الاعلى للشؤون الاسلامية لجنة احياء التراث القاهرة - ١٣٨٨ هـ .

١٠٦- المكتفي في الوقف والابتداء أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانني الاندلسي

دراسة وتحقيق د . يوسف عبد الرحمن المرعشلي ط: مؤسسة الرسالة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م الطبعة الاولى .

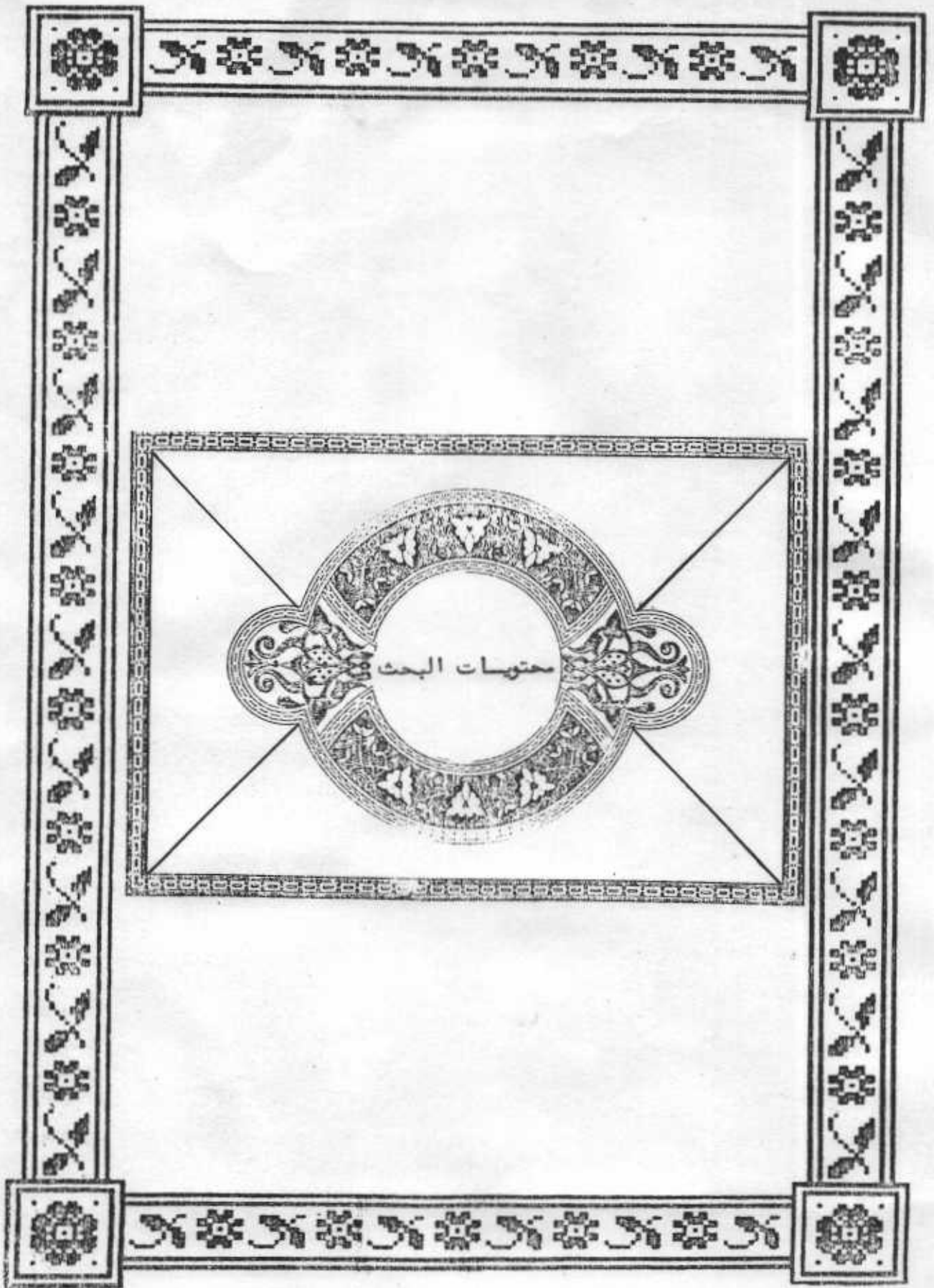
١٠٧- الموشح الرزبانسي

١٠٨- مواهب الفتاح ابن يعقوب المغربي ، ملحق بالشروح

على التلخيص ، ط: عيسى الحلبي وشركاه

ط: الاولى المطبعة الاميرية بولاق - ١٣١٨ هـ .

انتهى ثبت المراجع



محتويات البحث

محتويات البحث

٢		شكر وعرفان :
٤		الاهتمام :
٦		خلاصة البحث :
١١		المقدمة :
١٧		التمهيد :

الباب الاول

(تاريخ الفصل والوصل)

٣٠		الفصل الاول: في العصر الجاهلي
٣٩		الفصل الثاني: في عصر صدر الاسلام والعصر الاموي
٦١		الفصل الثالث: في العصر العباسي

الباب الثاني

(مصطلح الفصل والوصل عند العلماء)

٧٧		الفصل الاول: (الفصل والوصل عند النحاة)
----	--	--

- ٧٨ - ١- سيبويه
 ٩٥ - ٢- المبرد
 ١٠٥ - ٣- الفراء

الفصل الثاني: (الفصل والوصل عند النقاد)

- ١١٦ - ١- الحافظ
 ١٢٢ - ٢- ابن قتيبة
 ١٢٩ - ٣- ابن طباطبا
 ١٣٣ - ٤- قدامة بن جعفر

الفصل الثالث: (الفصل والوصل عند البهـ لاغيين)

- ١٣٧ - ١- أبو عبيدة
 ١٤٣ - ٢- أبو هلال العسكري
 ١٥٠ - ٣- عبد القاهر الجرجاني
 ١٧٥ - ٤- الزمخشري
 ٢٠٠ - ٥- الفخر السمرقندي
 ٢٠٧ - ٦- السكاكي
 ٢١٦ - ٧- ابن الاثير
 ٢٢٣ - ٨- الخطيب القزويني

الباب الثالث

(الفصل والوصل في المفردات والجمل)

- الفصل الاول: (الفصل والوصل في المفردات) ٢٢٤

الفصل الثاني: (الفصل والوصل في الجمل التي لها محل من الاعراب) ٢٦٢

الفصل الثالث: (الفصل والوصل في الجمل التي لها حكم اعرابي) — ٢٨٥

الباب الرابع

الفصل والوصل في الجمل التي لا محل لها من

الاعراب

الفصل الاول: (واطن الفصل)

٢٩٩ — ١- كمال الانقطاع بلا ايهاام خلافاً المقصود

٣٠٤ — ٢- السرف في كمال الانقطاع

٣٠٨ — ٣- شبه كمال الانقطاع

٣١٢ — ٤- كمال الاتصال:

٣١٢ — ١- التأكيد اللفظي

٣١٧ — ٢- التأكيد المعنوي

٣١٩ — ٣- بدل البعض

٣٢٩ — ٤- بدل اشتمال

٣٣٣ — ٥- بدل الكل

٣٣٤ — ٦- بدل الغلط

٣٣٥ — ٧- عطف البيان

٣٤٠ — ٨- بين البدل وعطف البيان

٣٤٢ — ٥- شبه كمال الاتصال (الاستثناء)

٣٤٨ — أ- أقسام الاستثناء

٣٥٤ — بد صور الاستثناء

THE UNIVERSITY OF SINDH
JAMSHORO.



**Rhetorical Points in Respect of Fasl (Distinctive) &
Wasl (Conjunctive) Contained in surah Al-Baqara**

BY
YOUSEF AWWAD SALIM AL-QAMMAZ

*A Dissertation Submitted for the Fulfilment of the Degree
of Doctor of Philosophy in Arabic, Institute of Languages.*

UNDER THE GUIDANCE OF
Professor, Dr. Madad Ali Qadri
SINDH UNIVERSITY, JAMSHORO.

SUMMARY

Following is the summary of my Ph.D. thesis entitled Rhetorical points of Fasl and Wasl (the system of disjunction and Conjunction) in surat al-Baqarah. The thesis has an introduction, a preface, five chapters, conclusions and a bibliography. Two major purposes of the dissertation are: (a) providing evidences of the inimicability of the Qur'an by analysing the system of fasl and wasl, (b) elaborating mutual relationship between the terminologies of fasl and wasl by elucidating their etymological bases.

Chapter 1: History of fasl and wasl:

This chapter represents the main theme of the thesis. It contains various sections wherein the history base for the advance of this art and a description of its gradual development in the various periods undergone by Arabic literature from the pre-Islamic to the abbassid period is elucidated. The sections include:

- (i) History of fasl and wasl in the pre-Islamic era.
- (ii) History of fasl and wasl in the early Islamic and Umayyad periods.
- (iii) History of fasl and wasl in the Abbassid period.

Chapter 2: the verdict of Experts About the Terms

It is a logical obligation to analyse the effects of experts in Arabic literature who have tried to provide authentic opinions about the terms *fasl* and *wasl*. My personal analysis that follows is intended to be impartial and unprejudiced, aided by convincing arguments from all the sides.

For the sake of convenience alone, this chapter is divided into three sections: covering the point of views of Nuhat (experts in Syntax), critics and rhetoricians respectively.

Section I

In this section comparative assessment is made from the point of view of grammarians including Sibawayh (Imam of Basrah school), al-Farra' (Imam of Kufan school) and al-Mubarad (the representative of the school of Baghdad).

Section II

In this section the issue is dealt with as an art rather than as subject. Critical evaluation of various experts regarding the comparative and collective importance of the two terms in reference to all its way of application is the soul of this section.

Section III

This section deals with the issue from a rhetorician's point of view, trying to define and elucidate the terms and other dependent concepts from this perspective. This section also intends to analyse the contribution of various rhetoricians who have paid attention to this issue both qualitatively and quantitatively. This section is the most important constituent not only of the chapter but rather of whole thesis because rhetorical aspect of *fasl* and *wasl* is the most integral one of the basic identity of the terms.

Chapter 3: Theoretical and practical status of *Fasl* and *Wasl*

This chapter is devoted to the discussion of *fasl* and *Wasl* in respect of their theoretical and applicational standard so that the discussion covers the possibility and validity of using these words in isolation and for performing the role of conjunctions between singular and plural nouns.

Chapter 4: Fasl and Wasl in Sentences not accepting Desinential Inflection

In this long chapter efforts have been made to bring out the theoretical side of this type of sentences from the sources and to explain their mutual relationship or otherwise. The chapter has three sections. section 1 tells about the places of fasl and wasl and deals with those sentences accepting desinential inflection (jumaltun Iaha Hukmun i 'rabiyy), while section 3 discusses the joint of the two sentences (al-Jami') and its various types.

Chapter 5: Application of Fasl and Wasl in Surat al-Baqarah

This chapter consists of two long sections. General application of fasl and wasl has been made throughout the surah. Underlying reasons and semantic beauties of fasl and wals are also pointed out.

Conclusion

The conclusion summaries all that I have achieved from my present study: that the Qur'an is inimitable from all aspects, the system of fasl and wasl being one of them.

* Note: Bibliography and the list of ahadith occurring in the thesis are provided at the end.